

صفحة من
رحلة الدرس الزنجاني
وخطبه

في الأقطار العربية والعواصم الإسلامية

تأليف الأستاذ

محمد هادي الدفتر

الجزء الأول

إخراج وتنقيح
ممن الشيخ إبراهيم البني

مؤسسة النعمان
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - ٢٠٠٤ م / ١٤٢٦ هـ

A Page from The

JOURNEY OF IMAM ABDUL KAREEM ZANDJANI

To the Arabic & Islamic Countries

Including His Visits and Speeches

2nd. Edd. 1956

3rd. Edd. 1996

Issued by

Al-Nou'man Est.

P.O.Box 229/25, Haret Hryek, Dakkach str. Beirut - Lebanon

صفحة من
رحلة الإمام الزنجاني
وخطبته

الجزء الأول

في الأقطار العربية والعواصم الإسلامية



- ٢٦ - سباحة في السرب أو مصير الأرواح بعد الموت مع
خطيئة للإمام علي بن أبي طالب وسلاطه وتصيده
الكوتريه وتصيده محمد مجذوب
- ٢٧ - تراجم الأصول - وسائل الشيخ الأصمعي، (مجلدين)
- ٢٨ - نقد الآراء الخفية وحل مشكلاتها - كاشف المعاد،
(مجلدين)
- ٢٩ - تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام تأليف آية الله السيد
حسن الصدر
- ٣٠ - الرسائل التوجيهية - للسيد محمد حسين الطباطبائي
- ٣١ - زواج بنو أمية - السيد حسين الشامي
- ٣٢ - الإمام الصادق كما عرفه علماء المغرب نقله إلى العربية
الدكتور نور الدين آل علي
- ٣٣ - الدرر النقية في سرائر السيرة الشريفة - السيد حسن
الأمين العاملي
- ٣٤ - أسرار الشهادة - للدكتور بحلة جديدة وحرف
واضح (مجلدين)
- ٣٥ - تفسير فرائد الكوفي بحلة جديدة وحرف واضح
(مجلدين)
- ٣٦ - مفتاح الحق - في الأدعية والزيارات وتعليم الصلاة/
حسن الكشي
- ٣٧ - الحجاب أو العفاف بين السلب والإيجاب محمد أمين
زين الدين
- ٣٨ - فضائل أهل البيت المسمى بـ بصائر الدرجات
محمد الصمار
- ٣٩ - رحلة الزنجاني للحرم الشيخ عبد الكريم الزنجاني
(مجلدين)
- ٤٠ - مختصر النحو - الدكتور هادي الفضل
- ٤١ - الإمام المهدي (ع) وظهوره، الغيبة الصغرى، والغيبة
الكبرى وعلامات الظهور - للشهرودي
- ٤٢ - إسلام امرأة - بسام مرتضى
- ٤٣ - التربية بين الإسلام والنظم الوضعية - بسام مرتضى
.....
- ٤٤ - دروس في المنطق - بسام مرتضى
- ٤٥ - الإشارات والتنبيهات - لآية الله علي ابن سينا، مع
شرح نصير الدين الطوسي، تحقيق الدكتور
سليمان دينا (٤ مجلدات)
- ٤٦ - الشعاع في علمه بعلمك والبلاغ
- ٤٧ - التوبة إلى الله

- ١ - مغربي من بلادي - كامل الصباح الذي اخترع ٢٦
اختراعاً وكان نابغة إسلامية عربية
- ٢ - صلح الحسن - الشيخ راضي آل ياسين
- ٣ - علي من المهد إلى المهد - كاظم الصروبي وملحق به
الكتاب الثاني الإمام علي والعلوم الطبيعية
٤ - الراعي المظلي في إثبات القدوة الإلهية - صفة دليل
ورعان علي وجود الخلق: الشيخ عبد الجبار
- ٥ - معاني الجنان - مع الصحبة السجادية - كبير
٦ - ضياء الصالحين - للشمس مريحي (مصحف)
- ٧ - طرائف الجنان - للشمس، (مصحف)
- ٨ - معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين -
للحائري، (مجلدين)
- ٩ - القلآن الكتاب والعنزة - للشيخ محمد حسين المظهر،
وملحق به الكتاب الثاني مع الدكتور أحمد أمين في
حديث الهدي والمهدوية للشيخ محمد أمين زين الدين
١٠ - يوم الإسلام - تأليف أحمد أمين
- ١١ - دراسات في عقائد الشيعة الإمامية - للسيد محمد علي
الحسي المصايلي - بصيكت عن كل كتاب
- ١٢ - طب الإمام الرضا (ع) - الرسالة الذهبية
- ١٣ - كنزكول البحري - (٣ مجلدات)
- ١٤ - الفصحى المصيبة - عبد الحسين دستغيب
- ١٥ - المكاسب - للشيخ الأصمعي (٣ مجلدات)
- ١٦ - مدينة الصالحين - معاصر آل البيت للبحراني
(٥ مجلدات)
- ١٧ - معالم المروستين - مرتضى العسكري (٣ مجلدات)
- ١٨ - من حياة الإمام الرضا (ع) - المصنوعة (ع) السيد
عبد العظيم الحسني - البيهقي تأليف علي الصليبي
١٩ - الحجة فيها نزول في القامات الحجة - للبحراني
- ٢٠ - الفرج بعد الشدة - للقاضي الشونخي، (مجلدين)
- ٢١ - معاني الكفعمي - بحلة جديدة وحرف واضح
(مجلدين)
- ٢٢ - الكنز المدفون والفلك المشحون - دائرة معارف -
أو كنزكول - لمسيوطي
- ٢٣ - الدرر الثمين في التهنيت باليمن - للطبيبي
- ٢٤ - أخلاق أهل البيت - للسيد مهدي الصدر
- ٢٥ - فاطمة الزهراء - بحجة قلب الصلطي من مهدا إلى
لحدا (مجلدين) أحمد إبراهيم

صفحة من
رحلة الدرس (الزنجاني)
وخطبه

في الأقطار العربية والعواصم الإسلامية

الجزء الأول

تأليف الأستاذ الكبير
محمد هادي الدفتر

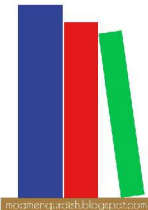
إخراج وتنقيح
حسن الشيخ إبراهيم اللبتي

مؤسسة النعمان
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - مارة مريكة - شارع دكاوس - ص.ب. ٢٥/٢٢٩

مكتبة
مؤمن قريش

جميع الحقوق محفوظة في هذا العمل ولا يجوز
إعادة نشره أو توزيعه
© 2019 مؤمن قريش



ma'mun.qarish@blogspot.com

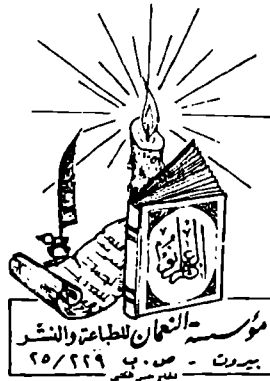
الطبعة الثانية

١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م

الطبعة الثالثة

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

حُقوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ



حسن محمد رشيد هادي

لبنان - بيروت - ص.ب. : ٢٥ / ٢٢٩ - فاكس : مؤسسة النعمان 00357 46 25849

العنوان - حارة حريك شارع دكاش بناية الكنار شاهين سنتر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقريظ مجلة العرفان ومقال قاضي القضاة بلبنان
صفحة من رحلة الإمام الزنجاني وخطبه (١)

طبع بمطبعة الغري (النجف) سنة ١٣٦٦ في ٤٩٣ صفحة متوسطة ، عني
بنشر هذا الكتاب الوجيه الكبير الحاج محمد رشيد هويدي ، وهي ماثرة له تسطر
بمداد الشكر والثناء ، وحسبك أن هذا الكتاب من بعض آثار الإمام الأكبر الشيخ
عبدالكريم الزنجاني ، وقد عرفت سورية ومصر ولبنان في خطبه الرائعة التي
ألقاها ونالت الاستحسان من جميع طبقات الأمة لأنها دروس عملية في بث الألفة
بين مختلف الطوائف ونداء صارخ في جمع الكلمة .

وهذا الجزء حوى قسماً من خطب الإمام الزنجاني في مصر وجميع الأقطار التي
حلّها .

وبما أن العلامة المجدّد ، الشيخ محمد جواد مغنية أخذ على عاتقه الكتابة عن
هذا الكتاب بإسهاب فإلى الجزء الآتي القريب .

(١) العرفان - الجزء الثامن - من المجلّد الثالث والثلاثين . شعبان ١٣٦٦ - حزيران ١٩٤٧ .

بقلم فضيلة الشيخ محمد جواد مغنية
رئيس المحكمة الشرعية الجعفرية العليا ببيروت

« فلسفة الزنجاني »

- أو صفحة من رحلته إلى البلاد العربية - (١)

لقد بلغت شهرة الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني حدّاً أصبح التعريف به من الفضول ، فقد نال من عظمة العلم ، ودقّة الفكر ، وبلاغة الخطاب ، وسمو الغاية ما حمل المفتي الأكبر ، وشيخ الأزهر ، والدكتور طه ، وفريد وجدي ، والغلاييني ، والاتاسي ، وكرد علي ، وأمّثال هؤلاء ، على أن يحنو رؤوسهم له إجلالاً وتعظيماً .

اتّسعت شهرة الزنجاني منذ رحلته إلى بلاد العرب ومحاضراته في الجامع الأموي والجامعة السورية بدمشق ، ودار الأيتام الاسلامية ببيروت ، والمسجد الأقصى بفلسطين ، والأزهر وكلية الآداب وغيرها من المؤسسات والمجتمعات بمصر ، وجمع طرف من هذه الخطب والمحاورات في كتاب خاص وضع له اسم « صفحة من رحلة الإمام الزنجاني » ونظراً لأهمية هذا الكتاب وعظمة ما فيه من المباحث رأيت أن أكتب عنه أكثر من مقال ، على أن يكون موضوع كلّ مقال مبحثاً مستقلاً لا تربطه آية علاقة بغيره من عناوين الكتاب .

دعى الدكتور طه حسين بك عميد كلية الآداب بالجامعة المصرية فيلسوفنا الكبير إلى إلقاء محاضرة عن دراسة الفلسفة في النجف وإيران فلبّى الدعوة ، وتكلّم ساعتين ، وقد شغلت هذه المحاضرة أكثر من أربعين صفحة ، ومن قرأها

(١) العرفان - الجزء التاسع من المجلد الثالث والثلاثين « رمضان » ١٣٦٦ - تموز

أدرك ماحمل صاحب كتاب « الأيام » الذي عبث بالعمائم والشيوخ ، وسخر من الأزهر والأزهريين على تقبيل يد هذا الإمام الجليل ، إن المحاضرة خير من ألف كتاب وضعه أساتذة الفلسفة في العصر الحديث ، فقد أفهم فيها المصريين أنهم لا يعلمون شيئاً من الفلسفة الإسلامية ، وأنهم يدرسونها ويدرسونها وهم أبعد الناس عن إدراكها ومعرفتها ، وأن مدارس الشيعة الإمامية في النجف وإيران هي التي تقرر هذه الحقائق على وجهها الأكمل .

أما أسلوب الخطاب فقد جاء حسب الترتيب الطبيعي الذي يفرض الازدعان على السامع ويقوده إلى الاستسلام مختاراً أو غير مختار .

افتتح الخطاب بإقامة الأدلة والبراهين على وجود فلسفة إسلامية تخص المسلمين أنفسهم ، وعلى أن عهد الاسلام عهد إبتكار في الفلسفة ونظريات جديدة ، وليست الفلسفة اليونانية إلا نواة للفلسفة الإسلامية ، ثم دفع وهم القائلين : أنه لا فضل للعرب إلا نقل الثقافة اليونانية وتسليمها إلى أوروبا ، وأن المسلمين لانصيب لهم من العلم إلا ترجمة كلام اليونانيين وتقليدهم في الآراء والأفكار . أبطل هذا الزعم بما أورده من الشواهد على النظريات التي إبتدعها عظماء الاسلام . منهم « الخواجة نصير الدين الطوسي » وهو الذي نقض النظرية اليونانية القائلة أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد ، وبفساد هذه النظرية ذهب كل ماتفرع عليها من مباحث الهيئة وقواعد الفلسفة . ومنهم « صدر المتألهين محمد بن إبراهيم » وجاء هذا بنظرية الحركة الجوهرية التي هي أساس مذهب التطور . وهذا الفيلسوف المسلم العظيم وجد قبل ثلاثمائة سنة من ولادة دارون الذي نسبت إليه هذه النظرية ، وقد جعلها صاحبها صدر المتألهين برهاناً على وجود الصانع ، ودليلاً على حدوث العالم . أما شبلي شميل فقد إتخذها لجهله سبيلاً إلى الإلحاد وإنكار الخالق . ومنهم « الفارابي » الذي له مائة وثمانية وعشرون كتاباً في الفلسفة ، وهو أول من حاول الجمع بين رأي أرسطو ورأي أفلاطون ، وبهذا الفيلسوف المسلم يتبدى تاريخ التطور في الفلسفة الإسلامية . ومنهم « ابن سينا » مخترع التحليل النقدي للمشكلات الفلسفية وصاحب كتاب

الشفاء والقانون والإشارات ، فكيف لا يكون للمسلمين - والحالة هذه - إلا فضل الترجمة والنقل . وفيهم أمثال هؤلاء الذين ملؤوا الدنيا تأليفاً وتصنيفاً ؟ ثم عدّد علامتنا كتب الفلسفة ومنهاج دراستها في مدارس الشيعة . وانتقل إلى الفلسفة في الأزهر ، والجامعة المصرية ، ودار العلوم فأثبت جهل المصريين بالفلسفة لتقليدهم المستشرقين الذين لم يفهموا شيئاً عن الاسلام ورجاله وفلسفته بالشواهد الواضحة ، والأدلة الساطعة . وبرهن على جهل المصريين بنسبة المذاهب الفلسفية إلى غير أصحابها . وعلى عدم فهمهم مقاصد الفلاسفة بما يبعث سوء الظن بالشهادات وحاملها ، والكتب ومؤلفيها . وأرجع هذه الأخطاء إلى مصدر واحد ، وهو الركون إلى المستشرقين . وكيف نستند في معرفة ثقافتنا وديننا إلى قوم غرباء اللسان والوطن والدين ؟ وهل هناك باعث سوى الجهل والتعصب البغيض .

سخر شيخنا من المصريين وفلسفتهم ومصادرهم التي يعتمدون عليها وأقام الدنيا وأقعدا لنبذهم القرآن وكتب عظماء الاسلام ، وقد أجاد وأفاد إذ جعل السبب لمروق المارقين من الدين وإنشاء الإلحاد والزندقة بين الناشئة هو جهل المصريين وعدم تثبتهم فيما يرسلونه من القضايا والأحكام ، هذا وهم محل ثقة الشباب المثقف وموضع إكبارهم وإعجابهم ، أما العلاج لهذا الداء فهو إحياء تراثنا الثمين ، وإخراج كنوزنا الدفينة ، ونشرها في المعاهد والمنتديات بالتدريس وإلقاء المحاضرات .

ولا يدعوا مصلحنا المفكر إلى نبذ الفلسفة الحديثة والاختصار على الفلسفة القديمة فحسب ، بل يقول : يجب أن نضم نفائس الفلسفة الحديثة الغربية إلى حقائق الفلسفة الشرقية القديمة وندرسهما معاً على ضوء العقل ثم نستنتج منهما ثمرات فلسفية صحيحة تصلح للحياة والبقاء .

والذي يعجبك في خطابه هذا أكثر من كل شيء - على الرغم من ذكائه المتقد ، وفكره الدقيق المتوثب ، وإطلاعه الغزير الواسع - أن العجب المدهش هو تخلصه الغريب وانتقاله من موضوع إلى موضوع مع إيهام السامع أنها موضوع

واحد ، تخلص من جهل المصريين بالفلسفة إلى جهلهم بدين الاسلام وخصائصه ومزاياه ، ومن ذلك إلى جهلهم بماعند إخوانهم الشيعة الإمامية ، وخطأهم فيما نسبوه إليهم من السخافة والجهل .

جرح ولكن تلتطف في الجرح حيث أرجع سبب هذه الجهالات كلها إلى المستشرقين ، وبعد الجرح إستعمل لهم مخدراً بمثال مضحك ضربه لجهل المستشرقين ، وهو أن مستشرقاً زار إيران ، ووضع كتاباً في عادات الإيرانيين ، ذكر فيه : إن عريساً إيرانية اقترن بعروسه صباحاً ثم شاهده في الشارع مساءً يضرب عروسه ، ومنشأ قوله هذا أن المستشرق قد رأى في الصباح جهاز عروس ينقله الخمّالون فسأل عن اسم العريس فأجيب - ماذا يهّمك - ثم رأى رجلاً يضرب امرأته مساءً في الشارع ، فسأل عن اسم الزوج فأجيب - ماذا يهّمك - فاستنتج من ذلك أن هذا هو اسم العريس الذي اقترن قبل ساعات بعروسه .

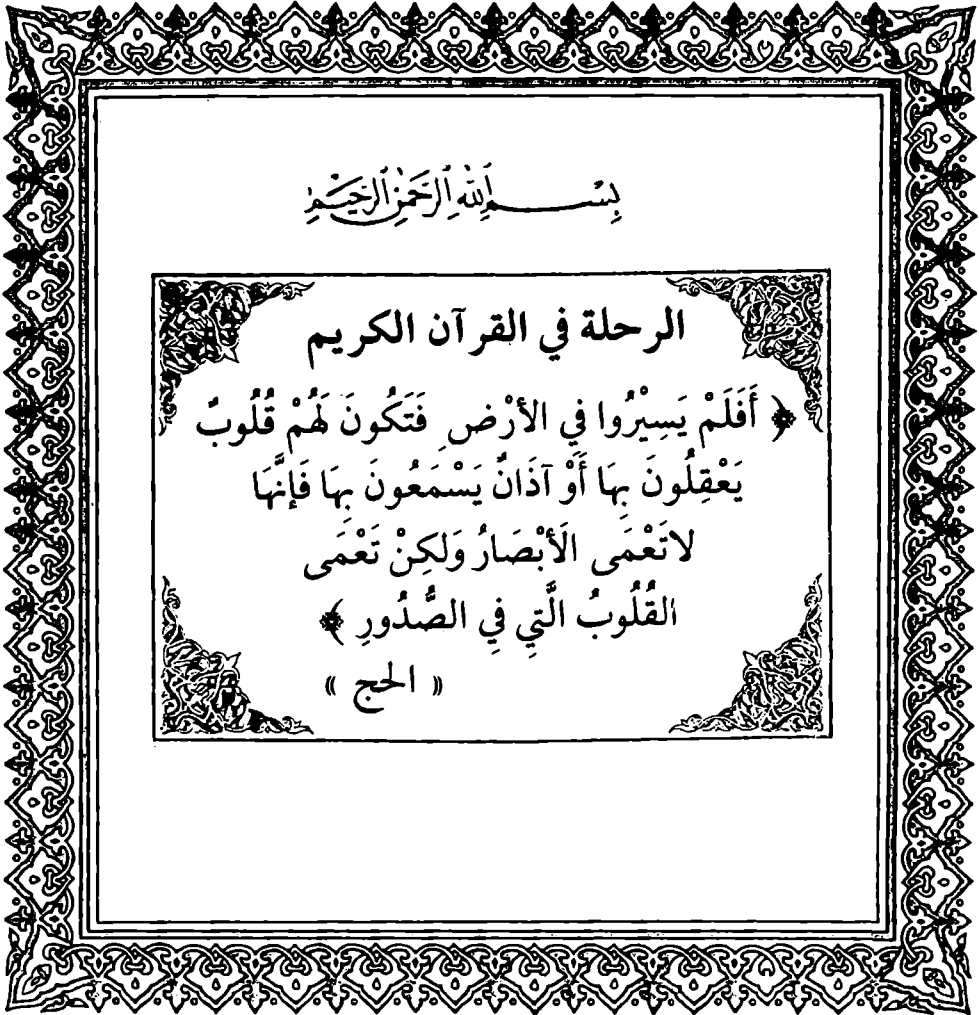
هذه حال مستشرق لم يتعمّد الكذب ينقل عن الشرقيين ما شاهده بنفسه وراه بعينه ، فما ظنك بالخائن الذي يتعمّد التحريف والإفتراء ؟ وينقل النظريات الغامضة ويقرّر الفلسفة الشرقية والعقائد الدينية .

ثم ختم خطابه بما هو أحسن أريجاً من المسك ، وأطيب طعماً من الشهد ، وأسطع نوراً من الشمس ، تسأل الإمام مستغرباً - وحق له ولكل منصف الاستغراب - كيف تنسب الخرافات إلى عقيدة يدين بها أمثال الطوسي ، وابن سينا ، والحلي ، والملا صدرا ، والسيد الداماد ، والسبزواري ؟ وكيف يقال : إن كل أحاديث الكافي حجة عند أرباب هذه العقيدة وهم الشيعة الإمامية ، وأن الكافي عندهم كصحيح البخاري عند السنة ، وهم يقولون بفتح باب الإجتهد ؟

إن هذا الخطاب اليتيم الذي دفع بالدكتور طه حسين بك إلى تقبيل يده صاحبه يجب أن يدرس في المعاهد ، ويقرأه كل عالم وأديب ، فقد حوى من ضروب الفلسفة أنواعاً ، ومن الأساليب في تقرير الحقيقة ألواناً ، ومن الأدلة على عظمة المعاهد النجفية والإيرانية ما ينعش الحق ويميت الباطل ، أكثر الله في الأمة

أمثال هذا المصلح العظيم ، ووفقي لمتابعة الكتابة في هذا الموضوع الجليل ، إنه
خير مسؤول .

محمد جواد مغنية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

ورد في الحديث الشريف : إنَّ الله يبعث على رأس كلِّ مائة سنة من يجدد هذا الدين . كثيراً ما يمثل هذا الحديث نصب عيني ويرسم على مخيلتي عندما اشاهد جهود الإمام الزنجاني وجهاده في سبيل الاسلام من تأليف وتصنيف وكتابة وخطابة .

سبحان الله إنَّ العلم نور يقذفه الله في قلوب أوليائه فقلد أوتي هذا الخبر من المواهب والفضائل وجمع من المكارم والمناقب ما جعل عارفه يعتقدون أنه فيوضات ربّانية وسبحات قدسية ومواهب غيبية فهو بحق من الأفاض الذين لا يسمع الدهر بأمثالهم إلا في السنين المتطاولة والقرون المتباعدة ، من عقل جبار إلى قلب كبير ينبض بالخير والإصلاح ويفيض بالرحمة والحنان إلى عذوبة في البيان تستعبد القلوب وتسحر الألباب .

ولأنَّ تمرّد على الاقرار بفضل ثلّة من معاصريه ومناوئيه فإنَّ التاريخ كفيل بتخليد هذه الشخصية الفذة وإنَّ آراءه وفلسفته العالية ستبقى خالدة مع الزمن ومادام الشعور الحي عند بني الإنسان .

وقد علّمتنا التجارب أنّ العظيم كلّما عظمت آثاره وانتشرت أنواره كثر حاسدوه وازداد مناوئوه ولكن الحقيقة لا تهضم وإن هضمت استثارت لنفسها . وللحقّ صولة والباطل جولة .

برزت لأوّل مرّة « صفحة من رحلة الإمام الزنجاني » وسارت مسير النور في الظلام تنير العقول ، وتهذب النفوس ، وتدمّر الشكوك . وتحصّن القلوب بالإيمان وتنشر المعارف الإسلامية وفلسفة الشريعة وأحكامها واجتازت العواصم الكبرى مدوية في العالم الاسلامي والعربي عامّة حتّى عبرت ماوراء البحار في العالم

الجديد وأحدثت إنقلاباً فكرياً في المجموعة البشرية وأرسل كبار المؤلفين كلمتهم فيها .

قال العلامة الشهير محمد فريد وجدي صاحب « دائرة المعارف » : إن كتاب صفحة من رحلة الإمام الزنجاني وخطبه قانون أساسي للمذهب الجعفري وموسوعة جامعة لأسرار التشريع الاسلامي .

وصرح الأستاذ الكبير محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي بدمشق بأن كلمات الإمام الزنجاني وخطبه ألبأتته إلى تصحيح بعض ماسجله في كتابه : خطط الشام .

لم تمض على هذا الأثر النفيس إلا مدة وجيزة حتى نفذت الطبعة الأولى وظلت تنال كتب العلماء والعظماء على الناشر طالين إعادة طبعه ولقد وقفنا على قسم كبير من هذه الكتب فطلبنا من سماحة الإمام المصلح إعادة نشره خدمة للعلم والاسلام ، وتلبية لصوت الحق ، لتكون هذه المجموعة من الدروس الفلسفية نبراساً يستضيء به الجيل في دنيا العالم الجديد بمختلف طبقاته .

وهذا مادعى المحسن الوجيه الشهير الحاج علي الحاج حسين سنجر وفقه الله لأن يندفع مساهماً في انطلاق هذا الضوء من جديد سبياً وقد وجد قبولاً من آية الله الإمام الزنجاني أدامه الله ذخراً للإسلام وعزاً للمسلمين ، وحصناً للشرية وكأنه عندما سمح بإعادة نشره يتردد على لسانه قوله القائل :

كتابي سر في الأرض واسلك فجاجها وخل عباد الله تتلوك ماتتلو
فما فيك من اكذوبة فأخافها ولا فيك من جهل فيزري بك الجهل

الخطيب محمد حسن الشخص



إنَّ من يقع نظره على هذا الكتاب ويجد كلمة « رحلة » منقوشة على أولى صفحاته لابد أن ييدر إلى ذهنه إنَّ الإمام المصلح الأكبر فيلسوف الاسلام آية الله العظمى الشيخ عبدالكريم الزنجاني قام برحلة ضرب فيها في الأرض وسار في الأقاليم والأقطار ليكتشف أوصاف المدن ونعوتها والطرق ومصاعبها والبحار وعجائبها والجبال وكنوزها والأقاليم وخصائصها والممالك وأنظمتها والأمم وعاداتها والأقوام وفوارقها والأديان وتباينها والناس في معتقداتها ومعايشها وشتى أحوالها ، فهو لا يعدوا بذلك مقام به رجال الرحلة قديماً وحديثاً كابن جبر و ابن بطوطة ، ورواد القطبين ، وكريستوف كولب ، وغيرهم وهؤلاء أزمانهم فيما كتبوا واكتشفوا ولالإمام « الزنجاني » زمنه فيما يكتب ويكتشف .

هذا ما ييدر إلى الذهن عند أول وهلة ولكن سرعان ما يضمحل هذا الوهم ويزول هذا الظن إذا أغد القارئ في كتاب « الرحلة » وأجال نظره فيه فإنه عندئذ يراه ليس بكتاب رحلة كما هو الشأن في كتب الرحلات وإن كان هذا الكتاب يحمل هذا الاسم « رحلة » ومطبوعاً بهذا الطابع ، بل يراه عبارة عن تأريخ رسالة إصلاحية كبرى ومواقف تاريخية فذة ، وجلائل أعمال خارقة ، ومجموعة من الخطب والمحاضرات الإصلاحية العامة الشاملة في الشؤون الدينية والعلمية والفلسفية والاجتماعية والأدبية إستدعتها المناسبات الطارئة والحاجة العارضة أثناء الأسفار والرحلات التي قام بها الإمام الزنجاني إلى الأقطار العربية الاسلامية من أجل الدعوة إلى الوحدة الاسلامية التي وقف ساحتها نفسه من أجلها .

فلا جرم إذن أن الكتاب كتاب رحلة ولكنها رحلة علمية أدبية إجتماعية دينية فلسفية إصلاحية تنكب فيها علامتنا الكبير تخطيط البلدان ووصف الأقاليم ، لأن مقصده الروحي فوق هذه المقاصد المادية وغايته الإصلاحية فوق الغايات

التواضعة الاستقرائية ، فقد تجشّم سباحته مصاعب الرحلة ومتاعبها ووعثاء السفر وشدائده في سبيل الدعوة إلى الوحدة الاسلامية وجمع شتات المسلمين بتوحيد كلمتهم ونبذ الفوارق التي خلقتها المباحكات ورسخت قواعدها العصبية . وقد وفقّ سباحته في ذلك توفيقاً لم يبلغ مداه أحد سواه حتى الآن كماستراه من النظر في هذه « الرحلة » ، فكان سباحته إذا حلّ بلداً أو وصل قطراً أو نزل مدينة أخذ يصدع برسائله الاصلاحية الشاملة ويؤدّي الأمانة التي إئتمنه الله عليها بماأخذ على العلماء من عهد مادام الدين الخفيف يتقاضاه أداءها ، فصب رسالته الكبرى ، ودعوته الاصلاحية العامة في قوالب من المحاضرات والخطب والمحاورات فحصل من مجموعها كتاب « الرحلة » هذا .

ولماكنت من المعجبين برأي سباحة علامتنا الإمام الزنجاني ومن جملة المعتقدين به فقد أخذت على عاتقي مناصرته وتأييده بماأملك من حول وطول غير مدّخر وسعاً ولا آل جهداً فلم أتباطأ ماوسعني الأمر عماكان يدعوني الواجب إليه ، ولم أتشبّط عن تأييد دعوة يتدبني الدين إليها فكنت وسباحته على هذه السنن النبيلة والمقصد الشريف والطريقة المثلى نؤدّي جهد المطيق ونقدم طاقة المجتهد .

وعندما شعرت بأن كتاب الرحلة قد انتظم عقده واجتمع شمله وتألفت شتاته واتسقت صفحاته ، رأيت أن لانفوتني المساهمة في طبعه ونشره لتكون مساهمتي في الجهود المبذولة من أجل الوحدة الاسلامية مساهمة مادية وعملية وروحية ، بيد أن الأزمة الحربية التي استحوذت على المسكونة فأخذت بكظم الأعمال وقطعت على الناس سبل الانبعاث حالت بين كتاب « الرحلة » وبين الطبع فلم أجد من محيص دون أن أسلم للأمر الواقع فانزويت عن المساهمة في طبعه وقعدت عن العمل ريثما هدأت أعاصير الحروب ووضعت الوغى أوزارها فشرعت بالأخذ بقسطنطين والقيام بنصيب مستمداً العون من الله سبحانه والتوفيق من منّه وكرمه وأنا أرجو أن يكون عملنا هذا عام النفع واسع البركة عظيم الفائدة مؤيداً للدعوة ومسدداً من الله عزّ وجلّ لأنّه عمل خالص متمحض لوجهه الكريم إنه هو البرّ الرحيم .

محمد رشيد هويدي

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله
الخاتم محمد صلى الله عليه وآله وصحبه

تصدير

كان ولا يزال العلامة الأكبر فيلسوف الاسلام الإمام المصلح آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الزنجاني ممن وقف نفسه على الدعوة إلى الوحدة الاسلامية ، وتقريب وجهات النظر بين طوائف المسلمين المختلفة ونبذ الفوارق التي فرقتهم ، واجتثاث جراثيم العصبية المذهبية التي ذهبت بريحهم ومزقتهم . تلك الفوارق والعصبية التي كانت ولا تزال سوساً ينخر في جسم المجتمع الاسلامي ومعولاً هداماً يهدم في كيان الاسلام والمسلمين ، فتوزعوا شيعاً ، وتشتتوا طرائق قدداً فتراشقوا بالشحناء ، وتناذبوا بالبغضاء ، فانفجرت بذلك أمام خصوم الاسلام الثغور وتبدت المخارم ، فوجئوا إلى الصميم ، ودخلوا في البهرة ، وجلبوا على الاسلام والمسلمين بخيلهم ورجلهم ، وشنوا الغارة بعدتهم وعددهم ، لأن الاسلام شوكة شاكت عيونهم ، وحرية وجاءت صدورهم ، وصارم مصلت على رؤوسهم ، فلاحميص لهم عنه إلا بالإجهاز عليه ، ولا مناص إلا بالتعرض إليه ، فأصبح الاسلام « وهودين العزة والسعادة والسيادة » على سعة الرقعة التي يشغلها ، وملايين النفوس التي يعمرها ليس له راية سابغة الظل يستظل المسلمون بظلها ، ولا علم مرموق الرفعة يلتفت المسلمون حوله ، ويصدقون به ، وذلك على كثرة الرايات وتعدد الأعلام .

فكانوا هم المخاطبين بقوله عز وجل : ﴿ ولا تكونوا كالذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً . . . الخ ﴾ ، ولا تفرّقوا فتذهب ريحكم . . . الخ .
لاجرم أنّ الاسلام آتى من يومه ، وجوبه من ساعته ، فما زال أعداؤه يكيدون

له الكيد ، ويدسّون إليه الدسائس ، ويتربّصون به الدوائر والنبىّ (صلى الله عليه وآله) قابض على الأزمة ماسك بالأعنة ما يقرّ لهم قرار ، ولا يطمئنّ بهم مضجع . ولكن شخصيّة الرسول الأعظم القويّة ، وسهر الآل والصحاب أقامت سدوداً في ردّ كيد الكائدين ، ودسّ الدسّاسين . حتى إذا استأثر الله سبحانه بحبيبه ، ودعاه إلى جواره : نجم قرن الشيطان فأطلع رأسه من مغرزه ، وأخذ يوسوس في الصدور ، ويسوّل للنفوس فانقلب من إنقلب على عقبيه ، فكان مصداق قوله تعالى : ﴿ وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل إنقلبتم على أعقابكم . . . الخ .

وأوشكت الطامة الكبرى على الوقوع ، والكارثة العظمى على النزول لولا أن تدارك الله سبحانه الأمة الاسلامية بلطفه ، وأحاطها بعنايته ، ولكن الشيطان بقي يعمل عمله ، والدسّاسون المدلسون يقومون بدسائسهم وتدليسهم ، والكائدون يكيّدون الكيد ويبشّون الأحابيل . فانصرف المسلمون ﴿ إلاّ قليل منهم ﴾ عن العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، وتركوا ما خلف فيهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الثقلين ، وتعلّقوا بحبال الزيف ، وعرى البغي ، وانصاعوا إلى التهالك على الدنيا ، وتوخّي الغضارات ، وتطلب الملذّات ، وشغلوا بالمادة عن الروح وبالنفس عن العقل ، فعصفت بهم الأطماع ، وتنازعتهم الأنانية فأقام كل جنة من السفسة يستجن بها ، وإبتنى كل صرحاً من المغالطة يستشرف منه ، واستعان كلّ على كلّ بعدوّ ، وركن كل إلى مؤيد ، فبيعت الضمائر بالأموال والنفوس بالشهوات فانتشرت الفوضى المذهبية ، وقامت السوق الطائفية فاتخذ كلّ من وسائله وذرائعه وسيلة وذريعة ينافس بها منافسه ، ويناوئها بها مناوئه فكانت الحروب الطاحنة وكانت الآراء المتباينة ، وكانت الحجج المصطنعة ، وكانت البراهين المفتعلة ، وكانت الشعوبية الممقوتة ، وكانت الطرائق الملتوية ، فلم يأخذوا بقوله تعالى : ﴿ يا أيّها النّاس إنّنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ ، فانتشرت الزندقة وتفشى الإلحاد ، وظهر الاستخفاف والتهاون بالفروض

والواجبات الدينية .

وبذلك فقد أصبح المسلم الذي كان قبل برهة أخاً للمسلم عدوّاً لدوداً
وخصماً عنيداً .

فحينئذ انفتح الباب للأعداء ، واتسعت لهم المداخل ، فاستأجروا الأدلاء
واستعانوا بالأوباش ، فوجلوا زرافات ووحدانا ، ثم دخلوا جماعات وأسراباً ثم
تكالبوا جحافل وجيوشاً ، ثم إستولوا على إمارات فحكومات فلما تم لهم ما أرادوا
إقتسموا المملكة الاسلامية ، وطوحوا بالمسلمين في طوائع الجهالة والغرور ، ثم
أخذوا يعملون على تغيير تعاليم الدين وتسميع جماله وتهوين جلاله ، وتشويه
محاسنه ، وطمس معالمه وإغماض أحكامه ، وإبهام مفاهيمه حتى يسهل عليهم
إنتزاعه من الأفتدة والصدور ، ونبذه وراء الأقفاء والظهور ، فصار الناس
يبتعدون عنه وهم لا يشعرون ، ويتكبون وهم لا يدرون ، ويجنحون إلى التعاليم
الفاسدة وهم لا يدركون ويتحلون لأنفسهم ماتزينة لهم الأهواء ، ومايزوقه لهم
الأعداء ، وبذلك فقد عاد الدين غريباً كما بدأ غريباً .

فلذلك نرى اليوم الأغرار من أبنائنا قد دخنت في أدمغتهم مداخل المذاهب
الاشتراكية ، وطاشت في رؤوس الآخرين خمرة الفلسفة المادية وتمذهب فريق آخر
منهم بالمذاهب الفاشية فأصبحوا بذلك أجساماً من غير أرواح ، وأجساداً من غير
معانٍ وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ظانين أن ذلك هو السبيل إلى العزة التي
فقدوها والمنجاة من الهوة التي تردوا فيها ، ولم يستشعروا أنهم بذلك يجنون على
أنفسهم وعلى الأجيال القادمة من بعدهم ، فليس لهذه الأمة إلا ماصلح به أولها
وليس يقومها إلا ماقوم ماضيها وهو دينها الذي اختاره الله لها وأكرمها به .

وليست المذاهب الموضوعة ، والمبادئ المصنوعة ، بموصلة إلى سعادة
ولابدافعة إلى سيادة وهذا متحقق فيما يضطرب في العالم من هذه الأزمات
وما يتعاور عليه من خراب ودمار وتقتيل ، لأن ما يقوم عليه نظام هؤلاء الناس
فاسد فلا جرم أنه موصل إلى الفساد على الدوام ، مادامت هذه الدساتير والأنظمة
من صنع الناس ، ذلك لأن الناس مهما تسامت بهم العقول وارتفعت عندهم

المدارك فإنهم بحاجة إلى تخطي مراتب النقص إلى مراتب الكمال وماداموا كذلك فإن ما يأتون به لابد وأن يكون ناقصاً بمقدار نقصهم ، فهو يتطلب الكمال وما يتطلب الكمال فلا محالة ناقص وما يقوم على الناقص فهو ناقص على كل حال والناقص لا يمكن أن يكفل السعادة البتة ، وما كان ظاهره مشعراً بالسعادة فهو أمر غير ثابت ولا بد من وصوله إلى ما يحتاج معه إلى التخطي إلى الكمال فهو عرضة إلى النكبة والبلية .

أما ما كان مصدره الكمال المحض والجمال المحض والكمال المطلق والجمال المطلق فهو آت من الكمال الذي لانقص فيه وما كان كذلك فلا جرم أنه كامل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا هو الدين القيم فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله فحري بنا أن نعود إليه ليتّم الله نعمته علينا وليهديننا إلى سواء السبيل .

وظلّ حماة الإسلام الذابين عن الدين من فجر الاسلام وإلى هذا اليوم يصدّون عنه عادية العادين ، ويدرأون عنه شبه الضالين المضللين ويسعون إلى جمع الشتات ورأب الصدع ، والموجات الطاغية ، والهجمات القاتلة تكفكف من غريبهم ، وتفعل من حدّهم إلى هذا اليوم . ولكنهم مع ذلك مازالوا صامدين لا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يقعد بهم عن الواجب مخذل .

ولولا هؤلاء الأئمة الأبدال ، والمؤمنون الأبطال لما بقيت في الحوض ثمالة ولا فضلت في الكأس صباية . ومن كبار هؤلاء الأئمة في زماننا علامتنا الأكبر الإمام المصلح المجّد الشيخ عبدالكريم الزنجاني الذي شدّ الله أزره فأخذ على نفسه الاضطلاع بهذا الأمر الجليل والتحمل لأعباء هذا العمل الكبير ، فركب من أجل ذلك كلّ صعب وذلول . وسار في كل حزن وسهل غير عابئ بما كان يجبهه به أعداء الاسلام والمغرضون ومرضى القلوب . وما كان يثنّه حوله من الشكوك والشبهات خصوم الاسلام ، وذووا الأغراض المنحطة ، والنفوس الملوثة ، ومع ذلك كلّه فكان سباحته لا يفتأ عن الدعوة إلى الوحدة الاسلامية والسعادة الانسانية ولا يفرّ عنها متخذاً من صحّة إيمانه انصاراً ومن صادق أنصاره

أعواناً ، فصار وهو يطوف البلاد الاسلامية ، ويتنقل في أقطار الشرق الاسلامي والعربي يتصل بكبرائها وبعلماء الدين ورجال الحكمة والحكم وأصحاب السيف والقلم ، وأرباب الصولة والعلم ، وذوي الكفاءات والقيم فكان سماحته أينما حلّ وحيثما ارتحل يحدث إنقلاباً عظيماً في الأفكار وانتهاهاً كبيراً للعقول وضجة مدوية ، يعقبها أثر محمود المنفعة أو سعي مشكور العاقبة وفتح عظيم من فتوحه النافعة فكان توفيقه في مسعاه عظيماً ، وسعيه في منحاها موفّقاً إذا قورنت بنتائج أعماله التاريخية بنتائج الأعمال التي قام بها سواء والآثار التي تركها غيره من رجال الإصلاح في القرنين الأخيرين والذي يمعن في مطالعة « كتاب الرحلة » هذا يتبيّن له ذلك ولا ينبثك مثل خبير .

و « كتاب الرحلة » هذا الذي نحن بصدد جمعه من الصحف والمجلات ومن مذكرات نخبة ممتازة من أساتذة شهود العيان ثمرة واحدة من ثمرات أسفار علامتنا الإمام الزنجاني ، وورقة واحدة من كتاب مجهوداته الدينية الأصلحية نضعه بين الأيدي ليستبين منه ما بلغ إليه السعي ، وما وصل إليه المجهود لكي يأخذ كلّ قسطه من المساهمة في العمل وليكون حافزاً إلى تضافر العزائم فليس بعد اليوم مع التقاعد إلاّ العاقبة الوخيمة أو الموت ، وليس بعد اليوم مع الجهاد إلاّ حسن المغبة والفوز .

أما بعد : فلنأخذ في الرحلة ومعانيها ومقاصدها وتطورها وماهي عليه ونصورها تصويراً ثمّ نتكلّم قليلاً عن رحلة علامتنا الإمام الزنجاني ونعرفها ونعرضها عرضاً يسيراً لأنّها هي موضوع هذا الكتاب فنستغني عن القول فيها بها ونترك الاسهاب في التحدث عنها إليها فنقول :

عني المؤرخون - منذ فجر التاريخ - عناية خاصة بسير الأبطال والعباقرة والعظماء والمصلحين ، وجلال أفعالهم ، وخالد آثارهم ، واستقراء رحلاتهم التي سجّلوا بها خطط السعادة وأنماط السيادة ، والرقى لأممهم . وتناول كثير منهم كيفية نشوء الرحلة ، وعرض أطوارها التي مرّت بها حتّى وصلت إلى ماهي عليه الآن . وحاول بعضهم تصوير آفاق أخرى للذين يستلهمون التاريخ ويستمدّون

منه العبرة ، ويشاؤون إلتماس فلسفة الرحلة وإستبانة أسباب النجاح التي جعلت آثار الناجحين من رجال الرحلة جديرة بالبقاء . ومستوجبة للخلود ، لما بذلوه من الجهود ، وما كابدوه من العناء بحيث تزاخت عندهم المزايا ، ووضحت فيهم المثل العليا والخلال المثل فكنزوا للأمة ثروة ضخمة ، وأورثوها كنوزاً ثمينة ، وتركوا من تأريخ حياتهم ما يحفز الناس إلى الأخذ بطريقتهم ، والنسج على منوالهم ، أو يحمل بعضاً على اقتفاء آثارهم وإقتعاد غوارب أسفارهم ، ليفتروا من الغدق الذي اغترفوا منه أو يتمتع بالجمال الذي تمتعوا به أو يكتشف مثل ما اكتشفوا أو ينفع مثل ما نفعوا ولو أن تأريخ البشرية خلا من تسجيل أعمال هؤلاء الجهابذة الأفذاذ ، وسجل الانسانية تجرّد من ذكر هؤلاء العلماء الأبدال الذين نبغوا في هذه الأرض وأشرقوا عليها على إختلاف الأمكنة ، والأزمنة ، وكانوا فوق المستوى العادي للبشر ، أقول : لو خلا التأريخ وتجرّد من ذلك لعد تأريخاً باهتاً ، وسجلاً خافئاً لا أثر فيه للحياة والنور .

وغير خافٍ أن الرحلة إلى البلاد المتاخمة والمجاورة ، والأقطار البعيدة النائية لإنتاج الزهة أو للاطلاع على ما فيها والاحاطة بأوضاعها الروحية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، وغير ذلك فريضة طبيعية توجهها غريزة حبّ الاستطلاع التي هي من أكبر وأهم النوااميس المتّمة بل المقومة لنظام الكون ويقتضيها الميل الانساني الفطري للمشاركة في منافعها الأدبية والمادية ، ويؤيده ناموس تنازع البقاء . ولولا ذلك لانكمش كلّ عن كلّ ، ولجهل كلّ كلّاً ، ولانقطع كلّ عن كلّ ثمّ لنسي كلّ كلّاً ، وبهذا تنفصم عرى المجتمع الانساني وتتباعد أجزاؤه وبهذا يكون الانحلال العام والجاهلية الجهلاء فينقطع دابر العلم وينتربحيل العرفان ، وتدبر غوارب الأسفار فيعزب التعرف على الأقطار والبلاد فيعمّ الخراب وتسود البلادة ، وينمو كلّ شيء في مكانه ويتعرعرع ثمّ يموت .

إذن فعلى أسس الطبيعة والفطرة نشأت الرحلة وصارت من أهم العوامل التي تسبب عنها تقدم العمران ، وتوسع نطاق العقل ، وإنتشار العلم ، وامتزاج العقول وتزاوج الآراء ، واحتكاك الأفكار ، وصقل المشاعر ، وسموّ التفكير مما

تولد عنه رقيّ المجتمعات في الصنائع ، والفنون والمدركات ، والمحسّات ،
والعقائد ، وسريان الشعور في ضمائر الكون وكشف موصد الأسرار وفكّ مغالقي
الطبيعة ، وحلّ طلاسم الممكّنات من هذا العالم البديع .

ثمّ تطورت الرحلة ، وتنوعت فيها الأغراض ، وسمت منها المقاصد
بحسب ناموس الارتقاء فبعد أن كانت لمعرفة تخطيط البلدان ، والوقوف على
الأبعاد والتعداد والأشكال والألوان ، صار المقصد السامي منها معرفة أساليب
الحياة في مختلف الأمم بحسب إختلاف الأقاليم والبلدان وتحريّ أسباب الطبيعة
ومكيفاتها وتأثير التربة والمناخ والهواء والماء ، ودرس طبائعها ، وأسرار تطوّرها ،
ونواميس رقيّها وموجبات تقدّمها في أدوار تطوّرها ، وتدرّجها ، وتصاعدها في
سلم إرتقائها .

ولم تنفّ أغراض الرحلة عند هذا الحدّ أيضاً بل قد ترقّت إلى مقصد أسمى
من ذلك فصار رجل الرحلة يحمل أعباء الرسالة الاصلاحية ويصدع بالدعوة إلى
الاصلاح ، ويبثّ تعاليمه السامية في الآفاق التي يقدر له الوصول إليها ،
ويغرسها في نفوس الأمم التي يتعرف عليها . وبذلك تغيّرت مرامي الرحلة
واتجهت إتجهاً آخر فاستقبلت عهداً جديداً ، نجد فيه فيلسوف الاسلام العظيم
الخواجه الشيخ نصير الدين (محمّد الطوسي) وآية الله العلامة الحليّ جمال الدين
(الحسن بن المطهر) بجانب الرحّالة (ابن جبير) والرحّالة (ياقوت
الحموي) ، ونرى شمس الملة والدين (محمّد بن مكّي) الشهيد الأوّل في جانب
الرحّالة (ابن بطّوطة) ثمّ نعرض رحلات زين الدين الشهيد الثاني ونور الدين
المحقّق الكركي . وبهاء الدين محمّد العاملي ، والقاضي نورالله الشهيد الثالث ،
وفيلسوف الشرق السيد جمال الدين والمصلح الكبير تلميذه محمّد عبده والمصلح
المجدّد الأكبر الإمام الزنجاني . فحينئذ تتجلّى أغراض الرحلة بحسب مقاصد
رجالها ويستبين للنظر تطوّرها وإرتقائها .

فلم تعد أغراض الرحالة مقصورة على أن يسمع ويرى ويأخذ ويروي بل
أخذ يساهم في تعديل القوانين وإصلاح نظم الحياة وتوجيه نفسيات الأمم فلاغرو

أن يندب كتاب الله المعجز الخالد إلى الرحلة ويقررهما عاملاً مهماً في تكوين العقل المكتسب والملكات والعلم والمعرفة بقوله جل شأنه : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ .

فإذا قدر لأحد أن يعرض تأريخ رحلات هؤلاء الأبطال الأفذاذ والمصلحين العظماء ، والمجتهدين الحكماء وما سجل من آثارهم الخالدة اللامعة وأعمالهم المضئية الساطعة ، امتلأت نفسه إعجاباً بهم وطفح قلبه إكباراً لهممهم ، وانشرح صدره لتمجيد سيرهم وتسامت روحه لاقتفاء آثارهم ، وتتبع أخبارهم ، لاسيّما إذا كان الرحالة من أئمة الدين المجتهدين ، والفلاسفة المصلحين وكان الغرض من رحلته (الإصلاح الديني) . وما ذلك إلا لأن خير ما يوجه إليه المصلح عنايته ، ويسوق إليه اهتمامه هو « الناحية الدينية » فإصلاح الأمة من هذه الناحية يتضمن كل إصلاح . وخصوصاً بعد أن منيت الأمة الإسلامية كما أسلفنا بالانحلال واستحوذت عليها الفوارق التي أُنخذت معولاً هداماً يهدم أساس الدين الإسلامي ويصدع تماسك بنيان المسلمين الذين كان يشدّ بعضه بعضاً وابتليت بالجدل العقيم في الأصول والفروع . وضيّعت جمال التعاليم الإسلامية التي مابعد جمالها من جمال وضعفت عن إدراك جلالها الذي مافوقه جلال . ونظرة واحدة من عارف نزيه في التشريع الإسلامي والدين الحنيف كافية للأخذ بمجامع القلوب والسيطرة على الأفئدة والعقول . فطريق الإصلاح في العالم الإسلامي المتموج اليوم بأعوار الاضطراب منحصر في الإصلاح الديني قبل كل شيء لأنّ عن هذا الطريق تتفرع جميع الطرائق وإليه ترجع جميع الإصلاحات التي تحتاج إليها هذه الأمة اليوم . إذ به تشعّ تعاليم الإسلام ونبشت نظام الأمم الإسلامية ، ويتضح أنّ الإسلام لا يعطل التفكير والابداع ، ولا يورث الجمود والانحطاط ، ولا الذل والهوان ولا يصطدم بأسباب الرقي ، أو يتنافى مع التقدم ، ولا يخالف الحياة في نواحيها المختلفة ، ويظهر أنّ مانال المسلمين من الانحطاط وما قعد بهم عن بلوغ الغاية في سعادة الحياة ليس

لشيء في طبيعة التدين بالدين الاسلامي أولهنة سيئة في تعاليم الاسلام كما تجرم بعض الجاهلين إذ لا سبيل إلى هذا التجرم الباطل والزعم الفاضل بعدما إتضح في فلسفة الاسلام أنّ أساس الدولة الاسلامية الكبرى قد ارتكز على العنصرية الانسانية ، والوطنية العالمية . مترابطة بأربطة الإخاء الإيماني القويم ، بعد أن أحاط العنصرية العربية ولغتها (عيبة الاسلام ونقطة مركزه) بسياج من الضمانات يجعلها على مرّ الزمن وثيقة الوجود ضمن جميع الروابط . وقد أثبت التاريخ الصحيح أنّ الأمة العربية لم ترتق إلّا بدينها ولم تسم فوق الأمم والشعوب إلّا به . ولم تبلغ من العزة والمنعة والكرامة المنزلة التي لا منزلة فوقها إلّا بهذا الدين الحنيف .

فقد بسطت الأمة الاسلامية يدها على العالم وهابها الملوك فدوّخت القياصرة وثّلت عروش الأكاسرة وبدّلت من بعد تفرّقها وحدة ، ومن بعد ذلّها عزّاً . ومن أخلاقها الغليظة الجافّة ونقوسها العاتية أخلاقاً فاضلة ونفوساً مطمئنة رضيّة كريمة كلّ ذلك بفضل إيمانها بدينها القويم الذي جاء به عن ربّه الرسول العربي خاتم الرسل محمّد (صلى الله عليه وآله) فأخرجها به من الظلمات إلى النور .

وقد تبين مما تقدّم أنّ أشرف أنواع الرحلة هي الرحلة التي تنتج إصلاحاً في جميع النواحي العلمية والدينية والاجتماعية . والأخلاقية الثقافية . وهذا النوع هو موضوع هذا الكتاب الذي وفقنا الله سبحانه وتعالى بنظم شتات لآليه من نفحات المصلح الأكبر الفيلسوف العظيم حجّة الاسلام آية الله الإمام المجدّد الشيخ عبد الكريم الزنجاني .

ولمّا كان شرف الكتاب بشرف موضوعه فهذا الكتاب على إيجازه أشرف كتب الرحلة لأنّه لم يغادر ناحية من النواحي الاصلاحية فيما يعود على الاسلام والمسلمين وعلى الشرق والانسانية إلّا تؤخّاها . ولم يترك جهة من جهات الاصلاح إلّا تحرّاها . وهذا الكتاب (الرحلة) على جلالة قدره وعظيم منزلته غيض من فيض إذ لم نعر من مئات الصحف والمجلات التي نشرت فيها أخبار رحلة الإمام ومحاضراته إلّا على قليل . ولم يصلنا من مذكرات الألوف من شهود

العيان إلا عدد ضئيل . ولم تسمح لنا الظروف الحاضرة أن ننشر كثيراً مما اجتمع
منها عندنا . والتزمنا أن نسجل نصوص عبارات الصحف والمذكرات على
اختلافها في مستوى البلاغة ومع تكرّر قليل من الجمل والمطالب في بعض منها
رعايةً للأمانة وفوق الجميع أن الصحف لم تستطع استقصاء جميع ماوقع ،
فللإمام الزنجاني جولات تأريخية في الإصلاح من جميع نواحيه وأعمال عظيمة
جبارة في شأن الوحدة الإسلامية تحتاج إلى غير هذا من المؤلفات القيّمة . وعسى
أن يكون كتاب الرحلة هذا باكورة لكتب أخرى يتحلّى بها عقد جيد الزمان إن
شاء الله .

محمد هادي الدفتر



للخلود في التاريخ

رسالته الاصلاحية

لم ترتفع دعوة الاصلاح في الشرق في القرن العشرين ، ولا في أجواء العالم الاسلامي في أي عهد من عهوده أرفع من دعوة سماحة الامام المجدد حجة الاسلام آية الله العظمى الشيخ عبدالكريم الزنجاني ، الذي أشرق اسمه في مشارق الأرض ومغاربها ، وعرفته الأعظم بأنه رجل المعجزات وفيلسوف الشرق ، ومفخرة المسلمين ، ومصلح عالمي فذ عظيم ، يملك الفكرة ووسائل التنفيذ ، ولا يكثرث بمقاطعة المضلّين مهما عظمت شؤونهم وعلت أقدارهم ، ولا يلين للخطوب التي تنزل به ، ولا يخنق لقوى الأرض وإن اجتمعت لمقاومته ، بل هو يعمل لخير الأمة الاسلامية والانسانية بعزم تترايل الجبال دون أن يتزلزل ، ويبقى تتحوّل الأرض عن مدارها ولا يتحوّل ، وبذلك تهيأت له الإمامة ، وسعت إليه الزعامة .

ولم تنجح دعوة كما نجحت دعوة الإمام الزنجاني ، ولا بسرعة كهذه السرعة المدهشة ، والسري في ذلك أن رسالته إنسانية كبرى قوامها السلام العام ، وغايتها الاصلاح العالمي بأقسامه من الديني والعلمي والثقافي ، والاجتماعي ، والأخلاقي ، وقصارى مقصده الأسمى من رسالته الاصلاحية الكبرى ، أن يرى المسلمين رجعوا إلى عزهم تحت ظلّ الله ، ويرى الشرق مهبط الوحي ومبعث الأنبياء والفلاسفة إستعاد مجده ، ويرى الانسانية خفت آلامها وتحققت آمالها ، ونالت المثل العليا في الشرف والتهذيب والكرامة .

إنّ للإمام الزنجاني - وهو شيخ يتزاحف على الستين إن لم يكن قد إقتمحها فعلاً - عظمة تفوق كلّ وصف ، وهي تتجلّى في كلّ ناحية من نواحي حياته :

كالبدر من حيث إلتفت وجدته يهدي إلى عينيك نوراً ثاقباً

ولسماحته شخصية قوية رائعة تستوقف النظر بين صفحات التاريخ وتستمد وحي البطولة من قوّة نفسية خفيّة ، نحس أثرها ، ونعرف وقعها في صولته الفدّة ، ومقدرته العجيبة التي لازمتها ومكّنته من أعمال مذهشة خلّدتها ، ولكننا لانستطيع فهمها ، ولاندرك أصلها ، ولانقوى على تحليلها مهما نرد مناقبه الغر إلى خلاله العظيمة ، ولايسعنا إلا أن نقول : ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ .

وهذه الشخصية الفدّة لم تفترق عندها الأهواء ، ولا تشعبت فيها الآراء احتفظت بمنزلتها ، واعتدّت بكرامتها ، على الرغم من تقلّب الظروف واختلاف الرياح ، وعلى الرغم مماعانته من عنت المستعمرين وخصوم الدين ، وورقاء المسلمين ، شقّت طريقها في بلاد الشرق والغرب إلى أسمى ماتصبوا إليه النفس ، وهي مرفوعة الرأس ، موفورة الكرامة حتّى أقرّ الجميع سرّاً وجهراً - على اختلافهم في المذاهب ، وتباثنتهم في العقائد - بتقديرها ، وعلو مكانتها .

وصادفت دعوته الاصلاحية الكبرى في أنحاء العالم الاسلامي عقولاً خصبة ونفوساً طيّبة ، تقبلتها بقبول حسن ، وأحلّتها محلّ التقديس فكان نجاحه عظيماً .

رحلته التاريخية

لم يكتف الإمام الزنجاني بنشر دعوته الاصلاحية الانسانية ورسالته الاسلامية الشاملة لأربعمئة مليون مسلم من حدود الصين إلى شاطئ المحيط الأطلسي ، بل قام برحلة شاقّة حافلة بتوفيق يتلوه توفيق وفتح عظيم يتلوه فتح عظيم ، وأخذ يجوب الأرض ، ويركب البحر ويزور الأقطار العربية ، والعواصم الشرقية الاسلامية ، ولم يدخل بلداً إلّا ترك فيه أثراً عظيمة محسوسة ملموسة باهرة خالدة لاتقبل الإنحاء أبداً ، ولم يقتصر في رحلته على بلد واحد من بلاد العرب والمسلمين ، بل لم يقتصر رحلته على قطر أو قطرين من الأقطار

الشرقية إذ وسع إرشاده أكثر البلاد ، ووهب نفسه لكافة أقطار الشرق الاسلامي ، فسافر إلى الهند وافريقيا ، ومصر ، وفلسطين ، وشرق الاردن ، وسوريا ، ولبنان ، وإيران ، وقفقاسيا ، وغيرها .

وكانت هذه الرحلة تحمل مشعلاً عظيماً من مشاعل تقارب الشعوب بمالم يسبق إليه مثيل ، نعم قام الإمام الزنجاني برحلته الواسعة التاريخية التي أعربت للعالم عن عظمته في إصلاحه ، وإخلاصه ، وعلومه ، وفلسفته ، وبطولته وعبقريته ، ودخل البلاد والعواصم العظيمة دخول الملك الجبار في حين أنه لم يعزز بمال أو دولة أو جيش أو عصابة ، وإنما عزز بروح عظيمة ، وشخصية قوية ، وبيان خلاب ، واسلوب معجز لا قبل لأحد بمقاومته ، وبصيرة كاملة بمقتضيات الظروف والأحوال . ويجنود من معارفه وعلومه وعزمه وحزمه وخصاله وبموجب عظيم من جلال فلسفته فاحتل - هذا الروحاني الذي يمثل منتهى الضعف والخضوع أمام خالقه وشدة البطولة والقوة أمام مناظريه ومعارضيه - عروش القلوب . وقلوب الملوك وأدمغة المفكرين ورؤوس العلماء وأفكار الفلاسفة ، ومشاعر الأدباء ، وأذهان الأساتذة وصبّ فيها من وابل علمه وفقهه ، وندى فلسفته وحكمته ما جعلها تتنسم الحقائق الراهنة ، والآراء الناضجة ، والأفكار العالية ، والعلوم الصحيحة . ولذلك أُخليت له منصّات الخطابة من أربابها ، والمحارب الدينية من أثمتها ، وكراسي التدريس من اسانذتها في كافة الأقطار فكان الإمام ، والخطيب ، والمرشد ، والهادي .

وحينما حلّ الإمام الزنجاني إلثفت حوله أكابر المصلحين ، وزعماء الأمم وعلماء المسلمين ، وتلتها جماعات من بناء المجد الخالد ، وغطارفة الثورة على التقاليد المضرة الجديدين بالإن تداب للمهام الخطيرة ، والخطط العالمية ، في إقبال مطّرد بغير دعوة إلّا دعوة الحق ، ونداء الضمير والواقع الذي كان يؤلّف حوله عشرات الألوف من مختلف الأمم والطبقات ، لخير الدين ، ولصالح الشرق ، ولمصلحة الانسانية عامّة .

وكلّ أمة شاهدت روحه التّوّاقة للإصلاح ، والسير بهذه القوافل العظيمة في

سواء السبيل إنقادت له ، وخضعت لدعوته ، وأخلصت في تعزيزه ونصرته ، فأَيَّده الله برجال مخلصين ، والذين بمؤازرتهم تتقدّم الأعمال ، وتتقوّم الآمال ، وتشاد صروح الايمان ، ومجد الأوطان . وبهؤلاء سجّل الإمام للاسلام وللتشيع أرقاماً عالمية مدهشة تفوق بها على مصلحي القرون الماضية والحاضرة وأصبح عمله إعجازاً .

وليس من غرضنا أن نصف المراحل الكثيرة التي قطعتها هذه الرحلة التاريخية ، لأنّ هذا سيكون من عمل التاريخ الذي سيسجّل لإمامنا المصلح الخالد ما بذله من جهد وتضحية لإخراج هذا العمل الجبار إلى الوجود ولما أظهره من كفاءة ممتازة إنتهت بالظفر بأعناق الفوز ، وبلوغ الغرض الأسمى والمرمى البعيد ، وقد يحتاج إلى مائة كتاب .

ثورته على البدع

إنّ ثورة الإمام الزنجاني على البدع لا يوجد لها نظير إلّا في أفراد من السلف الصالح ، فقد صمد لها صموداً أشفق عليه منه حتى الذين كانوا يشاطرونه رأيه من العارفين ، ولكنهم لم يؤتوا الشجاعة التي أوتيتها ، فباتوا يتوقّعون له الشرّ المستطير من أعداء دعوته الألداء ، والصناديد الأقوياء من غنلف طبقات الأمم والحكومات ، ولقد لقي منهم ما لو لقيه سواء لصدّه عن السبيل ، وما كان يكفي أن يزرع اليأس في قلوب جيش محتشد ممّن ليسوا على منهاجه ، فلا يعودون يذكرون النهوض ولا تمنياً ولكن روح الفضيلة قوّة إلهية لا يعرفها إلّا الفضلاء فلم تزل تفعل فيه فعلها حتّى ثبت للمعارضين ، واستبسل في الكفاح أيما إستبسال ، وإستطاع بفضل إخلاصه وصبره ومثابرته وجهوده الجبّارة وعلومه الجمّة وتوكّله على الله تعالى أن يحدث في الصفوف المترابطة حياله ثغرة إقترحمها على مناوئيه ، وفي أثره جمهور غفير ممّن كانوا لا يجرأون على مواجهتها مجتمعين ، فأصبحنا وللدّين الصحيح أنصار مجاهرون في أكثر الأقطار ، وفي أغلب الأمم ، وحيال البدع خصوم مجاهدون ، وأصبح الإمام الزنجاني بعلومه وأعماله الجبّارة المصداق

ماتت به بدع تمادى عمرها	دهراً ، وكان ظلامها لا ينجلي
وعلى به الاسلام أرفع هضبة	ورسا سواه في الحضيض الأسفل
غلط إمروؤبأبي علي قاسه	هيهات قصر عن مداه أبو علي
لو أن رسطا ليس يسمع لفظة	من لفظه لعراه هزة أفكل
ويحارب ظلميوس لولاقاه من	برهانه في كل شكل مشكل
ولو أنهم جمعوا لديه تيقنوا	أن الفضيلة لم تكن للأول

خطبه وكلماته الخالدة

لقد ألهم الله بعض الأساتذة ^(١) خيراً ، فوافى أمنية تبحر في صدور المعجبين بالإمام الزنجاني في أقطار العالم ، بأن جمع خطبه التاريخية ، ومقالاته الرائعة ، وكلماته الخالدة ، وآثار أسفاره ورحلاته التاريخية المباركة ، بعض ماتفرق في مختلف الصحف والمجلات ، وأضفنا إليها ما استطعنا من العثور عليه في مذكرات شهود العيان ، فاستوت كتاباً ثميناً هو في وقته كنز لأولي الألباب ، وسيظل خالداً إلى الأبد وذخراً للأعقاب .

وهذه الخطب المقتضبة الإرتجالية وإن كانت دلائل عبقرية الإمام وتسجل ناحية من نواحي عظمتة الإصلاحية ، وترشد الأذهان إلى أن تتخذ قياساً لهذه العظمة ، بما تضمنته من الفلسفة ، والحكمة ، والمنطق ، وأسرار التشريع ، والتفسير ، والحقائق ، ونواحي الإصلاح الاجتماعي ، والديني ، والعلمي ، والعواطف السامية التي تبحر بصدور عظماء البشر ولكن من المحال أن تستطيع هذه الخطب أن تصوّر للقارئ في خارج محيط الإلقاء مقدار ماتركته من الآثار المدهشة العميقة في نفوس مئات الألوف من الأساتذة والناس الذين سمعوها من صوته الذي هز الأمم والحكومات هزاً لأنه صوت ضميره ، ونواته في تربة هي في أعماق إحساسه الانساني ، ففي صوته بعض نفسه القدسية الكبيرة الفياضة القوية

الجبارة التي كأنها مولد كهربائي عظيم يبعث الحرارة والقوة والحياة في القلوب ، أو كأنها قوة مغناطيسية عظيمة ، تجذب إلى مركزها على المنصة قلوب المستمعين ومشاعرهم ، فلا يستطيعون عنها تحويلاً .

وعلى الرغم من أن الإمام الزنجاني يبذل قصارى جهده في الابتعاد عن التفنن في توشية طراز البلاغة ، ويتعمد في أن يخطب مرتجلاً باللسان الذي يفهمه جميع الحاضرين - على اختلاف طبقاتهم ودرجات ثقافتهم - ولكنه مع ذلك صاحب الرأي الذي انتهت إليه الأصالة ، والقول الذي إندمجت فيه الدقة مع الجلالة فإن شدة نفسه وقوة روحه وغزارة علمه وفلسفته وحكمته رفعت بدرجة بيانه إلى ماتقطع دونه علائق الأقلام وتظهر خطبه الارتجالية مستحكمة الصياغة وفي أبدع تصوير ، ويخيل إليك وأنت تقرأها أو تسمعها أن الألفاظ والمعاني قد دانت له يصيغها في القلب الذي يراه ويخرجها فتنة للسامعين ، ومواضيعها آراء جديدة وأفكار أباكرا لم يسبقه إليها سابق فيما نعلم . وكثير منها تحف لم تفتق رفق سمع ولا خبط مثلها في جمع ، وفي بعضها يحسّ السامعون أن ضوءاً جديداً قد سطع على موضوعات قديمة مألوفة فإذا الآراء والأفكار المحتجبة وراء ستار من الأساليب الملتوية قد تجلّت واضحة قوية .

وقد زاد في بلاغة هذه الخطب وأنمى من روعتها ما عرف به سماحته من حسن الإلقاء وجمال الإفضاء فكان لها وقع عظيم في النفوس بما جمع فيها بين البيان المرتجل واللباب المنتخل ، وودّ السامعون لو كان أتيح لها كاتب إستواغرافي أو سلط عليها شريط كهربائي لينقلها كما ألقيت .

ومن مرّ بهذه القلائد التي نظمها الإمام في هذه الخطب والفرائد التي رصعها بها لم يفارقها إلّا بقلب مشتاق ولب يستظهر بالذكرى على ألم الفراق .

وإن هذه الخطب التي تهزّ المطالع من إعجاب ، وتوجّه الضد للإيمان بها وترغم الخصم على الاعتراف بها وتحلّ المشاكل العويصة التي عجزت عن حلّها الفحول والأبطال ، وتعالج الأمراض الاجتماعية والدينية على لوحة التشريع

المنطقي البرهاني ، والخس الانساني كلَّها خطب إرتجالية إرتجلها الإمام في المناسبات وفي مواقف كان أكثر الناس على غير رأيه فيما يجول - بصورة بديهية كأنَّه يقرأ منها في كتاب ، وكأنَّها تستوحي الغيب فليس بينها وبين الغيب حجاب ، وبسرعة فائقة لا يستطيع أي كاتب أن يسجِّل كلَّها أو جلَّها ، وكان المحررون للصحف وشهود العيان يقيدون ما واثنتهم سرعة اليد وما استطاعوا أن يسايروه بأيديهم فإن سبق الإمام أيديهم تركوه أو فهموا عنه بعض المطالب ثم أدَّوا ما فهموه بالفاظ من عند أنفسهم ولعلَّهم اجتهدوا أن تكون هذه الألفاظ مقاربة لما قاله الإمام وكان أصحاب الصحف يحرصون على إذاعة ما قيَّده من كلامه ، فلا غرو إذا فقدت الخطب والمحاضرات جمالها الواقعي ، ومع هذا فهي تبهر العقول وتحيرها ، وقد قال الدكتور طه حسين :

« كنت إذا سمعت محاضرة الإمام الزنجاني نسيت نفسي ورأيتني في حياة غير الحياة التي أعهد لها ، وظننت أنَّ ابن سينا حي يخطب » .

وقال الأستاذ الأكبر فضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر :

« إنِّي لأوصي جميع الناشئة الاسلامية التي تريد أن تفهم الشرع والدين والاجتماع أن لا تقدم شيئاً على قرائه خطب الإمام الزنجاني وكلماته وتصانيفه وترجمته ، لقد قسم الله له من إكتناء أسرار التشريع وفلسفة الدين ما لم يقسمه إلا لكبار الأئمة وأحبار الأمة . والله تعالى ينفع المسلمين بآثاره ، ويهديهم في ظلمات هذه الحياة بزاهر أنواره » .

ثم إنَّ كلَّ خطبة من خطب الإمام وكلَّ كلمة من كلماته تنطوي مالاحد له من الجهات والنواحي والمناحي ، وفيها من الفلسفة والحكمة وفنون العلوم ، وأسرار التشريع ، ولوامع التاريخ ، وأساليب السياسة والاسلوب البديع ، والأدب المعجز ، ماحير الفلاسفة والعلماء والأدباء وقد يتناولها محرروا الصحف أو شهود العيان مبغضة وبصورة مقتضبة وتقتصر كلُّ صحيفة من جهات الخطبة ونواحيها الكثيرة بنشر ناحية واحدة فحسب وهي التي تلائم خطتها ، وتوافق ذوقها ،

وتشير إلى ماتبغني من مقصد يوحيه إليها موقع الضوء إليه في ناظرها (١) فمن الصعب أن تجمع الخطبة كما يرام ، أو تسجل كما ألفت ، ، ولا يمكن تصوير قوة تأثيرها ، وشدة آثارها ، وليس بالمستطاع إستقصاء جميع الصحف والمجلات التي نشرتها بمختلف اللغات الشرقية والغربية ، ولا مذكرات جميع شهود العيان التي سجلتها ، فإنها لا يحصيها العدّ والحصر ، فالذي وصل إلينا من خطب الإمام الزنجاني وكلماته الخالدة جل اختزلها الكاتب واقتطعها المحرّر من كلّ خطبة من خطبه المطولة وقطرة من بحر ، وغيض من فيض ، منسجم في حدود استطاعة الكتاب وقدرة الجامع ، ولو كان قد عثر على جميع تلك الصحف والمجلات ورصد جميع الخطب كاملة لما استطاع أضعاف حجم هذا الكتاب أن تسعها .

وهنا ينبغي التنبيه على أنه لم يمكن أن يطلب من الإمام أن يعيد النظر في هذه الخطب والكلمات لا لأنه يكره الرجوع إلى ما ألقى أو أملى فحسب بل لأنه من ضيق الوقت وكثرة العمل وإزدحام الواجبات من الدرس والبحث والتأليف والافتاء وأجوبة المسائل وقضاء الحوائج بحيث يشفق عليه منها عارفوه من قريب ويتمنون أن يبيء الله له بعض الراحة والهدوء حيث لراحة له في غير الاستزاده من العمل ومن العمل ومن النجاح الذي يلزم العمل ، مضافاً إلى أن سماحته مدفوع دائماً إلى الأمام لا يستطيع أن يقف أو يستقر فضلاً من أن يلتفت إلى ماضى ، أو يعيد النظر في كلام مضى عليه أعوام ، وهو لا يجد وقتاً يمكنه من أداء واجباته اليومية التي يقتضيها مركزه الديني والعلمي السامي على وجهها .

(١) صرّحت بهذا جريدة « الأيام » الدمشقية ٣١ كانون الأول ١٩٣٦ السنة السادسة وهذا

نصّها :

نشرنا في عدد أول أمس خلاصة عن المحاضرة القيّمة التي ألقاها إرتجالاً الأستاذ الإمام الشيخ عبد الكريم الزنجاني في الجامعة السورية تلك المحاضرة التي يصعب على الكاتب أن يدونها أو يلخصها دون أن يذهب برونقها ، ويشوّه محاسنها . ولكننا أقدمنا على تلخيص بعض ماجاء فيها ليطلع القراء على الفكرة التي جاءت محاضرة الأستاذ الإمام حولها ، وإن كانت هذه الفكرة لاتسع صفحات عديدة لتلخيصها . . الخ .

ومن الجدير بالذكر أن بعض الأساتذة أرادوا أن يظهر الإمام الزنجاني من الحرص على آثاره وآرائه أكثر مما أظهر إلى الآن لأن محاضراته وآرائه وكلماته قد أُسْتُغْلَتْ عند بعض الكتاب والباحثين استغلالاً يتفاوت في الأمانة والخيانة ، دون أن يشير المستغلون إلى ما استغلوا منها حين سمعوها أثناء الإلقاء ، أو حين قروها في الصحف والمجلات والمذكرات فأظهروا أنهم مبتكرون ، ولكن سماحة الإمام اعتذر منهم قائلاً :

« إِنِّي أَزْهَدُ النَّاسِ فِي أَنْ يَعْرِفَ لِي السَّبْقُ إِلَى رَأْيٍ مِنَ الْأَرَاءِ أَوْ عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَيُدْفَعُنِي إِخْلَاصِي فِي الْعَمَلِ إِلَى أَنْ أُبَيِّحَ لِلنَّاسِ أَنْ يَأْخُذُوا وَأَنْ يَسْتَغْلَوْا ، بَلْ أَجِدُ سَعَادَةً لَا تُعَدُّ لَهَا سَعَادَةٌ حِينَ أَرَاهُمْ يَأْخُذُونَ وَيَسْتَغْلَوْنَ آرَائِي ، وَلَيْسَ يَعْنِينِي أَنْ يَشِيرُوا إِلَى أَنِّي لِي ، وَإِنَّمَا يَعْنِينِي أَنْ أَكُونَ نَافِعاً لَهُمْ وَلِلْجَمِيعِ » .

دلائل النجاح

إنَّ عشرات الاحتفالات التاريخية المنقطعة النظير التي أُقيمت تكريماً للإمام الزنجاني في كلِّ بلد دخله في مصر ، وسوريا ، ولبنان ، وفلسطين ، وشرق الأردن ، والهند ، وسائر أقطار الشرق الاسلامي والعربي ، والتي رسمت صحف العالم صوراً مصغرة من خطوطها الرئيسية فحسب ، كانت أصدق تعبير عبرت هذه الأمم بأسرها - على اختلاف طبقاتها ونزعاتها - عما تكنه من الإعجاب العظيم بدعوته الاصلاحية الكبرى ، وإقتناعها برسائله العظمى وتقديرها لشخصيته الفذة ، ومظهراً جلياً من مظاهر إعترافها بعظمة هذه الشخصية ، وتأثيرها الكبير في الأمم وإذعانها بنجاح دعوة الإمام ، وأياديه البيض ، وجلائل مواقفه التاريخية ، وأعماله الخارقة التي وصفها كبير أدبائها بقوله :

« ولولا أنَّ هذه الخوارق والمعجزات - أعمال الزنجاني - وقعت بمرأى ومسمع منا ، ونشرتها جميع الصحف وتناقلتها شهود العيان ، لكانت أقرب إلى أعمال أبطال

الخيال ، منها إلى أفعال أشخاص التاريخ » .

وقال أحد شهود العيان :

« إنَّ أشدَّ ما كان له وقع في نفسي هو الانطباع العميق الذي أحدثته شخصية الإمام الزنجاني في نفوس المصريين كافة فصاروا جميعاً من أشياعه وتابعيه ولاحظت هذا في إحتفال الأزهر وسائر الحفلات التي أُقيمت تكريماً له وبعد مغادرته مصر ، أخبرني المصريون أنفسهم كم كان إعجابهم به عظيماً » .

نعم بلغ الإمام من النجاح ذروته ، رغم أنَّ النجاح في الإصلاح الديني صعب المرام ، ملتوي الطريق ، مخفوف بالصعاب والعقاب ، لأسباب وإعتبارات وملابسات لا تخفى ، سيّما إذا كان في أوساط المذاهب المتخالفة والأديان المتباينة ، والعقائد المتحجرة ، والتقاليد المترسخة وتجلّى هذا النجاح في جميع الأصقاع والأقطار . واشتهر في العالم شهرة الشمس في رائعة النهار ، حتّى صار شغلاً شاغلاً لجميع الصحف والجرائد والمجلّات برهة من الزمن في مشارق الأرض ومغاربها .

تصوير الحقيقة

ظهر لنا من تصريحات الإمام الزنجاني في محاضراته التي ألقاها في مختلف البلاد أنَّ لرسالته الكبرى عناصر وآفاق ومراحل ، دعى سباحته في كلّ بلد إلى ما كان يناسبه منها . وكلّها حقائق راهنة ، وحلقات متّصلة يستدعي بعضها بعضاً ، ويتوقف بعضها على بعض وقد قرّرها القرآن الكريم ، ودعمها الدين القويم .

« المرحلة الأولى » الوحدة الاسلامية ، والأخوة اليمانية المشار إليهما بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ وبقوله تعالى : ﴿ فَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ .

« المرحلة الثانية » الوحدة الدينية ، أو توحيد الأديان السماوية المشار إليها

بقوله تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ .

« المرحلة الثالثة » الوحدة الانسانية ، والأخوة البشرية ، المشار إليهما بقوله تعالى : ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم ﴾ حيث أثبت التكريم الإلهي لنوع الانسان ، لا لخصوص المتدينين بالأديان الإلهية منهم وعبر عن الانسان بلفظة « بني آدم » ليذكرهم أنهم جميعاً أولاد شخص واحد ، وهذا معنى الأخوة . ومن الواضح أن الأخوة تستدعي المحبة بين الأخوة والمحبة تمنع من وقوع النزاع والخصام ، فيصل البشر بها إلى السلم العام .

بدأ الإمام الزنجاني دعوته بالمرحلة الأولى ، فدعى كافة المسلمين إلى الوحدة الاسلامية ونجح في دعوته في مصر وغيرها من الأقطار الاسلامية نجاحاً عظيماً بلغ إلى دور العمل .

ولما دخل بيروت وهي محيطة بالأكثرية النصرانية اقتضت حكمته أن يدعوا أصحاب الأديان السماوية قاطبة إلى مرحلة ثانية من الوحدة أوسع نطاقاً ، وهي الوحدة الدينية ، والإخاء الديني ، وبالأحرى (توحيد الأديان السماوية) ونجح في هذه الدعوة أيضاً نجاحاً باهراً لا يعرف التاريخ نظيره ، فخضعت له علماء النصارى وزعمائهم ، ووصفوه في صفحات صحفهم المشهورة بأنه (معمدان جديد يتقدم مسيحاً جديداً) ولما استمع فخامة الشيخ بشارة الخوري « رئيس الجمهورية اللبنانية الآن » إلى محاضرة الإمام الزنجاني قال فخامته : « كأنه يوحنا جديد يبشر بمسيح جديد » وأعلنت صحفهم أن الإمام يرفع بيده لواء الفكرة ، وفي رأسه علم ابن سينا وابن رشد والغزالي والأفغاني وعبد ، وفي قلبه رفق المسيح (عليه السلام) وفي صدره عزيمة أحمد (صلى الله عليه وآله) .

ولم يكتفِ الإمام بذلك أيضاً لما رأى من أن شرور العالم تغمر الإنسانية وتطفئ على مابقي في النفوس من هبة واحترام للنظم الإلهية وإن من الواجب درء هذا الخطر ، ومحاربة الشهوات الجاحمة ، والإباحية التي يثن منها العقلاء فوجه دعوته في المرحلة الأخيرة إلى النوع البشري ، والمجتمع الإنساني داعياً إلى الوحدة البشرية والأخوة الإنسانية المرتكزة على التكريم الإلهي والشرف الإنساني ، لعلمه بأن تنمية وسائط الإخاء البشري وتحكيم العقل الذي يميز الانسان عن سائر أنواع الحيوان ، سيؤديان إلى كبح جماح غرائز حيوانية رُكبت في الانسان ، وتلطيفها ، ثم يوصلان هؤلاء إلى فهم مافي الأديان من معاني روحية سامية ، ومكارم أخلاق عالية ترد الانسان إلى مواطن الشرف والفضيلة .

وكان نجاح الامام في هذه المرحلة أعظم .

فقام أحد كبراء القوم بعد ختام محاضرة الامام وأعلن بأعلى صوته وقال :

« كنت أود أن لاتلقى هذه المحاضرة القيّمة - محاضرة الإمام الزنجاني - في هذا النادي - الميثم الاسلامي في بيروت - بل على ساحة البرج ، حتى يسمعها العربي والعجمي ، والشرقي والغربي ، والافرنسي ، والأمريكي والانكليزي والأرمني ، والنصراني واليهودي ، وكل من يتذوق العلم ويسعى وراء الحقيقة الخالصة ، لنحى في حقل الإنسانية سعداء » .

لباقة أو اعجاز

صرّح الإمام الزنجاني في محاضراته بنكتة بديعة أدبها في دعوته بلباقة مذهبة خارقة فنجح بها ، ولو قالها غيره لكانت مدعاة إلى فشله وسقوطه ، وهي :

لا يخفى أن خضوع غير المتدينين من البشر لعامل الإخاء الإنساني وقبولهم التكريم الإلهي ، يعرفهم مافي الدين من المعاني السامية العامة من قبيل الرفق بالبشر ، والبر بهم من حيث هم أفراد من نوع الانسان دون نظر إلى الفوارق

الأخرى ، ويقربهم من الدين من حيث لا يقصدون ^(١) بل يجعلهم في حظيرة الدين الاسلامي الذي أثبت هذه الأخوة الانسانية بصورة واضحة ، وصرح بهذا التكريم الإلهي كتابه المعجز الخالد ، فتجلى عليهم روح الاسلام ، وبهاؤه وجماله ، ويفقهون كنه مايرمي إليه فيتدينون به عملياً أرادوا ذلك أو لم يريدوا ، فتزول أو تخفّ عوامل التفرقة .

وكذلك الحال في إجابة النصارى وسائر أهل الكتاب وقبولهم التوحيد المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً . . . ﴾ الخ .

فإن مآلها إلى توحيد الأديان السماوية بإرجاع جميعها إلى أساس الإسلام لأن التوحيد المطلوب إجتماعهم عليه هو التوحيد الإسلامي الذي لم يقع فيه شيء من الشوائب التي وقعت في الأديان الأخرى من الحلول ، والاتحاد والتشبيه ، والتعطيل ، وغيرها مما يخل بمقام الألوهية . وبعد قبول هذا التوحيد والتسليم بالصانع الواحد القديم ، والاعتقاد بالتكاليف يصبح المعاد أمراً ضرورياً لا بد منه . ولا يسع الموحّد أن لا يعتقد به . وبما أن هذين الأصلين - أعني التوحيد والمعاد - لم يكونا في دين من الأديان بالشكل الواضح الجلي الذي قرّره الدين الاسلامي الخنيف الذي جاء به نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) فالاعتقاد بهما بهذا الشكل يحقق معنى التصديق بنبوته (صلى الله عليه وآله) وهذه الثلاثة هي أصول الاسلام .

وأما الوحدة الاسلامية فحالتها أوضح من غيرها ، لأنها تتحقق على أساسين أحدهما أصلي والثاني فرعي ، الأول : أنه لاخلاف عند المسلمين - على اختلاف مذاهبهم - في أن أصول الاسلام ثلاثة وهي التوحيد والمعاد والنبوة ، لأن النبي (صلى الله عليه وآله) إكتفى من جميع المسلمين بأن يعتقدوا بهذه الثلاثة ولم

(١) وذلك على إثر تفكيرهم ، ولقد أجاد (توماس كارليل) في قوله : « ولا ظنّ الإلحاد والتفكير

بجمعان » .

يكلّفهم بالاعتقاد بالخلافة ، ولو كان هذا الاعتقاد من جملة أصول الاسلام
لكلّفهم به ، وحيث نعلم أنه (صَلَّى الله عليه وآله) لم يكلّفهم به فليس من
أصول الاسلام .

بل ليس من المعقول أن يكون الاعتقاد بالخلافة التي حدثت بعد وفاة النبي
(صَلَّى الله عليه وآله) بالانتخاب ، من جملة أصول الاسلام .

الثاني : أن يقوم (مجتمع تشريعي اسلامي علمي) بتوحيد الفروع
المذهبية ، بأن يعرض هذه الفروع على مصدري التشريع الاسلامي وهما كتاب
الله تعالى والسنة التي هي بيان للقرآن الكريم ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ وبيان لمتشابهاته ، قال
الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ
وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ
وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ
عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ .

فظهر أنه يمكن توحيد المذاهب الاسلامية الفرعية على هذا الأساس الذي
مآله إلى التمسك بالثقلين في أحكام الدين الاسلامي ، وهذا هوروح التشيع التي
هي دعامة مراحل الوحدة وغايتها ، والهدف الأصلي الحقيقي لها ، إستنبطه
الإمام الزنجاني من الجمع بين النبوين الصحيحين المرويين بطرق الفريقين
أحدهما : قول النبي (صَلَّى الله عليه وآله) : « ستفترق أمتي من بعدي إلى ثلاث
وسبعين فرقة ، فرقة منها ناجية والباقيون في النار » ^(١) .

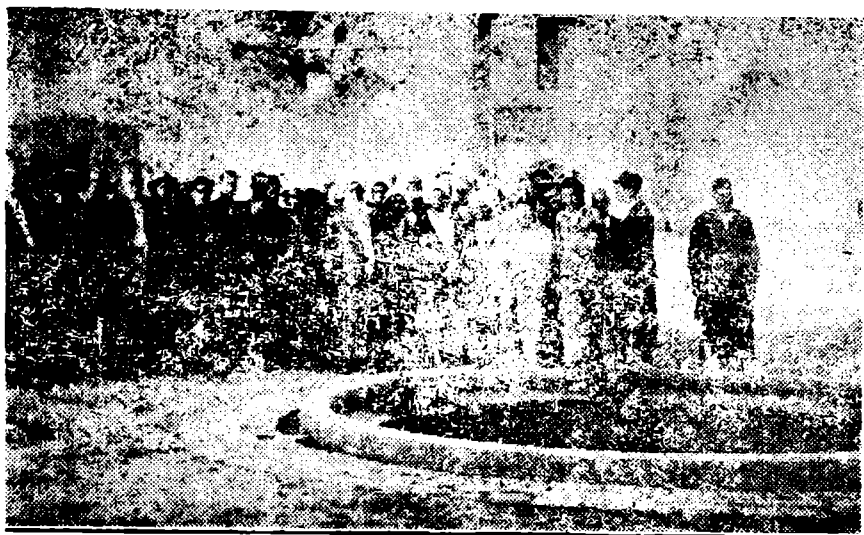
والثاني : قوله (صَلَّى الله عليه وآله) : « مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح
من ركبها نجي ، ومن تخلف عنها غرق » .

وصفوة الكلام أن نجاح الإمام الزنجاني في دعوته ثابت واضح ولكننا نذكر
عدة شواهد تنويراً لهذا الموضوع الجليل .

(١) في تفسير الرازي - المجلد الأول - الصفحة ٣ مانصّه : « فقد جاء في الخبر المشهور قوله
(صَلَّى الله عليه وآله) : ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلّهم في النار إلا فرقة واحدة . الخ »

شواهد نجاح الإمام الزنجاني

في مصر



شواهد النجاح في مصر

(١)

تصريح مشيخة الأزهر

وإليك نصّ هذا الكتاب :

الجامع الأزهر - مكتب شيخ الجامع
حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الإمام الشيخ عبدالكريم
الزنجاني .

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد : فقد تسلّمت كتابكم وأنا أحوج ماأكون
إلى تعرّف حالكم ، وإستجلاء آثاركم ، فقد حللتكم في القلب مكاناً لم يكن قد
حلّ من قبل ووجدت فيكم مشرق علم وهداية تنظرون إلى مايحيط بكم
وبالاسلام والعلماء نظر المصلح الباحث المدقّق ذي الأفق الواسع ، والعقل
الراجح ، ويعينكم مزاج سليم الفطرة خلق لاجتذاب القلوب ، وإمتلاك
العواطف ، وماأحوج المسلمين إلى هذا المزاج وهذا الخلق .

وقد تركتم في مصر سيرة أعطر من أنفاس الزهر في الربيع وأظهر من ماء
السحاب .

وأرجو أن ينفعني الله بدعوتكم ودعوات الأخوان من العلماء والأشراف
زادهم الله رفعه ، وإن تبلغوهم تحيّي الخالصة والسلام عليكم ورحمة الله .

٩ مارس ١٩٣٧

محّمّد مصطفى المراغي

(٢)

المنهاج والعمل

لقد كثرت الزيارات المتبادلة بين الإمام الزنجاني وبين فضيلة الاستاذ الأكبر
الشيخ محمّد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر بالقاهرة ونشرتها جميع الصحف

المصرية ، وكانت كل زيارة تستغرق ساعتين أو أكثر ، وحضر بعضها أصحاب الفضيلة مفتي الديار المصرية ورئيس المحاكم الشرعية وبعض كبار علماء المذاهب الاسلامية ، مضافاً إلى إجتماعهما في الولائم والحفلات التكريمية التي أُقيمت في القاهرة تكريماً للإمام الزنجاني - أحصى منها بعض شهود العيان أربعين حفلة ووليمة - وكانت المذاكرات والمفاوضات تجري بينهما خلالها في جو مملوء من الثقة المتبادلة والطمأنينة تسوده صفاء النية حتى توصل الزعيمان الكبيران إلى قرارات هامة حول النقاط الرئيسية في قضايا إسلامية معقدة ، وحول الوحدة الاسلامية ، وكيفية الملازمة للظروف والنسيات ، وأساليب تحقيقها ، ولكن كثيراً من هذه القرارات ظلت ولا تزال في طي الكتمان الشديد إذ كانت قذى في عيون المستعمرين الذين حسبوا لها ألف حساب ، وأوصدوا دون تحقيق الوحدة الاسلامية كل باب ، لعلمهم بمغزى هذه الحركة وأهدافها الجلييلة وماستحدثه من القوة الرهيبة في الشرق الاسلامي والعربي ، وربما تؤدي إلى طي بساط الاستعمار الغربي عن الشرق كله ، واشتد سخط المستعمرين الذين ينفخون في نار الطائفية بعد أن أوفد فضيلة شيخ الأزهر على إثر هذه المذاكرات بعثة الأزهر إلى الهند بالمنهاج الذي قرره الإمام الزنجاني .

ولكن الزعيمين الاسلاميين المخلصين على رغم جهود المستعمرين قطعاً في سبيل العمل للوحدة الاسلامية أشواطاً كثيرة ، نستطيع أن نعرف حدودها من الكلمة التي قالها فضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر لفخامة السيد نوري السعيد باشا السعيد (رئيس وزراء العراق يومئذ) حينما زار فضيلته بالقاهرة وهذا نصها :

الأستاذ الإمام الزنجاني أعلم علماء المسلمين في هذا العصر تشرّفنا بزمالته وعملنا معه عملاً مستمراً لتحقيق الوحدة الاسلامية حتى وصلنا بعون الله تعالى إلى منتصف الطريق ، وأسئله تعالى أن يوفقنا لبلوغ النهاية فإنه ولي التوفيق .

وأعلن الإمام الزنجاني في الصحف المصرية - بعد إنتهاء مفاوضاته مع فضيلة شيخ الجامع الأزهر ، وسمو رئيس مجلس الوصاية وأعضائه ودولة رئيس

الحكومة المصرية وعلماء مصر وعظماؤها وزعمائها - أن المفاوضات قد إنتهت وكان سيرها أحسن ممايرام ، وحصل الاتفاق التام على الوحدة الاسلامية ، وبوشر بالعمل لأجل تحقيقها .

ولم يظهر للعالم من تفاصيل هذه المقررات وأسرارها سوى المقدار الذي أفضى به الإمام إلى الصحف المصرية ^(١) والصحف السورية ومابيّنه في بعض محاضراته في القاهرة وفي دمشق ^(٢) والذي نشر في مجلة الأزهر عن فضيلة الأستاذ الأكبر المراغي ، وما جاء في الكتب المتبادلة بينهما ، ونحن نلخص ما عرفنا من مبادئ هذه الفكر السامية التي إتخذها الزعيمان موضوعاً للقرارات فيما يأتي :

١ - القرآن الكريم يدعو الكافرين إلى الاتفاق مع المسلمين بقوله تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله . . . ﴾ الخ .

وكذلك يدعو المسلمين إلى التفاهم مع الكفار بقوله تعالى : ﴿ وقولوا آمناً بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ .

(١) جريدة الجهاد المصرية ٢١ رمضان ١٣٥٥ - ٥ ديسمبر ١٩٣٦ .

جريد المصري ٢١ شعبان ١٣٥٥ - ٦ نوفمبر ١٩٣٦ .

جريدة البلاغ المصرية مساء الجمعة ١٣ رمضان ١٣٥٥ - ٢٧ نوفمبر ١٩٣٦ .

جريدة الاستقلال العربي دمشق ١٤ رجب ١٣٥٧ - ٩ أيلول ١٩٣٨ العدد ٣١٤٠٣٣٩ .

جريدة الشعب الدمشقية العدد ٢٥٩٢ - ١٩ شوال ١٣٥٥ - ١ كانون الثاني .

جريدة الأيام الدمشقية ٣١ كانون الأول ١٩٣٦ السنة السادسة ١٩٣٧ .

جريدة الأنشاء الدمشقية ١٣ و ١٤ رجب ٨ و ٩ أيلول ١٩٣٨ العدد ٥٤٦٥ .

(٢) منها المحاضرة التي ألقاها الإمام الزنجاني في مدرّج الجامعة السورية في مساء الخميس ١١

شوال ١٣٥٥ و ٢٢ كانون الأول ١٩٣٦ . ونشرت خلاصتها في جميع الصحف الدمشقية .

ومنها المحاضرة التي ألقاها في جمعية الشبان المسلمين في القاهرة ونشرت خلاصتها في جريدة

البلاغ مساء الثلاثاء ١٧ رمضان ١٣٥٥ - ١ ديسمبر ١٩٣٦ .

فلماذا لاندعوا طوائف المسلمين إلى الإتفاق بعضهم مع بعض وهم يجمتهم
الاعتقاد بالتوحيد والرسالة والمعاد ، والتعاليم التي جاء بها نبينا الخاتم محمد
(صلى الله عليه وآله) وأنما المؤمنون إخوة في صريح القرآن الكريم ، ولماذا
لاندعوه إلى التعاون لمكافحة الإلحاد والفضى الأخلاقية والدفاع عن عقائدهم
المشتركة ، ورفع كيان المسلمين إلى المستوى الأعلى في حياتهم الإجتماعية ؟

٢ - إن المذاهب الفقهيّة التي تتوزع المسلمين اليوم مع سلامة جوهرها من
كلّ شائبة ، أدّت الخلافات فيها إلى فتن بين أشياعها في أدوار شتى . وسالت بين
أهلها دماء غزيرة في بقاع كثيرة من الأرض ، وقد كان حصّة مصر منها موفوراً ،
فكثيراً ما أدّى الجدال بين الشافعية والحنفية وبينهم وبين الحنابلة إلى معارك سالت
فيها الدماء فإذا كانت قد هدأت هذه الثائرة بينهم منذ نحو جيل فمأذلك إلّا بسبب
التطور الذي حصل في العقول في مدى القرن الأخير ، وهذا التطور نفسه هو
الذي يلهم النفوس اليوم وجوب تضيق مسافة هذه الخلافات التي تؤدّي إلى
ظاهرة الاختلاف في الأعمال الموجبة للفتن .

وأقوى ظاهرة مانراه بين الشيعة والسنة ، فقد تباعدوا وطال عليهم الأمد في
هجر بعضهم لبعض ، وتوالت على ذلك عصور ليست بالقليلة فكان في الأمر
متّسع للأراجيف المختلفة ، والتمويهات الكاذبة ، والدعايات الفارغة الجوفاء
وأخذ كلّ منهم يعزوا إلى أخيه أقوالاً أبعد في التصوّر ممّا كان يشاع في الأساطير ،
كلّ ذلك لعوامل سياسية خلقتها بعض الملوك وتأثرت لها الأجيال وتوارثها
الأعقاب أو لآراء فقهية ليس فيها ما يدعوا إلى إثارة حرب ، أو سفك قطرة من
دم ، أو إلى تجريح أو تشهير أو تكفير ، مع أنّه ليس خلاف بين الفريقين في أصول
الاسلام الثلاثة التي يجب الاعتقاد بها ، وهي التوحيد والنبوة والمعاد ، قال أستاذ
الأساتذة والمجتهدين والمؤسس الأكبر والمرجع الأعلى لمراجع الشيعة المولى آغا باقر
البهبهاني في مؤلّفه « كتاب أصول الاسلام والإيمان » ما هذا نصّه حرفياً :

« فائدة » : إعلم أنّ أصول الاسلام عند فقهاءنا ثلاثة : التوحيد ،

الرسالة ، المعاد ، فمن أنكر واحداً منها يكون خارجاً عنه .

وأما الاعتقاد بالإمامة فهو أصل مذهبي عند الشيعة يوجب علو الدرجات في الآخرة ، ومن لم يعتقد بها ولكنه اعتقد بالتوحيد ، والرسالة ، والمعاد ، وبما جاء به النبي (صلى الله عليه وآله) من التعاليم فهو عندهم مسلم غير شيعي له مالمسلمين وعليه ماعليهم ، وكذلك من اعتقد بهذه الأصول الثلاثة ولم يعتقد بالخلافة فهو عند السنة مسلم غير سني ، فالخلاف في الإمامة والخلافة لايعتبر عند الفريقين خلافاً في أصول الاسلام وليس يسوغ في حال من الأحوال أن يقتتلوا على خلاف في الخلافة أصبح في ذمة التاريخ ، لا يستطيع القتال والنزاع أن يعيده إلى الوجود بعد أن انحلت الخلافة وأصبحت هي الخلافة نفسها مسألة تاريخية بحته وأصبح كل الخلاف خلافاً في التاريخ ، وخلافاً في الاجتهاد .

أما وإن الخلافة منحلّة ، والإمام عليه السلام غائب ومايعود إلى درجات الآخرة فحكمه إلى الله تعالى مالك يوم الدين ، ومايعود إلى الشؤون الاجتماعية فلأمندوحة من أن يقوم بها علماء الأمة الذين أصبح واجبه في كلّ جهة مضاعفاً ، ومسؤوليتهم عن الدين الذي هم حفاظه أكثر خطورة من قبل ، فقد كان العلماء في ماضى يكتفون باللقاء ما عندهم من العلم إلى تلامذتهم فيؤدّون بذلك كل الواجب عليهم ، أما اليوم فهم مسؤولون عن دفع الشبهات التي يلقيها الأجانب على الاسلام ، وعن إرشاد النشء ، وتثبيت العقيدة عنده ، والحيلولة بينه وبين الافتتان بما يملك خصوم الاسلام من القوى المادية والمدنية الباهرة .

وأما في فروع الدين ، فلا يوجد رأي واحد في الفروع عند الشيعة يكون مخالفاً لجميع المذاهب الأربعة السنية بأسرها ، ويؤيده أن حجة الاسلام القاضي نورالله التستري (الشهيد الثالث) في القرن العاشر الهجري تعيين في منصب قاضي القضاة في الهند ، بإصرار ملك الهند ولكنه اشترط على الملك أن لا يكون مقيداً بمذهب مخصوص من المذاهب الأربعة السنية ، بل له أن يحكم بمقتضى إجهاده بشرط أن يكون إجهاده موافقاً لواحد من هذه المذاهب الأربعة ولا يكون

مخالفاً لجميعها ، وقبل الملك هذا الشرط ، فحكم التسري في الهند خمساً وعشرين سنة بمذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية ولكنه كان يطبقه بأحد المذاهب السنية فلم يخالف المذاهب الأربعة أصلاً مدى قضائه حتى في قضية واحدة رغم أن العلماء والقضاة السنيين كانوا واقفين له بالمرصاد ، وكانوا يراقبون أعماله ، ويدققون أحكامه وهو كان يظهر أنه سني .

ونظير ذلك ما صرح به فضيلة شيخ الجامع الأزهر من أن القاضي الأعلى في مصر ليس مقيداً بأن يحكم بمذهب مخصوص بعينه بل له أن يحكم بما يراه صالحاً من المذاهب الأربعة وذلك منذ سنة ١٩٣١ الميلادية .

فظهر أن الخلاف الفرعي بين مذهب الشيعة وبين المذاهب الأربعة السنية لا يزيد على الخلاف بين هذه المذاهب الأربعة بعضها مع بعض . ولقد وقع الخلاف بين الشافعية والمالكية على البسمة هل هي جزء من القرآن أو ليست جزءاً منه ، فلو كان هذا الخلاف وقع بين الشيعة والمالكية فماذا تكون الحال ؟ كان أقل شيء يقع هو أن يكفر المختلفون بعضهم بعضاً - هذا خلاف على القرآن والتواتر ، ومنكرهما كافر وخلاف يتعلّق بالصلاة ، وهي فارق الاسلام ، وعمود الدين . ولكنه حدث بين الشافعية والمالكية ، وقام بين السلف ، فلم يكفر بعضهم بعضاً ، ولم يمنع أحد من الصلاة وراء مخالفه ، ذلك لأن سوء التفاهم بينهما لم يبلغ درجته مع الشيعة ، ولأن السلف كان رائدهم جميعاً الانصاف العلمي ، والاخلاص للحق ، فكان المخالف يرى أن صاحب الرأي الآخر يبي مارآه على دليل قام عنده ، أو أثر صحّ لديه ، ولا يخطر له أنه خالف لشهوة أو غرض وهذا الانصاف والاخلاص للعمل والحق هو الذي نسعى إليه فالخلاف مع الانصاف لايجر إلى التفرق ولا إلى الفتن .

ثم إن المذهب الحنفي أقرب إلى التوفيق مع سائر المذاهب الاسلامية ومع مذهب الامامية لما بينه فضيلة شيخ الأزهر من إن هذا المذهب يجوز تخصيص الكتاب والسنة بالعرف العام ، ويرى رفع اليد عن الخبر إذا خالفه العرف

الخاص ، وتشخيص هذا العرف من وظائف العالم المجتهد ، وكذلك حال سائر المذاهب فقد كان الإمام حنبل يقول : إذا كان أمامك مفت واحد فاعمل برأيه ، وإذا كان أمامك مفتان فلا تتبع أحدهما مقلداً بل اعرض الأمر على قلبك فأيهما أحسن قلبك منه الراحة فاتبعه .

فمن الممكن توحيد الفروع حسب الأصول ومصادر التشريع التي قررها الإمام الزنجاني في محاضراته وكلماته التي ألقاها في كليات الأزهر والتي يتضمنها هذا الكتاب .

فلأجل هذا كله أهدى فضيلة الأستاذ الأكبر المراغي شيخ الجامع الأزهر إلى الإمام الزنجاني كتاباً فقهياً استدلالياً جامعاً لجميع فروع المذاهب الأربعة وهو كتاب « المغني والشرح الكبير » المدون في إثني عشر مجلداً ، راغباً إلى الإمام الزنجاني أن يطالعه بصفة أنه مجتهد شيعي ، فيؤلف كتاباً جامعاً في الفقه استدلالياً ليكون هو المرجع لجميع المذاهب الخمس الإسلامية في مقام العمل ، وبهذا تتحقق حقيقة الوحدة الإسلامية .

وكتب فضيلة المراغي بخط يده على الصفحة الأولى من كتاب المغني والشرح الكبير هذه العبارة :

محمد مصطفى المراغي يُهدي هذا الكتاب إلى حضرة السيد الأجل الأستاذ الإمام والصدوق العزيز الشيخ عبد الكريم الزنجاني إعرافاً بفضله وتقديراً لشأنه .

٢١ رمضان ١٣٥٥

محمد مصطفى المراغي

٣ - إتضح مما تقدم أن توحيد الفروع الإسلامية أمر ممكن ولكن لاشك في أنه عمل شاق قد لا يكفي لإنجازه مجهود الفرد مهما كان نابغاً وإذا قام به فرد ونجزه فربما لا يقبله غير أهل مذهبه بدافع العصبية ، ولا يعمل به أهل جميع المذاهب ، إذاً فلا بد لتحقيقه من (مجمع تشريعي علمي اسلامي) يتألف من المجتهدين وأعلام علماء المذاهب الخمس ، ويعرض هذا المجمع آراء الفقهاء وفروع

المذاهب على الكتاب والسنة الذين تنحصر فيهما مصادر التشريع الاسلامي ويرجع إليهما سائر المصادر والأدلة . ويأخذ ما وافقهما ويسنّ تشريعاً لمسائل كثيرة جذّت على حياة الأمم والأفراد لم يكن موجودة في عصور التشريع القديم . ويكمل بها ما يحتاجه المسلمون الآن في حياتهم الخاصة والعامة ، ويقدم هذا المجمع التشريعي خلاصته إلى العالم الاسلامي بعد أن يقوم بتوجيه الشعور الديني توجيهاً نافعاً وتنقيته من الشوائب ، وجعل التدين آلة فعالة في تهذيب الناس . وتمكين العوامل المعنوية من التأثير في الحياة الانسانية الراقية ، وتصيير الفضائل العملية التي قررها الاسلام كلّها نظماً عملية ، وتشريع تعاليم الدين لكي يفهمه الجميع ، وتوضيح أنّ الاسلام ليس ديناً بالمعنى الذي يعرف في الغرب ويأخذه من الغربيين بعض الشباب المثقف في أقطار الشرق الاسلامي تقليداً بلا علم ولا فهم ، ظانين أنّه كسائر الأديان لا يصحّ أن يتخذ أساساً في الحياة ، لكن الاسلام « دين » يصل الانسان بربه و « شرع » ينظم علاقات الناس بعضهم ببعض ، و « سياسة » يحدّد صلات المسلمين بغيرهم من الأمم ، و « أخلاق » ترفع الانسان إلى أسمى غاية من مراحل الكمال يمكن أن يصل إليها فالاسلام يجب أن يكون المبدأ الذي تصدر عنه نهضتنا ، والأساس الذي تبنى عليه حياتنا ، إذ الدين سلطان فوق العقل ، وسر يدق عن التعبير وبهذا يتقوّى الشعور الديني في الطبقات المستنيرة وتتحد طبقات الأمة كما تتحد طوائفها .

٤ - إن كان بعض المسلمين يستبعد تحقيق الوحدة الاسلامية في الفروع والأصول أو يستصعبه معتقداً أنّ هذا الأمر يحتاج إلى زمن طويل ، فيقال لهم : إذا كان في الإمكان الجمع بين أبناء الديانات المختلفة في أعمال تتعلق بالمصلحة العامة ، وإقامة دعائم الاتحاد بينهم باسم الوطنية أفلا يمكن الجمع بين الفرق المختلفة من المسلمين باسم الوحدة الدينية الاسلامية ؟ وتقريب وجهات النظر بينها ليتحرّر المسلمون من قيود الأحقاد القديمة ويرجعوا إلى صفاء الآخرة الدينية فيحسنوا المعاملة والمجاملة والتعاون في مابينهم ، وفي مقدور كل منهم حينئذ أن يبين لأخيه وجه الصواب إن كان على خطأ أو الحق إن كان على الباطل وبضرورة

العقل تحكم بأنّه إذا كان أحد الأخوين على خطأ وجب على أخيه أن ينهض له بالنصح لا بالحرب ، فعندما تصفوا القلوب وتتوفر حسن النية يصبح التفاهم ميسوراً والنجاح مقدوراً .

٥ - « مؤتمر اسلامي عام على أساس توحيد الثقافة » .

نظنّ إن واجب العلماء من جميع الطوائف والمذاهب الاسلامية أن يلتقوا في مؤتمر عام تتجدد دوراته من حين لآخر في مختلف الممالك الاسلامية ليتشاوروا ويضعوا الخطط للدفاع عن الجبهة المشتركة ويقودوا النشء في طريق موفق ليكون له أعظم الأثر في تثبيت العقيدة الاسلامية ضدّ مهاجميها من الأعداء الخارجيين والداخلين . ونعتقد أنّ أحسن الوسائل لهذا التعاون بين علماء المستقبل أن ينشأوا تحت نظام من التعليم والتربية متشابه ليسهل ذلك عليهم التفاهم والعمل لتحقيق التعاون .

نداء نوجّهه

أولاً إلى إخواننا السنّيين

الشيعة مع إعتقادهم بالنص في الإمامة وربط ما بعد وفاة النبيّ (صلى الله عليه وآله) إلى ما قبلها لا يعتبرون الاعتقاد بالإمامة من جملة أصول الاسلام ، بل يقولون أنّ كلّ من اعتقد بالوحدانية والرسالة والمعاد وما جاء به النبيّ (صلى الله عليه وآله) من ربّه فهو مسلم ولو لم يعتقد بالإمامة ، والمسلم أخو المسلم .

فالسنة مع اعترافهم بعدم النصّ وإن الخلافة حدثت بعد وفاة النبيّ (صلى الله عليه وآله) وأما قبلها فلم يكن في الاسلام والمسلمين اسم من الخلافة ولا من الخليفة كيف يتوقّفون في إسلام من اعتقد بالوحدانية والرسالة والمعاد وبجميع ما جاء به نبينا محمّد (صلى الله عليه وآله) من ربّه ولم يعتقد بالخلافة أو لم يخلص للخلفاء ؟ ويجعلون هذا مانعاً من تحقيق الوحدة الاسلامية .

ثانياً إلى إخواننا الشيعة

إنَّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) هو مؤسس الوحدة الاسلاميّة التي ندعوا إليها الآن فلقد جاء صريحاً في « نهج البلاغة » في خطبته المعروفة بالشقشقية مانصّه :

« ولكنّي أسففت إذ أسفوا ، وطرت إذ طاروا . . . إلخ » يريد أنّه (عليه السّلام) وافقهم ولم يخالفهم في شيء . فكيف يتوقّف شيعي عن قبول ما أسّسه إمام الشيعة الأعظم أبو الأئمة وسراج الأئمة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) .

(٣)

المجلس الاسلامي الأعلى

الجامع الأزهر - مكتب شيخ الجامع .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد ، فإنّي أعترف بتقصير لا ينفع معه العذر ولكن الأمل في ساحتكم الواسعة يخفّف الألم من الشعور بهذا التقصير - أمامي خطابكم المؤرّخ ٨ - ٩ - ١٣٥٦ وأنا معكم بقلبي كلّه أشعر كما تشعرون بحال المسلمين ، وأرى وجوب تحقيق الفكرة التي توافقنا معكم عليها ، وأظنّ أن خطابكم يشير إلى حوادث الأقاليم الشماليّة في الهند بين الشيعة وأهل السنّة وقد كان ذلك في العام الماضي قبل سفر البعثة الأزهرية ، وذلك أنّي بحثت وكلّفت بعض من يتابع قراءة الجرائد الهندية فلم أعثر على جديد - لعلّكم سمعتم خطبتي يوم عيد النحر في

الراديو أو قرأتها في الجرائد ، ولعلكم تقرأون من وقت لآخر شيئاً عما أحاوله من الوحدة بين المسلمين وفي ذلك كله ترانا على رأي واحد ومبدأ واحد هو الوحدة الاسلامية .

وإنّي أعرض عليكم الآن رأياً وهو أن يوجد مجلس اسلامي أعلى للنظر في أحوال المسلمين ، أمراضهم وعللهم وماينفع في علاجهم ويوحد تعليمهم وثقافتهم ويقرب بين طوائفهم ومذاهبهم ، وأنّ يمثل جميع المسلمين في هذا المجلس تمثيلاً حكومياً أو تمثيلاً غير حكومي .

وإنّي أعتقد أنّ مثل هذا المجلس سيكون له من الشأن ما يخفف ماتشعرون به أنتم وأشعر به أنا - أرجو عرض هذا الرأي على الأخوان وإفادتي بما ترونه وبتفصيل ماترونه والجهة التي ترونها صالحة لهذا هل هي مصر أو بلد آخر ؟ ومتى وافقتم على هذا الرأي فأرجوا أخذ رأي أهل العراق فيه غير الشيعة والسلام عليكم وعلى جميع الأخوان ورحمة الله .

٢٦ ذوالحجّة ١٣٥٦ - ٢٦ فبراير ١٩٣٨

محمد مصطفى المراغي

الجواب

النجف الأشرف - العراق .

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ

محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر - القاهرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

وبعد ، فقد تسلّمت كتابكم الكريم المؤرخ ٢٦ ذوالحجّة ١٣٥٦ فلمحت لي بارقة الأمل في أفق الوجود طليعة تحقيق الأماني التي يتطلّع عليها العالم الاسلامي .

وإنّي وإن كنت أعلم أنّ فكرة « الوحدة الإسلامية » من الأفكار التي تجول في عرق كلّ عراقي وإنّه ليس هناك أيّ تردّد بل إنّما هناك نفوس متوتّبة وهم ماضية في تحقيقها وإظهارها إلى الوجود ولكن لكشف الحقيقة عرضت رأيكم السامي على أعلام علماء الشيعة وأشرف النجف الأشرف ، ثمّ مضيت إلى بغداد وقابلت جلالة ملك العراق وتداولت مع علماء العاصمة وزعمائها وأشرفها ومع رئيس الحكومة وكبار رجالها ، وربّما قرأتم في الصحف العراقية ^(١) كلماتي التي إقتنعت بها الجماهير المحتشدة في جامع السيّد سلطان علي من أعلام العلماء ورجال الحلّ والعقد فكلّ أعطاه حقّه من الترحيب ، واهله للبركة وطلب المبادرة إلى الحركة فالعراق بأجمعه خاضع لمفعول هذه الفكرة السامية في جوهرها ، ولكن هل الأقطار الاسلامية الأخرى لهم علم بهذا الرأي ؟ إذ يجب أن يمثّل في هذا المجلس جميع عناصر المسلمين .

وإنّي أعتقد أنّ الجمعيات الدينية في جميع الأقطار الاسلامية لاتعارض هذا المشروع ، على أنّي أحذر من العقبات السياسية وماقد تدلي به الحكومات الغربية الاستعمارية من النظريات السياسية والعراقيل في هذا المضمار .

وأما رأيي في هذا الموضوع فإنّي أرى أشياء تلزم للإعداد ، وماذاك إلّا من تغلّغي في الاصلاح الذي أتوخّاه وأصطفيه ، وصاحب البيت أدرى بالذي فيه .

« الأول » أنّ التمثيل في المجلس الأعلى يجب أن يكون غير حكومي لأنّ جمهور الشيعة يرون أنّ كل أمر ديني يلزمه أن يتقرّب به إلى الله تعالى ويطلب إمتثالاً لأمره تعالى ، ولذلك ترى العلماء والأتقياء يجتنبون الوظائف الحكومية والرواتب لأنهم يرون أنّ ذلك مبعد عن التوفيق الإلهي .

« الثاني » أنّ تعيين بلد الإنعقاد ممّا يثير فيه ، لأنّ اختيار القطر والبلد ليس بالأمر الهين ، ولهذا يجب نبذ كلّ فكرة عاطفية وإنّما يشترط في بلد الانعقاد أن يكون في قطر متمتع بسلطة أهلية وبعيد عن كل نفوذ سياسي أجنبي ، وعليه فأني

(١) جريدة « العالم العربي » البغدادية : العدد (٤١٦٠) .

قطر من الأقطار العربية تمتع بحرية محلية تكون نتيجة التمتع السياسي المستقل فهو المعين لأن يعقد فيه المجلس الاسلامي الأعلى .

« الثالث » المبادرة إلى تشكيل لجنة تحضيرية لوضع المنهاج والمواد التي سيبحث عنها المجلس الاسلامي العام وإعلانها على المسلمين كافة لكي لا يبقى مجال لخصوم الدين والجامدين والرجعيين وأعوان المستعمرين أن يختلقوا المقاصد غير الشريفة للمجلس الاسلامي الأعلى ، ليصيبوا هدفهم من إثارة نفوس الدهماء عليه وقتله قبل تكوّنه .

« الرابع » الإيعاز إلى الكتاب والمؤلفين في تاريخ الطوائف والمذاهب الاسلامية ومسائل الانتقادات أن تكون مقرونة بالمجاملة ورعاية الآداب وأن يكون الجدل بالتي هي أحسن وبعبارات غير جارحة للعواطف لكي لا تثير التعصّب الذي يجب تركه في مقام الارشاد والهداية وتوحيد الكلمة ، والسلام عليكم وعلى جميع الأخوان ورحمة الله .

٨ - ٢ - ١٣٥٧

عبدالكريم الزنجاني

(٣) المبادئ

مكتب شيخ الجامع الأزهر :

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني .

العراق - النجف الأشرف .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

لقد سرّني خطابكم المؤرخ ٨ / ٢ / ١٣٥٧ ومافيه من الآراء الناضجة

والأفكار القيّمة وأفيدكم بما يأتي :

١ - لم أفتح أهل الأقطار الأخرى ولم أكتب إلّا إليكم وليس لدي مانع من

إتصالكم بالأخوان في الأقطار لأخذ رأيهم في المشروع .

٢ - مع رغبتى أن يكون المجلس من رجال الدين فلاأرى مانعاً أن يكون فيه بعض عظماء المسلمين النافعين من غير العلماء .

٣ - وقد خطر في بالى الآن أن تكون المبادئ كمايأتى :

أولاً تقوية روابط الإخاء بين المسلمين في كافة أنحاء العالم .

ثانياً إيجاد تعاون بين الهيئات التعليمية في البلاد الاسلامية لتتعاون على نشر الثقافة على وجه العموم والثقافة الاسلامية على الخصوص .

ثالثاً العمل على تبسيط قواعد الدين الاسلامي بحيث يسهل على عامة المسلمين فهم دينهم على وجهه الصحيح .

رابعاً العمل على تقريب وجهات النظر بين الطوائف الاسلامية المختلفة بحيث يشعر الكل أنهم إخوان في الإسلام يحتاجون إلى التضافر والتعاون بدلاً من المخاصمة والعداء .

وأرجو قبول إجلالى وإحترامى وتحياتى لفضيلتكم ولحضرات السادة العلماء في معاهد النجف والسّلام عليكم ورحمة الله .

٢ ربيع الأول ١٣٥٧ - ٢ مايو ١٩٣٧

محمّد مصطفى المراغى

(٤)

إحتفال مشيخة الأزهر

جريدة « المصري » المصرية ٢٤ شعبان ١٣٥٥ - ٩ نوفمبر ١٩٣٦ .

جريدة « الجهاد » المصرية ٢٣ شعبان ١٣٥٥ - ٩ نوفمبر ١٩٣٦ .

جريدة « الأهرام » المصرية ١١ نوفمبر ١٩٣٦ .

مشيخة جامع الأزهر تكرم كبير علماء النجف .

ورَّع فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر
رقاع الدعوة على العظماء والعلماء والوزراء المفوضين للحكومات الإسلامية
ورجال الصحافة ولفيف من الفضلاء وفريق من المشتغلين بتوثيق الروابط
الشرقية ، إلى حفلة شاي يقيمها فضيلته تكريماً للعالم الكبير الأستاذ الإمام الشيخ
عبدالكريم الزنجاني في الساعة الرابعة والنصف من مساء الثلاثاء بإدارة الأزهر .

نص الرقعة

يتشرف محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر بدعوة
حضرة . . . لتناول الشاي في يوم الثلاثاء ١٠ نوفمبر سنة ١٩٣٦ في الساعة
الرابعة والنصف بدار الإدارة العامة للجامع الأزهر - بميدان الأزهر - تكريماً
لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني كبير علماء
الدين في النجف ونزيل مصر الآن .

المرّة الأولى بعد أكثر من ألف سنة

علّق صاحب جريدة « البلاغ » المصرية في العدد ٤٣٥١ من السنة الرابعة
١١ نوفمبر سنة ١٩٣٣ على إحتفال مشيخة الأزهر المار ذكره بهذه العبارة :

ومّا يذكر عن هذا التكريم العلمي ملاحظه بعض المفكرين من أنّ هذه هي
المرّة الأولى بعد أكثر من ألف سنة التي يجتمع فيها كبار العلماء السنيين برئاسة أكبر
زعيم ديني وهو شيخ الأزهر لتكريم كبير علماء الشيعة وهو الإمام الزنجاني .

(٥)

مذهب الشيعة الإمامية في التشريعات الحديثة بمصر

جريدة « البلاغ » العدد ٤٢٧٥ مساء ٥ ديسمبر ١٩٣٦ :

يغادر مصر اليوم ضيفها الكبير صاحب الساحة العلامة الأكبر الشيخ عبدالكريم الزنجاني كبير مجتهدى الشيعة ، وقد أقام بيننا بضعة أسابيع كان فيها موضع التقدير والتكريم لما تحلّى به من علم وخلق ودين وسيعود إلى بلاده ويجتمع برجالاتها من العلماء والمجتهدين والساسة فيذكر مشهده في مصر وجماعاتها وأولى الرأي فيها ، وسيجد إخواننا الشيعة أن ماتحدث به الدهماء عن إختلاف الشيعة والسنيين ليس له أثر في نفوس المصريين وغيرهم من السنيين .

وقد تقاربت وجوه النظر بين الشيعة والسنة بفضل سماحته وخطبه ومسايعه ، وكان من نتائج هذا التقارب التشريعات الحديثة التي صدرت في مصر بشأن الأحوال الشخصية ، وقد استنبطت من مذاهب متعددة منها مذهب الشيعة الإمامية ، وهذا الاستنباط هو في الواقع إجتهد ينتجه العقل الذي جعله الشيعة أحد مصادر التشريع عندهم . . . إلخ .

ومن هذا ونظائره التي ستمرّ بالقارىء يتّضح مدى نجاح الإمام الزنجاني في تثبيت كيان الشيعة الإمامية ، وحمله طوائف المسلمين وعلماهم وملوكهم وزعمائهم على الاعتراف بهذا المذهب بالقول والعمل تمهيداً للوحدة الاسلامية بعد أن عجز عنه أعلام الشيعة خلال ثلاثة عشر قرناً .

(٦)

خليفة الأفغاني

مجلة « الرسالة » المصرية العدد ١٧٩ - ٢٣ رمضان ١٣٥٥ ،
٧ ديسمبر ١٩٣٦ الصفحة ١٩٩٨ السنة الرابعة :

الوحدة الاسلامية

للأستاذ عبدالمتعال الصعيدي الأستاذ بكلية اللغة العربية بالأزهر

سمعت المحاضرة التي ألقاها بدار جمعية الشبان المسلمين صاحب الساحة

الشيخ عبدالكريم الزنجاني كبير مجتهدى الشيعة ، ورئيس مجلسهم وكانت المحاضرة في الدعوة إلى الوحدة الاسلامية ، فرأيت عالماً كبيراً وإماماً مصلحاً ، يندر وجود مثله بين علماء المسلمين في هذا العصر ولاغرو أن تنجب بلاد الشرق مثله ، فقد أنجبت قبله في هذا العصر ذلك الحكيم العظيم جمال الدين الأفغاني موقظ المسلمين من غفلتهم ، وباعث الدعوة الاصلاحية القائمة الآن فيهم .

وكأنّ الله أتى بالأستاذ الزنجاني ليكمل ما بناه قبله الحكيم الأفغاني فليسر الأستاذ في سبيله ، ولينسج على منواله ، فالطريق ممهدة ، والغاية مرجوة ، والأمل كبير في النجاح بعون الله تعالى . . . الخ .

ومن الخطأ أن توصف دعوة الإمام الزنجاني بأنها تقليدية لدعوة الأفغاني ، فإنّ دعوته كانت سياسية في أساسها وكانت بصبغته الدينية ترمي إلى غرض سياسي وأسلوب خاص من أساليب الحكم فتعثرت ، أمّا دعوة الإمام الزنجاني فهي دينية بحتة وإصلاحية بعيدة عن كل فكرة سياسية وغير موجهة إلى مقاطعة أمة من الأمم ، ولذلك قطعت في سبيل غايتها أشواطاً بعيدة ونجحت وإستفزّت العالم شرقه وغربه .

(٧)

الفلسفة في الأزهر

أبدى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر إهتماماً عظيماً بآراء الإمام الزنجاني وملاحظاته التي أبدّاها في كليات الأزهر والمعاهد الدينية حينما فحصها فحصاً دقيقاً إستغرق ثلاثة أيام متواليات ، وإلتزم فضيلته أن يقرّر إصلاح مواد الدراسة ومناهج الأزهر طبقاً لملاحظات الإمام الزنجاني وإليك إحدى هذه الملاحظات .

قال الإمام الزنجاني في فصل الفلسفة بكلية أصول الدين في الأزهر : « وقع نظري في منهج دراسة هذه الكلية على هذه العبارة :

٣ - الفلسفة « مع الرد على مايكون منافياً للدين منها » .

وسمعت من درس بعض الأساتذة ماينطبق عليه هذا المنهج ، فأرى من واجبي أن أصارحكم إنكم لاتدرسون الفلسفة في فصل دراسة الفلسفة وإنما تدرسون فيه علم الكلام بإسم الفلسفة . . . الخ .

إنجلاء حقيقة تاريخية

هذا التصريح الخطير للفيلسوف الأعظم الإمام الزنجاني يسترعي الإنتباه ، لقد إشتهر أنّ الفيلسوف الأكبر السيد جمال الدين الحسيني الشهير بالأفغاني ، مكث في القاهرة من عام ١٢٨٨ هـ - ١٨٧١ م إلى عام ١٢٩٦ هـ - ١٨٧٩ م قضائها في تدريس الفلسفة فيها فأين النتيجة ؟ .

هل قصرت تلامذته في دراسة الفلسفة وفهمها ؟ كلاً ، لأنهم كانوا نوابغ عصرهم .

أو إنّ السيّد جمال الدين حسبما سجّله التاريخ الملقق ، ولد في الأفغان وأكمل دراسة العلوم والفلسفة في الهند التي سافر إليها وعمره ثمانية عشر عاماً ، على أساليب المستشرقين الحديثة التي تنظر في علم الكلام وتزعم أنه الفلسفة ، فكان فيلسوفاً بهذا المعنى ؟

كلّاً ، لأنّ كتابه الذي ألفه في ردّ النيجرية (الدهريين) يثبت بوضوح أنّ مؤلفه كان فيلسوفاً بكلّ معنى هذه الكلمة .

ومع العلم بأنّ دراسة الفلسفة العالية في ذلك العصر كانت منحصرة في دار الحكمة « طهران » عاصمة إيران .

فإنّ هذه الملاحظات تؤيد التأريخ الدقيق الذي سجّل أنّ السيّد جمال الدين ولد في قرية « أسد آباد » بضواحي « همدان » بلد ابن سينا ، وبعد أن درس مبادئ العلوم في همدان سافر إلى طهران ودرس الفلسفة فيها دراسة متقنة كما أنّه أكمل دراسته على الأسلوب الحديث أيضاً في كليّة « دار الفنون » وكانت هجرته

إلى « كابل » عاصمة الأفغان ، ومكثه فيها لأجل شدة الإضطهاد الذي لاقاه في طهران من السلطتين السياسية والدينية ، وفي الهند فقط أشتهر بالأفغاني رغم أن توقيعه كان دائماً حتى في مؤلفه « رد النيجرية » (جمال الدين الحسيني) جرياً على عادة الإيرانيين في توقيعهم ، ويؤيده جواب الإمام الزنجاني حينما كان يخطب في القاهرة على ألوف بضمنهم الوزيران المفوضان ، الإيراني ، والأفغاني ، إذ سأله سائل عن السيد جمال الدين هل إيراني هو أو أفغاني ؟ فأجاب الإمام على الفور بلباقة مدهشة وقال :

ينبغي أن ينسب النابعة إلى بلد نبوغه ، فيجدر بي أن أقول أنه مصري ، قبل أن أفكر في نسبته إلى بلد « قطر » لم يقدره حق قدره فهتف لساحته الحاضرون أجمع حتى الوزيرين المفوضين ، إتضح من هذا البيان الموجز أن السيد جمال الدين كان فيلسوفاً عارفاً بدقائق الفلسفة وأنه مكث في القاهرة مدة بعيدة قضاها في التدريس فإذا يحار الإنسان إذ لا يجد آثار فلسفته في معاهد القاهرة .

ولانستطيع أن نجيب على هذا الاعتراض الواضح إلا بأن نستمد أيضاً من تصريح الإمام الزنجاني في بعض خطبه في القاهرة وهذا نصه :

في عصور التفهقر العلمي والعقلي والسياسي في الشرق العربي ، أعتبرت الفلسفة عدواً للدين ، وأدى ذلك إلى تحريم دراستها في المعاهد الدينية ومراكز الثقافة ، - سوى معاهد طهران ، ومعاهد النجف الأشرف - وأخذت مصر بقسط وأفر من ذلك التحريم ، حتى فيما يتعلق منها بعلم الكلام ، ولكن كانت صدور بعض الناهيين من رجال الدين والعلم في القاهرة تحمل أثراً ضئيلاً من علاقة الدين بالفلسفة ، وبقايا التراث الفكري العربي الإسلامي ، وهذا الأثر على قلته ، وعلى كثافة الحجب التي أحكمها عليه ضيق الفكر والتعصب والجهل ، بقيت شعلته تتأجج فساعدت على تهيئه الوسط المناسب لفيلسوف الشرق السيد جمال الدين الحسيني ، فوجد في بعض أساتذة الأزهر ، وفي بعض رجال مصر استعداداً لقبول أفكاره التجديدية ، وتبشيره بالإصلاح العقلي ووجد أيضاً أن مذهب النشوء والإرتقاء يضم تحت لوائه عدداً غير قليل من الناشئين ،

لأنّ هذا المذهب يستهوي العقول التي لم تتعرف إلى ضروب أخرى من التفكير الفلسفي العميق ، فتصدى للردّ عليه وعلى مايتفرّع عليه من الشبهات التي يلقيها الأجانب ، وأخذ يبيث الحقائق الفلسفية في مصر ليكون الإعتماد على مآخذ فلسفية أعمق من تلك التي تمسكت بها أصحاب مذهب النشوء والتي ارتكزت عليه الشبهات المتفرعة عليه وفي عصره تلمست مصر صوراً من الحقائق الفلسفية وتذوّقت إستقلال الفكر وحرّيته .

ويظهر من هذا البيان الذي يصوّر الحقيقة أنّ الظروف ألجأت الفيلسوف جمال الدين إلى أن يتخذ من الفلسفة أداة لتثبيت دعائم الاسلام وترسيخ العقيدة الدينية تمهيداً للنهضة السياسية ، وبالفعل بدأ نشاطه السياسي في مصر وكان له فيها شأن عظيم .

وهو وإن تعرّث فيها في حياته ولكنه نجح في تهيئة رجال لها نجحوا من بعده .

وتظهر هذه الحقيقة جليّة واضحة في جريدة « العروة الوثقى » وفي مؤلفات تلميذه الوحيد الشيخ محمد عبده ، إذ لا يوجد فيها شيء من الفلسفة المصطلحة ، فلاغروفي أن يدرس علم الكلام في المعاهد المصرية تحت عنوان الفلسفة .

ويؤيد التاريخ الدقيق الكتابان السياسيان للسيد جمال الدين الحسيني الشهير بالأفغانى المنشوران في مجلة « المنار » المصرية وكلّ واحد منهما يدل دلالة واضحة صريحة على أنّه صادر عن رجل شيعي وإيراني ، نكتفي هنا بذكر فقرات من أحدهما ، وهو الكتاب الذي أرسله السيد جمال الدين من البصرة إلى رئيس مجتهدى الشيعة في سامرة « سرّ من رأى » وهذا نصّه :

بسم الله الرحمن الرحيم

حقّاً أقول : أنّ هذا الكتاب خطاب إلى روح الشريعة المحمدية (ص) أينما وجدت ، وحيثما حلّت وضراعة تعرضها الأمة على نفوس زاكية تحقّقت بها ، وقامت بواجب شؤونها ، كيفما نشأت وفي أي قطر نبغت ، ألا وهم الأولياء فأحببت عرضه على الكلّ وإن كان عنوانه خاصّاً :

حبر الأئمة ، وبارقة أنوار الأئمة دعامة عرش الدين ، واللسان الناطق عن الشرع المبين ، جناب الحاج الميرزا محمد حسن الشيرازي صان الله به حوزة الاسلام ، وردّ كيد الزنادقة اللثام .

لقد خصّك الله بالنيابة العظمى ، عن الحجّة الكبرى ، وإختارك من العصاة الحقّة ، وجعل بيدك أزمة سياسة الأئمة بالشريعة الغراء . وحراسة حقوقها بها^(١) ، وصيانة قلوبها عن الزيغ ، والإرتياب فيها وأحال إليك من بين الأناس (وأنت وارث الأنبياء) مهام أمور تسعد بها الملّة في دارها الدنيا وتحظى بالعقبى ، ووضع لك أريكة الرئاسة العامة على الأئمة والنهي ، إقامة لدعامة العدل ، وإنارة لمحجّة الهدى وكتب عليك بما أولاًك من السيادة على خلقه حفظ الحوزة والدود عنها ، والشهادة دونها على سبيل من مضى .

وإنّ الأئمة قاصيها ودانيها ، وحاضرها وباديها ، ووضعها وعاليها ، قد أذعن لك بهذه الرئاسة السامية الربانيّة ، جاثية على الركب خاّرة على الأذقان ، تطمح نفوسها إليك في كل حادثة تعروها ، تطلّ بصائرنا عليك في كلّ مصيبة تمسّها ، وهي ترى أن خيرها وسعدها منك ، وأنّ فوزها ونجاتها بك وأنّ أمنها وأمانيتها فيك .

فإذا لمح منك غضّ طرف ، أو نبت بجانبك لحظة ، وأمهلتها وشأنها لمحة ،

(١) الراسخ في أذهان بسطاء الشيعة أنّ العالم الديني ومرجع التقليد يجب أن لا يعرف شيئاً من السياسة ويلزم أن يكون بعيداً عنها وإنّ معرفة السياسة تخالف الورع وهذا الرسوخ نتيجة تأثير أشباه العلماء والدجالين في هؤلاء البسطاء ، ولكن الإمام الزنجاني نبّه الغافلين بكلمة قوية تناسب أن تكون شرحاً لكلام السيّد جمال الدين في هذا المقام وهي :

إنّ الإمام الحادي عشر العسكري (عليه السّلام) علّم شيعته في الزيارة الجامعة الكبيرة ، أن يحاطبوا الأئمة الإثنا عشر (عليهم السّلام) بكلمة (وساسة العباد) والمجتهد المرجع لتقليد الشيعة هو نائب الإمام (عليه السّلام) فيجب أن يتّصف النائب بصفات المنوب عنهم ويعرف سياسة العباد والبلاد لكي يتخلّص عن أحابيل شياطين السياسة ، وعن إغواء أعوان المستعمرين وإلّا صار مطيّة الإستعمار والسياسة .

إرتجفت أفئدتها ، وإختلت مشاعرهما ، وإنتكشت عقائدها ، وإنهدمت دعائم إيمانها . نعم لا برهان للعامة في مادانوا إلا إستقامة الخاصة في مأمروا ، فإن وهن هؤلاء في فريضة أو قعد بهم الضعف عن إماطة منكر ، لأعتور أولئك الظنون والأوهام ، ونكص على عقبيه مارقاً من الدين القويم ، حائداً عن الصراط المستقيم .

وبعد هذا وذاك وذلك أقول : إنّ الأمة الإيرانية بمادهمها من عراقيل الحوادث التي آذنت باستيلاء الضلال على بيت الدين ، وتطاول الأجانب على حقوق المسلمين . . . الخ .

ثم وصف السيد جمال الدين في كتابه سوء سريرة الملك « الشاه » ووزيره الأعظم ومأعطياه من الإمتيازات إلى الأجانب ثم يذكر إمتياز التنباك « التبغ » وحق إحتكاره الذي جعلته الحكومة الإيرانية لشركة انجليزية سنة ١٣٠٩ هـ - ١٧٩٠ م ومايتبعه من المراكز ومحلات الحرث وبيوت المستحفظين والحاملين والبائعين . ويقول أخيراً : ومن أليق بهذه وأحرى بها من إصطفاه الله في القرن الرابع عشر وجعله برهاناً لدينه وحجة على البشر .

وهذه العبارات كلها لاتصدر إلا من الشيعي الإيراني ، وأزيد على هذا أن بعض الثقات المقربين من آية الله الحاج الميرزا محمد حسن الشيرازي « قدس سره » حكى لنا أن آية الله الشيرازي عرض له هذا الكتاب وكان التوقيع عليه بهذه العبارة : « مقلدكم جمال الدين الحسيني » .

وأضاف هذا الناقل الموثق قائلاً : أنّ أصل الكتاب كان أخصر من المنشور في مجلة المنار ، وأكد أنّ مستهل الكتاب هو : حبر الأمة وبارقة أنوار الأئمة . . . الخ . وما تقدم عليه زيادة أضيف إليه فيما بعد ويؤيده أنّ آية الله الشيرازي قبل نصيحة السيد وأصدر فتوى حرّم بها على كلّ مؤمن تدخين التنباك « التبغ » مالم تعدل الحكومة عن مشروعها وقد اضطرت إلى العدول عنه ودفعت للشركة تعويضاً .

ولم يكن ذلك إلا لعلمه بأن السيد جمال الدين عالم شيوعي إيراني مخلص لدينه ووطنه .

إذ كان في درجة المحال أن يقبل المرجع الأعلى للشيعه في ذلك الموقف الدقيق وفي تلك الظروف المليئة بالدسائس السياسية وحيل الأجانب ، نصح رجل سني أفغاني فيصدر فتواه إعتقاداً عليه ، ولايشك في هذا كل من له إلمام بأوضاع ذلك الزمن .

الإمام الزنجاني

أدهش علماء الأزهر وأساتذة الجامعات

٨ - جريدة « جهره نما » المصرية العدد ٧ من السنة الثالثة والثلاثين آذار ماه ١٣١٥ ديسمبر ١٩٣٦ ، الترجمة حرفياً :

بمناسبة ذكر الحفلات التكريمية الشعبية والرسمية التي أقيمت في مصر تكريماً لسياحة الإمام الزنجاني ، جدير بنا أن ننوه على أن سياحته قد جذب وأدهش علماء الأزهر وأساتذة الجامعة ودار العلوم وجميع الطبقات والشخصيات العلمية والدينية والرسمية بمثانة آرائه وغزارة علومه وفلسفته وإعجاز بيانه وساحر أسلوبه وسعة إطلاعه وعظمة نفسه وجاذبية روحه وخلوصه الاسلامي .

ولبت دعوته جميع الشخصيات البارزة حتى سمورئيس مجلس الوصاية ودولة رئيس الوزراء وفضيلة شيخ الأزهر وغيرهم .

رئيس مجلس الوصاية

يستقبل المصلح الأكبر الشيخ الزنجاني

٩ - إستقبل صاحب السمو الملكي الأمير محمد علي رئيس مجلس الوصاية ومعه صاحباً المقام الرفيع : عبدالعزيز عزت باشا وصبري باشا العضوان في

سراي عابدين سماحة الإمام المصلح الأكبر الشيخ عبدالكريم الزنجاني إستقبالاً يليق بمقامه الديني والعلمي الرفيع وهنّؤه بماناله من إعجاب المصريين بسماحته حكومةً وشعباً ، وتمنّوا أن يتمّ الاتحاد الإسلامي ، والوحدة العربية على يديه الكريميتين بإخلاصه الديني ، ونبوغه العلمي ومركزه الديني السامي في الشرق ، فأجاب الإمام الزنجاني وشكر سَمّوه والمجلس وقال :

إن ماتذوّقته من الاستعداد اللبق الذي أخذت به مصر حكومةً وشعباً للحفاوة بي أثناء زيارتي هذه الديار المصرية ، يسبغ عليّ إقتناعاً بأنّ مصر تقدر العلم والدين والمصلحين ، وأنّ من نعم الله عليّ أن أزور مصر في الوقت الذي نالت إستقلالها ويدير دفة سياستها الاستقلالية العليا سموّكم وزملاؤكم صاحباً المقام الرفيع العضوان .

ثمّ رغب سَمّوه إلى سماحته في أن يتفضّل ببيان بعض المميّزات المذهبية وشروط الاجتهاد ومايراه صالحاً للمسلمين في الظروف الحاضرة فقال الإمام الزنجاني :

إن فتح باب الاجتهاد ووجوب تقليد المجتهد الأعلّم في مذهب الشيعة أوجداً مجالاً واسعاً لعلمائهم أن يتنافسوا في درجات العلوم بالتسابق لابلتدافع ، وهذا منشأ النشاط العلمي في معاهد النجف الأشرف وسائر الأوساط العلمية في بلاد الشيعة ، ويلزم تخصّص المجتهد الشيعي في عدّة علوم . هنا قطع سَمّو الأمير حديث الإمام مستغرباً : تخصّص شخص واحد في عدّة علوم . وقال سَمّوه : التخصّص في علم واحد صعب فكيف يمكن التخصّص في علوم متعدّدة ؟ !

أجابه الإمام قائلاً : نعم هذا أمر ممكن وواقع فعلاً وقد حضر مجتهد الشيعة في جامع الأزهر^(١) وفي الجامعة المصرية وعرف فضيلة شيخ الأزهر وعلماء الأزهر وأساتذة الجامعة تخصّصه في علوم كثيرة فاسألوهم إن كنتم لاتستيقنون ، وحينئذ

(١) يعني الإمام نفسه .

نزل سَمُوهُ عن منصّته الرسمية وتركها . وجلس سَمُوهُ على كرسي إعتيادي أمام الإمام الزنجاني ، وانقلب ذلك المقام الرسمي السامي إلى مدرسة علمية يلقي فيها الإمام درساً علمياً ودينياً على المستمعين ، وهم رئيس مجلس الوصاية ، والعضوان والوزيران المفوضان للعراق وإيران وكبار الموظفين الذين كانوا يستمعون للدرس من الخارج . وإستغرقت الجلسة ساعة ونصف الساعة تجلّت خلالها شدّة تمسّك مجلس الوصاية بالدين وتعظيمه لشعائره ، مع غزارة معلومات رئيسه وأعضاءه وإعجابهم بعلوم الإمام وبيانه المعجز ، وإيمانهم برسالته الإصلاحية وتلبّيتهم لدعوته إلى الوحدة الإسلامية المرتكز على الوحدة العربية وشايعوه عند الانصراف حتّى باب القصر^(١) .

الامام الزنجاني في قصر النيل

وجّه صاحب السَمَوِ الملكي الأمير محمّد علي رئيس مجلس الوصاية في مصر دعوة إلى سماحة الإمام الزنجاني راجياً أن يشرف « قصر النيل » في الروضة يوم الجمعة ليقم في جامعہ فريضة الجمعة إماماً وأجاب الإمام الدعوة ، ولما حضر في موكب فخم تحفّ به الوزراء والعظماء والوزراء المفوضون للحكومات الإسلامية ورئيسا مجلسي النواب والشيوخ أطلعه سَمُوهُ على كثير من مزايا المسجد وخصوصيّاته التي أخذت كلّ واحدة منها من أحد المساجد الإسلامية في العواصم الشرقية والغربية .

وبعد أداء الفريضة إستصحبه سَمُوهُ إلى غرفته المخصصة المؤسّسة بالأساس الوطني الخالص ووصفها سَمُوهُ للإمام بأنّها غرفة وطنية لا يوجد فيها شيء غير وطني ، فمكثا فيها ساعتين تناولا خلالها أطراف الحديث في مواضيع إسلامية هامّة وإتفقا على مشروع الوحدة الإسلامية في جوّ مملوء من الصفاء والثقة المتبادلة ، حتّى أنّ

(١) الجهاد المصرية ٢١ رمضان ١٣٥٥ - ٥ ديسمبر ١٩١٦ وألف باء الدمشقية

٢٠ كانون ١٩٣٦ .

سمّوه شرح لسماحته أسرار العائلة وأسفاره الكثيرة وتجوّله في أوروبا والعارض الذي إعتراه في عينيه في حفلة تشييع جنازة الملكة فيكتوريا والأسباب التي ألجأته إلى ترك الزواج رغم أن سمّوه يملك الأراضي الواسعة والأملاك الشاسعة وهو أوّل المثرين في مصر ، وحاول سموه أن يقدّم مساعدة مالية كبيرة بصورة مستمرة كراتب لسماحته لينفقها على معاهد النجف الأشرف ولكن سماحته مع تقديره لهذه العاطفة السامية أبى وامتنع عن قبولها وقال : إنّي شخصياً لم أقبل ولن أقبل مالاً أو هديّة من أحد أصلاً ، وأمّا معاهد النجف الأشرف فهي غنيّة عن هذه المساعدات - رغم عدم أوقاف لها - وذلك لأنّ العلماء والطلاب عند الشيعة يشاركون الأغنياء في أرباحهم بمقدار الحقوق الشرعية من قبيل الخمس وسهم الإمام والزكاة وأشباهاها .

ومن الجدير بالذكر أنّ سمّو الأمير كان يتكلّم باللغة التركية التي يجيدها الإمام أيضاً ، وفي أثناء المذاكرة قال الإمام لسمّوه : « إنّي أحسّ بشيء أجنبي في غرفتكم هذه التي وصفتموها بأنّ كلّ شيء فيها وطني ومصري وهذا الأجنبي لغة التخاطب ، فاعتذر سمّوه مبتسماً ، وتفضّل فتكلّم باللغة العربية ، وبعد إنتهاء المفاوضات والقرارات ودّع سمّوه الإمام الزنجاني وداعاً مؤثراً وقال سمّوه : « إنّي في حياتي لم أجتمع بعالم ديني أعظم من سماحتكم ، وخرج لمشايعته إلى باب القصر .

وليمة نائب رئيس مجلس الوصاية

تكريماً للإمام الزنجاني

١٠ - أولم صاحب المقام الرفيع عبدالعزيز عزّت باشا الرئيس الثاني لمجلس الوصاية - نائب الرئيس - وليمتين في داره العامرة تكريماً للإمام الزنجاني ، دعى إلى الثانية الوزراء المفوضين للدول الاسلاميّة ولفيفاً من العظماء وكبار الأساتذة والعلامة الكبير صاحب العزّة الأستاذ فريد وجدي وزعيم مسلمي الصين السيّد

عبدالرحيم ماسونتين ، وغيرهم وإمتدت الحفلة من المغرب حتى الساعة التاسعة والنصف مساءً .

ودارت بينهم مفاوضات مهمّة ، وإقتنع جميع الحاضرين برسالة الإمام الزنجاني وقرّروا الشروع في العمل لتحقيق الوحدة الاسلامية بإتفاق الآراء ، وكفى شاهداً لنجاح الإمام كتباً سموه وهذا نصّه :

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الإمام الأكبر الشيخ عبدالكريم الزنجاني .

السّلام على فضيلتكم ورحمة الله وبركاته .

تلقيت مع عظيم الغبطة كتابكم الكريم يفيض عن معان سامية ويعبر عن نفس ملأ جوانحها حبّ الإصلاح ، وإشرأبت إلى المثل العليا في هدى الدين الحنيف فما إبتغت غيره مقصداً .

وفي ظلاله الوارف طافت المدن والأمصار فما إزدادت بها إلّا تمسكاً ولقد عشقنا في فضيلتكم هذه الخلال ، وتعشقنا هاتيه الفضائل فكانت حفاوتنا بكم إعترافاً بهذه الصفات ، فليس أحبّ إلى نفوس عامرة بصادق الإيمان من أن تسند الفضل إلى ذويه إستمسكاً بالعروة الوثقى ورعاية للأخذ بالمثل العليا ، وليس أحبّ إلى قلبي من أن أرى الإسلام يعود إليه مجده ، وأرى مسلمي العالم والشرق خاصّة متضافرين على ضوء إرشادكم ومتساندين على رفعة الاسلام ، آخذين بأحكام كتاب الله الكريم ، وهدى نبيّه الرسول الأمين (صلى الله عليه وآله) .

ويسرّني أن تعقبوا على هذه الزيارة فذاك بخير ما نرجوه لكم من صحّة موفورة وهناء مقيم ، كما أرجو أن تبلغوا أخلص تحيّاتي وأمثلها إلى حضرات إخوانكم علماء النجف وإلى إخواننا في الاسلام جميعاً ، وفي الختام تقبلوا أعظم أشواقي وتحّيّاتي .

١٧ ربيع الأوّل ١٣٥٦

عبدالعزيز عزّت

(١١)

النظام الاقتصادي أكبر معجزة في الاسلام

أجاب الإمام الزنجاني دعوة باعث النهضة الاقتصادية في مصر سعادة محمد طلعت حرب باشا ، فزار الصرح الوطني العظيم أي « بنك مصر » المؤسسة القومية الكبرى والمنشآت الملحقه بها ، وكان في إستقباله سعادة صاحب الدعوة وموظفوا البنك وشركاته وبعد أن زار سماحته أقسام البنك وطاف بحجراته وخزائنه الحديدية وأعجب بمشاهدته زار مكتب الرئيس وألقى طلعت باشا كلمة نفيسة قال فيها : أنه يأسف لغياب سعادة مدحت يكن باشا رئيس مجلس إدارة البنك بسبب مرضه - وبعد أن أبلغ سعادته إلى سماحته تحية مدحت باشا ، وشكر البنك ورجاله على هذه الزيارة قال : إنَّ البنك تأسس منذ ستة عشر عاماً برأس مال قدره « ٨٠ » ألف جنيه فتمى وترعرع في خلال هذه السنوات حتى بلغ رأسماله مليون جنيه ، وإحتياطه مليوناً آخر زيادة على الشركات الأخرى التي أسسها البنك ، وذلك بفضل الثقة العظيمة التي يوليها المصريون لهذه المؤسسة القومية ، وقال سعادته : إنَّ جميع موظفي البنك من المصريين ، وإن عملائه هم الأمة المصرية كلّها وأنه كان يرجو من إنشاء هذا البنك إنشاء مدرسة فانتهى به الأمر إلى إنشاء مدرسة وبنك .

فردَّ سماحة الإمام الزنجاني على كلمة سعادته شاكرًا مألقيه من حفاوة البنك وشركاته ، وقال : « إنَّ ما شاهدته في مصر من عجائب إقتصادية لا يقل روعة عما شاهدته من عجائب الآثار ، وأهنتكم وزملائكم على سلسلة المشاريع الناجحة التي يقوم بها بنك مصر بدقّة ونظام ، لفت نظري في المصانع التي زرتها اليوم ، كما إنني أهنتكم على الحالة الطيبة التي رأيت فيها العمّال وقد بدت على وجوههم السعادة في كل مصنع من المصانع وهذا أهم شيء عني به الاسلام .

ودعي سماحته إلى استديو شركة مصر ، وكان طلعت باشا ينبئه بتاريخ هذه الصناعة ، ويعرض عليه بعض منتجات الشركة وطلب السماح من سماحته أن يأذن بتسجيل رسالة لسماحته ليرسل صفحتها الفنية إلى أهله وذويه في النجف الأشرف فأجاب سماحته ذلك قائلاً إن أهلي واخوتي جميع المسلمين ، فكانت كلمة سماحته المسجلة نداءً عاماً وجّهه إلى جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها قال فيه :

« إخواني المسلمون . إنّ النظام الإقتصادي أكبر معجزة في الإسلام قرّره الدين الحنيف لمعالجة الفقر والجهل والمرض ، وإنّ الإستغناء الاقتصادي دعامة الاستقلال المعبر عنه في الفقه الاسلامي بكلمة (حفظ بيضة الاسلام) وأوجب على كلّ مسلم أن يضحي نفسه ونفيسه دون حفظ بيضة الاسلام أي (إستقلال الممالك الاسلامية) وبنك مصر قائم بهذا الواجب الاسلامي أحسن قيام فاتّخذوه قدوة لأنفسكم واعلموا أن دعوتي إلى توحيد كلمة المسلمين ترمي أيضاً إلى توحيد آرائهم وجهودهم الاقتصادية ، والنهوض بالنظام الاقتصادي إلى أقصى حد مستطاع للتخلص من إرادة رؤوس الأموال الأجنبية التي تتحكم في رقاب المسلمين منذ مئات السنين ، مع العلم بأن سبب نجاح بنك مصر هو أولاً في الابتعاد عن زحام السياسة والحزبية ، وثانياً في إخلاص أسرة البنك واعلموا أن أفضل الطرق الفعالة لتجديد قوى الحياة في الأقطار الاسلامية والشرقية اصلاح النظام التعليمي وتوجيهه في اتجاه عملي . وفتح أبواب العمل في الصناعة والزراعة والتجارة للشباب الأذكياء الذين يبحثون عن رفاهيتهم واستقلالهم وحرّيتهم الصحيحة ، وإنّ في يد كل أمة اسلامية وشرقية - مهما كانت الظروف التي تحيط بها - أن تستعيد مجدها وعزّها وأن تصل بقوة إرادتها ومثابرتها في العمل واستمرار جدّها وقوة إيمانها إلى المكان الذي تريد أن تكون لها في الحياة والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين » .

نص كتاب نائب رئيس مجلس إدارة بنك مصر

مكتب عضو مجلس إدارة المنتدب .

القاهرة في ٢٥ مارس سنة ١٩٣٧ .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الإمام الأكبر الشيخ عبدالكريم الزنجاني .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تسلّمت مع عظيم الشرف كتابكم الرقيق الذي يفيض بالعظمة التي
تفتكر ، وتخاطر ، وتنجح ، لقد تبينتم ما أصاب المسلمين من الوهن والفرق ،
فاعتزمتم أن تحملوا على كتفيكم ذلك العبء الديني الأقدس ، وخطوتم
خطوتكم المباركة نحو تحقيق الوحدة الاسلامية فكانت كلّ خطبة من خطبكم ،
بل كلّ كلمة من كلماتكم كحكم القدر العادل ، على الوضع الخاذل ، وأصبحت
أعمالكم العظيمة لدى مئات ملايين المسلمين مفخرة الاسلام وسند المستقبل
الغامض ولست أجد غير كلمة الشكر أن أزجيها إلى فضيلتكم على إحساسكم
الرفيع وشعوركم النبيل وغير أطيب الدعاء أبتهل به إلى الله أن يحفظكم لخدمة
الاسلام والمسلمين وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

محمد طلعت حرب

(١٢)

المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين

شارع الملكة نازلي بالقاهرة

١٠ نوفمبر ١٩٣٦ القاهرة في ٢٥ شعبان ١٣٥٥ / ١٨٥٠

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني

حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد ، فإن من بواعث سروري أن أتشرف بإبلاغ فضيلتكم أن الجمعية العمومية المنعقدة في ٢٠ رمضان سنة ١٣٥٤ - ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٣٥ قد حوّلت مجلس الإدارة أن ينتدب لعضويته عضواً أو اثنين من عظماء الرجال الذين اشتهروا بالإهتمام بشؤون الاسلام عن كلّ قطر من الأقطار الاسلامية يكون له أولهما حق حضور جلساته ، وأن تكون آراء حضرات الأعضاء المنتدبين قاطعة في الشؤون الاسلامية العامة .

وقد وقع إختيار المجلس على فضيلتكم ويسرّه أن تفضلوا بقبول هذه العضوية التي لها مغزاها النبيل السامي ، من تكوين رأي إسلامي عام في المسائل الاسلامية الهامة التي تنطوي عليها رسالتكم الاصلاحية .
وإنّا نسأل الله تعالت قدرته أن يوفقنا جميعاً إلى العمل لخير الاسلام والمسلمين .

الرئيس

لجمعيات الشبان المسلمين

عبد الحميد سعيد

(١٣)

خليفة سعد زغلول ورئيس الدولة يحتفي بالإمام

كانت الحفاوة البالغة التي أظهرها صاحب الدولة مصطفى نحاس باشا رئيس الوزراء ، وخليفة سعد زغلول باشا ، ورئيس حزب الوفد لساحة الإمام الزنجاني ، طيلة وجوده في مصر ، أجّل من أن توصف ، فقد رحّب بالإمام أجمل ترحيب مدعناً برسائله وكان عاملاً قوياً لتحقيق دعوته وقد إنتهز دولته هذه الفرصة الثمينة فأدلى إلى الإمام - في جلسة مخصوصة إمتدّت ساعتين - بالقضية المصرية منذ بدء تكوينها إلى حين إنتاجها في عهد دولته ، ببلاغته المشهورة راغباً إلى الإمام في أن يبدي ملاحظاته حولها .

وقد أظهر الإمام شدة إرتياحه لما ظهر له من أن الحركة الوطنية في مصر في جميع أدوارها كانت مستهدفة لأمر ممكن الحصول ، وقال : أعتقد أن هذا هو سرّ نجاح رجال الحركة العظام هذا النجاح الباهر .

ولمّا أهديت كتب من دار العلوم والجامعة إلى الإمام وقع نظره في كتاب « تاريخ الفتح الاسلامي » في الصحيفة ٤٥٧ على كلمة تنسب إلى مصعب ، تمسّ كرامة قدماء أهل العراق ، فاستاء منه كثيراً وطلب من دولة الرئيس أن يأمر بأن لا يوضع هذا الكتاب وأمثاله في متناول أيدي الطلاب في المعاهد العلمية فأجاب دولته فوراً هذا الطلب . ولدولته كتاب بخطّ يده أرسله إلى النجف الأشرف وإلى القارئ نصّ هذا الكتاب حرفياً :

رئاسة مجلس الوزراء - مكتب الرئيس .

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الإمام الأكبر الشيخ عبدالكريم الزنجاني أبلغكم أطيب التحيات ، وأخلص الأمناني .

أما بعد ، فقد تشرفت اليوم باستلام خطابكم المؤرخ ١٧ ذي الحجة ١٣٥٥ فكان له أحسن وقع في نفسي لما إنطوى عليه من صادق الإخاء ، وخالص الوفاء وإستمراركم في إرشاد الأمم ، وبثّ الحكم ، فقد صحّ في فضيلتكم ذلك التعريف الذي عرّف بعضهم (العالم) فقال : هو قبل كلّ شيء العالم بأحوال عصره ومصره ، وإنّي لا يسعني إزاء ما آتيتكم من فضل ، وأظهرتم من كرم إلّا ترديد سجاياكم الحميدة ، وخلقكم السامي المتين الذي أسرتم به كلّ من كان له شرف التعرّف إليكم بمصر ، فأرجوا أن تتفضّلوا بقبول جميل شكري وعظيم ثنائي ، مع تهنّتي القلبية بعودتكم إلى النجف سالمين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ذو الحجة ١٣٥٥

مصطفى النحاس

الإمام الزنجاني وزعيم مسلمي الصين

إنتهز فضيلة السيّد عبدالرحيم ماسونتين زعيم مسلمي الصين فرصة وجود الإمام الزنجاني في القاهرة ، وقابله عدّة مرّات وعرض لسياحته أوضاع مسلمي الصين القاطنين في الجهة الشمالية المتاخمة لبلاد التركستان ومثلهم في الجلسات ، ووافق في القرارات المتّخذة في شأن الوحدة الإسلامية ، والقضايا الإسلامية العامّة ، وقال الزعيم الصيني في إحدى مقابلاته للإمام : « إن مصر ملتقى الثقافات شريقيها وغربيها ، وآية ذلك أنّي تمكّنت فيها من مقابلة أعظم أئمة المسلمين مثلك (يعني الإمام الزنجاني) في مقدوره أن يمدّ إلينا يد المساعدة خصوصاً ، وإن علاقة الصين ببلاد العرب والفرس علاقة قديمة ، وقد تسرّب الاسلام من بلاد العرب على طريق بلاد الفرس إلى الصين ، حتّى أنّ أسماء العبادات الإسلامية في الصين إلى الآن كلمات فارسية ، ونحن نعبر عن الوضوء مثلاً بكلمة (آب دست) ، فردّ عليه الإمام الزنجاني بماملخصّه : نحن على إستعداد لمساعدتكم سواء كان من ناحية الكتب العلمية في الثقافتين العربية والفارسية وفي أي لغة تفهم في الصين ، وكذلك من ناحية رجال الدين الذين يمكن أن يستفيد منهم إخواننا المسلمون في بلادكم ، وكم أكون سعيداً لو تفضّل السيّد ماسونتين بزيارة النجف الأشرف ، تلك البلدة العريقة في المدينة ، فقد ازدهرت بالعلوم والمعارف منذ عهد هارون الرشيد ، وهذا كما تعلمون قبل أن يوجد الأزهر المعمور بمراحل ، ففيها تدرس جميع العلوم الدينية والدينية والفلسفية .

فردّ الأستاذ ماسونتين قائلاً : من دواعي الغبطة والشرف أنّني نلت بتوفيق الله تعالى حظوة التحدّث إلى فضيلتكم وسأحمل إلى بلادي بشرى رسالتكم الإصلاحية السامية التي أشرفت على الكنانة وأضاءت الأقطار الإسلامية

وسيعتقها خمسون مليوناً في بلادنا ويستعيدون بها مجدهم القديم ^(١) .

(١٥)

كلمة العلامة الجليل صاحب العزة فريد وجدي ^(٢)

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني شيخ علماء النجف الأشرف بالعراق ، قدم راسخة في مجال الفلسفة على وجه عام ، والفلسفة الاسلامية على وجه خاص ، وقد زار مصر في سنة ١٩٣٦ فكشف عن عيلم علم ودين ، ونال إعجاب العلماء المصريين وتقديرهم العظيم .

أهدانا فضيلته بكتاب له جديد اسمه « دروس الفلسفة » وهذا الكتاب يكشف من سمو الفلسفة العربية ما لا يكشفه كتاب غيره ، ويحاكم الفلسفة العصرية محاكمة دقيقة تبيّن منها حاجتها إلى التكافل مع الفلسفة الاسلامية وهذا مرمى بعيد المدى ، جدير بإطالة النظر وإجالة الرويّة .

ولأظنّ أنّ الفلسفة الاسلامية وجدت مدافعاً عنها أكثر غيرة عليها وأدقّ نظراً فيها من فضيلة الأستاذ الإمام الزنجاني ، أثابه الحقّ على عمله الطيّب .

(١٦)

سيّدات مصر يحفظن خطب الإمام الزنجاني ومحاضراته

زارت السيّدة « قوت القلوب » زعيمة الدمرداشيّة في القاهرة العراق وزارت مدينتي كربلاء والنجف الأشرف ، ولم تفتها أن تزور فيهما أعلام علماء الشيعة الإمامية .

ولما مثلت أمام الإمام الزنجاني - بحضور متصرّف لواء كربلاء معالي السيد

(١) جريدة الجهاد المصريّة ٢٠ شعبان ١٣٥٥ - ٥ نوفمبر ١٩٣٦ .

(٢) مجلة الأزهر - الجزء العاشر - المجلد الحادي عشر . شوال ١٣٥٩ .

أحمد مختار بابان (رئيس الديوان الملكي الآن) - قالت : سيدي الإمام الزنجاني ، أحمّل إلى فضيلتكم تحيات سيّدات مصر المثقّفات السلاّتي أجبّن دعوتكم الاصلاحية وحفظن من خطبكم القيّمة ، وإعتدلن في نهضتهن على ضوء إرشادكم الديني السامي .
وإني لفخورة بأن أخبر فضيلتكم أنّي حافظة ستّا من محاضراتكم القيّمة .

(١٧)

أشعة العظمة العلميّة للشيعة الإمامية وللنجف الأشرف

أشرق اسم النجف الأشرف ، وتجلّت عظمتها العلميّة والدينيّة والفلسفيّة ، ولتّضحّت حقيقة مذهب الشيعة الإمامية في مشارق الأرض ومغاربها على وجه عام . وفي الشرق الاسلامي والعربي على وجه خاص بسبب رحلة الإمام الزنجاني التاريخيّة ، إشرافاً وتجليّاً وإيضاحاً لم يسبق لها نظير في التاريخ ، ولقد أجاد الأستاذ الجليل السيّد رشيد مرتضى (شاهد العيان) في كلمة كتبها في مقدمة مذكراته عن رحلة الإمام الزنجاني ، وهي : « كان شعاع مذهب الشيعة الإمامية قبل رحلة الإمام الزنجاني إلى الأقطار الإسلامية لا يزيد فيها على ضوء ضئيل بنسبة واحد بالمائة من شعاع شمعه واحدة ضئيلة ، ولكنّه بعد رحلة الإمام ، وبعد إنتشار علومه في خطبه ومحاضراته زاد عن أشعة مائة ألف مليون شمعة كبيرة قويّة » .

ويؤيده ماجاء في كلمة الأستاذ الأكبر المراغي شيخ الجامع الأزهر في إحتفال الأزهر تكريماً للإمام الزنجاني ، وهذا نصّه :

إعتاد الناس أن يبدووا حفلاتهم التكريمية بذكر مناقب المحتفل به ولكنّي حينما أتحدّث عن فضيلة الأستاذ الإمام الزنجاني العالم المجتهد الشيعي الكبير الذي تحتفل به اليوم ، لايمكنني إحصاء مناقبه وصفاته وخصاله وعلومه وفلسفته .

سأحدّثكم قصيراً عن معهد النجف الأشرف الذي قام علماءؤه ويقومون
بدرس العلم ورعايته للعلم وحده .

هذا المعهد العظيم الذي يقوم على حبّ العلم للعلم ، هو الذي نكرّم ممثله
العظيم الآن ، ونكرّم في فضيلته هذه الصفة ، مع بقيّة الصفات التي يمتاز بها
محّب العلم للعلم ، وهي التواضع ، وسماحة النفس .

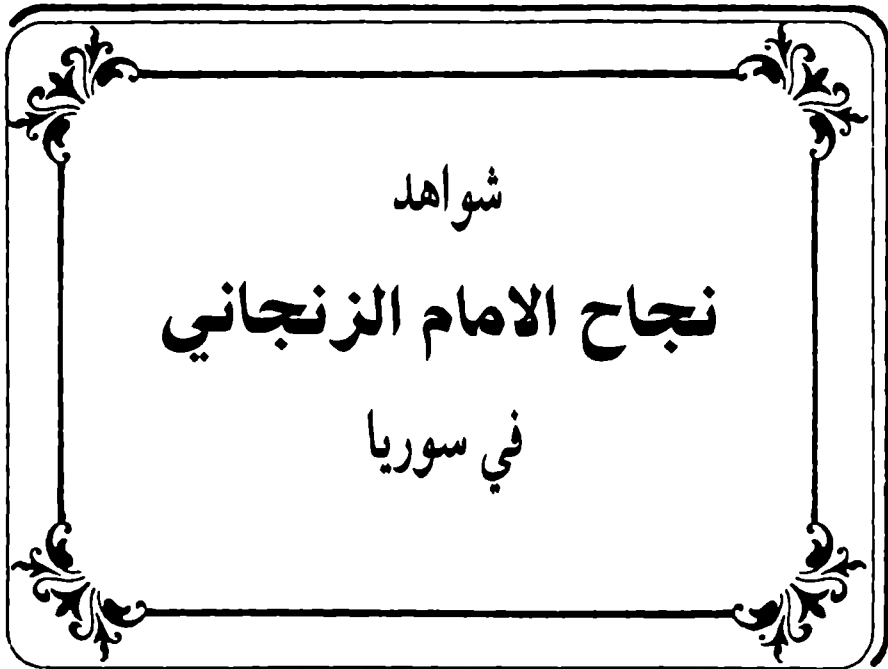
وقد رأيتم أنّي جعلت تكريم فضيلة الإمام الأستاذ الزنجاني في إدارة
الأزهر ، لأجعل في ذلك اشعاراً بأنّنا نقصد بتكريم فضيلته ، وتقديره علومه
الكثيرة وشأنه ، الاعتراف بالتقدير والتحيّة لمعهد النجف الأشرف الذي نرجو
أن نقوم بواجب الزيارة له ، ومدفنه الشريف تأكيداً لروابط العلم والأخوة
الاسلامية .

وقد أريد من هذا الاحتفال في هذا المكان - أي في إدارة المعاهد الدينية - أن
نرسل تحيّة الأزهر ، والأزهريين إلى معهد النجف الأشرف وعلماء النجف ، تحيّة
خالصة يرسلها مسلمون إلى إخوانهم المسلمين في هذا المعهد العظيم ^(١) .

(١) جريدة الأهرام المصرية ١١ نوفمبر ٢٩٣٦ - ٩ - ١١

والبلاغ المصرية ١١ نوفمبر ١٩٣٦ .

والمصري المصرية ٩ نوفمبر ١٩٣٦ والجهد المصرية ٨ نوفمبر ١٩٣٦ .





يرى الإمام الأكبر الشيخ عبد الكريم الزنجاني في الوسط يحيط به زعماء دمشق وشباب
محمد ويحاولون الانضمام بموكبه الفخيم حين توجهه إلى الجامع الأموي لإلقاء خطبته
التاريخية .

شواهد نجاح الإمام الزنجاني في سوريا

(١)

يوم الوحدة الاسلامية (١)

« المسلمون الذين فرقتهم السياسة في قرون يوحد صفوفهم الإمام الزنجاني في ساعة . . . وكانت المحاضرة الرائعة التي ألقاها الأستاذ الإمام المجاهد الشيخ عبدالكريم الزنجاني مرتجلاً في « الجامعة السورية » من أفضل المحاضرات الرائعة النافعة التي شهدتها دمشق ، وكان للبراهين الفلسفية والمنطقية ، والاستنتاجات العميقة الغور من القرآن الكريم ، وللبیان الساحر الذي للأستاذ الإمام الأكبر الشيخ عبدالكريم الزنجاني أبلغ أثر على الجماهير الغفيرة من عيون دمشق وعلماؤها ، ورجال الحلّ والعقد فيها ، ومع أنّ المحاضرة دامت زهاء ساعتين فقد كان المستمعون يرجون أن تطول أكثر من ذلك - وكان شباب محمد - سبق الشباب العاملين في سبيل الوحدة الاسلامية إلى الالتفاف حول الإمام الزنجاني والسعي لتحقيق فكرته السامية ، فكرة الوحدة الاسلامية (لا التقريب بين المذاهب الاسلامية) فحسب ، كما جاء في الدعوة التي وجهت لإستماع محاضرة الأستاذ الإمام في الجامعة .

فقد أعدوا تحت قبة النسر - في الجامع الأموي - منبراً عالياً للإمام الزنجاني ، تراحم الناس حوله بالمناكب ، بين جالس وقاعد - وقد تجاوز عددهم أربعين ألف نسمة - فألقى الإمام الزنجاني عليهم درساً بليغاً دعى فيه لجمع كلمة المسلمين ، ولأداء أجر رسالة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) والوحدة الاسلامية . . . وإمتدّ الدرس نحواً من ساعتين ، خلب به الألباب واسترعى

(١) نقلًا عن جريدة « فتي العرب » الدمشقية العدد ٨٣١٨ الإثنين ١٥ شوال

١٣٥٥ - ٢٨ كانون أول ١٩٣٦ .

الإعجاب ، وخضع المستمعون لرسائله السامية ، ثم وقف العلامة المجاهد الأستاذ الشيخ بهجة البيطار فألقى كلمة مستفيضة أثنى فيها على الإمام الزنجاني ثناءً جميلاً ، وبحث عن الوحدة الاسلامية بحثاً مستفيضاً ، وقال : إن سوريا التي لم تعرف معنى للتفرقة بين المذاهب الاسلامية تبتهج بإعلان الوحدة الاسلامية على ضوء إرشاد الإمام الزنجاني وسأل المستمعين هل يؤيدون الوحدة الاسلامية التي يدعوا إليها الإمام الزنجاني ، ويحرصون عليها ؟ فكان الجواب من الجميع بالإيجاب .

ثم تراحم الناس بالمناكب يصافح العلماء الإمام الزنجاني ويشكرونه على جهاده الجبار ومسايعه الحسنة وعمله المبرور ، ثم يشكرون الأستاذ البيطار لأنه عبّر عن رأيهم أحسن تعبير في كلمته القيّمة ، وقبّل الناس من مختلف الطبقات يد الإمام الزنجاني شاكرين له مساعيه ، مثنين على جهوده ، داعين له بالتوفيق . وخرج الإمام الزنجاني ومعه البيطار وظيفيان في مظاهرة دينية رائعة إلى خارج المسجد حيث هتف شباب محمّد للوحدة الاسلامية ، وسار موكب الإمام الزنجاني بين الصفوف المزدهمة وهتافها إلى الدار التي يقيم فيها يرافقه عدد كبير من الأساتذة والعلماء والعظماء السنين . . . الخ .

رسول الوحدة الاسلامية

وهذه خلاصة ماشهدهته دمشق في ليلة الجمعة ويوم الجمعة ١٣ شوال سنة ١٣٥٥ - ٢٤ كانون الأول سنة ١٩٣٦ الذي أطلقنا عليه بحقّ إسم « يوم الوحدة الاسلامية » .

وصفوة القول : أن مافرقته السياسة في قرون أزاله الإمام الزنجاني والبيطار في ساعة ختمت - والحمد لله - بإعلان (وحدة الأمة الاسلامية) وجمع شملها وكلمتها ، وقد كان جهاده مبروراً ، وسعيه مشكوراً ، وسلاحه الذي تسلّح به - وهو الإخلاص في العمل ، والدعوة بالحكمة ، والتضحية بالنفس والنفيس من أجل تحقيقه ، والسعي للوصول إليه بالعلم الصحيح والعقل الراجح - أمضى من

الأسلحة التي إستعملتها السياسة في قرون وظنّت أنها صدعت الصفوف صدعاً لايمكن أن يجبر كسره ، ولكن (رسول الوحدة الاسلامية الحكيم) الإمام الزنجاني ، وضع الجبر على الكسر ونحن ننتظر من الإمام الحكيم الزنجاني أن يواصل مساعيه المشكورة ، وجهاده الخالد حتى يضم مؤتمر واحد جميع المذاهب والفرق الإسلامية ، ويعيد للإسلام مجده ، وينظم الوحدة الإسلامية تنظيمًا صحيحاً ، ومالمؤتمرات العربية ، والوحدة التي سعيينا ونسعى لتحقيقها من إقليمية ، وقومية ، إلا نواة « الوحدة الإسلامية » الكبرى وقد رأى العرب من عطف مسلمي إيران ، والهند ، والأفغان ، على قضيتهم الفلسطينية مايلج الصدور ويشر بصون حرمت هذا الجزء من وطنهم من أن تبعث به الصهيونية الشريرة الفاسدة .

وسبق أن قلنا أن سوريا لاتعرف معنى للتفريق بين المذاهب الاسلامية سيما بعد أن آمنت برسالة الإمام الزنجاني الاصلاحية ، وقد أهدانا أمس الأستاذ الشيخ محمد علي ظبيان المسلم المخلص كراساً ضمّنه عقيدة (الأخوان المسلمين) وشرح ماتنطوي عليه هذه العقيدة من تعهد بتحقيقها ، وهذا نصّ المادة السادسة منها :

« أعتقد أن المسلمين جميعاً أمة واحدة يربطها العقيدة الاسلامية ، وأن الاسلام يأمر بالاحسان إلى جميع الناس ، وأتعهد بأن أبذل جهدي في توثيق رابطة الإخاء بين جميع المسلمين ، وإزالة الجفاء والاختلاف بين طوائفهم وفرقهم » .

فأكبرنا إستمرار سوريا على العمل المتواصل لتحقيق الوحدة الاسلامية ، وأن يلمس « رسول هذه الوحدة » والمجاهد من أجلها « الإمام الزنجاني » هذا السعي ، ويرتاح إليه ، وتجدد فكرته السامية تربة صالحة في سوريا فتمنوا ، وترعرع ، وتؤتي أكلها - بإذن ربّها - .

عيد الوحدة الاسلامية

والذي نقترحه على « جمعية التمدّن الاسلامي » وعلى مجلّتها المسماة باسمها

والتي سَدَّت فراغاً كبيراً في عالم الصحافة عندنا أن تحتفل بمثل هذا اليوم في كل عام وأن يتعاقب على منبر الخطابة فيه الخطباء - على إختلاف مذاهبهم التعبدية - حتى إذا ما تَمَّت الوحدة في جميع بلاد العالم الاسلامي أقر المؤتمر الاسلامي الذي يتولّى الأمر هذا العيد ، يعيده المسلمون ، ويدعونه : عيد الوحدة الاسلامية .

(٢)

من درس الإمام الزنجاني^(١)

زار دمشق من كبار مجتهدي النجف الأشرف الأستاذ الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني ، داعياً إلى توحيد كلمة المسلمين حاثاً على توثيق عروة أهل السنة والشيعة بصورة خاصّة ، فلقي أجمل الترحيب ، وألقى مرتجلاً محاضرة في هذا الموضوع في مدرج الجامعة السورية ، فازدحم المدرج ورواقه بنخبة البلد الصالحة ، ونظراً لمارآه من الإقبال ألقى أيضاً عقب صلاة الجمعة تحت « قبة النسر » في « مسجد بني أمية » درساً عاماً يحوم حول ما يدعوا إليه وإنتهى الدرس وقد استدر الدموع ، وارتجل فضيلة الأستاذ الشيخ بهجة البيطار « من أعضاء جمعيتنا » داعياً إلى الإخاء الاسلامي ، ملبياً عن دمشق دعوة الإمام الزنجاني ، ونظراً لمارآه من بالغ الحفاوة والتأييد أجاب دعوة ثالثة ، فذهب إلى « حي الميدان » فألقى في « جامع الدقاق »^(٢) درساً عقب صلاة الجمعة من يوم ٩ شوال سنة ١٣٥٥ ، وخطب هذه المرة أيضاً ملبياً دعوته فضيلة الأستاذ الشيخ علي ظبيان « من أعضاء جمعيتنا » . . . إلخ .

(١) نقلاً عن مجلّة « التمدّن الاسلامي » الدمشقية ، ذو الحجة عام ١٣٥٥ - العدد العاشر - السنة الثانية .

(٢) أوّل جامع بناه المسلمون حينما فتحوا الشام .

(٣)

أتمّ الزنجاني خطبة الإمام السّجّاد (عليه السّلام)

قال شيخ الشيعة في دمشق الحاج أبو طالب « محمّد حسن » بيضون في مجمع حاشد بالشيعة ما يأتي :

لم يذكر التاريخ أن شيعياً إرتقى منبر الجامع الأموي في دمشق خطيباً منذ بنائه في صدر الاسلام حتّى الآن سوى إمام الشيعة السّجّاد زين العابدين عليّ بن الحسين (عليه السّلام) ولكن السياسة الأموية قطعت خطبة الإمام السّجّاد (عليه السّلام) ولم يستطع أحد من الشيعة أن يصعد هذا المنبر وأن يتمّ تلك الخطبة المقطوعة منذ تاريخ قطعها حتّى الآن .

والذي أودّ أن أسجّله بمداد النور والفخر لزعيمنا الديني العظيم سماحة الشيخ عبدالكريم الزنجاني ، هو أن ساحتها هو الشيعي الوحيد الذي إرتقى هذا المنبر في الجامع الأموي خطيباً ، لأوّل مرّة في تاريخ الشيعة ، وتاريخ الجامع الأموي ، وتاريخ دمشق ، وأتمّ على ذلك المنبر تلك الخطبة السّجّادية التاريخية التي قطعتها السياسة الأموية على الإمام السّجّاد (عليه السّلام) وجاء هذا الانعام بعد مرور ١٢٩٥ سنة على قطعها .

(٤)

شباب محمّد يوجّهون دعوة عامّة للشعب^(١)

لقد عرف الشعب الدمشقي خطورة المهمة التي زار دمشق من أجلها الإمام الجليل الشيخ عبدالكريم الزنجاني ، ألا وهي توحيد الطوائف الاسلامية ،

^(١) - نقلاً عن جريدة « ألف باء » الدمشقية ٣٤ كانون الأول ١٩٣٦ .

وإعادة الدين نقيّاً كما كان على عهد رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله وسلّم) ، وقد تشرّف بزيارة سماحته فريق من شباب محمّد ، ورجوه أن يتكرّم بإلقاء درس عام في الجامع الأموي عقب صلاة الجمعة في ١٢ شوال ١٣٥٥ و ٢٥ كانون الأول ١٩٣٦ فتفضّل بتلبية إلتماسهم ، وتحقيق طلبهم .

فشاب محمّد يشكرون لفضيلة الإمام الحكيم الزنجاني أريحته هذه ويدعون الشعب الكريم لاستماع حكمه الفياضة ، والارتشاف من مواعظه الشافية .

(٥)

جريدة « الأيام » الدمشقية ٤ كانون الثاني ١٩٣٧

ألقى الأستاذ الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني درساً بليغاً اجتماعياً في « جامع الدقاق » في الميدان الفوقاني بعد ظهر الجمعة سمعه الألوف من العلماء الأجلّاء والشباب المثقّف ، وقد تناوب الأساتذة الشيخ بهجة البيطار والشيخ سعيد العرفي والشيخ محمّد علي ظبيان القول بتأييد الإمام الزنجاني في فكرته الطيبة التي يسعى إليها .

وخرج القوم مستفيدين من الدروس القيّمة التي استمعوها من الإمام ومن الأساتذة الأجلّاء ومؤمنين برسالة الإمام وتناول الإمام الزنجاني طعام الغداء على مائدة المجاهد الفاضل الشيخ محمّد الأشمر .

(٦)

رسول الوحدة الاسلامية (١)

قدم دمشق من العراق حجة الاسلام المجتهد الكبير صاحب السباحة الإمام

(١) نقلاً عن جريدة « ألف باء » الدمشقية العدد ٥٣٦٦ ، ٣٤ جمادي الأول الثانية ١٣٥٧ - ٢٠ آب ١٩٣٨ .

الشيخ عبدالكريم الزنجاني رسول الوحدة الاسلامية ليقضي في ربوع سوريا بقية الصيف إنتاجاً للراحة ونزولاً عند رغبة بعض الأطباء بعد أن أجهد نفسه وبذل قصارى جهده في درس أدواء المجتمع ، وعمل على توحيد المسلمين وجمع كلمتهم ، وقد استقبلته وفود كثيرة من المعجبين بعلمه وفضله وجهاده والذين يؤازرونه في ماكرس نفسه له ، وتوافد عليه الكثيرون للسلام عليه والترحيب به والى بقاء ترحب بساحته أجل ترحيب وترجوا له طيب الإقامة .

(٧)

الوحدة الاسلامية

الدعوة إليها وأثرها بين الأمم الاسلامية^(١)

يزور دمشق اليوم إمام جليل الأثر لمحادثة رجالها ، وأهل الحل والعقد فيها ، في فكرة سامية ، أخذ الإمام يشر بها ، وينشر الدعوة لها ، وذلك الإمام الجليل هوسماحة الشيخ عبدالكريم الزنجاني ، وتلك الفكرة السامية هي توحيد المذاهب الاسلامية ، وقد زار الإمام الزنجاني مصر ، وفلسطين ، وشرق الأردن ، ولبنان ، داعياً لفكرته ، فلما تهيأ له الجوال الصالح ، ونجح في دعوته نجاحاً باهراً ، وحصل على موافقة زعمائها من دون مخالفة ، عاد إلى دمشق ليواصل مسعاه الحميد . . . الخ .

(٨)

فلسفة الدين الاسلامي^(٢)

جمعت المحاضرة التي ألقاها الإمام الحكيم الشيخ عبدالكريم الزنجاني في

(١) نقلاً عن جريدة « ألف باء » الدمشقية ، العدد ٤٧٨٧ السنة السابعة عشر ٢٠ كانون

الأول ١٩٣٦ - ٧ شوال ١٣٥٦ .

(٢) نقلاً عن جريدة « ألف باء » الدمشقية ٢٥ كانون الأول ١٩٣٦ .

مدرج الجامعة السورية ، نخبة صالحة من نواب الأمة ووزرائها وعلمائها ، وشبابها وقد شرح الإمام المحاضر فلسفة الدين الإسلامي ببلاغة وبحجة دامغة أخذت بألباب المستمعين ، وأثبت أنّ الاسلام دين إجتماعي ، سياسي ، إشترافي معتدل ، ثمّ بين بلباقة أنّها تركز على الوحدة الاسلامية ، وإنتهى من محاضرته وقد ملك على السامعين قلوبهم وعواطفهم ، وفي ختام المحاضرة التي دامت ساعتين هنّأه دولة رئيس المجلس النيابي ، وقبّل رئيس المجمع العلمي يده ، وانصرف الحضور مؤمنين بدعوته ، ومعجبين بما سمعوا .

(٩)

محاضرة الإمام الزنجاني في الجامعة السورية

رجال الكتلة والحكومة يستمعون إلى المحاضرة (١)

كان مساء أمس موعد الحفلة التي دعى إليها النائب السيّد فخري البارودي لسماع محاضرة الأستاذ الإمام الحكيم الشيخ عبدالكريم الزنجاني (٢) وقد حضر الحفلة رئيس المجلس النيابي الأستاذ فارس الخوري ونائب الرئيس الأستاذ لطفي الحفار ووزير الداخلية والخارجية الأستاذ سعد الله الجابري - رئيس الوزراء الآن - والأستاذ شكري القوتلي - رئيس الجمهورية الآن - والأستاذ رياض الصلح - رئيس وزراء لبنان - والنواب السادة فخري البارودي ، والدكتور

(١) نقلاً عن جريدة « الانشاء » الدمشقية ١٢ شوال ١٣٥٥ - ٢٣ كانون الأول ١٩٣٦ السنة الأولى .

(٢) هذا نصّ رقعة الدعوة :

مكتب فخري البارودي للدعاية والنشر .

سيلقي الأستاذ الحكيم الإمام « الشيخ عبدالكريم الزنجاني » محاضرة عنوانها (التوفيق بين الدين والإجتماع والسبيل إلى النهوض بالمسلمين والتقريب بين الفرق الاسلامية) في مدرّج الجامعة السورية « موعد المحاضرة الساعة السادسة من مساء الخميس الواقع في ١١ شوال سنة ١٣٥٥ » .

إحسان الشريف ، والدكتور توفيق الشيشكلي وعبدالقادر السرميني والدكتور ناظم القدسي ، كما حضرها الأستاذ العلامة محمد كرد علي « رئيس المجمع العلمي » وجمهور كبير من رجال العلم والفضل والفكر وغصت القاعة بالمستمعين من عليّة القوم حتى اضطر لإغلاق الأبواب ولكن الطرق المتوالي على الباب الخارجي دفع السيد فخري البارودي لأن يخرج ليردع الطارقين ، وفي الساعة السادسة إعتلى سدة الجامعة النائب فخري البارودي وقدم حضرة الإمام المحاضر إلى المدعوتين بعبارات لطيفة ، فوقف الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني المصلح الأكبر وألقى إرتجالاً محاضرة ممتازة لم تشهد دمشق مثلها ، وبين الإمام المحاضر أن آداب الأمم هي من أهم العوامل المؤثرة في تكوين أخلاقها ، وأن أخلاق الأمم من أقوى الأسباب الموجدة لعقائدها ، وسرد أدلة كثيرة في تأييد هذه النظرية ، وأثبت الإمام المحاضر بحجج قوية أن الدين الاسلامي هو دين السماوات ودين العلم والعمل ، والإخلاق والآداب ، كما هو دين الاشتراكية العادلة وتكلم عن نظرية دارون من الملحددين وأفاض في حديث « الوحدة الاسلامية » التي يدعو إليها ، فقال : إن الوحدة السورية مثلاً هي مقدمة للوحدة العربية ، والوحدة العربية مقدمة للوحدة الاسلامية التي تضم أربع مائة مليون مسلم ، « سورية بلاد الحرية » وتكلم الإمام عن حالة سوريا ، فقال : « إن هذه البلاد هي بلاد الحرية » وامتدح الإمام دمشق العاصمة العربية وقال : إن البلاد السورية لاتزال محافظة على التقاليد الاسلامية والعربية ، فقد رحب به الزعماء الوطنيون والعلماء البارزون وأساتذة الجامعة ، ومختلف طبقات الأمة السورية الكريمة ، مؤيدة دعوته ورسالته ، وكان الإمام المحاضر شديد الإيمان والعقيدة بالنظرات التي أوردها في محاضرته الطيبة ، والتي اقتنع بصحتها الحاضرون أجمع وختم الإمام المحاضر كلمته الطيبة بتهنئة الأمة السورية بعودة الحياة الاستقلالية إليها ، وحتى رجال الكتلة الوطنية ورجال الحكومة الدستورية ، وإنتهت المحاضرة في الساعة الثامنة ، فهناك الزعماء الحاضرون ، وقبل بعضهم يده ، وسيلقي الإمام الزنجاني غداً في الجامع الأموي دروساً دينية قيّمة .

محاضرة الإمام الزنجاني في الجامعة السورية^(١)

ورَّع مكتب فخري البارودي للدعاية والنشر رقاعاً للدعوة لحضور المحاضرة التي يلقيها الأستاذ الحكيم الإمام الشيخ عبد الكريم الزنجاني على مدرّج الجامعة السورية ، وفي موعد المحاضرة وهي الساعة السادسة من مساء يوم الخميس المنصرم ، تسارع الكثيرون لتلبية هذه الدعوة حتّى غصّ المعهد وشرفاته وأكثرهم من عليّة القوم والشباب المثقّف وكان يتقدّمهم جلوساً في المقاعد الإمامية : حضرة رئيس مجلس النواب ، وعدد غير قليل من النواب الأكرمين .

وفي الساعة السادسة تماماً دخل الإمام المحاضر وإرتقى الدكّة وجلس في المعقد المنفرد المخصّص له يحيط به الوقار والجلال وأجال بصره في القوم كأنه يطلب إليه الانصات لما يقول ، وساد السكوت والصمت والكلّ مرهف الأذن ، متطلّع البصر ، منتظر إبتداء المحاضرة ، وقبل أن يبدأ الإمام المحاضر وصل معالي وزير الداخلية والخارجية ، والزعيم رياض الصلح وجلسوا إلى إخوانهم النواب وتقدّم النائب السيّد فخري البارودي فقّدّم المحاضر للحضور بعبارة طيّبة ، وعاد إلى مكانه فابتدأ الإمام القول : وأخذ بامتداح الآداب في الأمم وإن مجد الأمم آدابها « وإنّما الأمم الإخلاق مابقيت » وتطرّق إلى الدول المستعمرة التي تقيد حرية الأديان والمذاهب وتبذل قصارى جهودها في تبديل آدابها بينما هي تتظاهر بتعظيمها . . . إلخ .

وإنتهى الإمام الزنجاني من محاضرته وقد بلغت الساعة الثامنة فهنّأه الحاضرون بصفته - رسول الوحدة الاسلامية - .

وانصرف الإمام المحاضر محاطاً بطائفة كبيرة من كبار المستمعين الذي سرّوا من هذه المحاضرة سروراً كبيراً .

(١) نقلاً عن جريدة « الأيام » الدمشقية ٢٧ كانون الأوّل ١٩٣٦ العدد ١٢٧٣ .

(١١)

وفد معهد الحقوق والإمام الزنجاني^(١)

علمنا أنّ طلاب معهد الحقوق وأساتذته رغبوا إلى الإمام الزنجاني أن يلقي عليهم محاضرة حقوقية .

وجمعوا مبلغ ألف فرنك وأرسلوه إلى الإمام بواسطة وفدهم ليقبله لقاء محاضرتهم فاستغرب الإمام عملهم وردّ المبلغ إليهم وقال لهم : نحن رجال الدين روحانيون نخدم الدين والعلم والأخلاق والانسانية مخلصين لوجه الله ولا نريد من الناس جزاءً ولا شكوراً .

(١٢)

قال مندوب « الأنشاء » الخاص^(٢)

وصل خلال العيد من مصر الإمام الشهير - الشيخ عبد الكريم الزنجاني - الذي ما برح يطوف الأقطار الاسلامية عاملاً على توحيد فرقها وجمع شملها بما أوتيته من سعة العلم ، وقوة الحجّة والافتناع ، وهو مالبث منذ وصوله إلى العاصمة موضع الحفاوة والتكريم ، وعاملاً على بثّ فكرته الاصلاحية السامية بين العلماء الأعلام ورجال الدين والعلم وقد زاره يوم أمس النائب السيد فخري البارودي زعيم الشباب يرافقه فريق من الشباب الوطني فاستقبلوا وشيّعوا بالحفاوة والاکرام وزاره أمس أيضاً وزير المعارف الأمير مصطفى الشهابي يرافقه السيد فخري البارودي ثمّ زاره العلامة الأستاذ محمد كرد علي - رئيس المجمع العلمي - وفريق من عليّة الزعماء ورجال العلم والأدب ، ودارت خلال هذه الزيارات أحاديث جمّة في مختلف الشؤون الاسلامية والاجتماعية كشفت عن عظمة الإمام العلمية

(١) نقلاً عن جريدة « القبس » الدمشقية ٣١ كانون الأول ١٩٣٦ السنة الرابعة .

(٢) نقلاً عن جريدة « الانشاء » الدمشقية ٨ شوال ١٣٥٥ - ٢١ كانون الأول ١٩٣٦ .

والدينية والاصلاحية ، وأوجبت إعجاب الكل به واقتناع الجميع بدعوته حتى قال الأستاذ كرد علي : الإمام الزنجاني يمثل السلف الصالح . . . الخ .

(١٣)

حديث الإمام الزنجاني (١)

نشرنا في عدد أول أمس خلاصة عن المحاضرة القيّمة التي ألقاها الإمام الحكيم الشيخ عبدالكريم الزنجاني في الجامعة السورية ، تلك المحاضرة الارتجالية التي يصعب على الكاتب أن يلخصها دون أن يذهب برونقها ويشوّه محاسنها ولكنّا أقدمنا على تلخيص بعض ما جاء فيها ليطلع القراء على الفكرة السامية التي حامت محاضرة الأستاذ الإمام حولها وإن كانت هذه الفكرة لاتتسع صفحات عديدة لتلخيصها .

ونقول الآن : الحفاوة البالغة التي قبول بها الإمام الزنجاني من رجال الحكومة أو رجال الوطنية ورجال الدين والعلم والشباب والأعيان كانت أقلّ ما يجب على دمشق أن تظهره أمام فضيلته . . . الخ .

(١٤)

ملوك الجنّة . . . وملوك الأرض (٢)

سطور مقتضبة من محاضرة الإمام الزنجاني في جامع الدقاق

المسلمون بين الماضي والحاضر

لقد كان السلف مسلمين حقاً ، ويعلمون أنهم إن قتلوا في سبيل الله فهم

(١) نقلاً عن جريدة « الآيام » دمشق ١٨ شوال ١٣٥٥ - ٣١ كانون الأول ١٩٣٦

العدد ١٣٧٧ .

(٢) نقلاً عن جريدة « الآيام » دمشق ٢٣ شوال ١٣٥٥ - ٥ كانون الثاني ١٩٣٧

العدد ١٣٨١ ، ومن مجلّة « التمدّن الاسلامي » الدمشقية ذوالحجّة عام ١٣٥٥ العدد العاشر - السنة الثانية .

ملوك الجنة ، وإن غلبوا وفتحوا البلاد فهم ملوك الأرض فهم بين الملوكيتين دائماً
ملوكية الدنيا ، وملوكية الآخرة .

وأما المسلمون في العهد الحاضر ، فهم مسلمون إسمياً لا حقيقة ، لقد كان
المسلمون في الصدر الأول من تاريخهم متمسكين بحقائق الاسلام يعملون بهدى
الاسلام ونوره وقوته ، ولكن مسلمي اليوم قد حال بينهم وبين شارع الاسلام
ثلاثة عشر قرناً ، خلقت خلالها في التعاليم الاسلامية فوارق ، تمت بسبب جهود
الخاصة ، وجهل العامة ، وغذتها يد السياسة وسقاها حب الرئاسة ، فقطعت
الامبراطورية الاسلامية وفرقت المسلمين .

وإن من أهم الأسباب التي أدت إلى انحطاط المسلمين أمراضهم
الاجتماعية ، والأخلاقية ، وعدم المبالاة ، وفقدان الارادة ، وجمود ملكة
الاستنباط ، فتجد قسماً منهم جامدين على الظواهر دون معرفة حقيقة الدين
وفلسفته ، فيجعلون القشور وآرائهم السطحية موجبة للفوارق المذهبية ، وتجذ
قسماً آخر ، جامدين بتقليد أوروبا ، آخذين من الثقافة الغربية ، ومن العلوم
الموجودة قشورها تراكين لبابها ، وهكذا وجدت السائر الحاجة لحقيقة الدين
فتفرق المسلمون فرقاً وأحزاباً وصرنا في المخالفة مصداقاً لما حذرنا منه تعالى شأنه
بقوله : ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ صرنا ضعفاء وأسراء .

دواء المسلمين : . . . والعلاج نشر حقائق التعاليم الاسلامية بأسلوب
عصري على أساس الفطرة كما كان في عهد النبوة (صلى الله عليه وآله) وإعادة
الدين إلى ما كان في بدء الشريعة ، وتعميم التخلّق بالأخلاق الاسلامية ، وإيجاد
التوحيد في فرق التوحيد .

الدعوة إلى جمع الكلمة

فلننهض بتوحيد صفوفنا ، وإيجاد القوى المادية والأدبية حسبما أمرنا الله تعالى
بإعدادها حيث يقول : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ وليأتين كل واحد منا

بما يقدر عليه ولو كان ضئيلاً ، فمن تراكم ذرات للتراب تكون أعظم الجبال ،
ومن تراكد قطرات الماء تتألف أعظم البحار ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت
أقدامكم ﴾ . . . الخ .

هنا بلغ تأثر المستمعين حدّاً لا يمكن وصفه ، فعلت أصوات كثيرة بالبكاء
والعويل من جانب ، بينما إرتفعت أصوات الشباب المتحمّس بالهتاف المرتفع إلى
السماء من الجانب الآخر ، تدوي دويّ الرعد ، وتنادي : أنت . . . أنت
إمامنا المصلح المخلص ، وقائدنا الحكيم المنقذ سرّ بنا حيثما شئت ووجّهنا
كيفما تريد ، فنحن مطيعون ، ومخلصون .

(١٥)

العالم الاسلامي في حاضره ومستقبله^(١)

العقيدة الاسلامية وموقفها من الحضارة الراهنة

قابل مندوب هذه الجريدة الخاص بالإمام الأكبر الشيخ عبدالكريم الزنجاني
كبير علماء النجف الأشرف ، وتحدّث إليه بالحديث التالي :

س : ماهي مطالعات فضيلتكم عن حالة العالم الاسلامي في الآونة
الحاضرة ، والطرق الخليفة بالإتباع للنهوض بالمسلمين ؟

ج : أرى العالم الاسلامي في الوقت الحاضر أحسن حالاً من القرون السابقة
الأخيرة لأنّه أحسن الآن بوجوب تنظيم الحياة ، وأخذ ينهض بهذه النهضة التي
تشاهدونها ، وأحسن بوجوب توحيد الصفوف الاسلامية وهذا الإحساس حدا
بهم إلى تلبية دعوتي إلى الوحدة الاسلامية في مصر وسوريا وسائر الأقطار
الاسلامية بإتفاق الآراء ، ولم أصادف مخالفاً واحداً من ذوي الرأي وأولي الألباب

(١) نقلًا عن جريدة « الشعب » الدمشقية العدد ٢٥٩٢ ، ١٩ شوال ١٣٥٥ - ١ كانون
الثاني ١٩٣٧ السنة العاشرة .

في كلّ هذه الأقطار ، بينما تعرّ غيري من الدعاة إلى الإصلاح في أوائل هذا القرن وفي القرن السابق عليه وإنّي أعتقد أن أحسن طريقة خليقة بالإتباع الجدّ في العلم والعمل وتوحيد فرق التوحيد وتكميل الثقافة الدينية الصحيحة ، والجمع بينها وبين ما يلائمنا من الثقافة الزمنية ، كما أمر به الاسلام . . . الخ .

(١٦)

لامعارض لمشروع الوحدة

« أنا أخشى العقبات السياسية الغربية » ^(١)

سأل مندوب « الأيام » الإمام الزنجاني بما يأتي :

س : هل تخشون من عقبة تعترض هذا المشروع الجليل - مشروع الوحدة الاسلامية - ؟

ج : لا أخشى عقبة ، وأنا أعتقد تمام الاعتقاد بأن الجمعيات الدينية في العالم الاسلامي لاتعارض هذا المشروع أبداً على أنّي أحذر من العقبات السياسية وما قد تدلي به الحكومات الغربية المستعمرة من النظريات السياسية في هذا المضمار .

على أن الحكومات الشرقية ، وهي تستند في إتجاهها إلى العقل والدراية - وفي ذلك حياتها - فإنّي مطمئن من جهتها كلّ الإطمئنان والحكومات الاسلامية كلّها تعاضد هذا المشروع .

(١٧)

مأدبة رئيس الجمهورية ^(٢) على شرف الإمام الزنجاني

أقام فخامة رئيس الجمهورية السيّد هاشم الأتاسي مساء أمس حفلة عشاء

(١) نقلاً عن جريدة « الأيام » العدد ١٢٧٧ ، ١٨ شوال ١٣٥٥ - ٢١ كانون الأول ١٩٣٦ .

(٢) نقلاً عن كلّ الصحف الدمشقية .

فخمة في فندق - أوريان بالاس - مقر رئاسة الجمهورية المؤقت تكريماً للإمام
الحكيم الشيخ عبدالكريم الزنجاني ضيف دمشق العظيم ، تصدرها الإمام
المحتفى به وحضرها رئيس المجلس النيابي ورئيس الوزراء والوزراء والبارودي
وبعض الشخصيات ، وبعد أن تناولوا الطعام أخذ الرئيس الأول يثني على الإمام
الزنجاني جهوده العظيمة وهنأه بنجاحه الباهر وقال فخامته :

رغب إليّ أهل الحل والعقد في أن أبلغ فضيلتكم أنهم جميعاً عرفوا الحق
الذي دعوتهم إليه ، وإتبعوه عن معرفة وبصيرة وقرروا بإتفاق الآراء أن يمنع في
دمشق بعد هذا ، كلّ فعل يجرح عواطف إخواننا الشيعة ويسبب التفرقة بين
المسلمين تدشيناً للعهد الجديد عهد الأخوة الدينية والوحدة الاسلامية التي
تدعون فضيلتكم إليها وسيشتركون بعد هذا بكلّ صفاء في المحافل الدينية عند
إخواننا الشيعة .

(١٨)

رئاسة الجمهورية السورية - كتاب رئيس الجمهورية

حضرة العلامة المصلح الكبير الأستاذ الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني
المحترم .

العراق - النجف الأشرف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد ، فله وحده المنة والحمد أن إطمأنيت لسلامة الصديق العزيز وصحته
ووصوله النجف الأشرف شاكرأ له عواطفه الحسنة وتغنياته الخالصة وآثاره الخالدة
في البلاد وجهوده المبورة في سبيل صلاح المجموع ، مدّ الله في عمره وأحسن
جزاءه ، وأبقاه ذخراً للإسلام وأهله وفخراً للإنسانية .

دمشق في ١٣ - ٣ - ١٩٣٧

هاشم الأناسي

(١٩)

رئاسة الجمهورية السورية

خصوصي - دمشق في ٢٧ نيسان ١٩٣٧

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى حضرة العلامة المصلح الاسلامي الكبير الأستاذ الإمام الشيخ
عبدالكريم الزنجاني .

تعهدتموني - أمتع الله بكم - بجميل العناية وحسن الرعاية فكان لهذا
التفضل والتطوّل أوفى أثر في نفسي وأبقى ماثرة عندي ، فشكراً لكم ثم شكراً
ولا زلت منهلّاً للعلم والفضل تروي من فيض معينه القلوب الظامئة وملاذاً
للمكرّمات يلجأ إليه العفاة ويأتمّ به الهداة نصركم الله في أداء رسالتكم وأتمّ الله
عليكم نعمته وأبقاكم ذخراً للإسلام وأهله والسلام .

نجيب الأرمنازي

(٢٠)

الجمهورية السورية - وزارة الداخلية - خصوصي

حضرة سيّدي الأستاذ الإمام المصلح الشيخ عبدالكريم الزنجاني
حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : تلقيت بشكر عميق كتابكم اللطيف الذي تكرّمتم فأعربتم لي
وللشعب السوري فيه عن رقيق شعوركم ونبيل عواطفكم ، ورجائكم الله تعالى
لنا التوفيق في خدمة البلاد ، والاستمرار في ماأفضتمونا به من الهدى والرشاد ،
وإنّي لسعيد بأن أقدم لحضرتكم عظيم شكرنا وصادق إحترامنا ، راجياً من الله

لكم ولنا دوام التوفيق وإستمرار النجاح وتفضّلوا بقبول أسمى إحترامي سيدي .

دمشق في ٢٢ نيسان ١٩٣٧

المخلص سعدالله الجابري

(٢١)

من كتاب زعيم الشباب

مكتب فخري البارودي للدعاية والنشر

الرقم ٣٥٨٧ دمشق في ٢٩ ذي الحجة ١٣٥٥ - ١١ - ٣ - ١٩٣٧

سيدي الأستاذ الإمام الحكيم المصلح الأكبر الشيخ عبدالكريم الزنجاني المحترم فإني حمدت الله على سلامتكم ، ودعوته أن يأخذ بيدنا جميعاً لما فيه خير هذه الأمة العربية المحبوبة ، ويهدينا إلى سواء السبيل لنصل برعايتكم إلى هدفنا المنشود بوقت قريب .

بارك الله بكم ، وأمدكم بقوّته ، وأعانكم على تحقيق أهدافكم التي فيها نفع للأمة العربية ، وللأمم الاسلامية وللإنسانية جميعاً ، وتفضّلوا بقبول تحيّاتي ، وتحيات شباب دمشق الذين عرفوكم فأكبروا فيكم قوّة الإيمان ، وصدق العزيمة ، وعناصر البطولة وعظيم الاخلاص والتضحية لازلتُم ملاذاً للمسلمين .

المخلص فخري البارودي

(٢٢)

ساحة العلامة الرحالة الشهير الأستاذ الإمام المصلح الكبير

الشيخ عبدالكريم الزنجاني حفظه المولى وأدام النفع به

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أغتتم فرصة عيد الأضحى المبارك لأرفع إلى مقامكم الجليل خالص تحيّاتي ،

وأجمل تهاني ، وأوفر أشواقي سائلاً المولى سبحانه أن يعيد عليكم أمثاله والاسلام
مرفوعة رايته ، عزيزة أُمته .

ومازلنا نذكر تلك الدروس القيّمة التي نثرتم سماحتكم دررها فنظمت عقد
الألفة والمودة ، وأحكمت روابط الإخاء والمحبة ، وتلك المجالس المشرفة التي
أمتعنا فيها بطيب حديثكم ، ولطائف سمركم ، وبدائع مذاكراتكم في الوحدة
الاسلامية ، وتوحيد الفرق ، أو تقريب بعضها من بعض . بقدر ماتسمح به
الظروف ويساعد عليه الزمن ، وقد أثمرت - والله الحمد - ثمراتاً شهيئاً ، وستؤتي
أكلها بإذن ربّها قريباً ، ونرجو أن تكونوا في هذه المدة قد أخذتم قسطكم من
الراحة ، ورأيتم الآل والأصدقاء على ماتحبّون وبحثم مع العلماء الكرام ،
والسادة الأعلام ، في موضوع المؤتمر الاسلامي وزمانه ومكانه لنقوم في جهتنا بما
نوفّق له ، ونقدر عليه إن شاء الله تعالى .

من عندنا السادة الأجلاء الأمين ، وظيفيان ، والأشمر ، وسائر العلماء
المحبّيين يهدون لسماحتكم أزكى التحيّة والسلام ، وتفضّلوا بقبول التحية
وتبليغها لمن لديكم ممن يعزّ عليكم ، دام ظلّكم ودمتم بالخير .

المخلص محمّد بهجة البيطار

(٢٣)

فتح عظيم

من كتاب زعيم شباب الشيعة في دمشق

سيّدي الأعظم حجّة الاسلام الإمام الأكبر الشيخ عبدالكريم الزنجاني
أطال الله بقاءكم ، وأبلغكم أقصى مناكم ، سلام الله وصلواته عليكم .

سيّدي ؛ لقد بارحتم دمشق جسماً ، ولكنكم خالدون فيها معنىً وإسماً
بماغرستموه في النفوس والألباب ، من بديع الحكمة وفصل الخطاب ، لقد
دخلتموها وهي قلعة أمة المريعة ، فصيرتموها ببالغ الحجّة ، حصناً للشيعة ،

بعدها كان الشيعي فيها وجلاً مستتر ، أصبح الآن بالتشيع جهراً يفتخر .
سيدي لقد غزوتكم بجيوش علومكم صميم أمة ، وأذبتكم في بودقة حكمتكم
كلّ عصبية ، فجزاكم الله أفضل جزاء المصلحين . . .
وجلّ العلماء والزعماء والأمرء يتقدّمون إلى فضيلتكم بعاطر التحيات
ويطلبون منكم الإسراع في مشروعكم العالمي العظيم ، الذي بايعوكم على
إنجازه بتضحية النفس والنفس وتتوقف عليه حياة الاسلام والسلام العام .
. ودم ياسيدي فخراً للمسلمين ، وذخراً للمؤمنين . . . إلخ .

(٢٤)

من كتاب زعيم شيعي

دمشق ١٠ - ١١ - ١٣٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الإمام العيلم ، الخبر الأعظم الشيخ عبد الكريم الزنجاني أمدّ الله في
بقائه ونصره على أعدائه .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تناولت بيد الإجلال كتابكم العظيم « دروس الفلسفة » وإنني لأعجز عن
تأدية مايجب عليّ من شكر وامتنان لتكرمكم بإهدائي هذا السفر العظيم ، بعدما
تصفّحته حملته إلى العلامة الأستاذ محمّد كرد علي - رئيس المجمع العلمي - وعنده
جمع من العلماء والأمرء فكان موضع التقدير والاعجاب لمايجوي من بديع
الحكمة ، حتّى قال لي أحدهم : كان يجب على ساحة الإمام الزنجاني أن يسمّيه
« قرآن الفلسفة » ودام المجلس ماينوف على ثلاث ساعات بذكر ماأوتيتم من
العلم والحكمة والأخلاق السامية ، وخصوصاً ماقمتم به من الرسالة الدينية ،
والدعوة إلى الوحدة الاسلامية متمنياً كلّ منهم قبوله مساعداً لكم في هذا المشروع
العظيم .

إلى أن قال العلامة - كرد علي - أنه قبل يدكم الكريمة مع ما بينكم وبينه من التفاوت في السن .

وقال أيضاً : « من المعتبر عند أهل السنة أن مصر قبة الاسلام وعلماؤها أئمة المسلمين في عصرنا هذا ، فقد شهدت حين وجودكم فيها مالم نشهده من قبل ، وأصبح أعظم علمائها إلى جانبكم كالتلامذة . يقولون بقولكم ، ويهدون بهديكم » وكم كنت مفتخراً مسروراً حين كنت أسمع هذا الإطراء فيكم من أكابر علماء وامراء عاصمة بني أمية زادكم الله رفعة منه كما رفعتم رأسنا عالياً ، بعدما كنّا نكتم تشييعنا خوفاً من الإحتقار والأذى ، أصبحنا نفاخر به أبناء وأشياء الأمويين وكلّما نردده هو ذكركم الكريم ، وكلّما تكلم الخالدة في نفوس الجميع ، أقدم إليكم ماكلّفته من التحيّات والاحترامات من حضرات السادة الأعلام والأعيان وهم : العلامة الأستاذ كرد علي ، ورئيس الطريقة الشاذلية الشيخ عبدالرحيم أبو الشامات وحضرة مفتي الأحناف أبو اليسر عابدين وحضرة مفتي الشوافع الشيخ كامل القصاب ، وحضرة شيخ أهل الحديث الشيخ بهجة البيطار ، وحضرة قاضي القضاة الشيخ محسن الأسطواني ، وحضرة شيخ المالكية الشيخ عبدالقادر المغربي ، وحضرة مدير الأوقاف الشيخ أحمد القاسمي ، ومعالي رئيس الدولة السابق عطا بك الأيوبي ، ومعالي شكري القوتلي ومعالي زكي بك الخطيب ، وحضرة عبدالحميد بك عبدربه ، ومعالي بديع بك المؤيد ، ورشيد بك بقدون ، ونجيب بك الأرمنازي ، وكثير ممن لو أردت ذكر أسمائهم هنا لضاق بي المقام ، جميع إخواني المؤمنين يشاركونني بتقديم أزكى التحيّات والاحترامات لذاتكم العلية سيدي . . . الخ .

(٢٥)

الإمام الزنجاني في مؤتمر العلماء الأوّل

المنعقد بدمشق بعد مرور ثمانمائة سنة

أجاب الإمام الزنجاني دعوة الحضور في مؤتمر العلماء الأوّل - لكي يمثل فيه

الشيعة الإمامية - وعبثاً حاولت الحكومة الإفرنسية المستعمرة أن تحول دون وصول الإمام الزنجاني إلى المؤتمر وحذّرت الأكرثية النصرانية في لبنان من مساعي الإمام الزنجاني لتحقيق الوحدة الإسلامية وعبثاً تعذت وإعتزت بأساليبها الإستعمارية لتمنع الإمام من دخول سوريا ولبنان ، فإن زعماء العرب والمسلمين وملوكهم وفي طليعتهم ملك العراق جلالة غازي الأول إستطاعوا أن يفتحوا الطريق - رغم جهود المستعمر - للإمام الزنجاني فدخل سوريا ووصل إلى المؤتمر بإعزاز وإجلال لا مزيد عليها .

رئاسة المؤتمر (١)

عقد مؤتمر العلماء الأول جلسته الأولى في الساعة الرابعة بعد ظهر أمس وترأسه أكبر الأعضاء سنّاً الأستاذ الشيخ طاهر الأناسي مفتي حمص - شقيق رئيس الجمهورية السورية - وكانت رغبات جميع الأعضاء متفقة على إنتخاب الإمام الزنجاني رئيساً ولكن سماحته قال : إنَّ الحكمة تقضي بأن نعين فضيلة الشيخ طاهر رئيساً - لمناسبات لا تحفى - فامتنعت الأكرثية أولاً ثم وافقت نزولاً عند إرادته .

المؤتمر عالمي لا إقليمي (٢)

في الساعة الرابعة والنصف بعد ظهر أمس - الأربعاء - عقد مؤتمر العلماء الأول جلسته الثانية ، وبعد إفتتاح الجلسة ألقى الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني كلمة أشار فيها إلى المؤتمرات التي عقدت منذ سنين دون أن يستفيد منها

(١) نقلاً عن جريدة « الأيام » العدد ١٦٤٦ - ٨ أيلول ١٩٣٨ .

(٢) نقلاً عن جريدة « الانشاء » الدمشقية ١٣ رجب ١٣٥٧ - ٨ أيلول ١٩٣٨ العدد ٥٤٦

السنة الثانية ، وجريدة « الاستقلال العربي » الدمشقية ١٤ رجب ١٣٥٧ - ٩ أيلول ١٩٣٨

العدد ٢٣٩ - ٣١٤ - ١٣ .

أحد في العالم الاسلامي ، وقال : إذا أراد هذا المؤتمر أن يحصر أبحاثه ومقرراته بالشؤون الإقليمية فإنه لا يعمل عملاً ولا يسجل شيئاً ، وذكر أن هذا المؤتمر سيكون أفضل من المؤتمرات السابقة ، وسيكون مؤتمراً عالمياً ، تاريخياً بمقرراته الدينية لأن الدين من الشؤون العامة العالمية ، وتكلم عن رسالته التي يدعوا إليها وهي الوحدة الاسلامية ، وأفاض ببيان ضافٍ عن مذهب الشيعة الإمامية البالغ عددهم ثمانين مليوناً في العالم ، وتحدث عن المخابرات التي تمت بينه وبين فضيلة المراغي شيخ الجامع الأزهر ، ثم تلى الكتب المتبادلة بينه وبين زعماء الأقطار العربية والاسلامية بشأن الوحدة الإسلامية وتأليف مجلس اسلامي أعلى ، وقدمها إلى المؤتمر ، فأحيلت إلى اللجنة التحضيرية لدرسها .

واستمر الإمام الزنجاني في كلامه وقال :

وأخيراً شعر العلماء بضرورة التعارف والتوافق ، وعرفوا أن التفكير بإيجاد كيان منظم لهم أضحى في مقدمة الأمور التي يتطلبها هذا العصر المادي الذي لا يقدر إلا القوة ولا يهتم إلا بالمنظمات ذات البرامج الموضوعة والأعمال البارزة والصوت الداوي ، أما من يعمل في زوايا البيوت ، وبين جدران المعابد والمدارس ولا يصل صوته إلى المجتمع الصاخب الذي يعين فيه العالم اليوم فلا حظ له في الحياة ، ولا نصيب له من مباحجها ونعمائها وإن أشد ما يأسف له العقلاء أن يرى علماء المسلمين قد سلكوا تلك الطريقة الخاطئة في العزلة والانزواء والصدوف عن الإهتمام بالشؤون الدنيوية إلى جانب الشؤون الدينية رغم أن هذا مما يتنافى مع روح الاسلام ومع السنن النبوية (صلى الله عليه وآله) التي إتبعها رجال الاسلام الأولون الذين كانت لهم الجولات المعروفة في ميادين السياسة والحرب والإدارة ، ولم يكن العلم ليمنعهم عن الإنصراف إلى العمل المتصل مباشرة بالحياة ولم يكن الدين والإنعكاف على طلبه ليحول بينهم وبين الإهتمام بالشؤون الدنيوية لاسيما وهم يعرفون معنى قوله تعالى : ﴿ وإبتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ ويعرفون معنى القول المأثور « إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، وإعمل لآخرتك كأنك تموت غداً »

ويعلمون أن الدنيا مزرعة الآخرة . .

أجل لقد كان علماء المسلمين الأولون يعرفون الواجب الثقيل الملقى على عاتقهم ، ويعرفون أن « العلماء ورثة الأنبياء » وهل وظيفة الأنبياء إلا الوعظ والإرشاد وإنقاذ البشرية مما ترطم به من الضلال والمفاسد والأخطاء ، والسير بها إلى طريق الهدى والصلاح والعمل المثمر الطيب ؟ ولهذا كان للعلماء ذلك المقام السامي لدى الخلفاء والأمراء والسلاطين وكان لهم النصيب الأوفر في تسيير الأمور وإدارة الممالك والقيام بأثقل الأعباء السياسية والإدارية ، ولم يكن هذا حائلاً دون إشتغالهم بالعلم أو يلهمهم عن أمور الدين ، بل كان الأمر على العكس من ذلك ونظرة واحدة إلى التاريخ الاسلامي تثبت لنا أن أعظم رجال الإنتاج العلمي في العهود الاسلامية الماضية كان من العلماء الذين تولوا المناصب الرفيعة في الدولة - كالشيخ الرئيس ابن سينا ، ودعامة الدين الخواجة نصير الدين الطوسي ، وآية الله العلامة الحلي وأمثالهم - وأن تلك العصور الذهبية التي كان يضطلع فيها العلماء بأكبر المسؤوليات والمناصب قد تركت لنا تراثاً من البحوث الدينية والعلمية والفلسفية ، والمؤلفات الثمينة لم نجد أثراً لشيء ضئيل منها في العصور التي إعتزل فيها علماء المسلمين الشؤون الدنيوية ، وإنزوا بين جدران التكايا ، وفي حجرات المدارس والمساجد . .

ولورحنا نلتمس السبب في هذا الجمود الذي إستحوذ على العلماء فأنساهم المهمة التي إنتدبهم الاسلام لها ، والواجب العظيم الذي ألقاه إليهم العلم الذي ينتسبون إليه لما رأينا ذلك السبب إلا كامناً في نفوسهم فهم الذين رضوا بالمكانة التي وضعوا أنفسهم فيها ، وتركوا المكانة التي عيّنوا لها ، فكانوا في ذلك الجمود وهذا التواكل ملومين من جانب الله ، ومن جانب أنفسهم .

وإذا رأينا العلماء يفكرون - بعد نوم طويل - برابطة تجمع شملهم وجميعهم ترأب صدعهم ، ويعقدون مؤتمراً للتفكير بما يعود عليهم وعلى المجتمع الاسلامي - وعلى العلم الديني الذي كاد أن يتداركه الاضمحلال - بالنفع فإن هذا العمل

- وإن جاء متأخراً - فهو يدعو إلى الإعجاب والإكبار ، ويوحي إلى النفوس الأمل بإحياء ما كاد يندثر من تراث السلف ويبشّر بأن موجة الإلحاد والتبشير التي تطفئ علينا من الغرب ستجد أمامها بعد اليوم سداً منيعاً يحول دون تسربها إلى بعض العقول الطائشة ، وذوي الأيمان المتزعزع .

ولاشك أن هذا المؤتمر - الذي لي شرف التأسيس والإنتماء إليه - يعرف ثقل العبء الملقى على عاتقه في الإصلاح الديني وتوحيد كلمة المسلمين ، ومحاربة البدع ، وإعلاء كلمة الله ، ورفع مستوى العلماء ومتى تمّ له ذلك فميادين العمل بعد ذلك رحبة له أن يدخلها متى شاء ، والمؤتمر في خطواته الأولى بحاجة إلى العمل في جواهر حيادي لا يعكّر عليه فيه معكّر ، ولا يترك مجالاً لسلطة - بالغة ما بلغت من القوة - أن تتخذ أي حجة عليه للتدخل بشؤونه والعمل على عرقلة مساعيه وإصلاحاته التي تحتاج إليها الأمة الإسلامية أشدّ الاحتياج ، كما نرجو أن تكون مقرّرات المؤتمر مما يمكن تنفيذه ولا يستحيل القيام به ، والعبرة ليست في إتخاذ المقرّرات ووضع الخطط بل في تنفيذها والاستفادة منها ، وإنّ قراراً واحداً يمكن تنفيذه خير من ألف قرار تبقى مسجلة في الصحف وفي الطروس . . . الخ .

ثم تكلم الأستاذان عبدالقادر السرميني ، وبهجة البيطار في أمر توحيد المذاهب ، وأيّدا الإمام الزنجاني ، فتقرّر عرض هذا الموضوع إلى اللجنة التحضيرية وفي الساعة السادسة رفعت الجلسة .

لاتأخذه في الله لومة لائم

بلغ عدد أعضاء مؤتمر العلماء مائة وخمسة أعضاء ولم يكن بينهم عالم شيعي سوى الإمام الزنجاني ، وبينهما كان الإمام يشرح على المنصة مذهب الشيعة الإمامية في أصول الدين وفروعه وكانت هيئة الحكومة وألوف المستمعين وأرباب الصحف يستمعون إليه بكل عناية ، إذ نهض رئيس المؤتمر - وهو أكبر العلماء سناً وشقيق رئيس الجمهورية - وتكلّم بكلام عن الشيعة لا يصور الحقيقة بل قد يمهّد

للفتنة ، فردّ عليه الإمام الزنجاني ردّاً شديداً أوقفه عند حدّه وشفّعه بحكمة أفهمته أنّ الحقّ أحقّ أن يتّبع وسيطر الإمام الزنجاني على الموقف سيطرة قويّة ، لو كانت دمشق وطنه ورئيس الجمهورية السورية شقيقه وأعضاء المؤتمر كلّهم من الشيعة لم يمكن أن يكون موقفه أشدّ من هذا الذي قام به ، حتّى قرّر المؤتمر بإتفاق الآراء ما اقترحه الإمام الزنجاني المصلح المخلص العظيم .

بيان مؤتمر العلماء الأوّل (١)

المنعقد بدمشق بتاريخ ١١ - ١٣ رجب ١٣٥٧ و ٦ - ٨ أيلول ١٩٣٨ (٢) .
بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

الفكرة العامّة الموجبة للمؤتمر

لمّا كان هذا العصر يتميّز عن غيره بتزاحم العوامل المختلفة فيه من مادية ومعنوية في شتّى نواحيها وميادينها ، وكانت الأدوار الانشائية العامّة في تكوين الأمم المتحضّرة إلى النهوض والحياة من أخطر الأدوار التي تمرّ بها الأمم كما في عهدنا الانشائي الحديث اليوم ، إذ تكون تلك الأدوار مفترق طرق يقذف بالسائرين فيه إمّا إلى هناء وإمّا إلى شقاء - من حيث تشعر أو لاتشعر - في ركني حياتها المادي والروحي ، قضى الواجب المحتّم على كلّ ذي إخلاص وإختصاص أن يبادر إلى المساهمة في بنیان أُمته الناشئة بهمّته الصادقة ضمن خطّته وإختصاصه ، ليكون ملء الصحيفة بالآثار الناطقة الناصعة بريء الساحة من السؤال عن التهاون في التعاون للحياة الصالحة .

(١) مطبعة الترقّي بدمشق ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م أصدرته اللجنة التنفيذية المركزية لمؤتمر العلماء الأوّل رقم (١) .

(٢) كان هذا المؤتمر أحد آثار دعوة الإمام الزنجاني ومن أهم دعائم استقلال سورية .

ولما كان شأن رجال الدين يقف بهم على ذروة المراقبة والنظر فيما يضمن للأمة تلك الحياة الصالحة وثمراتها اليانعة ، والعمل على مايدأوي عللها ، ويسدّ خللها ، ويمنع زللها ، ويصعد بها عارجاً في مراقي الكمال البشري ، وفضائل الإنسانية ، كيلا تطغى عليها المادة فتغرقها في ضلالها عن خالقها وتجمع بها النزوات والنزعات في شهواتها ، فتنسيها أمانتها وواجباتها وأخلاقها ، فترجع القهقري من حيث تظن التقدم وترسب في حضيض الرذيلة من حيث تبغي السمو لهذه العوامل القوية وجب على العلماء - والأعباء ثقيلة متزايدة متزاخمة كما يرى - أن يفكروا في الطرق الناجحة والوسائل الناجعة لجمع الجهود وتضافر القوى الصالحة على النهوض بتلك الأعباء التي تزداد وطأتها ثقلاً كلما إشتدت عوامل المدنية المادية عماية وضراوة والتي لم تعد تغني فيها ولاثمر جميع الجهود الفردية المبعثرة .

(٢)

واجب العلماء في تبرئة الاسلام مما يصمه به المستعمرون لغاياتهم

لما كان الدين الاسلامي في مبادئه الانسانية السلمية العليا ، وفي قواعده الحكيمة الرفيعة العامة ، وفي أهدافه الاصلاحية التنظيمية الاجتماعية الكبرى - لا يقتصر على أن يكون عقيدة فردية خاصة ، بل هو أيضاً عمل وأمل ، وهمّة وانتظام ، وحسن تدبير للحياة المشتركة بين من يعيشون تحت سماء واحدة تظللهم ، وفوق أرض واحدة تقلّهم ، ورسالة إجتماعية عامّة إلى البشر قاطبة ، جاءت تحمل الإحترام للإنسان مطلقاً ، والرحمة العامّة بين الناس مهما اختلفت أجناسهم ومذاهبهم ليعيشوا بعيدين عن العصبّيات الذميمة التي تقطع عليهم طريق التعاون في العمل النافع المفيد للمجموع ، تلك العصبّيات التي أينما وجدت اليوم فإنما هي أثر سيء ، وطابع كريبه من طوابع الاستعمار الذي يشس اليوم من أن يبرّر مقاصده الغاشمة فلم ير وسيلة أكبر مفعولاً في أخفاء تلك المقاصد وسترها عن أنظار الضعفاء الميّنة لهم - سوى إيجاد النعرات المذهبية ،

والعصبيّات الذميمة الطائفية ، ليلهيهم عن شؤونهم وشجونهم متباكياً بدموع الكذب على من يسميهم بالأقليات ، زاعماً حمايتها لتثبيت أقدامه فوق مخائق الجميع على نحو الأسلوب الشيطاني الذي قال ^(١) فيه نبينا (عليه الصلاة والسلام) : « أما بعد ، أيها الناس فإن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه يطمع فيها سوى ذلك فقد رضي به يمتاحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم » .

وإذا كان ذلك الاستعمار قد حاول أن يمسّ بهذه الفكرة الخبيثة وطنيّة رجال السياسة في شيء ما - فقد إستهدف أيضاً أن يجني على الدين الاسلامي في المراكز الاسلامية جناية كبرى في وصمه ، وتشويه سماعته ورحابته في مبادئه الحيوية الانسانية العامة والبريئة من كرية العصبيّات وفكرة العدوان ، ذلك لأنّ الدين الاسلامي - وهذه مبادئه - لا يأتلف مع الاستعمار في مكان أو زمان ، وهو أكبر ضمانة للعمل الدائب على طرده ، وحفظ وحدة الصفوف في الحياة المشتركة بين أبناء البلاد ، فقد قال ^(٢) الله تعالى في القرآن العظيم : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ وقال ^(٣) نبينا (عليه الصلاة والسلام) : « الخلق كلّهم عيال الله فأحبّهم إلى الله أنفعهم لعياله » لذلك وجب على علماء الاسلام أن يبادروا إلى وظيفتهم في مضاعفة الجهود لعرض حقائق الاسلام وصحائفه الناصعة التي تتكفل بخدمتين عظيمتين هما : حسم دسائس الاستعمار ، وتمتين الاسلام في نفوس ابنائه ، ذلك التمتين الذي من نتائجه تحقيق إتحاد صحيح بين أبناء البلاد الواحدة مبني على أساس العقيدة النبيلة لا على أساس المجاملات الكاذبة الأمر الذي لا يحمل سوى العلماء إختصاص العمل في مضماره .

(١) أخرجه المحبّ الطبري عن ابن إسحاق .

(٢) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده والبرز عن أنس .

(٣)

غاية المؤتمر العملية

لما كان تعاقب الحوادث أفقد المسلمين كثيراً من مقوماتهم الدينية والأخلاقية والاجتماعية ، حتى أصبح منظوراً في حياتهم من هذه النواحي نواقص كثيرة ، يجب تلافيتها في ظواهرها وخوافيها وكان التطور الزمني يقضي بأن يكون ذلك التلافي منظماً وعاماً في جميع المراكز الإسلامية ، وقائماً على أيدٍ دائمة في جبهة موحدة مشتركة من العلماء - قد عزم العلماء (بعد أن ترأسوا من مختلف البلاد) على عقد مؤتمر لهم في مدينة دمشق عاصمة البلاد الشامية مللنظر في سائر الشؤون المتقدمة الذكر وإتخاذ الذرائع المنتجة لتحقيق مايجب فيها ، وتنظيم الجبهة العلمية تنظيمياً يضمن النهضة والإضطلاع بأعباء هذا الأمر الجلل ، وتنفيذاً لهذه العزيمة قامت (جمعية العلماء بدمشق) بتوجيه الدعوة إلى عقد هذا المؤتمر الميمون ، فلبّاه من القدس والنجف ونابلس وبيروت وصيدا وطرطوس واللاذقية وحمص وحماة وحلب وانطاكية وأدلب والباب ومنبج ووادي العجم والقيطرة ودير عطية والنبك ، جمهور عظيم من أكابر العلماء فيهم الشيخ المسن الذي لم تنن عزيمته مشقات السفر ، والشاب الذي لم يؤثر هواه على واجبه ، فانضموا جميعاً إلى إخوانهم العلماء في دمشق ، فبلغوا مائة وخمسة أعضاء ، عقدوا مؤتمرهم ثلاثة أيام بلياليها وصلاً ووضعوا مقررات لها من الشأن والخطورة في ذلك ما لها . . . الخ .

(٤)

خلاصة مقررات المؤتمر

١٣ - تأييد إقتراح الاستاذ الكبير الامام الشيخ عبدالكريم الزنجاني كبير علماء إخواننا الشيعة في النجف في وجوب جمع كلمة المسلمين من مختلف المذاهب الاسلامية الذين تجمعهم عقيدة التوحيد ، ومقاصد الاسلام ، لمكافحة الاحاد ، ولتنظيم العمل الاجتماعي والشؤون الاسلامية التي تهّم الجميع ، وشكر الاستاذ الإمام الزنجاني على هذه الفكرة وتكليف اللجنة التنفيذية للمؤتمر بالسعي لتهيئة الدعوة إلى مؤتمر عالمي لعلّاء المسلمين لتحقيق هذه الفكرة السامية وفقاً لإقتراحه الطيّب .

بيان المؤتمر الأول الصفحة ١٦

٧ - كلمة إلى العلماء في أقطار العالم الاسلامي

لئن كان هذا المؤتمر الأول للعلماء اليوم إقليمياً بالنسبة إلى المشتركين فيه من علماء بلاد الشام وماجاورها - فإنه في فكرته وأهدافه عالمي شامل .
فإلى علماء المسلمين في جميع الأقطار الاسلامية يتوجّه هذا المؤتمر بندائه ، مستفزاً شعورهم ، ومستثيراً خوالج نفوسهم المتأججة بغيرتها داعياً إياهم أن يعدّوا العدة ويتأهبوا لعقد مؤتمرهم العام العالمي الذي يكون صخرة مقدّسة في بناء حصن الاسلام ، وأن يكون أوّل معدّاتهم منذ الآن تواصلهم وتعاهدهم ، وعقد المؤتمرات المحلية في مواطنهم . لتكون نواة قويّة المنبت لذلك التنادي العام الأكبر في سبيل صدّ طغيان المادية الجشعة ، وتحقيق المبادئ الاسلامية في خدمة الإنسانية .

اللجنة التنفيذية المركزية بدمشق

(٢٦)

من مقرّرات مؤتمر العلماء الأول

المنعقد بدمشق بتاريخ ١١ - ١٣ رجب ١٣٥٧ و ٦ - ٨ أيلول ١٩٣٨

رقم (٢) (١)

القرار الثاني عشر

بشأن تعاون أبناء المذاهب الاسلامية وتنظيم العمل القومي

إنّ مؤتمر العلماء الأول المنعقد بدمشق في ١١ - ١٣ رجب سنة ١٣٥٧ و ٦ - ٨ أيلول سنة ١٩٣٨ بناءً على إقتراح فضيلة الأستاذ الكبير الإمام الشيخ عبد الكريم الزنجاني من كبار علماء النجف الأشرف في شأن تعاون المسلمين ، مع إختلاف مذاهبهم ، الذين تجمعهم عقيدة التوحيد ومقاصد الاسلام لمكافحة الإلحاد والفوضى الأخلاقية ، ولتنظيم العمل الإجتماعي والوحدة الروحية .

وبعد المذاكرة في هذا الإقتراح القيمّ الجليل ، وبعد الاطلاع على مساعي فضيلة صاحب الاقتراح في سبيل إقتراحه يقرّر :

١ - شكره على غيرته وسعيه في ضمّ شمل المسلمين الذين تجمعهم كلمة التوحيد لمكافحة الإلحاد ، ورفع كيان المسلمين إلى المستوى الأعلى في حياتهم الإجتماعية .

٢ - تأييده في العمل في سبيل ذلك المقصد الأسمى .

٣ - تكليف اللجنة التنفيذية بالمباشرة بالإتصال مع علماء الأقطار الاسلامية لتحقيق عقد مؤتمر عام في المكان والزمان اللذين يتفق عليهما لتحقيق تلك الأمنية السامية .

نجاح باهر

ومن الجدير بالإعتبار ما جاء في مذكرات بعض شهود العيان من نجاح عظيم للإمام في معالجة التفرقة وهذا نصّه :

تشكّلت لجنة الاستقبال في دمشق ونظّمت خمسمائة سيّارة لاستقبال الإمام الزنجاني من (أبي الشامات) نقطة الحدود السورية وأعلنته في جميع الصحف وبعد وصول موكبه السامي إلى دمشق قبل إنعقاد مؤتمر العلماء بعدّة أيّام بلغه أن أحد المشاهير البارزين من علماء أخواننا السنّة في دمشق أفتى بحرمة ذبيحة الشيعي ، حينما أحلّ هذا المفتي ذبيحة النصارى واليهود وأنّ هذه الفتوى قد أوجدت مشاكل عظيمة في الضواحي والأرياف ، فعالج الإمام أدامه الله للإسلام هذه المشكلة بكلمة إفتتح بها مؤتمر العلماء - وكان صاحب الفتوى حاضراً - وجمع بها الكلمة حتّى أقرّ المؤتمر بكيان الشيعة وقرّر موافقة الإمام وتأييده في جميع مقترحاته وعدل المفتي عن فتواه ، نفتضب منها ما يأتي :

الشيعة مع إعقادهم بالنص في الإمامة وربط مابعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) إلى ما قبلها لا يعتبرون الإعتقاد بالإمامة ركناً في أصول الاسلام .

فالعجب من بعض علماء السنّة أنّهم مع إعترافهم بعدم النصّ وأن الخلافة حدثت بعد وفاة النبيّ (صلى الله عليه وآله) وقبلها لم يكن إسم من الخلافة ولا الخليفة كيف يتوقّفون في إسلام من لم يعتقد بالخلافة أو لم يخلص للخلفاء مع إعتقاده بالوحدانية والرسالة والمعاد ، وبجميع ماجاء به نبينا محمّد (صلى الله عليه وآله) ثمّ بينّ مذهب الشيعة في أصول الدين وفروعه . . . الخ .

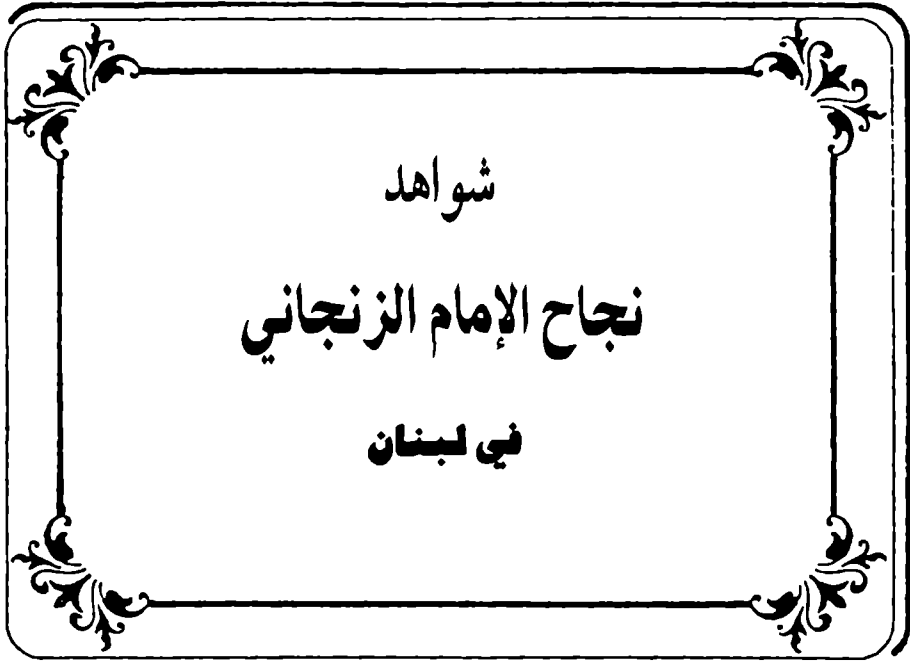
(٢٧)

الإمام الزنجاني في مادبة رئيس الوزراء لمؤتمر العلماء^(١)

أقام رئيس الوزراء بالوكالة السيّد سعدالله الجابري في الساعة الثامنة من مساء أمس - الأربعاء - مادبة عشاء كبرى في حديقة الأمة تكريماً لمؤتمر العلماء ، حضرها وزير المالية وبعض كبار الموظفين ، والمحافظ ، وأعضاء المجلس ، ولفيف من رجال الصحافة ، وقد تكلم السيّد سعدالله الجابري في نهاية الحفلة فرحّب بالعلماء أعضاء المؤتمر ، ورجا أن يكونوا رسل تهذيب الروح في هذه الأمة ، وعمّي أن يجتمع في حفلة قابلة - على ضوء إرشاد الإمام الزنجاني - أرباب العمام البيضاء ، والقلانس السود رمزاً لإتحاد هذه الأمة وتآلف قلوب ابنائها ، وانتقل إلى الناحية السياسيّة . . . الخ .

(١) نقلاً عن جريدة « الانشاء » الدمشقية ١٣ رجب ١٣٥٧ - ٨ أيلول ١٩٣٨ العدد ٥٤٦

السنة الثانية .



شواهد نجاح الإمام الزنجاني في لبنان

(١)

عودة المجتهد الأكبر^(١)

أجاب صاحب الساحة حجة الاسلام الإمام المصلح الأكبر الشيخ عبد الكريم الزنجاني دعوة الوفد اللبناني الذي جاء إلى دمشق برئاسة النائب المحبوب السيد رشيد بيضون فسافر مع الوفد إلى بيروت في الأسبوع الماضي ، واستقبل في الحدود إستقبالاً منقطع النظير ، وكانت حفلة الاستقبال مؤلفة من خمسمائة سيارة وتجاوز عدد المستقبلين في خارج مدينة بيروت خمسين ألفاً وأقيمت لتكريمه في بيروت حفلات فخمة ، وألقى محاضرة قيّمة تاريخية في نادي دار الأيتام الاسلامية موضوعها « الفلسفة الاجتماعية » حضر لإستماعها ألوف من مختلف الأديان فملك الألباب ، واسترعى الإعجاب ، وقال : إن مهمته ترمي أولاً إلى العمل للتوحيد بين الطوائف الاسلامية كمقدمة تمهيدية للتوحيد بينها وبين غيرها من مختلف الأديان ، وكان لكلمته أبلغ الأثر في نفوس المستمعين من المسلمين والمسيحيين ، وفي الأمس عاد سباحته إلى دمشق وكان في موكبه جمع غفير من وجهاء بيروت واستقبل في دمشق إستقبالاً يليق بمقامه السامي ، وسيغادر دمشق إلى العراق في هذا الأسبوع مصحوباً بالسلامة .

ألف باء ترخّب بالأستاذ الإمام الزنجاني ، وترجوا له توفيقاً دائماً .

(١) نقلًا عن جريدة « الف باء » الدمشقية ٢٢ كانون الأول ١٩٣٨ ذي القعدة ١٣٥٧ العدد

٥٣٦٦ السنة التاسعة عشر .

(٢)

الإمام الزنجاني في بيروت^(١)

مدينة بيروت تحفي بالإمام إحتفاءً عظيماً

قدم إلى بيروت في الأسبوع الماضي حجة الاسلام ، والمجتهد الأكبر العلامة المفضل سماحة الأستاذ الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني وحلّ ضيفاً في دار سعادة النائب الكريم رشيد بك بيضون ، وقد غصّت الدار طيلة الأسبوع بكبار العلماء والوجهاء والأمراء والأعيان وكافة طبقات الشعب الذين جاؤوا للسلام على الضيف الكبير .

والإمام الزنجاني هو مفخرة من مفاخر هذا العصر ، ومصلح عظيم ومن أعلام رجال الدين الذين ينظرون إلى جوهره الدين نظرة مجردة ويعمل إلى توحيد شعور المسلمين على إختلاف مذاهبهم ، ويقوم بالدعوة إلى الوحدة الاسلامية التي نحن في أشد الحاجة إليها ، ويحاول القضاء على النزعات المذهبية التي تؤخر إنتشار الإسلام وتقضي على وحدة المسلمين وعلى قوتهم ، لذلك فلاعجب إذا رأينا كبار المفكرين في كلّ الأقطار التي حلّ فيها الإمام الزنجاني يتسابقون إلى إكرامه ، وإلى الحفاوة به والإستماع إلى أحاديثه الفياضة ، والأخذ بأرائه السديدة .

وقد أقام له سماحة الأستاذ الشيخ منير عسيان رئيس محكمة التمييز الشرعية الجعفرية حفلة غداء ظهر الأربعاء الماضي دعي إليها رئيس وأعضاء محكمة التمييز الشرعية والقاضي والنائب بيضون وبعض الوجهاء .

ثم أقام له الوجيه الكبير والتاجر المعتبر الحاج محمد يوسف بيضون حفلة

(١) نقلاً عن جريدة « الكوكب » البيروتية العدد ٢١ - ٢٧٣ في ٢٧ شوال ١٣٥٧ - ١٩ كانون

الأول ١٩٣٨ - السنة السادسة .

شاي في الساعة الخامسة من مساء الأربعاء الماضي ، حضرها جمهور كبير من العلماء والوزراء والنواب والقضاة والوجهاء والأدباء من كافة الطوائف ، وقد كانت كشافة الرشيد التابعة للجمعية العاملة تستقبل المدعوين على باب آل بيضون .

وفي الساعة السادسة دعي الجميع إلى مقصف فاخر حوى ألد الحلويات العربية والإفرنجية والفواكه والشاي ، وقد تجلّى في هذه الدعوة ذوق وكرم صاحب الدعوة وأنجاله الكرام ، وفي هذه الأثناء ألقى النائب رشيد بيضون كلمة باسم شقيقه رَحْب فيها بالمدعوين ، وأبان الغاية التي من أجلها أُقيمت هذه الحفلة وذكر مالمحتفى به من المنزلة السامية والمقام الرفيع وقال : إنّ هذه الحفلة هي لتكريم العلم والفضيلة والأخلاق بشخص الإمام الزنجاني ، وقد قوطعت كلمته بالتصفيق ، وقوبلت بالإستحسان التام ، ثمّ إرتجل المحتفى به كلمة بليغة شكر فيها صاحب الدعوة الذي أتاح له التعرّف إلى المدعوّين من مسيحيين ومسلمين وأظهر إعجابه الشديد بما رآه من التضامن في مدينة بيروت ليس بين المسلمين فحسب . بل بين المسلمين والمسيحيين وسرّ كثيراً من هذا التضامن الانساني ومن الثقافة العالية التي لمسها في هذه المدينة وقال أنّه يسعى إلى الوحدة الاسلامية ثمّ إلى الوحدة بين سائر الطوائف ، وقد كان لكلمته أبلغ الأثر في نفوس المستمعين إليه ، فقال الأستاذ الشيخ بشارة الخوري (رئيس الجمهورية الآن) كأنّه - يريد الإمام الزنجاني - يوحناً جديداً ، يشرّ بمسيح جديد ، وفي الساعة السادسة إنصرف المدعوّون وكلّهم ألسنة شكر لصاحب الدعوة الذي أتاح لهم التعرّف إلى الإمام الجليل وإلى فصاحته وبلاغته .

وقد دعت الجمعية العاملة لإلقاء محاضرة في قاعة دار الأيتام الاسلامية مساء السبت ، فحضرها جمهور كبير وكان موضوع المحاضرة « الفلسفة الإجتماعية » ومقارنة الأديان السماوية .

فالكوكب ترَحّب بالضيف الكبير وتثني على جهوده في سبيل توحيد شعور المسلمين ، وتوحيد الأديان الإلهية .

نصّ رقعة الدعوة

تتشرف الجمعية الخيرية الاسلامية العاملة في بيروت بدعوة حضرتكم إلى سماع المحاضرة التي يلقيها سماحة العلامة الإمام حجة الاسلام :

الشيخ عبدالكريم الزنجاني

وموضوعها : الفلسفة الاجتماعية

وذلك في الساعة السابعة والنصف من مساء السبت ٢٤ شوال ١٣٥٧ الموافق في ١٧ كانون الأول ١٩٣٨ في قاعة دار الأيتام الاسلامية في محلة الرمل .
فنرجو تشريفكم في الوقت المعين لازلتم أنصاراً للعلم والفضيلة .

رئيس الجمعية رشيد يوسف بيضون

نائب لبنان الجنوبي

(٣)

على ضوء الزنجاني^(١)

ألقى في الأسبوع الماضي بدار الأيتام الاسلامية الإمام الكبير الشيخ عبدالكريم الزنجاني ، محاضرة فلسفية إجتماعية ، كان موفّقاً فيها إلى أبعد حد ، وأستطيع أن أقول بوضوح أنّ محاضرنا العلامة الإمام قلّ أن تسعد المحافل والنوادي بمرجل مثله يملك النفس ويثلج الصدر ، ويصبح أحدوثة الناس على إختلاف مللها ونحلها بالثناء والشكر .

تناول علامتنا الإمام فلسفة الأديان ، وعللها تعليلاً صحيحاً مبتعداً عن مرامي التعصب ومزالق الجهل ، وفي فهم الديانات الثلاث : اليهودية ، النصرانية ، الاسلامية ، وكانت جلبة لسانه العربي الطلق تموج بالناس كما تهاوج

(١) مجلة « الأمالي » ، بيروت العدد ١٨ - الجمعة ٨ ذي القعدة ١٣٥٧ - ٣٠ كانون

الأول ١٩٣٨ .

الحركة بصفحة الماء ورؤوس الأشجار ، ولقد كان يرمي من خلال أقواله إلى جمع الكلمة وتوحيد القلوب بين أبناء الشرق ، قائلاً : إنّ الجنة عرضها كعرض السماوات والأرض تتسع للجميع ، أجل فليعمل الشرق اليوم يدّاً بيد ، ليساوي بقية الأمم الحيّة وينبذ العنعنات والتعصبات البغيضة التي إن عادت علينا بشيء ، فإنّما تعود بالخسران المبين والخيبة الفاضحة .

ولقد دعى إلى توحيد الثقافة بين مختلف الطبقات ، عالماً أنّه متى توحدت العقول والأفكار توحدت القلوب والأهداف ، وهذه هي الحقيقة التي لا غبار عليها ، فليطمئن الذين يخافوا (بعبع) الوحدة العربية ويهدأون . . الخ .

والعلاج الوحيد لهذا الداء المخيف أن يعمل الشرق وخاصة لبنان لتوحيد الثقافة ، إنّها نعم الرابطة ، ونعم الوحدة تجتمع تحت لوائها حملة الإنجيل والقرآن على رأي الإمام الزنجاني سلّمه الله . . الخ .

(٤)

يرفع بيده لواء الفكرة وفي رأسه علم ابن سينا

وفي قلبه رفق المسيح (٥) وفي صدره عزيمة أحمد (ص)

الشيخ الامام الزنجاني يحاضر عن الوحدة الإنسانية (١)

الفردوس فسيح وكوثره يروي الجميع

حدّثني صديقي قال : إنّ عالماً جليلاً وإماماً كبيراً سيتكلّم عن بعض الشؤون الاجتماعية في الميتم الإسلامي ، فاحضروا ، فستسمع مايسرك .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(١) نقلاً عن جريدة « المكشوف » بيروت في ٢٦ كانون الأول ١٩٣٨ السنة الرابعة

تطلّ علينا من تحت عمامة عريضة بيضاء فوق منكبين يعلنان العزم والتؤدة والثبات .

وعليكم السلام . قصفت مهمدرة من ألوف الشفاه ، ثم صوت مخنوق يكاد ينم عن حياء وضعف .

سأجتهد في هذا المساء أن أسمعكم صوتي ، ولن أفكر في عرض بلاغي ، ولذا سأتكلم باللسان العادي . .

فأحسست كأنني حملت إلى شاطئ الخليج ، وإذا بالدر يعوم والناس يندفعون من كلّ صوب متلاقطين الكنوز .

من هو هذا الصوت الصارخ يأتري ؟ أمعمدان جديد يتقدّم مسيحاً جديداً ؟ وقد سمعت الحديث يدور حول السلام في توحيد النزعات الدينية الإلهية المتباينة في الصورة والمتّحدة في الجوهر .

هو الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني .

وتابع المحدث : من النجف ، يسير في الطريق التي رسمها السيّد جمال الدين الأفغاني ، وعبدها الشيخ محمّد عبده يحول في الشرق ويوقظ النيام أن توحدوا ففي الوحدة حياة وسعادة .

استقبله الأزهر فوق إستقبال الغزاة الفاتحين وصافحه الشيخ المراغي بيد تفتّش عن رسل النور واليقين ، وقبل يده الدكتور طه حسين معلناً : هذه أوّل يد قبلتها .

زار إفريقيا والهند والصين يرفع بيده لواء الفكرة ، وفي رأسه علم ابن سينا ، وابن رشد والغزالي والأفغاني وعبده ، وفي قلبه رفق المسيح (عليه السّلام) وفي صدره عزيمة أحمد (صلى الله عليه وآله) .

دخل بلاد الأفغان وبلوخستان ، وتسلق سفح هملايا^(١) فقد سمع أنّ على

(١) جبال هملايا : أعلى قمم في جبال العالم لم يتمكّن من الصعود على سطحها أحد ، وهي واقعة في وراء بلدة « دارجيلن » الواقعة في شمال « كلكتا » بمسافة ٣٥٠ ميلاً .

سطح العالم قوماً ذوي تفكير ، فرقي إليهم ، ونظر معهم إلى صفاء النور المنعكس عن ثلوج إفرست .

إن الدين الإسلامي يأمركم باحترام الأديان المنزلة ، ولا تخافوا من ضيق المكان في العالم الثاني فتلهع قلوبكم على غير المسلمين ينزلقون إلى أعماق الجحيم ، لاشتداد الزحمة وضيق المكان فالسما واسعة فسيحة وجناتها غناء وارفة وأنهارها الكثرية تسقي أضعاف أضعاف الموجودين بدون عداد وهي لاتنقطع ولا تلوث . (١) .

وليس الجهاد اليوم فرضاً على المسلم بالمعنى المفهوم قبلاً فالتفاهم بالحسنى أولى ، فيأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ، ولا إكراه في الدين . .

وعلينا أولاً أن نسعى إلى ترتيب بيتنا ، ومن أجل هذا فإنّي أجول في العالم الإسلامي ، وأدعوا إلى عقد مؤتمر للتفاهم ونبذ الخصام ، وأملنا وطيد بأننا متى وحدنا كلمتنا سنتصل بمؤتمر الأديان العام ، ونسعى إلى التفاهم العالمي .

ماذا قال الشيخ الإمام ؟ أيسعى إلى مؤتمر عالمي تواجه فيه القلنسوة العمّة فتعانقان ؟

أجل ، وهو يقول أيضاً أنّه لا يجوز أن يبقى الشعب طعمة سدّعة لفئة متشحة بثوب الدين تمتطي بالفرقة ظهره ، وييدها لجام الجهل ، ومهماز الطمع .

لافضّ فوك أيّها الشيخ الإمام . وحيا الله فيك هذه الروح السامية ووفّقك في مسعاك النبيل وها عمّة بيضاء ثانية تعتلي المنبر ، فالشيخ مصطفى الغلاييني يقول كلمته ، وقد رجي إليه ذلك ومن أحقّ منه بالإجابة باسم بيروت وقد خصّ الإمام الزنجاني الأمة اللبنانية بعاطفة كالمسك طيباً وأشاد بعزيمة اللبنانيين وهمتهم ورغبتهم الصادقة في العلم . .

تكلم القاضي . . . وشرح معنى الوحدة التي دعى إليها الإمام الزنجاني

(١) قال الله تعالى : ﴿ وسابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ .

وقال : إنّ الأمة اللبنانية ، وعلماء بيروت ، وفي طليعتهم ساحة مفتي الديار اللبنانية - وكان سباحته حاضراً - موافقون على ماجاء به الإمام الزنجاني وحصل أنّه قبل كلمته بلحظة قام من بين الحاضرين شاعر عامّي أُستحسنّت أبياته وكاد يجرّه إستحسانها إلى الميجانا .

وكان الأستاذ حلّيم دموس حاضراً فلماذا لا يعرض شعره المدمس والجو رائق ، والجمع متشوّق ، والحديث ذو شجون ، وهو سيصدر في السنة القادمة إن شاء الله ملحمة عن بلاد العرب على لحن :

بلاد العرب أوطاني من الشام لبغدان
..... إلى تطوان

أشكرك أيّها الصديق من صميم قلبي ، لأنّني رأيت في فضيلة الشيخ الإمام الزنجاني روحاً أطيب من شذا المسك ، ياليت إقامته في بيروت تطول فيتعرّف إلى عاطفته النبيلة رؤساء الطوائف الأخرى ، فلعلّ في ذلك مقدمة لخير عميم .

ومن نشيد الملحمة نظم حلّيم دموس مؤلّف ملحمة العرب أنشده صاحبه في الحفلة تأييداً للإمام الزنجاني :

تغنيّ عروس الشعر باسم محمّد	وهزّي بني الدنيا بسيرة أحمد
تغنيّ ، بأجماد الجدود وأيقظي	بقيشارة الإلهام أجفان هجد
تغنيّ بمجد العرب والعرب أمة	لها في ذرى العلياء أرفع مقعد
تغنيّ فأذن الدهر تصغي لشاعر	إذا كان في الإنشاد غير مقلّد
سأنشرها في الخافقين ملاحماً	على نسج « حسان » ونغمة معبد
فأنشد ألحان السلام لموطن	مثلث أقنوم به كالموحد
وألقي بذور الحب في كل بيعة	وألقي بذور الحب في كلّ مسجد
فألمس في القرآن عيسى بن مريم	وألح في الإنجيل وجه محمّد

(٥)

من كتاب شاهد العيان (١)

سيدي الإمام الزنجاني ، سمعتكم في بيروت تلقون محاضرتكم في نادي الكشاف المسلم ، وقد نالني من روعتها وإعجابي الشديد بها ما جعلني أكبركم جداً وأفتخر بكم ، خصوصاً عندما ظهر لي الفرق بين المثل الأعلى في علمائنا وغيرهم بقول الأستاذ الشيخ مصطفى الغلاييني - بعد أن أرتج عليه - .

ماذا أقول بعد مقال الإمام الزنجاني ، إن كلامي بعد كلامه مثل أكل المخلل بعد أكل البقلاوة .

وفي ذلك النادي الحافل يخطب حليم دمنوس الشاعر المشهور فيقول :

وكنّت أودّ أن لاتلقى هذه المحاضرة القيّمة في هذا النادي بل على ساحة البرج حتّى يسمعها العربي والعجمي والشرقي والغربي والإفرنجي والأميركي والانكليزي والأرمني والنصراني واليهودي وكلّ من يتذوّق العلم ويسعى وراء الحقيقة الخالصة فنحيا في حقل الإنسانية سعداء . . . إلخ .

(٦)

لماذا ارتج على الغلاييني ؟

لأنستطيع أن نصف هبة الموقف التي أحدثته محاضرة الإمام الزنجاني في دار الأيتام الاسلامية ببيروت ، فقد كان مفعول المحاضرة معتمداً على سلطة الإمام النفسية ومقدرته الأدبية فأبرز الحقيقة بأجلى مظاهرها ، وألقى على المجتمع الإنساني نتائج علمه ، وثار بحوثه ودروسه في أسلوب خلّاب أوجد الوحدة الكيميائية في المستمعين ، وبعثهم حيث أراد ، ووجههم كيف شاء ، فلاغرو

(١) حسن حسني جلول ٦ - ٩ - ٤٢ .

حينئذ أن نرى خطيب بيروت المصقع ، وأديبها البارع الشهير ، فضيلة الشيخ مصطفى الغلاييني القاضي قد أرتج عليه حينما إرتقى المنصة ، ولكنّه كان ممن أرتج عليه فأبدع ، إذ قال : « يا أهل بيروت أنا خطيبكم لافي مثل هذا الموقف وقد سمعتم محاضرة الإمام الزنجاني التي لم تشهد بيروت نظيرها ، وإنكم في طلب الكلمة مني بعد هذه المحاضرة على سبيل من أكثر من أكل البقلاوة فاشتهدى المخلل ويكفييني أن أقول : أن جميع علماء بيروت وفي طليعتهم سماحة المفتي وافقوا على مادعا إليه الإمام الزنجاني » .

وما أشبهه بخالد بن عبدالله القسري ، فإنه أراد أن يخطب يوماً فأرتج عليه فقال للناس :

إن هذا الكلام يجيء أحياناً ، وربما كوبر فأبى وعولج فبنا ، والثاني لمجيئه خير من التعاطي لأبيه ، وتركه عند تنكره ، أفضل من طلبه عند تعذره ، وقد يختلف من الجريء جنانه ، وينقطع من اللذب لسانه ، وسأعود فأقول .

ولعلّ هذه العبارة على وجازتها خير من الخطبة التي كان يريد أن يدلي بها ، ولو كان كلّ من أرتج عليه أتى في إعتذاره بمثل هذا الإبداع الخطابي للقسري والغلاييني لتمنينا أن يرتج على كلّ من يتصدى للقول رجاء سماع مثل هذا الإعتذار .

وقد أرتج ^(١) على يزيد بن أبي سفيان والي ربع من أرباع الشام حين رقى المنبر ، فاستأنف فأرتج عليه فقطع الخطبة وقال : سيجعل الله بعد عسر يسراً ، وبعد عي بياناً وأنتم إلى أمير فعال أحوج منكم إلى أمير قوال .

(١) نقلاً عن تهذيب الكامل الجزء الأول صفحة ١٨ .

(٧)

مجلة العرفان اللبنانية

الجزء ٨ من المجلد ٢٨ ذو القعدة ١٣٥٧ - كانون الثاني ١٩٣٩

حول تقريب الأديان والمذاهب أو توحيدها

دعانا إلى هذا البحث الآن الخطاب القيم الذي ألقاه العلامة الشيعي الكبير الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني على ألوف من الحضور وبينهم فريق غير قليل من الطبقة الراقية المثقفة من جميع الفرق وذلك في قاعة دار الأيتام الكبرى . . الخ .

ومجمل القول أنّ علامتنا الإمام تفنن كثيراً في خطابه الممتع ، وكنا نود أن يتسنى لنا نقله برمته أو إختزال مواضيعه على الأقل بيد أن شيئاً من ذلك لم يكن وإنما نقلنا عنه ماعلق بالذاكرة فقط .

واقترح الأستاذ روجي فيصل على العلامة الغلاييني أن يقول كلمة في الموضوع ، فصعد المنبر وأظهر إرتياحه لما فاه به الإمام الجليل وأن علماء بيروت وفي طليعتهم سماحة المفتي موافقون على ما جاء به . . . الخ .

(٨)

الشيعة والمعاهدة

إعتذر المندوب السامي الإفرنسي في لبنان وسوريا إلى الإمام الزنجاني عما حدث من سوء الفهم لدى السلطات الدبلوماسية الإفرنسية حين تشريفه لبنان ، وقال أيضاً : « أعطينا للأقلية الشيعية في لبنان حقوقها التي كانت مهضومة في عهد الأتراك ، وتأسف المندوب السامي على عدم إمكان الثقة بالشيعة وعدم إمكان الإعتماد على معاهدتهم لأنّ مذهبهم - التشيع - يقضي

بوجوب تقليد الشعب للمجتهد الحيّ ، وهذا المجتهد الحيّ قد يفني بإلغاء المعاهدة المعقودة في عهد سلفه المتوفّي ، بل قد تسمي المعاهدة ملغية بمجرد وفاة المجتهد الذي عقدت في عهده ، وتمنّى المندوب السامي أن تهتدي علماء الشيعة إلى سد باب الاجتهاد والتقليد أسوة بالعلماء السنيين الذين سدّوا هذا الباب منذ أمد بعيد ، لكي تثق بهم الحكومات وتعتمد الدول على معاهداتهم ، مثلما تعتمد على معاهدة السنيين .

فشكره الإمام الزنجاني على ما أظهره من الاعتذار والعناية بشيعة لبنان ، ولكنّه استغرب جداً ما قاله المندوب الإفرنسي ، من أنّ التقليد أو الاجتهاد قد يسبب إلغاء المعاهدات ، ثمّ بين الإمام حقيقة الإسلام وحقيقة التشيع بأسلوب جذابّ إندهش منه المندوب السامي فأمر كاتبه حالاً بتسجيل ذلك فسجل ما قرّره الإمام بصورة محضر ووعد أن يرسله إلى باريس لكي تدرسه حكومته .

ومآجاء في بيان الإمام الزنجاني : إنّ الدين الاسلامي - لكونه ديناً عاماً خالداً كلّ الله تعالى باعتناقه جميع عناصر البشر إلى آخر الدنيا - يقضي بوجوب الاجتهاد فيه لاستنباط أحكام الحوادث المستجدة في العالم ، وأنّ فلسفة هذا الدين القويم تمنع بتاتاً من سدّ باب الاجتهاد والتقليد ، ولأجل ذلك نرى في عصرنا أنّ أعلام العلماء السنيين يحاولون فتح باب الاجتهاد أسوة بالعلماء الشيعيين بعد أن كانت مسدودة لأسباب يقف اللسان عن نشرها .

وقال أيضاً : ولكنّ الأغراض والجهل هي التي صوّرت قضية الاجتهاد والتقليد على صورة تؤدّي إلى تحويل تيارات العقول والأفكار إلى الناحية المعاكسة لأصل نشأتها وغايتها .

ثمّ قال الإمام : إنّ المجتهد الشيعي لو نصب متولياً على وقف ، أو قيماً على صغير لا تبطل توليته أو قيمومته بموت هذا المجتهد إجماعاً وتدوم لهما التولية أو القيمومة مادام مستجمعين للشروط المؤهّلة فكيف يمكن أن يحتمل بطلان المعاهدة بموت المجتهد ؟ والمعاهدات ليست خاضعة للفتوى وإنما تعقد بعد

مشورة الأمة حسبما أمر به الله تعالى في قوله : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ و ﴿ أمرهم شورى بينهم ﴾ وأستطيع أن أقول : أنّ تعاليم الدين الاسلامي تحتوي على ما هو أجلّ مما أسموه في الغرب « الشرع الدولي » المرتكز على قاعدة المساواة بين الدول بموجب القواعد المقررة في حقوق الدول العامة التي ولدتها الحاجة والتعامل بعد إعتبار المساواة بين المقيمين في أرض واحدة بدون النظر إلى دين أو نسب بموجب فكرة الوطنية الأرضية التي نشأت على أنقاض العصبية النسيبة ، والجامعة الدينية المسيحية .

وأما العدل الاسلامي في معاملة غير المسلمين فهو أجلّ وأرفع مما تعامل به كل دولة الشخص المتمي إلى غيرها بموجب قواعد حقوق الدول الخاصة .

الوفاء بالعهد روح التشيع

ثمّ قال الإمام الزنجاني : إنّي أعلن على جميع الأمم والحكومات في مشارق الأرض ومغاربها ، أنّ الشيعة وسائر المسلمين خير من يراعي العهود ، ويحافظ على الوعود ، وترى أنّ الأمم بأخلاقها وصدقها ووفائها ومحافظتها على وعدها وعهدها ، ولا يدور بخلد أحد منهم إمكان الاعتداء على المعاهدات ، والعبث بالمحالفات ، دون سبب معقول ، أو عذر مقبول ، وأنّ جميع الطوائف الاسلامية - من الشيعة وأهل السنة - تعتقد أنّ الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) هو القدوة الحسنة ، والمثل الأعلى لذلك ويجب على جميع المسلمين التأسّي به (صلى الله عليه وآله) في ذلك .

أعطيكُم مثلاً لذلك : في « معاهدة الحديبية » لما قرّر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يتعاهد مع قريش دعى بكاتبه (أوس ابن خولة) وأمره بكتابة صورة المعاهدة ، فأبى (سهيل ابن عمرو العامري) رئيس وفد قريش أن يكون الكاتب أحداً غير ابن عمّ الرسول (صلى الله عليه وآله) علي بن أبي طالب (عليه السلام) - إمام الشيعة الأعظم - فقال النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) أكتب . . .

نصّ المعاهدة

باسمك اللهم . هذا ماصالح عليه محمد بن عبدالله ابن عبدالمطلب سهيل بن عمرو العامري ، على أن نخلي قريش بيننا وبين البيت نطوف به في العام المقبل ، وأن من جاثنا منهم رددناه وإن كان مسلماً ومن جاء قريشاً ممن إتبعنا لا يرد إلينا ، وأن من دخل في عقد محمد وعهده دخل ومن دخل في عقد قريش وعهدها دخل .

المثل الأعلى للوفاء بالعهد

لم يكد يتم التوقيع على المعاهدة ، ويستلم كل فريق نسخته حتى حدث حادث برهن على قيمة المعاهدات في نظر المسلمين وقتئذ ، وذلك أنه كان بمكة جماعة من مستضعفي المسلمين ، فلما أحسوا بمقدم رسول الله (صلى الله عليه وآله) شرعوا يدبّرون الحيل للهرب من أسر المشركين ، والالتجاء إلى حمى المسلمين ، وأول من نجح تدبيره منهم أبو جندل ، واسمه « العاص » وهو ابن « سهيل بن عمرو العامري » صاحب عقد الصلح ، وكان من المعذبين بسبب إسلامهم ، إذ حبسه أبوه منعاً له من الهجرة ، فلما رآه المسلمون فرحوا به فرحاً شديداً وأما أبوه فقد أخذه الحنق وملكه الغيظ من ذلك حتى قام يوسع ابنه ضرباً ولكم ، وأخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بذلك فتدخل في الأمر وطلب إلى سهيل أن يحرر ابنه فأبى الوالد طالباً لإنفاذ العهد ، وهنا توسّط « حويطب بن عبد العزى » عضو وفد قريش فأجار أبا جندل ، وتعهد أن يكف عنه أباه .

فلما رأى أبو جندل أنه لا محالة راجع إلى مكة إستغاث بالمسلمين قائلاً : يا معشر المسلمين أورد إلى المشركين وقد جئت مسلماً ألا ترون ما قد لقيت ؟ فتأثر المسلمون لهذا الكلام وأشفقوا عليه وخاطبوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يكلم أباه ثانية ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) مخاطب أبا جندل : أبا جندل إصبر واحتسب فإننا قد أعطينا القوم عهداً وصالحناهم قبل أن تأتي إلينا ،

ولا ينبغي لنا أن نغدر ولا يصلح الغدر في ديننا ، وقد تلطفت بأبيك فأبي ، وإن الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين مخرجاً .

ولما عاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة جاءه فيها أحد المستضعفين من المسلمين بمكة هارباً واسمه « أبو بصير » فكتبت قريش إلى النبي (صلى الله عليه وآله) تطلبه وكان مما قالت في ذلك الكتاب : لقد عرفت ما عاهدناك عليه من ردّ من قدم عليك من أصحابنا ، فابعث إلينا بصاحبنا . فقال النبي (صلى الله عليه وآله) لأبي بصير : إنّا قد أعطينا هؤلاء القوم عهداً ولا يصلح الغدر في ديننا فانطلق مع رسولهم .

فقال أبو بصير : يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) أتردني إلى المشركين يفتنونني في ديني ؟ ! فقال له النبي (صلى الله عليه وآله) : « إنطلق إلى قومك فإنّا لا نغدر وإنّ الله جاعل لك من الضيق فرجاً » إلخ .

ثم قال الإمام للمندوب الفرنسي : قدّمت لكم هذه الفلسفة السياسية النبوية التي هي من التعاليم الدينية للشيعّة ولسائر المسلمين لتقارنوا بين درجتي التقدم الفكري ، والرقي العقلي في القرن العشرين - الذي يدّعون أنّه عصر التقدّم والنور - وبين القرن السابع الميلادي ، ولتدركوا قيمة المعاهدات في الديانة الإسلامية لدى الشيعة والسنة جميعاً ، لتوازنوها مع قيمة المعاهدات الدولية في نظر المدينة الغربية ، ولتعرفوا المبادئ الإسلامية التي دعمت على أسس الفضيلة الحقّة والعقلية الصحيحة ولكن لا يلدغ المؤمن من جحر مرتّين ، فإذا رأى المسلمون أنّ الجانب الثاني نقض شروط المعاهدة ، ومزّق بيد الغدر خيوطها ، فعندئذ يستحيل أن يكون للخائنين عند المسلمين عهد يرجى أوجانب يؤمن إتباعاً لسيرة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فأظهر المندوب السامي إعجابه بهذه النظرية الإسلامية التي وصفها بأنّها دقيقة وصحيحة وجديرة بالدرس والاعتبار ولكنّه قال أنّه سمعها لأول مرّة بينما يعرف أن تنقيد مذهب التشيع مشهور في الغرب وتتطلّب إزالة هذه الشهرة جهوداً

كبيرة من علماء الشيعة لتقنيع العالم أجمع بأن هذه النظرية هي قضية متفق عليها وإجماعية ، وليست نظرية فرد واحد منهم .

(٩)

من كتاب رئيس الجمعية الخيرية الاسلامية بيروت

بيروت في ٢٨ - ٣ - ١٩٣٩

حجة الاسلام العلامة الإمام المصلح الأكبر مولانا الشيخ عبدالكريم الزنجاني هداانا الله بهداه آمين .

النجف الأشرف - العراق

أقبل أنا ملكم ، وأرجوا دعائكم يامشعال العلم في الأفقين ومنار الفلسفة في الخافقين ، فالسلام عليكم يامن وقفتم على خدمة الاسلام نفسكم وضحيتم لهنائهم راحتكم السلام عليكم يامحط آمال العرب والعجم وملاذ من تاقت نفسه إلى النعم ، وحدت به الآمال إلى أسمى وأعلى الحكم ، السلام عليكم يانا بذي من دعى في الإسلام إلى الفراق والساعين بجديد قداكم إلى التلاقي والوفاق .

لستم في فنائنا إلا ملاكاً رقت شعوره وشع نوره وعلا صوته كالرعد حيناً وكالتراغي أحياناً ، أنا في ليل مدلهم وبحر ملتطم فأنا بروج دياجيناً ، وخلصنا بحكمته ورويته من مهالكنا ، فأنت أنت الذي لا يستقر إلا في السويداء ولا يملأ خياله إلا العيون ، أنت من نصح فأوعى ، وساس فرعى ، وصفح عن تفسير منأ بدا ، ورضي عن إخلاص قد بدا ، فيا منار الفضيلة ويا شعله الحق الملتهم ، هل تعلمون ما كانت التأثيرات علينا بعد فراقكم إيانا وطلاقكم لنا ؟ لم تعد بيروت إلا خيالاً وهمياً أمام أعيننا . . . ولم تعد دارنا إلا قفصاً أفلت منه كناره تاركاً الوحشة والحنان . .

سيدي الإمام . . . بملء اللهفة إستلمت كتابكم الكريم فكان للنفس نوراً

وللخاطر بهجة وسروراً تلوته وأعدت تلاوته فهازدت إلّا شوقاً لآياتكم الحكيمة وعظماؤكم الرحيمة وفلسفتكم القويمة . . لم نكن ياسيدي إلّا مقصّرين في أداء واجب محتمّ نحورجل أضاء الاسلام والعرب دنياً وديناً ساعياً بهم نحو شاطئهم الأمين بانياً عليه لهم حصناً حصيناً وخلداً أميناً . . .

مولاي : إنّي كما نصحتني رائدي الحق ، وهواي الإخلاص ، ومناي التضحية ، فهذا صراط إستتبعته فدلّيتموني على نهجه الأقوم ، وسلكه الأسلم ، فسرت مجدّاً مطمئناً لاترعى لي عزيمة ، ولاتكلّ لي همّة ، برضى الله ودعاكم .
هذا وإنّ أكثر الجرائد اللبنانية نشرت كلمتكم الرقيقة وكلّها سرور لعاطفتكم ، وبهجة لشعوركم . . . الخ .

المخلص يوسف بيضون

(١٠)

من كتاب رئيس جمعية الإصلاح الخيرية الإسلامية في بيروت

آية الله في أرضه ، وورث أوليائه وحجّته الكبرى في هذا العصر حجة الإسلام ، ورافع لوائه وساحة المصلح العظيم والإمام الكبير المولى الجليل الشيخ عبدالكريم الزنجاني المعظم دام ظلّه الظليل أبد الأبدين .

السلام على مولانا الجليل ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فإننا نتبرّك بالتمسح بيديه الكريمتين ، ونستمطر شتّابيب دعائه ثمّ نتقدّم من سماحته راجين أن يرمق كتابنا هذا بعين لا ينبعث منها إلّا العطف .
مولانا . .

ما زالت العناية الإلهية - تعالت وعزّت - ترمق الإسلام والمسلمين بعين اللطف ، فتبعث على رأس كل قرن من يقف نفسه وعزيمته وتفكيره على لم شعث المسلمين وحفظ الإسلام ، ذلك لما يعلمه - جلّ جلاله - من جموح النفس

البشرية ، وميلها الغريزي إلى التفلت من القيود التي قيدها بها العقل ، وظاهرته عليها الشرائع .

وسماحتكم من هؤلاء الذين مازالت تجود بهم العناية المبدعة على رأس كل قرن ، وكلما مست الحاجة ، فظهرتم في هذه الغمرة القائمة مصباحاً لآلاء بيعت بنوره إلى جميع الجهات ، فتنفذ أشعته إلى القلوب فتثيرها ، وإلى النفوس فتجعل آفاقها وضياءً ، وكنتم في هذا الزمن العصيب ، وقد أغارت السياسات - القديمة والحديثة - على وحدة المسلمين خير داعية إلى لم الشعث ، ورأب الصدع ، ولم تكونوا كذلك إلا لأنكم أخلصتم الله كل الإخلاص ولم تدخروا إلى الشريعة السمحاء إلا النصيح والإخلاص والخير ، وقفتم أنفسكم وتفكيركم على هذا ، وعاهدتم الله على الوفاء بما قطعتم على تلك النفس الكبيرة من عهود ، وتعالى ذلك الصوت مجلجلاً من أعماق القلب فتجاوب صدهاء في كل جو وفضاء ، ومضى يتسرب إلى النفوس وينفذ إلى القلوب ، فيبعث فيها الخشوع ، ويعيدها إلى حظيرة الهداية .

لا يدخلن القلب صوت لم يكن في أعماق الإحساس ترب نواته
إن لم يكن صوت المعلم قطعة من نفسه ، لم يجدنا بعظاته

ياسماحة المولى :

شرّفتم بيروت ، وشرّفنا بلثم راحتكم كزائرين ، ولكن لم يسعدنا الحظ بشريفكم إلى مدرستنا ، « مدرسة الاصلاح الخيرية الاسلامية » وهذا حملناه على أن لدى سماحتكم مشاغل لم تسمح بل لم تتح لكم أن تشرّفونا بزيارة المدرسة ، ومن كان مثل سماحتكم يحمل أثقال ملة عظيمة على كاهله بل أثقال الانسانية ، لاتساعده الظروف على تلبية جميع ما يطلب منه . . . الخ .

مدير الجمعية المسؤول رئيس جمعية الاصلاح الخيرية الاسلامية في بيروت

عبد الكريم الزين

(١١)

من العراق لبيروت : قدوم الإمام الزنجاني^(١)

وصل إلى بيروت قادماً من العراق المصلح الأكبر ساحة الإمام الشيخ عبد الكريم الزنجاني إنتاجاً للراحة بعد أن أجهد نفسه وبذل قصارى جهده ، في درس أدواء المجتمع ، وعمل على توحيد كلمة المسلمين في العالم ، وكان في موكبه وفد كبير من علماء ووجهاء صيدا والنبطية فاستقبل بمبايلى بمقامه السامي ونزل ضيفاً كريماً على ساحة الشيخ منير عسيران رئيس محكمة التمييز الجعفرية ، وتوافد عليه الكثيرون من المعجبين بعلمه وفضله وإخلاصه وجهاده ، والذين يؤازرونه في رسالته وفيما كرّس له نفسه ، للسلام عليه والترحيب به ، ونحن نرحّب لسماحته ونرجوا له طيب الإقامة .

(١٢)

العلامة الزنجاني ضيف لبنان العزيز^(٢)

ولابدّ لي في خاتمة كلمتي هذه - وأنا شيعي - من أن أقول كلمة لا يردني منها أحد من أفراد الشيعة ذوي الشأن ، تلك هي :

إن الطائفة الشيعية خاصة ، والأمة الاسلامية عامة ، مدينتان لهذا الرجل الكبير بعلمه الكبير بإخلاصه ، الكبير بعلمه ، ولقد شهدته في مواقف عدّة بين مصر وسوريا ولبنان والعراق ثابتاً على مبدئه ، مثابراً على عمله ، قاصراً همّه على

(١) نقلاً عن جريدة « صوت الأحرار » البيروتية العدد ١٥٠٠ السنة الخامسة ١٧ شعبان

١٣٥٧ - ١٩ أيلول : ١٩٣٨ .

(٢) نقلاً عن جريدة « الحديث » بيروت ٣ تشرين الأول ١٩٣٨ السنة الثانية ، العدد : ٢٦٨ .

توحيد كلمة الاسلام وتوثيق عرى الإخاء بين المذهبين الكبيرين السنة والشيعة .

هذه كلمة أقدمها بين يدي أمام الله والناس اعترافاً بالجميل وانصافاً للحق من الباطل ، فعسى أن تقتدي علماء الشيعة والسنة بعمل هذا الشيخ الجليل الذي يتنقل بين الأقطار العربية في سبيل مصلحة الأمة مضحياً بكثير من راحته في سبيل أمته .

الحوماني
أحد أصحاب مجلة الأماي

(١٣)

تكريماً للإمام الزنجاني^(١)

أقام ساحة الشيخ منير عسيران مأدبة غداء على شرف العلامة الإمام الشيخ عبد الكريم الزنجاني دعي إليها نفر من العلماء والوجهاء ، في مقدمتهم الشيخ محمد الأنسي ، والشيخ مصطفى الغلاييني ، والشيخ محمد غلايا ، والسيد علي زين ، والشيخ مصطفى الحر ، وحضرة قنصل إيران العام ، وحضرة قنصل العراق العام ، والنائب رشيد بيضون . . . الخ .

وأقام التاجر المعروف الحاج محمد بيضون مساء أمس حفلة شاي في منزله حضرها فريق كبير من العلماء والرجال الرسميين والصحفيين .

ثم أقام ساحة مفتي الديار اللبنانية حفلة مأدبة غداء تكريماً للإمام الزنجاني حضرها فريق كبير من العلماء والأدباء والنواب والزعماء ورئيسا مجلسي التميز الشرعي السني والشيوعي وأعضائهما والقضاة .

(١) نقلاً عن جريدة « النهار » البيروتية العدد ١٥٥٣ ، السنة السادسة ١٥ كانون الأول سنة

١٩٣٨ ، الموافق ٣٠ شوال ١٣٥٧ .

الإمام الأكبر يشكر سوريا ولبنان^(١)

ليس في الأوساط الإسلامية ، والأوساط العربية من لا يعرف الإمام الأعظم المصلح الأكبر الشيخ عبد الكريم الزنجاني ذلك الرجل العظيم الذي يسعى لأن تحل الإنسانية الرحيمة محلّ القوميات المتنازعة والمذاهب المتشاكسة ، وقد اغتنمنا فرصة تشريفه بين ظهرانينا فتشرفنا بزيارته وسمعنا منه أضعاف أضعاف ماسمعنا عنه من رسالته الكبرى وجّهه لأن يصبغ المجموع العالمي بصبغة الانسانية الرحيمة ، ويجمع العالم الاسلامي بالوحدة الاسلامية القويمة ، ولما كان - حفظه الله - للانسانية عامّة ، وللمسلمين خاصّة يقدر كل التقدير الحفاوة البالغة التي لاقاها - وهو أهل لها - في الأقطار العربية التي دانت برسالته ، وأتبعت دعوته أرسل بهذه الكلمة شاكراً أهل القطرين : اللبناني ، والسوري ، بصورة عامّة وهذا نصّها :

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمل كلمتي هذه على متون الإجماء ، وغوارب الأرجاء ، وسفير الأثير ، وبريد الأبردين ، ناشراً بها ماتوغّل في مشاعري ، وتغلغل في جوانحي ، من الإعجاب والإكبار ، والتقدير لما غمرني من عواطف إخواني في لبنان ، وسوريا ، ومالقيت من حفاوة بالغة بي ، وإكرام لوفادتي ، وسعي إلى مودّتي ، من كل من لقيت ، من أمراء ، وعلماء ، ووزراء ، وزعماء ، وأدباء ، وكبراء ،

(١) نقلاً عن جريدة « بيروت » ٥ - آذار ١٩٣٩ - و ١٤ و ١٥ محرم ١٣٥٨ ، العدد ٤٥٦ .
وعن جريدة « البيرق » ٣ آذار ١٩٣٩ ، العدد ٣٥٧٩ .
وعن جريدة « اليوم » البيروتية ٤ آذار ١٩٣٩ - ١٣ محرم ١٣٥٨ ، العدد ٤٥٦ .
وعن جريدة « النهار » البيروتية ٢٢ شباط ١٩٣٩ - ٣ محرم ١٣٥٨ ، العدد ١٥٨٥ السنة السادسة .

وصحافيين ، وأساتذة نوادي العلم وجامعات الفضل ، وهامات الحكم والسياسة ، من جميع الطوائف في القطرين الشقيقين ، أعلا الله شأنها بالإستقلال الجاهز ، والرقي الفائز والشأو المنيع مرتلاً آيات الشكر إزاء مازهاني منهم ، من كرم أخلاق وطهارة أعراق ، ودمائة طباع ، وكلما يمثل الفضيلة ، ويحسم روح الإنسانية والاسلامية ، فسلام عليكم يا شמוש المعارف وأقمار العلم ، وأعلام الفضيلة ، وحلة مشعل التوحيد ، ومبلى رسالة الوحدة من أخيكم .

عبدالكريم الزنجاني

(١٥)

رسول السلام

ما أنبل شعور الإمام الزنجاني نحو السلام ، ونحو الإنسانية جمعاء ؟ لقد تحمل مشاق السفر الطويل - وهو الشيخ المسن - ليقابل زعماء الشرق ، وعلماء المسلمين ، والملوك والأمراء ، وليعمل معهم لإسعاد الإنسانية عامّة ، والشرق خاصّة ، والمسلمين بالأخص .

فجمع الزعماء وأهل الحل والعقد في كلّ بلد وقطر حلّ فيه ، وألقى عليهم كلمات حكمية ، وخطب من على المنابر ، وأذاع البيانات ونشر في الصحف المناهج والموضوعات ، وأدلى بالتصريحات ، حول الوحدة والإتحاد والإنضمام وأقام الأرض وأقعدها ضدّ التفرّق والإنقسام . وإنهالت البرقيات والرسائل من جميع الأنحاء على سماحته ، يشكرون مساعيه ، ويقدّسون جهوده ، ويتمنّون نجاح رسالته الكبرى ، ويعرفون أنّه رسول السلام وجدير بأن يقام له تمثال .

لقد أجمع العالم على أنّ الإمام الزنجاني - كبير علماء الشيعة وأعلم علماء المسلمين - هو رجل إنساني يحذوا - بعواطفه السامية وأخلاقه العالية ونبله العظيم ، ومزايه الإنسانية - حذو السيد المسيح (عليه السّلام) وخاتم الأنبياء

(صَلَّى الله عليه وآله) في حبّ السلام والوثام والخير بين البشر .

فيآلآها الناس اشكروه ، ومجّدهوه ، وآتبعوا هدهاء ورسالته العظمى لعلمكم تهتدون .

(١٦)

ترجمة خطبة العلامة الزنجاني إلى اللغة الفرنسية

البابا بي الثاني عشر يطّلع على مزايا الدين الإسلامي

لما زار جلالة شاهنشاه إيران محمّد رضا شاه في الفاتيكان قداسة البابا « بي الثاني عشر » إستغنيا عن الترجمان بمعرفتهما اللغة الفرنسية وفي الضمن أوصى قداسته جلالته بإتباعه في إيران خيراً ، فقال له جلالة الشاه : « بما أنّ تقاليد شعبي الإيراني وتعاليم ديننا الإسلام تقضي بوجوب إكرام الضيف فإنّي أطمئنكم أن أتباعكم ضيوف عندنا مكرمون ، وسنزيد في إكرامهم في المستقبل إجابةً لتوصيتكم » ، فاعترف قداسة البابا بأن كلام جلالته يصور الحقيقة والواقع ، وأضاف قداسته أنّه اطّلع على مزايا الدين الإسلامي في ترجمة فرنسية لخطبة ألقاها في بيروت علامة المسلمين الشيخ عبدالكريم الزنجاني في موضوع مقارنة الأديان الإلهية الثلاثة . وشرح فيها من فلسفة الدين ومزايا الإسلام أموراً لم يكشف الستار عنها غيره .

شواهد
نجاح الإمام الزنجاني
في فلسطين

شواهد نجاح الإمام في فلسطين

(١)

مفتي فلسطين يدعوا إمام المسلمين

زار معالي محمد علي باشا علوية الإمام الزنجاني في فندق مودرن بالقاهرة وقدم للإمام برقية سماحة السيد أمين الحسيني المفتي الأكبر بالديار الفلسطينية المتضمنة لدعوة الإمام الزنجاني إلى زيارة المسجد الأقصى وجاء فيها أن العرب والمسلمين في فلسطين يتشوقون إلى زيارة إمامهم الأكبر ، ثم أيد علوية باشا رجاء المفتي الأكبر ورجح للإمام أن يجيب هذه الدعوة ، فأجاب الإمام هذه الدعوة بالإيجاب ، وذلك الصعوبات السياسية الأجنبية التي حاولت عبثاً أن تحول دون سفر الإمام إلى زيارة قبله المسلمين الأولى .

فنشر في صحف القاهرة ^(١) مايلي :

يغادر مصر ضيفها الكبير سماحة الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني اليوم بقطار الساعة الخامسة والنصف في طريقه إلى فلسطين في بيروت فدمشق ، ثم إلى وطنه . . . الخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

وقف القطار الذي كان يقلّ موكب الإمام الزنجاني في محطة « القدس » قبل ظهر يوم ٢٢ رمضان ١٣٥٥ وكانت مزدحمة بألوف المستقبليين من العلماء ،

(١) نقلاً عن جريدة « البلاغ » المصرية مساء ٥ ديسمبر ١٩٣٦ العدد ٤٢٧٥ ، وعن جريدة

« الجهاد » المصرية ٢١ رمضان ١٣٥٥ - ٥ ديسمبر ١٩٣٦ .

والزعماء ، والوجهاء ، والأشراف ، والقناصل العامّة للحكومات الإسلامية ،
وفي مقدّمتهم سماحة المفتي الأكبر رئيس اللجنة العربية العليا وأعضائها الكرام ،
فاستقبل الإمام الزنجاني استقبالاً منقطع النظير ، وحلّ ضيفاً كريماً في الدار
الفخمة التي كان سماحة المفتي الأكبر قد أعدّها له وغصّت الدار بالزائرين من
مختلف الطبقات في الليل والنهار طيلة وجود الإمام في القدس .

(٢)

الخطبة النارية

إستدعى سماحة المفتي من الإمام الزنجاني باسم العرب والمسلمين في
فلسطين أن يلقي درساً عاماً في المسجد الأقصى بعد فريضة الجمعة فأجابهم الإمام
وحضر لاستماعه علماء سائر البلاد الفلسطينية ورؤسائها وزعمائها وكلّهم كانوا
يتلهفون لاستماع المحاضرة .

يحاربون الله والله هو الغالب

قال الإمام الزنجاني في خطبته النارية مانصّه : إن الحكومة التي تحاول أن
تؤسس دولة صهيونية يهودية في فلسطين ، وتريد لهم الملوكية والعزّة ، وتحارب
المسلمين والعرب فيها لتحقيق هذه الغاية ، إنّها في الحقيقة تحارب الله سبحانه
وتعالى الذي قدّر الذلّة والمسكنة لليهود بإرادته التكوينية القاهرة ، إذ قال تعالى
شأنه في كتابه المعجز الخالد : ﴿ وضربت عليهم الذلّة والمسكنة وباؤوا بغضبٍ
من الله . . ﴾ الخ ^(١) وستكون الغلبة في نتيجة هذه الحرب لله سبحانه وتعالى ،
حسبما ورد في قوله تعالى : ﴿ لأغلبنّ أنا ورسلي إن الله قويّ عزيز ﴾ ^(٢) .

(١) في سورة البقرة .

(٢) في سورة المجادلة .



يُرى في الوسط الإمام الشيخ عبد الكريم الزنجاني في القدس حين توجّهه إلى المسجد الأقصى
ليلقى فيه محاضراته النارية على سبعين ألف نسمة ويُرى على يساره سيّده أمين الحسيني
مفتي الديار الفلسطينية وعلى يمينه القنصل العام الإيراني ولقيف من القناصل والزعماء .

إنَّ العالم الغربي يخشى بأس الاسلام إذا إتحدّت أنصاره ولاسيما في بلاد العرب التي هبط فيها وحي الله تعالى بالدين الاسلامي ، وهي لاتزال الحصن الحصين لأتباعه إذ يرى الغربيّون في وحدة المسلمين خطراً على كيانهم وأغراضهم الاستعمارية ، ولا يخفون شعورهم في هذا الصدد بل هم يسعون بكل الوسائل لوضع العراقيل في سبيل التفاهم والاتحاد بين البلاد والأمم الاسلامية ، ورغم هذا كلّ نهضت إيران والهند وسائر الممالك الاسلامية لنصرة المسلمين والعرب في فلسطين . . . الخ .

ثمّ قال الإمام :

إن موقفي في « تل أبيب » الذي كان سماحة المفتي يخشى كثيراً على حياتي منه - ودوي صوتي فيها الذي أذهل الصهيونيين عن أعمالهم وإنذاري الصريح المبين الذي وجهته إليهم ، أنتج أن فريقاً من زعماء الصهيونيين إلتمسوني أن أتوسط لتتقيع اللجنة العربية العليا ورئيسها بأنّ طريقة إندماج اليهود هي أنجح الحلول للمشكلة الصهيونية ، لأنني صارحتهم في إنذاري لهم بأنّ المسلمين البالغ عددهم في العالم أربعمائة مليون نسمة كلّهم يعارضون القضية الصهيونية أشدّ المعارضة ، لأنهم جميعاً يعرفون أنّ فكرة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، ما هي من وجهة المبدأ الإنساني إلّا تنظيم عصابة بشرية غايتها النهب والاعتصاب ، وهي قائمة على نظرية إباحية بدون أية مراعاة للأنظمة الإنسانية الإجتماعية والألفة البشرية ، وقد تحلّل الصهيونية هذه الأعمال المنكرة إستناداً على توراتهم - لاتوراة موسى عليه السّلام - التي تبيح السبي ، والقتل ، والنهب ، والاعتصاب ، وكلّ شيء في سبيل بني إسرائيل . . . الخ .

ثمّ قال الإمام :

ولكنّي رفضت إلتماسهم واقترحهم لعلمي بأنّ طريقة الإندماج أيضاً غير صحيحة بل ليست ممكنة ، وذلك لأنّ مبادئ الدين الاسرائيلي جعلت الشعب اليهودي محدوداً في تفكيره وميوله ، وصيرته صعب الإمتزاج ، منفرداً في طباعه وعاداته ، وتقاليده ، بحيث رسمت فيه هذه الصفات طابعاً خاصاً به ، ويميّزه

عن سائر الشعوب ويعيش عيشة متميزة ولا يشترك في الشعور العام ، ولا يحسّ بما يحسّ به المجتمع الذي يعيش في وسطه ، ولذلك نال مقت مواطنيه في سائر البلاد والأقطار ، ولا يمكن توسيع نافذة العقلية اليهودية ، وصفوة القول أنّ اليهود أقلية خطيرة يتعذّر دمجها بأبناء البلاد الأكثرية ، وإنّي لأوافق على كلّ حلّ للمشكلة الصهيونية يتضمّن بقاء نفر من الصهيونيين في فلسطين كشريك في هذا الوطن العربي الاسلامي .

وإنّي أؤيد كلّ التأييد الرأي الذي قد صرّح به سماحة المفتي فلسطين بقوله (١) :

« إنّ فلسطين عربية بدمّها وتاريخها وحضارها ، وهي معصدة بسبعين مليوناً من العرب ، وأربعمئة مليون من المسلمين ، ولبريطانيا معهم مصالح غاية في الخطورة ، فعلى الشعب البريطاني أن يختار بين صداقة هذه المئات من الملايين وبين الاستمرار في سياسة جائرة شاذة وغير طبيعية إرضاء لمتهوسي اليهود السياسيين ، ورأساليهم . »

وإنّ في الحروب الصليبية درساً بليغاً وعبرة لكلّ من يقصد السوء بالاسلام والعروبة فالدول المسيحية مع كل ما بذلته من الجهود والتضحيات والدماء لم تفلح في قهر المسلمين وإغتصاب ديارهم نهائياً ، لأنّ في العربية الاسلامية ديناً ومبدءاً ، وإيماناً وقوة ، وهذه كلّها تجعل من العرب والمسلمين رجالاً يسخرون بالموت في سبيل المجد والحق ، وإنّ عظمة العرب والمسلمين والروحانية العربية والاسلامية لا تغلب وإن كان للمادة فوز وقتي على المسلمين لأنّ هذه الروحانية العظيمة هي حيّة كامنة في نفوسهم أبداً ، فإذا إختفت زمناً ما فلا تلبث أن تظهر بأجلى مظاهرها وقت الضيق والشدة .

نعم إنّ الروح العربية تستقي إيمانها وقوتها وثباتها من منهل دينها الحنيف ، ومن مآثر ماضيها المجيد ، وقد كان الله عوناً لها إذ تغلّبت ثلاثون ألفاً من أجدادنا

(١) نقلاً عن جريدة « المصري » في القاهرة ٣٠ نوفمبر ١٩٣٦ ، نقلاً عن جريدة « الدفاع » الفلسطينية .

العرب المسلمين على إمبراطوريتين عظيمتين ، وأسست على أنقاضهما إمبراطورية اسلامية واسعة .

وستمدّ روحانية الاسلام سبعين ألفاً من العرب وأربعمئة مليون مسلم في كفاحهم لنيل أمنيّتهم واستعادة مجدهم وإنّ سيف الله هو أمضى من سيف المستعمر وإذا إختفى نور الحقّ حيناً فلا يلبث أن تظهر أشعته الساطعة ، فتنصر العدل والحق على الجور والباطل .

الآن وقد بعثت الحركة الصهيونية في نفوس العرب والمسلمين قوّة وأملاً ونشاطاً وإيماناً ، ووحدت صفوفهم في سبيل تكوين القومية والمناذاة « بالوحدة الاسلامية » التي لانجاح للعالم العربي والاسلامي بدونها ، يجب على كلّ عربي صميم وكلّ مسلم مؤمن صادق في مشارق الأرض ومغاربها أن يثور بوجه هذا الاغتصاب والظلم والباطل وأن يتمتع لهذه المأساة المؤلة التي تمثّل على مسرح فلسطين . . . الخ .

(٣)

سماحة المفتي يشكر الإمام الزنجاني

بعد إنتهاء خطبة الإمام الزنجاني نهض سماحة المفتي الأكبر ووقف أمام المنصة وقال :

ياسماحة الإمام الزنجاني : إنّ درسكم هذا في المسجد الأقصى كان أنفع لفلسطين وأصحابها العرب والمسلمين من مائة ألف جندي بكامل معدّاتها .

ولقد قلّدتكم فلسطين بأعمالكم الجليلة منّة لن يحوها الدهر ، وسيدكركم أبنائها كلّما ذكر الجهاد في سبيلها والدفاع عن كيائها .

طلب أحد الصحافيين في القدس كلمة من الإمام الزنجاني بمناسبة عيد الفطر لكي ينشرها في صحيفته فقال الإمام :

« لا عيد للعرب والمسلمين مالم يطرد آخر صهيوني من فلسطين » ، فلم تقم الصحافة للعيد وزناً .

(٥)

كلمة الإمام الزنجاني على ضريح المنقذ الأعظم جلالة الملك حسين

رحمك الله أيها المثل الأعلى للهاشمي المجاهد المخلص في سبيل الخير العام نهضت نهضتك المباركة التاريخية فبعثت بها الحياة إلى نفوس الأمم العربية والاسلامية ، ونفشت بإرادتك الجبارة روح القوة في إرادتها وعظمة أشعرتها بسر عظمته ، فهي مدينة لك بالشعور بوجودها ، وبكرامتها وبحقها في الحياة العزيزة القوية فكنت قوام وجودها وباعث إرتقائها واستقلالها فجدير بها أن يسجل تاريخ نهضتك المباركة مع أشبالك العظام ، ووراث خلائك العظيمة ، وسجايك الكريمة والأمثلة العليا لعظمة النفوس بمداد من النور الخالد ، وكأني أرى روحك الطاهرة ترفرف على أولى القبلتين وتحميها عن إعتداء المعتدين كما كنت تحمي الحرمين الشريفين طول حياتك .

وأقول : مامات من خلف وراءه دويلاً يملأ الأجواء وذكراً تتعطر به الأرجاء ، ونوراً نستهدي به الأحياء وسيرة ترسم خطواتها القادة والعظماء ، وأشبالاً يحيون آثاره ويزيدونها لألاء ، وسلام الله على عباده الذين اصطفى والحمد لله رب العالمين .



شواهد
نجاح الإمام الزنجاني
في الأردن

شواهد نجاح الإمام الزنجاني

في المملكة الأردنية الهاشمية

(١)

جلالة الملك يدعو الإمام الزنجاني

أوفد جلالة الملك عبدالله بن الحسين المعظم فخامة حسن خالد باشا أبو الهدى « رئيس الوزراء السابق » من عمان إلى القدس للترحيب بساحة الإمام الزنجاني ، فرحب بساحته ودعاه باسم جلالته إلى عمان - عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية - فشكره الإمام الزنجاني هذا العطف السامي ، وأجاب الدعوة وتوجه إلى عمان في يوم ٢٥ رمضان سنة ١٣٥٥ في موكب فخم كان يصحبه حسن خالد باشا والقنصل العام الإيراني وفريق من عظماء القدس وعمان واستقبل الإمام من حدود المملكة الأردنية الهاشمية إستقبالاً يليق بمقامه السامي ، واستقبله في مدخل البلد معالي شريف جميل - رئيس الديوان - ثم فخامة إبراهيم باشا - رئيس الوزراء - واستقبله جلالته في خارج القصر الملكي ، وكان مع جلالته سمو الأمير طلال - ولي العهد المعظم - وسمو الأمير نايف ، وعانقه جلالته مرحباً بقدمه السعيد وقال جلالته أنه كان يراقب بدقة كبيرة سير حوادث رحلة الإمام وسيرته الجميلة وأعماله الخارقة وإصلاحاته الدينية ، وأظهر جلالته إعجابه الشديد وإكباره بساحته .

وقال جلالته مخاطباً ساحته : « إنك يا صاحب الساحة أنسيت من جاء قبلك من المصلحين وأتعبت من يأتي بعدك » .

ثم أيد جلالته رسالة الإمام الإصلاحية ودعوته إلى الوحدة الإسلامية واستحسن جلالته جداً تمهيد الإمام بالوحدة العربية للوحدة الإسلامية .



سماحة الإمام الأكبر الشيخ عبدالكريم الزنجاني يتحدث
مع جلالة الملك عبدالله ملك المملكة الأردنية الهاشمية في
النجف الأشرف .

(٢)

كتاب جلالة الملك للإمام الزنجاني

عبدالله بن الحسين

عمّان في ٢٤ ذي الحجة ١٣٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمده وأصلي على نبيه الكريم وآله

إلى حضرة العالم البحر الفهامة المجتهد الكبير والعلامة الشيخ
عبدالكريم الزنجاني نفع الله به .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فمرحّباً بالكتاب ومرسله وبالخطاب ومسجله على انقطاع في
التراسل طال وإمتناع في الأخبار بالسلامة إستطال ولعلّ المولى قد عرج على بعض
الأقطار فأراد إجابة من استعذب موارده العلمية ورغبة من رجع في محاميه المحمدية
العلوية ولذلك لم يتصل بالنجف الأشرف إلّا متأخراً ، وكان ذلك سبب تريث
الجواب حتّى يكون صدوره عن أشرف الأعتاب وفقكم الله للخير فإنكم له
أهلاً ، ولخدمة الدين وعلمه فإنكم له منهلاً ، ولقد سررت لدوام سلامتكم
وإستقرار رفاهيتكم ، وسلام الله عليكم وعلى من حفّ بكم من رجال الدين
وخدمة علمه وصلى الله على سيّدنا محمّد وآله .

محبتكم

عبدالله بن الحسين



جلالة الملك عبدالله وعلى يمينه الإمام الأكبر سماحة الشيخ
عبدالكريم الزنجاني وعلى يساره سمو الشيخ طاهر
سيف الدين رئيس البهرة في الحضرة الحيدرية في النجف
الاشرف .

(٣)

جلالة الملك يعرض عمادة الكلية الاسلامية بعمّان

على سماحة الإمام الزنجاني

عبدالله بن الحسين

عمّان في ٢٦ شوال ١٣٦٥ - الموافق ٢٢ أيلول ١٩٤٦

حضرة صاحب السماحة العلامة الإمام الجليل السيد عبدالكريم الزنجاني
المحترم .

مولانا نفع الله به .

تحياتنا الطيبة وسلامنا الأخوي يهديان إلى الساحة العالمية الكاملية نفع الله
بها ، ولقد زاد مالفضائلها لدينا من منزلة خاصة تلك البرقية التي حظينا بها ونحن
بسر سنك فشكرنا لكم إجابة ولن معكم من علماء كرام وذوات فخام ، ولقد عدنا
والحمد لله إلى الأردن بصحة وسلامة ، ولقد كان لسؤال صاحب السماحة عن
الكلية الاسلامية بعمّان الأثر البالغ ولقد ساقنا هذا السؤال إلى عرض عمادة الكلية
عليكم فخرياً وعملياً وأنه ليكفي إشرافكم ورعايتكم كما ترغبون - سيعرض
وزيرنا المفوض تفصيل ذلك ومقتضياته وأتعبه على المولى الذي لا أظن إلا أنه ملبياً
ذلك - والصلاة والسلام على رسوله وآله وعترته وشيعته .

عبدالله

برقية جلالة الملك لسماحة الإمام الزنجاني

برقية : الرقم ٤٤ - مستعجل : بغداد - النجف

حضرة العلامة الإمام السيد عبدالكريم المحترم .

أشكركم على برقيتكم اللطيفة ، وأملّي لقائكم بالنجف الأشرف بعد عودتي

من شمال العراق إن شاء الله ، سلامي على الإخوان العلماء وعلى جيرة الجد
الأعظم كرم الله وجهه .

عبدالله

مفوضية المملكة الأردنية الهاشمية في بغداد

حضرة صاحب السحاحة مولانا الإمام الكبير السيد عبدالكريم الزنجاني
المحترم .

لي الشرف أن أبعث لساحتكم كتاب حضرة صاحب الجلالة الهاشمية الملك
عبدالله بن الحسين المعظم ملك المملكة الأردنية لتتفضلوا بقراءته وتمتعنوا
بمضمونه ثم تقررُوا ما تقررُونه بشأن إقترح جلالته وتعلموني برأي ساحتكم
الأخير ، مع العلم أن جلالته يكن لساحتكم أسمى الإحترام ويعتبركم إمام
الهدى والنور مع من حولكم من سائر العلماء المبجلين المقيمين بالنجف الأشرف
بجوار سيدنا وإمامنا علي بن أبي طالب (عليه السلام) بقصد نشر تعاليم خير
البشر ، وقواعد الدين المبين ، نفع الله المسلمين والعرب بساحتكم وبسائر
الأئمة المحترمين ، وفقكم الله وإياهم لخدمة العام والخاص من المسلمين .

سيدي صاحب السحاحة : إن رئاسة الكلية الإسلامية مفوضة إلى ساحتكم
وسيكون تحت رئاستكم طائفة كبيرة من كبار الأساتذة بالإضافة إلى عميد الكلية
المنتخب من ساحتكم ، وأما المدرسة فهي ستكون في بناية جسيمة عصرية
لا يوجد لها مثيل في الشرق .

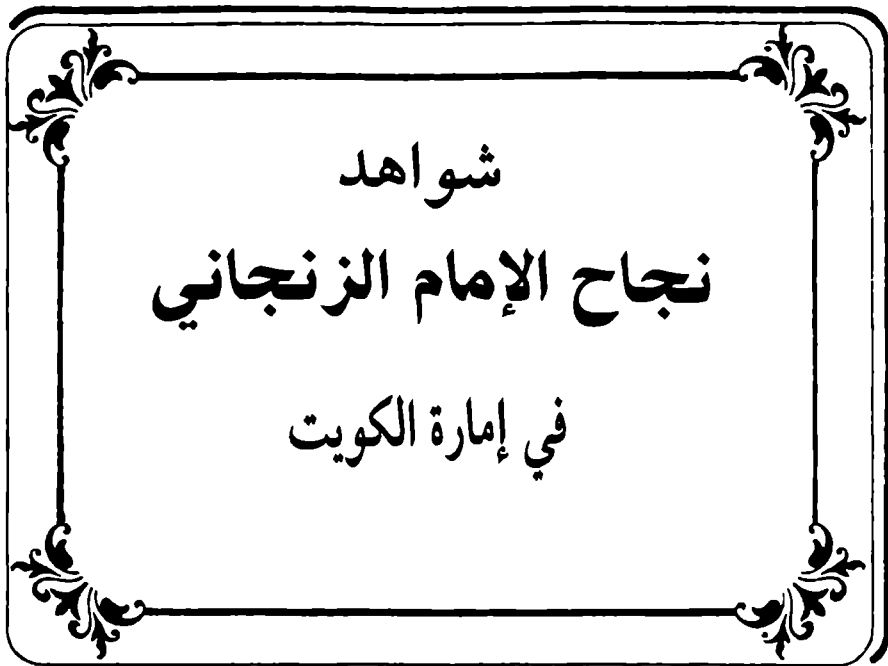
منتظراً جواب ساحتكم ، أنتهز هذه الفرصة الثمينة للأعراب عن أصدق
ولائي وخالص تعظيمي يا صاحب السحاحة .

بغداد : ٢ / ١٠ / ١٩٤٦

المندوب فوق العادة والوزير المفوض

لصاحب الجلالة الهاشمية ملك المملكة الأردنية

في العراق : عمر زكي



**شواهد نجاح الإمام الزنجاني
في إمارة الكويت**

من شواهد نجاح الإمام الزنجاني في إمارة الكويت

أمير الكويت يزور الإمام الزنجاني في النجف الأشرف

زار النجف الأشرف سمو أمير الكويت الشيخ عبدالله السالم واجتمع سموه مع سماحة الإمام الزنجاني في الحضرة الحيدرية الشريفة وتذاكر في شؤون إسلامية وأظهر سموه سروراً عظيماً بزيارته القرآن الكريم المكتوب بخط أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) بالخط الكوفي المحفوظ في ضريحه المقدّس ، فقال له الإمام الزنجاني : « يزيد في سرور سموك أنّ هذا القرآن الذي كتبه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) بخطّ يده الشريفة مطابق حرفياً للقرآن المطبوع الموجود عند جميع المسلمين بلا زيادة ولا نقصان ، فكتاب الله عند الشيعة الإمامية أتباع أمير المؤمنين وعند سائر المسلمين واحد ، كما أنّ إلههم واحد وقبلتهم واحدة وكلّهم يعملون بجميع ما جاء به النبيّ محمّد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله) ، فينبغي أن تشمل رعايتكم الشيعة كسائر المسلمين » .

وكانت النتيجة أنّ سموه بعد رجوعه إلى الكويت سمح بحرية كاملة للشيعة القاطنين في إمارة الكويت لأداء طقوسهم الدينية وشعائهم المذهبية ، وإعلان أذان الشيعة على المنابر المجهّزة بمكبّر الصوت في المسجد المخصوص بالشيعة .



في الوسط سماحة الإمام الأكبر الشيخ عبدالكريم الزنجاني
وعلى يمينه سمو الشيخ عبدالله السالم أمير الكويت حين
زيارته الروضة الحيدرية المباركة في النجف الأشرف



أسرار النجاح

أعتقد أن نهضة الإمام الزنجاني إنما نجحت لأنها جاءت في ظروف استيقظ فيها العالم الاسلامي والشرق العربي من سباته ونفوس المسلمين جميعاً متهيئة للاستفادة وقلوبهم متوثبة مستعدة للعمل لخير دينهم وأنفسهم فقاد الإمام هذه الحركة قيادة مصلح ماهر حكيم يقظ قيادة جاءت عن طبع فيه وعن سجية أنشأه الله عليها ولم يتكلفها ، وكانت دعوته الإصلاحية الكبرى مستوفية للشروط التي تضمن النجاح ، وهي : سداد الرأي ، وإتضاح صوابه ، ونصوع البرهان على أفضليته على سائر الآراء والتقاليد ، وتسليحه بأسلحة علمية وفلسفية واجتماعية ودينية ، أعظم من أسلحة تتقلدها سائر الآراء ، وكونه حقيقة راهنة يحق نورها دجية كل عقيدة أو فكرة فاسدة ، وكان جمهور المسلمين والعرب في أشد الحاجة إليه ، وأكثر ثقة فيه ، وأميل لاقتباسه ، ولم تكن أمامه مقاومة أشد منها سوى مقاومة المستعمرين له ، فإن رحلة الإمام مضافاً إلى أنها مدرسة فلسفية وعلمية ودينية وإصلاحية تدعوا إلى الإصلاح الديني والثقافي ، وتهذيب الأخلاق ، ولم تكن سياسية بالمعنى الذي نفهمه اليوم ولكن سرعان ما اصطدمت بسياسة الاستعمار التي كافحها الإمام وتغلب عليها بما أعطى على دعوته الإصلاحية من الصبغة الدينية المجردة عن السياسة لكي لا يكون مصيرها كمصير دعوة زميله المصلح الأفغاني المصبوغة بالصبغة السياسية ، وجعل دعوته قائمة باعتبارها دينية واجتماعية محضة وبعيدة كل البعد عن السياسة لكي تستطيع هذه الدعوة أن تعيش وحدها على أساس الفكرة الدينية بدون خلطها بأي اعتبار سياسي في جميع الأقطار على اختلاف سياساتها وهذا سر قبولها من الجميع ، لعلم الإمام بأن الإصلاح الديني بطبعه يؤدي إلى الإصلاح الاقتصادي وبذلك يحصل الإستقلال السياسي .

شخصيته

وفوق الجميع شخصية صاحب الدعوة والرأي ، الممتازة بشدة الإخلاص ، وقوة التوكل على الله ، والإعتماد على النفس والثقة بها ، وحرارة الغيرة الاسلامية ، وكمال العفة والزهد وقمع نائرة الطمع في جميع المواقع ، وخارق الذكاء الموصل إلى نواحي الضعف في الأمم والأفراد وعظيم الشجاعة والجرأة الأدبية ، والنشاط الجبار ، ونضوج علمي سام ، وسلطة نفسية ، ومقدرة أدبية ، وقوة خارقة يستطيع بها إيجاد العلاقة النفسية ، والوحدة الكيماوية في المجتمع وإقناع الجمهور بأرائه واستبالتهم لمبادئه وأعماله ، فيبعثهم حيث أراد ، ويوجههم حيث شاء . ونزعة فنية يتخير بها لكل مقام فكرة نبيلة مبتكرة من أفكاره السامية التي هي قبسات من نور وجدانه ونار قلبه ، ولكل فكرة مايلائمها من العبارات الرائعة والأساليب الجميلة الساحرة ، ويستعين بالمفاجئة بعد تهدئة النفوس ، وتهينة القلوب ، مع رعاية مقاييس الأفهام ، ومقتضيات المقام فتراه في مقام يلقي خطاباً ليناً حريزاً يثلج الصدور ، وفي موقف آخر يكون كلامه أفتك من النار ، وأصلب من حديد .

الأركان والأسرار

ومن أهم الأسباب خصال وأمر هي الأركان والأسرار :

(١)

التضحية البليغة

فإن سماحته قد دفع نفسه ثمناً للوحدة - ولم تكن تضحيته هذه إلا تاج حياة كلها تضحية - فهو من زمن بعيد لم يعد من أهل هذه الدنيا إلا بالشبح ، وإن كان لا يعيش في الواقع إلا لتطهيرها والسمو بها عن أدران الأحقاد والمظالم والتعصب .

(٢)

الإخلاص العظيم

وقد وصفه أحد شهود العيان بهذه العبارة :
ولم أرَ في حياتي رجلاً يستحق أن يوصف بأنه « مصلح مخلص » غير الإمام
الزنجاني - ويشهد به الشرق الاسلامي أجمع - وبفضل ذلك لم يتعذر عليه أن
يقتلع المغروس من العقائد والمبادئ في الأذهان ويبدلها بأحسن منها من دون أن
يعارضه أحد .

(٣)

نفوذته إلى عناصر المشاكل الدينية والاجتماعية

أن الإمام الزنجاني نفذ إلى عناصر المشاكل الدينية والاجتماعية ولبابها - رغم
الغموض المسيطر على كثير من نواحيها - فاقترح حلولاً لها تصلح أن تكون أساساً
لتسوية نهائية لأنها لا تتجاهل حقوقاً تقدّسها أصحابها ، وتحرص عليها ، حتى
تحملها على الدفاع عنها بالعنف والقوة .

(٤)

إتباعه المنهاج الإلهي في الدعوة

أنه يعمل بالمنهاج الإلهي في دعوته إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة ،
والمجادلة والتي هي أحسن ويبدأ دعوته بالحكمة ، فيوحّد الشعور ، ويهذّب
النفوس ، ويوجّه العقول ، ثمّ يلقي موعظته الحسنة ، فيوقف المستمعين من
حين إلى حين في المحطّات الحزينة التي تنبّههم من غفلتهم وتوقظهم من سباتهم ،
فلا ينساقون مع قطار الأوهام والخرافات التقليدية بزعمهم أنّها الحقائق الراهنة
فإنّ شاهد منهم جموحاً جادلهم والتي هي أحسن .

خطته المخصوصة المتكررة

وقد أجملها في قوله :

ينبغي أن لا نتبع في حلّ مشكلاتنا الدينية والاجتماعية ، الوسائل القديمة التي أتبعنا حتى الآن ، وأضاف قائلاً :

« ويجب أن يكون المبدأ الذي تصدر عنه نهضتنا ، والأساس الذي تبنى عليه حياتنا الاجتماعية والسياسية ، الثقة المشتركة ، وإذكاء روح الأخوة الإسلامية ، وتقوية الروابط الدينية بين المسلمين على اختلاف أوطانهم ومذاهبهم » ، ومهد الإمام لدعوته الإصلاحية بهذه الكلمة الخالدة :

« يجب أن يحكم على المذاهب بالنظر إلى سيرة أرقى ممثليها ، لا إلى انحرافات أحطّ الأخذين بها . . . » .

ثم إستعمل الإمام المجدّد في التمهيد لدعوته التجديدية ، حكمة لانفوقها حكمة ، حينما قال :

« إنّي لأدعوكم إلى جديد أو تجديد حتّى تتوقّفوا في قبوله ، بل أرجع بكم إلى الوراء قروناً لأرغبة في التأخر ، ولكن لتتمتع بأنوار المدينة الإسلامية التي شعت فترة فاضاءت الكون بسراج وهّاج ، ولأدعوكم إلى التسامح في دينكم ، لعلمي بأن التسامح في الدين هو الذي أوجب تحلّل البدع في تعاليمه الحقّة ، وسبب التفريق شيعاً وأحزاباً بل أدعوكم إلى التصلّب في الدين ، ورفض التسامح وماتركه من الآراء المفرقة » .

ولمّا حاول سهاحته أن يردّ التوازن إلى العقول ، والنفوس ، مهّد له بمقدمة حسية موجزة كانت من أهم أسباب النجاح ، وهي قوله دام ظلّه :

« كلّكم تعلمون أن كميّة من السكر مثلاً كافية لحلاوة ماء قدح إذا ألقيت في

حوض كبير من الماء لا يظهر لها أثر ولا طعم ولا خاصية ، كذلك المبالغة الزائدة في كل شيء تذهب بخاصيته وأثره ، بل قد تغير حقيقته .

وقال أيضاً : « القرآن الكريم يدعوا الكافرين إلى الإتفاق مع المسلمين بقوله تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم . . ﴾ الخ ، فلماذا لاندعوا طوائف المسلمين إلى أن يتفق بعضهم مع بعض .

(٦)

قدرته على مخاطبة مختلف طبقات الأمم

الإمام الزنجاني يعطي لكل طبقة حقها في لباقة مدهشة يرضي بها سائر الطبقات من دون ملل مع العلم بأن محاضراته كانت عمومية يحتشد لاستماعها عشرات الألوف من مختلف طبقات الأمم ، علماء الأديان وأئمة المذاهب ، وأساتذة العلوم والحقوق ، وعظماء الفلاسفة ، وخبراء السياسة ، وأفناء من الناس ، مابين مثقف بالثقافة العالية ، ومابين المثقف المتوسط ، وكان يجلس إلى هؤلاء طبقات من عامة الناس ، ولا شك أن من يتصدى للكلام أمام هؤلاء يجب أن يكون موفور الخط من العلوم ، والفنون ، والفلسفة ، والحكمة ، والمعرفة بالنفسيات والمقتضيات ، ومن وضوح العبارة ، وظهور الحجّة ، وجمال الأسلوب ، والقدرة على الإفهام والإتصاف بجميع ما ينبغي أن يتصف به المرشد المصلح العظيم ، ومنزهاً عما ينبغي أن يتجنبه من الأمور .

والإمام الزنجاني مستجمع لهذه الخصال كلها ، ومن المتفق عليه أنه صادق في شعوره وإحساسه ، أمين في تصوير هذا الشعور والإحساس ، وأن الفطنة البالغة ، وهذه الفطنة من مميزات الزعامة وهي مزيج من الذكاء والحكمة ، وبعد النظر ، والصبر الجميل . .

الإرادة الصلبة القوية من وراء منطق البليغ وحديثه الأخاذ وعزمه الجبار
وقد أسهب في وصفها شاهد العيان في رسالة مطولة يخاطب بها الإمام
الزنجاني ، نقتضب منها ما يأتي بنصّه حرفياً ^(١) :

لقد رأيتك في مصر وأنت تخطب في محافلها وشهدتك في لبنان وسوريا مجاهداً
ومناضلاً في سبيل مجدك وعزة قومك ، فرأيت منك رجلاً حنكته التجارب وهذبته
الأيام وقام على تكوينه وتلويحه عقل مّترن ومقول ذرب وعزم ثابت ونفس مرحة ،
وهم يقيمه ويعقده بين يدي روحه الوثابة وقلبه الزاخر بالحياة .

أيها الطود الراسخ :

إنّ في صفحك عن كلّ ماتقرأ وتسمع وحلمك في وجه من يرى القذاة في
عينك ولا يرى الخشبة في عينه وجهادك في تثبيت عزمك وتقرير خطتك وتوطيد
محبّتك في قلوب عارفيك وشانئك وصبرك عمّا ينالك في طريقك إلى الغاية التي
تستهدف ، إنّ في ذلك كلّ سرّاً لعظمتك في النفوس ورهبتك في الأعين وخلودك
في بطون الأجيال .

رأيتك إذ تريد شيئاً من ذلك تعتمد إلى عقلك فتسأله الحلم عمّا تسمع ، وإلى
قلبك فتناشده الصبر على ماتكره ، وإلى لسانك فتستميحه البيان المعجز في محو
ما كان وإبداع ما لم يكن ، فإذا الأذن جشعة في تلقّف ماتسمع ، وإذا العين نهمة
في إلتهاّم ماتبصر ، وإذا أنت بما تفكّر وتنطق وتشير ملء العين والأذن جمالاً
وجلالاً .

إنّ أعظم ما يبهر عيني من شخصك قوّة هذه الإرادة التي تهزم بها جيشاً لجباً
من إرادات ضعيفة تحاول كبتك والنيل منك في مغيبك ومشهدك .

(١) نقلاً عن كتاب « وحي الرافدين » الجزء الأول ، الرسالة الخامسة تأليف الأستاذ الشهير

« الحوماني » .

هذه الإرادة الجبّارة التي لو كرّرتها على الجبال لتصدّعت وعلى الصخور لاضمحلت وعلى الأنفس العاتية لمشت بين يديك صاغرة تعترف لك بالغلبة والفلج في وجهه ماتحاول .

لقد أوحيت إليّ بإرادتك هذه وأنت حكيم حكمة الإرادة العليا أم الحكمة في الكون فشاركك التحليل والتعليل ، وكنت من هؤلاء الذين يخضعون في بحار سحيفة الأغوار من الوهم والتخيّل ، ولعلّ هذا الوهم أو الخيال يرمز بشيء منه إلى حقيقة كامنة في صميم الحياة لا يتبيّن لها إلا الشاعر .

فهل تسمح لي أن أُملي على قرّاء رسالتي إليك ما أوحته إليّ إرادتك الجبّارة من تحليل حول هذه الإرادة ثمّ أعود بالتحليل إلى ذاتك الكريمة ؟ !

ولقد يجبّب إليّ إيراد هذا البحث إمتهانك الفلسفة إذ قرأت لك كثيراً من الفصول في علم النفس وتحليل كيائها .

ساقني إلى هذا البحث مارأيت من قوّة الإرادة فيك ، فمارأيتك تريد شيئاً إلاّ نفّذته بجهد جبّار لما يعترضك من مشقّة في سبيل تنفيذه فتستمرّ آخذاً بتدليل هذه الصعوبات حتّى تصل إلى مرادك ، وتنفّذ تلك الإرادة غير مكترث بما يقف في طريقك من حواجز .

أيّها القرم المجاهد :

إنّ الفكر ليحار في تحليل ثباتك على نضالك المستمر في سبيل نفوذك وهيمتك على المنصب السامي في الشعب ، ولقد وقفت حائر اللب أمام جرأتك في كلّ مشهد تتبارى الأقران للفلج فيه ، وكم خضت معركاً كانت الهزيمة مقدّرة لك فيه حتّى إذا جلت جولتك وإنجلي الأفق إذا بالغبار ينكشف عنك وأنت أبلج الغرّة ناصع الجبين تمسح صفحتيك وتقول :

عندي من العزم سرّاً أبوح به .

هذه الجرأة ، وتلك الإرادة وبينهما صبرك الفاره ، وعزمك الجبّار وما أوتيت إلى ذلك من بسطة في العلم والجسم ، كلّ ذلك يضمن لك السعادة في الحياة

والخلود بعد الموت على أن تتنازل إلى سماع كلمة من تلميزك الذي قرأ عليك كثيراً من علم النفس وهو يستمع إليك ويأخذ عنك وأنت تتحدث إليه وتملي عليه من نقيمتك على المجتمع الذي عرف الغث وأنكر السمين من رجاله تلك الكلمة هي : أن تثابر على حلمك وصبرك وخدماتك لأبناء قومك في المظالم التي ترهقهم من أولي الأمر فيهم ، كما تثابرت وناضلت في سبيل منصبك الذي أحرزته في قلوب كثير من عارفيك في مصر وسوريا ولبنان ولست في حاجة لأن أبشك ماتركته في نفوس القوم فإنك أعرف به مني ، ولعل الأيام تنصف الأحرار من رجال الأمة فتضرب على يد الظالم وتأخذ بيد المظلوم إلى حيث يسعد بعد شقائه وينعم بجميل الذكر تلقاء ماضى في سبيل الحق . . . الخ .

ويؤيد مقال هذا الأستاذ ما قرره إجماع شهود العيان من أن بيان الإمام الزنجاني مقرون بصراحة الرأي النزيه مع ما يلحقه من فكرة جديدة مصقولة ، قد إزدانت حواشيها بدقائق العلوم والفلسفة ، وحديثه يجمع بين مزيتين : مزية التفوق العلمي والفلسفي ، ومزية البلاغة والحكمة ورعاية الأصول النفسية وتأييدها تجارب سديدة كثيرة وعقلية ممتازة كبيرة ، وعذوبة نطقه بلغت إلى حدّ الفنون ، ومن يسمع كلامه يؤمن بأن من البيان لسحراً ، بل إعجازاً .

(٨)

توحيد النزعات

شخص الإمام الزنجاني الداء وعرف موضع الدواء ووضع الجبر على موضع الكسر ، واعتبر بمن فشل من المصلحين ، فابتكر أسلوباً مخصوصاً يضمن له النجاح وأوضحه في مناسبات عدة قائلاً :

إن منشأ انحطاط الشرق سيما الاسلامي ، إختلاف النزعات والتعصبات البغيضة التي إن عادت علينا بشيء فأئماً تعود بالخسران المبين والخبية الفاضحة كما أن بلاء العالم أجمع هو الإفراط في شعائر القومية المتطرفة ومنشأ الفشل هو

إختلاف الأهداف الناشيء من إختلاف النزعات الثقافية والقومية والدينية والطائفية حتى أصبحت الأديان في نظر الفريق الأكبر عبارة عن أحزاب سياسية يعمل كل لشد أزركه ، ومن هنا وقع التخالف والتدافع بين الدعاة إلى الوحدة العربية وبين الدعاة إلى الوحدة الإسلامية وفشلت جهود المصلحين وساعد على فشلهم أن الدعاية للإتحاد في أمتنا الإسلامية والعربية كانت ولا تزال ناقصة غير مأخوذة بأطرافها من جميع النواحي ، فكلما نسمعه ونطالعه في هذا الشأن محدود المسافة .

بدأ الإمام إصلاحه بتوحيد النزعات في أسلوب معجز يحزّر الفكر الإنساني ويحرّده عن الأشكال والصبغات التي تفرغها عليها العداوات الدينية والخصومات القومية والنزعات المختلفة والنعرات الطائفية وسائر عوامل التفريق ، فيشعر المستمع له أنه قد تسامى عن مستوى الخلافات وإرتقى إلى عالم أعلى يتحدّ فيه الشعور ويتفق إتجاه العقول وتجمع الكلّ غاية واحدة قد ملكت عليهم مشاعرهم وقامت عندهم مقام العقيدة هي الولع بالحقائق الراهنة والخير العام والمستمعون في إنصرافهم لهذه الغاية التي تؤلف بينهم يطرحدون وراء ظهورهم جميع الفوارق والاعتبارات مهما كانت صبغاتها ، ويصبحون في عالم مجرد عن القيود فيه تلتقي الناس جميعاً أصدقاء متآخين ومتضامين في العمل الصالح .

نعم ، إن الإمام الزنجاني - وقد بلغ المثل الأعلى - يلائم بين العواطف المتخالفة ، ويجمع العناصر المتناقضة ، ويوازن بينها ، ويجمع في كأس واحد تلك العوامل المتباينة التي تتضارب ويجري الصراع بينها في كيان مضطرب فيذبيها في بودقة الحكمة ويستخرج منها جوهرة موحدة تدفع المستمعين جميعاً إلى الإتجاه المعين الذي يرسمه لهم مستهدفاً تعاون الجميع في العمل لخير الدين والإنسانية دون أن يشعروا بفقدان ذرة واحدة من طابعهم الجنسي ومييزاتهم القومية وعواطفهم الدينية وذلك فضل الله يعطيه من يشاء .

دين تتبعه السياسة

وتمتاز دعوة الإمام الزنجاني الاصلاحية بأنها إنتظمت بصيغة إسلامية وإنسانية ينسب المساهمون فيها القائمون بها منافساتهم ومنازعاتهم الشخصية والحزبية والطائفية والدينية والاقليمية ، لأنها لصالح الجميع .

وإذا كانت هذه الدعوة تحسب ظاهرة من ظواهر التشيع عند بعض - لأنه إمام الشيعة وأثبت بدعوته ونهضته كياناً للشيعة في العالم الاسلامي وخارجه عجز عنه غيره في القرون الماضية - وأسلوباً مؤثراً من أساليب الوحدة الاسلامية العامة الشاملة عند المسلمين كافة ، ونهضة شرقية تفوق جميع النهضات الشرقية ، ورسالة إنسانية سامية لدى شعوب العالم ، فإنه لا يصح على أي حال من الأحوال أن تحسب - إذا إتسع نطاقها ونجحت في مراميها - حركة عداية ضد سائر الأديان والمذاهب أو ضد الغرب - الساعي لسعادة الانسانية - فإنها مصوغة في أسلوب لطيف يعبر عن أمر طبيعي يبين مزايا الاسلام ومصالح البلاد الاسلامية والشرق دون إحتقار غيرها . أو إظهار أو إضمار آية عداوة لها - إذ لا فائدة في هذا العدا ولاصالح فيه - فتتبعها السعادة السياسية كما كان في عهد النبوة (صلى الله عليه وآله) وفي صدر الإسلام دين تتبعه السياسة وتعرف صبغة دعوة الإمام من شرط ركني إعتبره فيها بقوله :

وإذا أخذت الدعوة على أنها حادث طارئ من دون برنامج ديني ثابت وغرض عالمي شامل ، فإنها لا تلبث أن تكون كاللهيب الهشيم يتصاعد وقتاً من الأوقات ثم لا يلبث أن ينطفئ ، فيعود أغلب المساهمين في بث الدعوة أو المتفعين بشمراتها إلى تهاونهم فلا يدققون ولا يفكرون .

(٩)

إستغلال الوجدتين

أزال الإمام الزنجاني سوء التفاهم الذي كان راسخاً بين دعاة الوحدة

العربية وبين دعاة الوحدة الإسلامية ، بطريقة مبتكرة لم يسبقه إليها أحد وخلاصتها ماجاء في محاضراته التي ألقاها في مقرّ رابطة الشباب العربي في القاهرة . نفتضّب منها ما يأتي :

إن القومية العربية ليست كغيرها من القوميات الاعتبارية ومن العوارض الخارجة عن جوهر الذات ، بل هي حقيقة واقعية قرّر فضلها فوق عرش الله تعالى : حيث أنّ الانسانية لما بلغت رشدّها وإستحقّت ديناً عالمياً خالداً ، إقتضى عدل خالق الشعوب أن ينتخب رسوله الخاتم (صلّى الله عليه وآله) من الشعب العربي الباسل الجدير من الناحية الفطرية بأن يحمل للعالم أجمع مهمّة تبليغ الدين العام الخالد تحت قيادته (صلّى الله عليه وآله) وأيّده بالقرآن العربي المعجز الخالد الذي يسائر الإسلام في البقاء بنفسه لامجرد ذكره لخبره .

فمن واجب الأمة العربية أن تقدّر هذين السلاحين الإلهيين وتستعين بهما على إستعمار سائر الأمم الاسلامية إستعماراً روحياً ومعنوياً في هذا الزمن الذي تتفنّن فيه الشعوب لإختراع أساليب الإستعمار ، كما إستعانت بهما في العهد الأوّل فبلغت بهما أوج العزّة ، وذروة المجد والسيادة ، وحازت المثل الأعلى للإمبراطورية الاسلامية ، فسارت الراية الاسلامية بأيدي العرب تدوخ الأقطار ، وتحفّ بها الهيبة ، ويجدوها الجلال ، وسارت معها الدعوة الاسلامية التي شعارها : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ .

نعم ، كانت الوحدة الإسلامية قوّة العرب السياسية في عصورهم الذهبية الزاهرة ، وعماد سيادتهم الروحية على سائر الأمم الاسلامية ، لعلمهم بأن الوحدة الاسلامية لاتبعث إلى نبذ الوحدة القومية ، بل تعزّزها وتقرّر للعرب السيادة الأدبية على غيرهم .

فمن الواجب أن لانجعل بعد اليوم النعرة القومية ، وصيحة الوحدة العربية ناقضة لغرضنا الأهم ، وهو سيادتنا الروحية على الأمم الاسلامية كافة بإستعمالنا السلاحين الإلهيين المار ذكرهما الذين عليهما تركزت الوحدة الاسلامية التي ليس المقصد منها سوى استعمال هذين السلاحين ، فالوحدة الاسلامية عبارة أخرى

عن الوحدة العربية السائدة ، التي ينبغي أن يستهدفها دعاة الوحدة ، وأما الوحدة العربية بمعنى الدعاية القومية المجردة عن السيادة على الأمم الإسلامية فليس مغزاها سوى وضع القومية العربية في مستوى غيرها من القوميات كالقومية الفرنسية ، والتركية ، والهندية ، وأمثالها بنزع صفة السيادة عنها ، وتجريدها عن سلاحها الإلهيين وهذا ربما يؤدي إلى تأخرها عن درجة هذه الأمم أيضاً لأنّ لبعضها من الكمال الحضاري ، والرشد الإداري ، والنضوج السياسي ، والثقافة الممتازة ، والنهضة القومية درجات تفقدها الأمة العربية فليست هذه الدعوة التي يقوم بها بعض السذج ، وبعض مقلّدة الغرب سوى آلة عاملة لإضعاف رابطة الجامعة الإسلامية ، وتفريق القوة المعنوية وتجزئة الشعوب المرتبطة بها ، ليسهل على المستعمرين إستعمارها ، وبسط سيطرتهم عليها .

ولتعلم الأمم الإسلامية ودعاة الوحدة الإسلامية أنّ الوحدة العربية أسّ أساس الوحدة الإسلامية الكبرى ، وأنّ الأمة العربية دعامة الاسلام والاساس الذي تركز عليه سائر الشعوب الإسلامية وقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده عن جابر بن عبد الله أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : « إذا ذلّت العرب ذلّ الاسلام » .

والحقيقة أنّ القوميات الإسلامية بمثابة معدّات أساسية ، أركان ضرورية ، يجب تحقيقها لبناء الوحدة الإسلامية عليها ، وأنّ سعي أمتنا العربية التي هي منبت الدين الاسلامي إلى وحدتها حجر أساس الوحدة الإسلامية ، إذ يجب أن تبنى الوحدة الإسلامية على أساس قاعدة الوحدة المتعاونة الأجزاء التي قام عليها نظام الخلق ونظام المجتمع فمن الواجب على العرب والمسلمين كافّة تشييد كلتا الوحدتين ، وإستغلال كلتا القوتين .

(١٠)

تصوير الفكرة

ملكة تصوير الفكرة في أسلوب يستفاد منه الإحتجاج والإستعطاف والثناء

والتنقيد والدعوى والدليل والإرشاد والتحذير والعلاج والإنذار والإعذار في نظرة واحدة ، فكأنه يطلب من المخاطب إصلاح خطأ صادر من غيره ويكشف عن هذه الملكة كتاب الإمام الزنجاني إلى جلالة ملك المملكة العربية السعودية ، نقتضب منه ما يأتي بالنص :

« . . . غير خفي عليكم أن الأغراض الاسلامية المعنوية والعملية لا يمكن تحقيقها إلا بتنقية إيمان المسلمين من الشوائب المفرقة وتوجيهه توجيهاً نافعاً وتنمية وسائط الإخاء الإسلامي وتقريب وجهات النظر في المذاهب الإسلامية وجمع كلمة طوائف المسلمين التي تجمعها قواعد الإسلام وكلمة التوحيد ويؤلف بينها كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله) بعد أن تفرقت شيعاً لأسباب أقل ما توصف به أنها لا تثبت للنقد والتحليل ، ولآراء فقهية إتسع صدر التاريخ الإسلامي لألوف منها نشرها أصحابها في مختلف ممالك العالم الإسلامي ، ولم يكن لها أثر سوى مقارعة الحجة بالحجة ومناهضة الدليل بالدليل .

ومن المؤسف جداً أن يتخذ منها في هذا العصر بعض الطوائف الاسلامية أداة هدم لمعالم الدين الاسلامي وكيانه الاجتماعي وسهاماً ترمي بها من سواها تصيب الصميم ، وكان من نصيب طائفة الشيعة الإمامية - التي ساهمت في تشييد أركان التوحيد وتثبيت كيان الاسلام منذ الصدر الأول حتى الآن - ما أصيب به مقدّسات المذهب وقبور أئمّتها في البقيع التي كانت على غرار قبور أئمّة سائر المذاهب الاسلامية المشيّد في الأقطار الاسلامية ويتعهدها المسلمون منذ صدر الاسلام حتى الآن ، بكلّ تجلّة وتقديس وإحترام .

وبما أنّ جلالتك موطن الأمل ومعقد الرجاء وقد إختصّك الله بمواهب لا يصعب على صاحبها حلّ هذه المشكلة التي إن اعتبرت دينية في ظاهرها ، فهي اجتماعية بجوهرها فعليه أن تقدّم إليكم بإسم هذه الطائفة راجياً منكم السماح بإعادة بنائها عملاً بالعدل وحرية الأديان والمذاهب وضرورة تقديس شعائرها ، فتملكون بذلك قلوب طائفة يبلغ عددها في أقطار الأرض مائة مليون نسمة تقريباً . . . الخ » .

عبدالكريم الزنجاني

وكان جواب جلالته بواسطة ممثله الرسمي إحالة سباحته إلى كتاب سابق أصدره جلالته في ٢٠ ذو الحجة سنة ١٣٤٥ عدد : ١١٠٣ وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز ابن عبدالرحمن آل فيصل إلى حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبدالكريم الزنجاني المحترم سلمه الله .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فإننا نؤكد لكم أن القبة النبوية لم يمسه أحد بسوء ولم يخطر ببالنا قط أن نمسها بسوء ، وإن للرسول صلى الله عليه وسلم حرمة لدينا لاتدانيها حرمة ، أما مسائل القبور ومايتعلق بها من البناء فنحن متبعون لامبتدعون ، ونحن مستعدون للنزول على حكم علماء المسلمين من جميع المذاهب ، وأما عدا ذلك فسننظر فيه وسنأمر بتنظيف القبور وتسوية مالم يسو منها التسوية الشرعية مع إقامة سور عليها لحفظها من الدنس ، ونحن نؤكد لكم أيضاً أننا لانتنع أحداً من زيارة القبور مادام الزائر يتبع في زيارته الطريقة الشرعية والآداب الدينية ، هذا مالزم ببيانه والله يحفظكم .

(١١)

تأثير الحرب في سير الدعوة والأمل الجديد

إنضح مما تقدّم أنّ الإمام الزنجاني لم يأل جهداً في السعي والعمل للوحدة الإسلامية ، ولما فوّض إليه الأستاذ الأكبر المراغي شيخ الجامع الأزهر المرحوم شؤون الاتصال بعلماء المسلمين في أقطار العالم بذل الإمام قصارى جهوده في سبيل ذلك ووقفه الله تعالى في مؤتمر العلماء الأول المنعقد بدمشق فأصدر نداء المؤتمر الموجّه إلى علماء المسلمين في جميع الأقطار الإسلامية داعياً إليّاهم أن يعدّوا العدة ويتأهبوا لعقد مؤتمر إسلامي عام ، وأن يكون أول معدّاتهم منذ الآن تواصلهم وتعاهدهم وعقد المؤتمرات المحلية في مواطنهم لتكون نواة قويّة المنبت

لذلك التنادي العام الأكبر وبينما كانوا يعملون بإتفاق الآراء إذ فاجتثهم الحرب العالمية الثانية فغيرت الظروف والأحوال وألجأتهم إلى إيقاف العمل والتريث فيه وإنتظار الفرج وفي الأثناء شاء القدر أن يلتي الأستاذ الأكبر المراغي داعي الموت ففقد الإسلام بفقده ركناً ركيناً من أركان الإصلاح الديني ، ومن أنصار الوحدة الاسلامية كما فقد الإمام الزنجاني زميلاً عظيماً قلماً يسمح الدهر بمثله ، فظنّ بعض المسلمين أن العمل للوحدة الإسلامية لم يمكن أن يستأنف .

ولكن ظهر لنا أخيراً أنّ الإمام الزنجاني سيستأنف عمله ، وأنّ سياحته يعتقد أنّ الدعوة الإسلامية قطعت أصعب أشواطها ومراحلها وفهمها المسلمون ، وإتفقوا على ضرورة تحقيقها ، وقد تحقّق « والحمد لله » أقوم أركانها ، أعني الوحدة العربية بشكل الإتحاد العربي الحاضر والأمل وطيد بأن يستمر ويستقر هذا الإتحاد وينتج النتائج المطلوبة منه .

وفوق الجميع أنّ فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبدالرزاق شيخ الجامع الأزهر الجديد من أكبر أنصار الوحدة الاسلامية وفيلسوف كبير ، وقد إستمع فضيلته إلى محاضرة الإمام الزنجاني ^(١) الفلسفية التاريخية التي ألقاها في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية (بالقاهرة) وتحدّث فضيلته إلى الإمام الزنجاني في مأدبة الافطار التي أقامها تكريماً للإمام الزنجاني معالي محمود بسيوني بك (رئيس الرابطة العربية ورئيس مجلس الشيوخ يومئذ) ^(٢) وفي حفلة الشاي التي أقيمت في المقوضية الإيرانية بالقاهرة تكريماً للإمام ^(٣) وتذاكراً كثيراً في سائر الحفلات والمجالس العمومية والخصوصية والزيارات المتبادلة ، فعرف فضيلته مقاصد

(١) نقلاً عن جريدة « الجهاد » المصرية ١٣ و ١٥ رمضان ١٣٥٥ - ٢٧ نوفمبر ١٩٣٦ ، وعن « المصرية » ١٥ رمضان ١٣٥٥ - ٢٩ نوفمبر ١٩٣٦ .

(٢) نقلاً عن جريدة « الأهرام » المصرية ١٧ - ١١ - ١٩٣٦ وعن جريدة « الجهاد » المصرية ٣ رمضان ١٣٥٥ - ١٧ نوفمبر ١٩٣٦ .

(٣) نقلاً عن جريدة « المصري » ٢٥ شعبان ١٣٥٥ - ١٠ نوفمبر ١٩٣٦ ، « الأهرام » ٩ و ١٠ / ١١ / ١٩٣٦ ، و « البلاغ » ١٠ - نوفمبر ١٩٣٦ .

الإمام الشريفة ، ولم يظهر منه سوى الموافقة عليها .

مضافاً إلى ما يوجد في السجلات الأزهرية من المحاضر الكاملة لمجالس
المرحوم الأستاذ المراغي مع الإمام الزنجاني ومحادثاتها ومقرراتها المدونة وكفى
شاهداً بذلك ماجاء في كتاب الأستاذ الأسدي المنشور في جريدة الهاتف النجفية
الغراء^(١) وإليك نص ما إقتبضناه منها :

ولما تولى الشيخ الفيلسوف مصطفى عبدالرزاق شؤون الأزهر لم ينس تلاميذه
وأصدقائه « الفلاسفة » فتعهد جماعتهم بالتنشيط والتشجيع وإختص منهم
لسكرتاريته الفنية الخاصة الأستاذ الفيلسوف « الدكتور محمود الخضيري »
مستعيناً بإياه من الجامعة للاستفادة من خبرته وعلمه وفي مكتبته بإدارة الأزهر
سعدنا بزيارته أكثر من مرة ، كما ونعمنا بأحاديث طريفة مع أستاذنا الفاضل ،
اقتصر منها في هذا المقام على ما ذكره لنا من أنه قرأ في السجلات الأزهرية في عهد
شيخ الأزهر السابق المغفور له المراغي المحاضر الكاملة لمجالس هذا الشيخ
المصلح مع العالم الشيعي النجفي الشيخ الجليل عبدالكريم الزنجاني - حفظه
الله - الذي كان قدومه إلى القاهرة أيام الشيخ المراغي باعثاً للنشاط الديني
والفلسفي وداعياً لتوجيه الأفكار إلى مسائل مهمة تنفع المسلمين .

في تلك المحاضر دوت محادثات الرجلين العالمين ومن ذلك :

قال الشيخ الزنجاني : لماذا لاتدرسون الفقه الجعفري في الأزهر إلى جانب
المذاهب الأربعة يا فضيلة الشيخ ؟ !

فقال المرحوم الشيخ المراغي : يسرنا أن نفعل هذا .

فقال الشيخ الزنجاني . . . في هذا نفع للمسلمين ، وتعريف بعضهم
ببعض وتخفيض عوامل الفرقة الحاصلة بسبب الجهل بحقائق الفقه الجعفري
الصحيح ، إدرسوا هذا الفقه ولو على « الهامش » .

(١) ١٣ أيلول ١٩٤٦ - ١٧ شوال ١٣٦٥ - العدد ٤٢٨ .

فقال المرحوم الشيخ المراغي : كلاً ، كلاً بل نجعله في الصدور ، ندرسه أولاً وقبل أي شيء آخر . . . - إنتهى - .

الأمل الجديد

وتوفي الشيخ المراغي قبل أن يسير بفكرة التقريب إلى مجالها العملي وجاء بعده فيلسوفنا الحر الكبير الشيخ مصطفى عبدالرزاق فاستبشرنا خيراً لمجيئه ، فهو خير خلف لخير سلف والروح العلمية المخلصة التي يحملها هذا الرجل أرفع من أن يناها الشك . . الخ .
وفي آخر الكتاب ذكر الأستاذ الأسدي كلمة الأستاذ الأكبر بهذه العبارة :

جواب فضيلة شيخ الأزهر

فقال إنني كما جاء في الرسالة الصادرة من مكتبنا إليكم ليس أحبّ إليّ من العمل على فكرة التقارب ، وثق أنني لا أتوانى عن بذل أي جهد في هذا السبيل ، وإنّي مكرّس حياتي لخدمة الإسلام والمسلمين وفكرة التوفيق والتقارب في مقدّمة برنامج الإصلاح الذي أعمل لتحقيقه . والأمر مرهونة بأوقاتها ، ونسأل الله تعالى أن يلهمنا التوفيق ويسدّد خطانا إلى ما فيه الخير .



موازنات

موازنات

(١)

الزنجاني والأفغاني

ماأصدق كلام القائل : أنَّ السيّد جمال الدين المشهور بالأفغاني كان أوحد رجال عصره في قوّة الشخصية وسحرها وفي إيمانها بنفسه وبقدرته على إدراك مايسعى له ، وتحقيق مايدعوا إليه ، وتنزّهه عن كلّ غاية شخصية ، أو مآرب ذاتي ، وإنّما كان همّه أن يوقظ الشرق الإسلامي من رقاده الطويل ، وأن يبتعث همّته الدانية ، وينشله من وهدة الجهالة ، ويجمع كلمته ، ويدفعه إلى إلتهاس القوّة ، عن سبيل العلم والحرية والنهوض إلى سامي مكانته التي تليق به ، ليساهم في بناء صرح المدنية ، ورفع مستوى الإنسانية .

ولم تكن دعوته مقصورة على العرب ، بل كانت دعوته الإسلامية عامّة شاملة ، ولم يكن وهو في مصر يقصر همّه عليها ، بل كان معنيّاً كذلك بممالك الدولة العثمانية ، وإيران وأفغان والهند وغيرها ، وكان عليه في سبيل مهمّته أن يحارب الجهل والجاهلين والجمود والجامدين والباطل والمبطلين ، والتفرقة ودعاتها ، كما كان عليه أن يؤازر العلم والعلماء ، والعدل والأتقياء والتجدد والمجددين ، ووحدة الكلمة ودعاتها والحقّ وأهله .

ولاريب أنّ جمال الدين خالد في تاريخه الحافل بجسيم الأعمال العامر بجليل الحسّنات ، وهو قد لخص منهاجه في كلمته المشهورة وهي :

« خصصت جهاز دماغي لتشخيص داء الشرق ، وتحريّ دوائه فوجدت أقتل أدوائه داء إنقسام أهله ، وتشتّت آرائهم واختلافهم على الإتحاد وإتحادهم

على الاختلاف ، فعملت على توحيد كلمتهم ، وتنبيههم للخطر الغربي المحدق بهم .

ولقد قامت دعوته الإصلاحية الكبرى ، على أساس ديني ، إجتماعي ، سياسي في وقت كان فيه العالم الإسلامي يغطّ في سبات الانحلال ، وكانت النهضة العالمية الحديثة ، تومض شعلتها في آفاقه ، فكان لدعوته هوى في كل نفس وموافقة في كل فكر ، وجعلت الأفغاني بنظر الجميع المصلح الأكبر الذي يقدر على بعث الشعوب من رقبتها ، ودفعها للمساهمة مرّة جديدة في بناء صرح الحضارة العالمية وهي التي دلّت على عبقريته ، وتركت الدنيا من ورائه تردّد اسمه في غناء البطولة الخالد .

ورغم ملاقاه الأفغاني من عنت الحاكمين في وقته فإنّ آرائه أخذت طريقها إلى الأفكار الحرة في كافة أنحاء العالم الإسلامي والتفتّ الجماعات حوله ، تقتبس تعاليم الظفر منه ، وأحلّت هذه التعاليم محلّ التقديس ، ونافحت دونها بالدماء والدموع ، وهيات من أبنائها تلامذة بررة ييسّرون بدعوة الأستاذ الأكبر ، وينشرون ألوّيته ويعقدون الخناصر حوله حتّى فازوا بماسعوا ، وحتّى هياوا الأرض الصالحة لنبت أفكاره التي تركها على لسن التاريخ نشيداً حلواً يرّده من فوق منبر الدهر مابقيت الدنيا ، ومابقي الإنسان .

وكنا نعتقد أنّ الحياة التي جادت بالأفغاني ليست خصبة الإنبات في كلّ حين ، وليست متهيئة لتقديم أمثال الأفغاني كلّما طلبت الأمة منها إنّما هي شحيحة وستبقى كذلك ، وليس بالأمكان معالجة هذه الشحّة إلّا بالإبقاء على تعاليمه ، والإبقاء على آثاره تستمدّ منها الأمة في كلّ عصر ولكن العناية الإلهية جادت لنا بمثله ألا وهو الرجل الذي لم يكمل تعاليم الأفغاني فحسب ، بل أصلح مالم يكن منها يلائم الظروف الحاضرة أعني المصلح الأكبر الشيخ عبدالكريم الزنجاني الذي قيّضه الله قبل أن ينقضي ربع قرن من فقد الأمة مصلحها الأفغاني .

وإنّضح للعالم أنّ الإمام الزنجاني هو مثل المصلح الأفغاني في الخصال والعلوم ، والمكارم والعبقرية والأقدام ، ودعوته مشابهة لدعوة الأفغاني بكلّ

وجوه الشبه ، ولعلّ سبحانه وتعالى أراد أن تتكَمَّل به دعوة الأفغاني فبعثه في حين الفترة القائمة التي نشط الغرب فيها للقضاء على آثار الأفغاني ، ولكن يمتاز الإمام الزنجاني من السيد المصلح الأفغاني بأمر نلخصها فيما يأتي :

١ - بدأ الأفغاني دعوته في الهند عام ١٢٨٥ هـ « ١٨٦٩ م » في سفره الأول الذي إعتبره التاريخ المحرّف سفيراً ثانياً له إلى الهند وغادرها مأيوساً من رواجها فيها ، ثم عاد إليها مرّة أخرى من القاهرة وسكن حيدرآباد الدكن عام ١٢٩٦ هـ « ١٨٧٩ م » وفيها ألف رسالته في الردّ على النيجرين « الدهريين » باللغة الفارسية إجابةً لإلتماس الأستاذ محمّد واصل مدرّس العلوم الرياضيّة في مدرسة حيدرآباد الدكن في محرّم سنة ١٢٩٨ هـ وختمها بهذه العبارة : « راقم جمال الدين حسيني » وأهدى المؤلف نسخة مطبوعة منها إلى مدير جريدة « فرهنك » في بلدة أصفهان ، فقرّظها المدير تقرّظاً جميلاً نشره في جريدة « فرهنك » في شهر رجب ١٢٩٨ هـ « العدد ١٠١ » السنة الثالثة ، وبمساعيه أُعيد طبعها في بمباي في غرة ذي القعدة ١٢٩٨ هـ وصار لها رواج كبير في إيران ، ثمّ سكن السيد الأفغاني كلكتا مدّة ، ولم يجد لدعوته الإصلاحية فيها رواجاً لائقاً بها ، فغادر الهند مأيوساً عن نهضة الهنود .

وبدأ الإمام الزنجاني أيضاً بدعوته الإصلاحية في الهند ، لأنّه رأى أنّ للمناظرات الدينية في بلاد الهند سوقاً رائجة ، ولاتنقطع مواسمها طول العام ، فقصدها وأخذ يلقّن علماء الاسلام في الهند من علومه وفلسفته وأساليبه حتّى أصبحوا أقوى مراساً ، وأغزر مادة في تفهّم روح الاسلام وأعلم بطرق الجدل والنقاش مع مناظريهم من أهل الأديان ، وتعمّقوا في مباحث الفلسفتين ، القديمة والحديثة ، وتذوّقوا حقائق معاني القرآن الكريم ، وقدّروا مافيه من سموّ وقداسة ، وفهموا أن صور الحقائق مهما كانت مستقرّة في الأذهان فقد ينبغي أن تقارن بالنظائر والأشياء المطابقة لها من الفلسفة الحديثة ، وتاريخ الأديان لتكون منيرة أخاذة لها بالألباب ، مشرفة على العلم الحديث .

وأشدّ ما كان يحزّ في نفس الإمام الزنجاني الألم حينما كان يطوف في ربوع الهند

أن يرى أن طوائف المسلمين في بلاد الهند الذين تجمعهم كلمة التوحيد ، وتعاليم الإسلام ، يتبارون في النضال ويحاول كل فريق أن يفني الفريق الآخر ، فإذا لم يستطيع السبيل إلى ذلك عمد إلى التفسيق والتجريح ، ثم إلى التشهير والتكفير ، بل كان يرى أن المسلمين يلقون من إخوانهم في الدين أضعاف ما يلقون من أعدائهم من الأذى والإضطهاد والقتل ، بينما رأى الطوائف الأخرى ، وإن تباينت في كثير من أصولها ، وتشعبت في أكثر فروعها ، لايمنعها ذلك من ضم صفوفها ، واتحاد كلمتها ، في حين أن كثيراً منها يدين بعقائد التفريق والتمييز بين الطبقات ، كما هو معروف في الديانة الهندوكية ، ورغم ذلك فهم يتبادلون كل معونة في إدراك خيرات الحياة ، والإستمتاع بطيبات الوجود ، من بذل وتضحية وإيثار ، حتى أدركوا من أسباب النجاح مبلغاً يحسدون عليه في التقدم أدبياً ، ومادياً ، وصناعياً وعلمياً وعملاً . بينما المعارك الدموية تفتك بالألوف من المسلمين في بعض البلاد تلبية لدعوة التفريق التي ينشرها الجهال بالحقائق ، وبأخطار العواقب ، فاندفع الإمام الزنجاني بدافع إخلاصه الإسلامي وبحرارة إيمانه ، وصدق عزمته ، إلى نشر دعوته إلى توحيد كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم واختار لهذه الدعوة بلدة « لکنھو » مركز العلوم الدينية ومأوى علماء الاسلام من الشيعة والسنة ، لأنها البلدة التي اختارها المبشرون سابقاً لعقد مؤتمرهم التبشيري فيها ، واتخذوا في ذلك المؤتمر قرارات هامة ضد الإسلام والمسلمين^(١) .

فاقتضت حكمة الإمام الحكيم أن يتخذ من مقررات مؤتمر لکنھو بشأن تفريق كلمة المسلمين ذريعة إلى توحيد كلمتهم وصفوفهم وألقى عدة محاضرات قيمة تاريخية علمية ، وأدبية ، ودينية ، وأجتماعية ، في « ندوة العلماء » وفي

(١) كتاب سر إنحلال الأمة العربية الصفحة ٢٩٩ نقلاً عن جريدة « المؤيد » المصرية العدد ٦٦٩١ وفيه قال القس سيمون : « يزعم بعض الناس أن الإسلام في الهند تنقصه الحياة ، وأنه غير مرتب ، وأنه صياني ولكن يجب علينا أن لاننسى إن إرتباط الإسلام في الهند بمكة » ، وفيه يقول القسيس (ورتز) : « إن مدينة مكة والطرق الصوفية هما من أكبر العوامل على بث شعور الوحدة بين المسلمين ، والنفرة من كل شيء غير إسلامي » ، وقال (وليم جينورد بالكراف) : « متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب ، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة » .

مدرسة « النظامية » وفي « فرنكي محل » وفي « قيصر باغ » وفي « مسلم أكاديمي » وفي « محمود آباد » وغيرها من حفلات كانت تضم عشرات الألوف من علماء الفريقين الشيعة والسنة ووجوهها وزعمائهما لأول مرة في تاريخ ذلك البلد ، فكان الإمام يتدقق فيها كالسيل في كلامه على أسلوبه الجميل ونجح نجاحاً باهراً ، ثم سافر إلى كلكتا بدعوة من زعماء المسلمين فيها ، واستقبل فيها استقبالاً عظيماً ، وألقى فيها محاضرته القيمة موضوعها « في طريقي إلى عاصمة الحقيقة » فأفاض وأجاد وأبدع وأثر ونجح ، ونشر فيها دعوته الإصلاحية فنودي فيها بالوحدة الإسلامية بموافقة الزعيم الإسلامي السياسي الشهير « مولانا أبو الكلام آزاد » الذي أهدى إلى الإمام نسخة من مؤلفه « في تفسير القرآن » الكريم ثم زاره فيها فيلسوف الهند « طاغور » وفارقه معجباً بفلسفته وعلومه ومزاياءه ، وخضعت له كلكتا التي لم تخضع للسيد جمال الدين ولما وصل الإمام إلى بلد « لاهور » عاصمة البنجاب أُستقبل استقبالاً منقطع النظير واتصل به جميع النوابين والعلماء والوجوه والزعماء ، ورحبوا برسائله الإصلاحية ودعوته إلى الوحدة الإسلامية ، وألقى فيها عدة محاضرات في موضوع « الوحدة الإسلامية » وإلمسه شاعر الهند والفيلسوف الإسلامي الدكتور سر إقبال فألقى محاضرات أخرى في مواضيع « الوحي والإلهام » و « برهان الإمامة » و « رأيي في النظرية النسبية لأينشتاين » فكانت محاضراته آية في البلاغة ودلالة على سعة العلم ، وصحة التفكير ، ونشرت بلغات شرقية وغربية ، وكانت النتيجة أن أسست حكومة الباكستان تحت راية القرآن ، وأما مناظرات الإمام في الهند وأجوبته على الأسئلة فهي تزيد على ستة آلاف مسألة وطبعت أكثر محاضراته في رسالات مستقلة وترجمت إلى عدة لغات كما طبعت عشرة آلاف نسخة من رسالة الإمام « وسيلة النجاة » و « مناسك الحج » بلغة الأردو الهندية ووزعت على المسلمين والشيعة المقلدين له وعندما توجه موكب الإمام الزنجاني إلى « بمبئي » كان في موكبه كثير من المهاراجات والراجات والنوابين الذين كانوا سيكونون في ساعة توديعهم الإمام وكانوا يقولون : « اللهم إن البركة والعظمة والسعادة تغادر بلادنا إذ يغادرها إمامنا ومنقذنا » .

وفي ممبئي وجّه الإمام دعوته الإسلامية إلى المنبوذين وإقنع بها الدكتور أمبدكار ، وهكذا غادر الإمام الزنجاني الهند إلى العراق ناجحاً موفقاً ، منصوراً ، عزيزاً .

ومن الجدير بالذكر أنّ سعادة السيد إبراهيم الخضيرى قنصل العراق العام في ممبئي - يومئذ - أقام حفلة مأدبة غداء لشرف الإمام الزنجاني دعى إليها جميع المهاراجات والنوابين والراجات وبعض وجهاء البلد فاندش الجميع ممّا شاهدوه من آثار الكرم العراقي وكذلك أقامت القنصلية الإيرانية في ممبئي حفلة الشاي تكريماً للإمام دعت إليها جميع الملتزمين في موكب الإمام ولقيفاً من أعيان البلد والعلماء .

٢ - أقام الأفغاني في مصر أربعين يوماً ، عام ١٢٨٥ هـ - ١٨٦٩ م تردّد في خلالها على الجامع الأزهر ، وخالط كثيرين من طلبة العلم السوريين وألقى عليهم محاضرات في مسكنه ، ومهدّ فيها للعودة إليها وغادرها إلى الأستانة ، ثمّ رحل منها إلى القاهرة عام ١٢٨٨ هـ وأقام فيها ثمان سنوات من مارس سنة ١٨٧١ م - إلى آب ١٨٧٩ م وأبرز عمل قام به في مصر هو التعليم ، فكان يعلم في بيته ، ويعلم في المقهى ، ويعلم في بيوت الأغنياء عند زيارتهم ، وخدم الأدب أيضاً خدمة تجلّ عن الوصف بأنّ اتخذ الأدب أداة للتعبير عن إرادة الجماهير وما تحتاج إليه من إصلاح فأصبح الأدب بهذا معبراً حقّاً عن مطامح الشعب وغاياته ، وبه صار أدباً حقيقياً ، بعد ما كان أداة للتوسل والاستعطاف ، أو تكراراً في التقليد والمحاكاة ، وكان يشجّع تلاميذه وأصدقائه على الكتابة والنشر فتأسست عدّة جرائد وعظم إقبال الناس إليها ثمّ غادر مصر مكرهاً إلى الهند بعد أن دفن في أرض مصر بذوراً تنهياً في الخفاء للنساء ، وتستعد للظهور ، ثمّ الازهار ، ولكنها لم تثمر إلّا بعد موته على أيدي تلامذته .

أمّا الإمام الزنجاني فإنّه وصل إلى القاهرة في الساعة الثالثة^(١) بعد الظهر في

(١) نقلاً عن جريدة « الأهرام » المصرية ٣٩ أكتوبر ١٩٣٦ - ١٣ شعبان ١٣٥٥ وقد وصفت

كيفية إستقباله في القاهرة .

١٢ شعبان عام ١٣٥٥ هـ - ٢٨ أكتوبر ١٩٣٦ ، وأقام فيها خمسين يوماً فغادرها يوم ٢١ رمضان ١٣٥٥ ^(١) - ٥ ديسمبر ١٩٣٦ وفي خلال هذه المدة الوجيزة وجدت رسالته الإصلاحية الكبرى تربة صالحة في القاهرة فنمت ، وأزهرت وترعرعت وآتت أكلها بإذن ربها في أقل من سبعة أسابيع - وذلك بفضل الله يؤتبه من يشاء - .

٣ - كان الأفغاني يتقاضى من الحكومة المصرية راتباً سنوياً مقداره مائة وعشرون جنيهاً طيلة إقامته في مصر أكرمه به لا في مقابلة عمل كما كان يتقاضى في الأستانة من الحكومة العثمانية راتباً شهرياً مقداره سبع وخمسون ليرة .

والإمام الزنجاني لم يقبل أي راتب أو هدية من أحد الملوك أو الزعماء أو غيرهم في جميع حياته وأسفاره ، وقضياه في ردّ هبات أصحاب الجلالة والسمو مشهورة واضحة .

٤ - قال الأفغاني : « خرجت من الدنيا ولم أترك ولداً . . . الخ ، ولكن الزنجاني كان في - لاهور - عاصمة البنجاب بالهند إذ نعى إليه ولده الوحيد - محمد - المتوفى في النجف الأشرف ولم يتغير حاله فأجتمعت علماء ووجهاء وزعماء البلد ودخلوا عليه يقدمون له التعزية والتسلية فأدهشهم أن الإمام أجابهم قائلاً : « إنّي أستحقّ التهنة ، لأن قلبي فرغ من محبة الولد لمحبة الله تعالى ، فكان الإمام الزنجاني هو المعني بقول الشاعر :

لم يتخذ ولداً إلا مبالغاً في صدق توحيد من لم يتخذ ولداً

٥ - كان المصلح الأفغاني عصبياً دموياً في مزاجه حدة فتعثر بسبب مزاجه كثيراً ، ومن شهوده أنه بينما كان مقيماً في الأستانة أضمر شيخ الإسلام لذلك العهد - حسن أفندي فهمي - له السوء وأرصد له العنت حتى كان رمضان سنة

(١) نقلاً عن جريدة « الجهاد » المصرية ٣١ رمضان ١٣٥٥ - ٥ ديسمبر ١٩٣٦ .

١٢٨٧ هـ فرغب إلى السيد مدير دار الفنون أن يلقي خطاباً في الحث على الصناعات ، واحتشد الناس لسماع المحاضرة في تلك الدار من جميع الطبقات العالية ، وكان فيما ذكره السيد تشبيه المعيشة الإنسانية ببدن حي ، وإن كل صناعة بمنزلة عضو من ذلك البدن ثم قال : هذا مايتألف منه جسم السعادة الإنسانية ولا حياة لجسم إلا بروح ، وروح هذا الجسم إما النبوة ، وإما الحكمة .

هنالك راح شيخ الإسلام يقيم من الحق باطلاً ليصيب غرضه من الانتقام فأشاع أن السيد جمال الدين يزعم أن النبوة صنعة ، محتجاً بأنه ذكرها في خطاب يتعلق بالصناعات ، ثم أوعز إلى الوعاظ في المساجد أن يذكروا ذلك محفوفاً بالتفنيد والتبديد .

وأكثر الجرائد من الخوض في المسألة وانقسم الناس فيها شيعاً وأشار بعض أصحاب السيد عليه بأن يغض على الكريمة ويلزم السكون والزمن كفيل بإضمحلال هذه الإشاعة ، وتلاشي أثرها ، لكن السيد جمال الدين لجّ في مخاصمة شيخ الإسلام وطلب محاكمته حتى صدر الأمر إليه بالجللاء عن الأستانة ريثما تسكن الخواطر .

أما الزنجاني فقد سجله التاريخ رجلاً حنكته التجارب وهذبته الأيام وقام على تكوينه وتلوينه عقل متزن ، ومقول ذرب وعزم ثابت وإرادة جبارة وجراءة نادرة وشجاعة عظيمة ، وحكمة كاملة ، وفي طليعتها حلمه وصبره ، ولقد أدهش العالم عامة ، والمتصلين به خاصة بما أظهره من الصبر الفاره في البأساء والضراء ومن الحلم العظيم في أخرج المواقف حتى إن المؤرخ الأديب ^(١) في تاريخه الحديث إستهل خطابه الموجه إلى الإمام الزنجاني بهذه العبارة :

« مارأيت رجلاً يسمع شتمه بأذنه ، ويقرأ الطعن عليه بعينه ثم يغضي ، ويقول : ماقرأت ولاسمعت اللهم إرحم هؤلاء الناس فلأنهم في عهد كعهد

(١) الأستاذ الحوماني في وحي الرافدين الجزء الأول الرسالة الخامسة .

رسول الله صلى الله عليه وآله .

مارأيت هذا الرجل في غير برديك أيها الصابر المحتسب والعامل الجبار ، أيها الطود الراسخ : إن في صفحك عن كل ماتقرأ وتسمع وحلمك في وجه من يرى القذاة في عينيك ، ولا يرى الخشبة في عينه وجهادك في تثبيت عزمك وتقرير خطتك ، وتوطيد محبتك في قلوب عارفيك وشانتيك وصبرك عما ينالك في طريقك إلى الغاية التي تستهدف ، إن في ذلك كله سرّاً لعظمتك في النفوس ، ورهبتك في الأعين ، وخلودك بطون الأجيال . إنتهى .

وقد إستلهم الزنجاني هذا الحلم من تأسيه بالإمام الرضا (عليه السلام) في قوله : « لا يكمل إيمان المرء حتى يكون فيه ثلاث سنن ، سنة من الله وهي كتمان سرّه ، قال تعالى : ﴿ ولا يظهر على غيبه أحداً ﴾ ، وسنة من رسوله (صلى الله عليه وآله) وهي مداراة الناس والصبر في البأساء والضراء ، وسنة من الأئمة (عليهم السلام) وهي تحمّل الأذى » .

ولكن يستشف المتتبع في ماسجل من مواقف الزنجاني صورة واضحة يعرف منها أنّ الإمام الزنجاني أعرف الناس بمواضع الحلم فيستعمله مهما أمكن لأجل بلوغ مقصده السامي حتى إذا دنت ساعة الخطر ، وإقتضت حكمة الحال أن يستعمل الحدة والشدة والصرامة حيث لا يفيد الحلم ، رأيت وجهه المضيء يبدو كقطعة من الفولاذ حمراء ملتتهبة ، وعينيّه تصرعان بتألقهما المخيف ، كل من يقف سداً دون بلوغ الصالح العام ووجدته شديداً حاداً صارماً إلى أقصى حدود الحدة والشدة والصرامة ويقول بصوته القاصف الذي يتحدّر من فمه كالرصاص كلمات نارية كأنها الفولاذ المصبوب ويدوي كالرعد بصيحة تصمّ الأذان وتضعضع الشجعان ، ويصرخ صرخته الداوية في وجوه الأمم والملوك مهما كان الموقف رهيباً مخيفاً كمواقفه في « المسجد الأقصى » و « تل أبيب » و « مؤتمر العلماء الأوّل » بدمشق و « الجامع الأموي » ومواقفه الرهيبة في الهند وسائر الأقطار « خلق كخلق الأنبياء ورأفة - فيها نسياناً رأفة الآباء » .

٦ - إقتصر المصلح الأفغاني بدعوة الرجال فحسب ولكن عمّم الزنجاني دعوته الشاملة على الرجال والنساء ، وقد مرّ ذكر إعتراف السيدة قوت القلوب الدمرداشية المصرية والسيدات المثقفات في دمشق بذلك .

٧ - لم يصل إلينا من مؤلفات المصلح الأفغاني سوى « كتاب الردّ على النجيرين » باللغة الفارسية و « العروة الوثقى » وهي مجلّة أسبوعية عربية أصدرها في باريس كان هو مدير سياستها والشيخ محمّد عبده محرّرها . وكانت تتولّى الإنفاق عليها جمعية إسمها « جمعية العروة الوثقى » ذات فروع في الهند ومصر وغيرهما من أقطار الشرق الإسلامي تعمل على إنهاض الدول الإسلامية من ضعفها وتنبيهها للقيام على شؤونها وبلغ مانشر منها ١٨ عدداً صدر العدد الأوّل منها في ٥ جمادي الأولى ١٣٠١ هـ الموافق ١٣ مارس سنة ١٨٨٤ م ، وصدر آخرها في ذي الحجة ١٣٠١ هـ .

وأما مؤلفات الإمام الزنجاني في الفلسفة ، وفي مختلف العلوم من الكلام والفقه وأصول الفقه والتفسير والرجال والمنطق والعلوم الرياضية فيزيد عددها على ثمانين مؤلفاً وأما خطبه ومحاضراته ومقالاته وكتابه المشهورة فلا يحصى عدّد .

٨ - تعمّد الأفغاني أن لا يصرّح بعنصره ومذهبه فصار هذا سبباً لإختلاف التاريخ في أنّه أفغاني أم إيراني ، وشيعي أو سنيّ ، كما أنّه كان يغيّرزيّه كثيراً فقد رأينا خمس صور مطبوعة له في مختلف الأزياء إحداها تمثله بملابسه العربية ، والأخرى على غرار علماء العجم ، والثالثة بملابسه التركية ، والرابعة بملابس قضاة السنّة ، والخامسة على غرار قضاة الهنود .

وأما الزنجاني فقد أعلن فوق المنابر والمنصّات عن عنصره ومذهبه وله زي روحاني واحد لم يغيّره في أي بلد زاره ونراه على زيّ واحد في ألوف الصور التي نشرت له مطبوعة في مئات الصحف والجرائد بمختلف البلاد والأقطار ولعلّ هذا الفارق من تطوّر الزمن ، أو أنّ الأفغاني كان يرى الشرق والإسلام موطناً له ،

فلم يكن عنده فرق بين أفغاني وإيراني وعربي كما لم يكن فرق عنده بين المذاهب الإسلامية .

٩ - هبط الأفغاني مصر وكان الأزهر محصوراً في الأروقة وكانت دروسها محدودة ، ولم يكن أثر ضئيل من الفلسفة ومن علم الكلام في مواد دراستها ، وكانت السياسة في دور النشوء والسذاجة على قلة رجالها فلاغرو إذا أعجبت مصر يومئذ بالأفغاني وإشتهر فيها بالفلسفة والعلم والسياسة .

ولكن الزنجاني دخل القاهرة والأزهر في أوج إزدهاره بالعلوم والمناهج الحديثة ومعاهدها الجديدة شاخعة البناء متسقة المناهج وكلّياتها منتظمة والفلسفة من أهم مواد الدراسة في كلية أصول الدين وقد جعل من مواد الدراسة في الكلّيات تاريخ التشريع الإسلامي ومقارنة المذاهب وفنّ الحديث دراية وآداب اللغة العربية وتاريخها وفقه اللغة وتاريخ الأمم الإسلامية وعلم النفس ، وقد إجتمع فيها على أساتذة التوحيد والتفسير والحديث أساتذة علم النفس والأخلاق والفلسفة والتاريخ وسنن الله الكونية ، وأما أساتذة الحقوق والعلوم والآداب في جامعة فؤاد الأول التي هي الجامعة الوحيدة في الشرق العربي وفي دار العلوم فلا يحصيهم العدّ .

وأما الساسة في مصر فإنهم أقطاب السياسة في الشرق ، وإعترف الغرب بنضوج أحزابها السياسية ، وصفوة القول أنّ مصر أصبحت مفخرة الشرف في العلم والثقافة والسياسة وبهذا يعد نجاح الإمام الزنجاني فيها إعجازاً خالداً في التاريخ .

١٠ - المصلح الأفغاني حينما كان يقيم في البصرة - بعد أخراجه من إيران في سنة ١٨٩٠ م - إغتنم فرصة تفويض حكومة إيران حقّ إحتكار التبّاك « التبغ » لشركة إنكليزية ، وكتب خطاباً أرسله إلى سامراء لآية الله ميرزا محمد حسن الشيرازي رئيس المجتهدين ، يعيب فيه على الحكومة الإيرانية هذا العمل الضار بثروة البلاد وإستقلالها ثمّ شقّعه بخطاب ثانٍ ، وكان من أثر هذين الخطابين أن أصدر الإمام الشيرازي فتوى حرّم بها على كلّ مؤمن تدخين التبّاك ما لم تعدل

الحكومة عن مشروعها ، وقد اضطرت إلى العدول عنه ، ودفعت للشركة تعويضاً .

وكذلك قويت دعوة الحرية والإصلاح الدستوري في إيران حتى وقعت برأس الشاه ناصر الدين .

وبعد وفاة الإمام الشيرازي بمدة وجيزة أصبح الإمام الأكبر آية الله السيد كاظم اليزدي خليفة الإمام الشيرازي ورئيس المجتهدين وتقلد الزعامة الدينية الكبرى في النجف الأشرف وكانت جامعة النجف ومعاهدها في عهده تنزع إليها آمال الفحول من طبقة العلماء المجتهدين الجاهزة للمراكز العليا .

وكان الإمام الزنجاني في الطليعة من صفوف كبار أساتذة هذه الجامعة مضافاً إلى أنه كان الساعد الأيمن ، والمستشار المؤتمن للإمام اليزدي ، ولقد كانت تثني له الوسادة بين يدي رئيس المجتهدين وكان هو المرجع الثاني في الأحكام الشرعية والفتاوي الفقهية إذ كان الإمام العظيم اليزدي يرجع إلى الإمام الزنجاني كثيراً من المشكلات ويدلّ عليه العامة والخاصة ليسترشدوا برأيه ، ويهتدوا بهداه .

ولما قال الإمام اليزدي في سنة ١٣٣١ هـ : « يعادل الزنجاني بعلمه مائة ، مجتهد وبتقواه مائة عادل ، وبعقله مائة وزير » تهافت طبقات العلماء والمجتهدين على تهنئته بهذه الثقة الغالية وكان في طليعة المهتئين له والمغتبطين بمرتبة العظيمة آية الله السيد أبوالحسن الأصفهاني - الذي أصبح الآن هو المرجع الأكبر - ، ولما أعلنت الحرب العالمية الأولى في عام ١٣٣١ هـ اغتنم الإمام الزنجاني هذه الفرصة واستغل منزلته السامية عند آية الله اليزدي لخدمة الإسلام والمسلمين والعرب ، فأخذ سماحته في تقنيع الإمام اليزدي - رغم أنه كان بالطبع رجلاً سلبياً صلباً يؤثر التريث على الإقتحام - حتى أصدر منه فتوى الجهاد الدفاعي ولم يكتف منه بذلك بل ألزمه بأن يبعث معه أرشد أولاده إلى ميدان الحرب ليتولى قيادة المجاهدين ، وكان الإمام الزنجاني في الرعيل الأول من المجتهدين المجاهدين الذين كسروا شوكة الجنود الكفار وألجؤوهم إلى التراجع والفرار ثم استدعاه الإمام اليزدي إلى النجف الأشرف وكان يستشير في وضع خطط النهضة العربية

الكبرى التي قام بها جلالة الملك حسين إذ كانت رسله تترى على الإمام اليزدي بواسطة الإمام الزنجاني فكان يدير معه شؤون النهضة العربية الناشئة ويشجعه على تنفيذ الخطط الضرورية ، وبعد أن انتهت الحرب واستقلت المملكة الحجازية أخذ الإمام الزنجاني مع أستاذه الأكبر الإمام اليزدي يمهدان للنهضة العراقية الاستقلالية بهدوء وإتزان .

ولكن وفاة الإمام اليزدي في عام ١٣٣٨ هـ سببت تطوراً في القضية وقامت الثورة العراقية في عهد المرحوم آية الله الميرزا محمد تقي الشيرازي المرجع الأعلى كنتيجة للخطط التي كان الإمام اليزدي قررها بإرشاد معتمده الزنجاني .

(٢)

الزنجاني والإمام محمد عبده

يُتصف الإمام الزنجاني بكثير من الأوصاف والخصال والأخلاق السامية التي كانت للإمام محمد عبده ، حتى أنه يُخيل إلى كل من يتصل بالزنجاني أنه المعنى فياوصف قاسم بك به الأستاذ محمد عبده ، حيث قال :

بلغت به طيبة النفس إلى درجة تكاد تكون غير محدودة ، كان يجذبه الخير كما يجذب المغناطيس الحديد فيندفع إليه ، ويسعى إلى كل نفع للغير عام أو خاص ، كان ملجأ للفقراء واليتامى والمظلومين والمرفوتين والمصابين بأي مصيبة وأهل العلم الديني الذين هم أكثر الناس احتياجاً إلى المساعدة لأنهم في وسط المدنية الحاضرة المتأخرون العاجزون عن الدفاع عن أنفسهم في ميدان حياتنا الجديدة يبذل إليهم من ماله ويسعى لهم عند ولادة الأمور بهمة لاتعرف الملل كأنما كان يسعى لأعزّ إنسان لديه ، بل كان يسعى لصاحب الحاجة وهو يعلم أنه أساء إليه وقدح فيه وتحالف مع خصومه في ترويج عبارات القذف والنميمة التي لم تنقطع عنه يوماً مدة حياته ، كان الأستاذ يرى أن الشرّ لافائدة منه مطلقاً ، وأن

التسامح والعفو عن كل شيء وعن كل شخص هما أحسن ما يعالج به السوء ويفيد في إصلاح فاعله .

وكذلك نجدهما متشابهين في العمل للإصلاح الديني بإعتباره أساساً لكل إصلاح في الشرق ، وفي العمل لإصلاح مناهج الدراسة والتعليم وأساليب التأليف بعزم لا يعرف دون الكمال تراجعاً ولا فتوراً .

ولكن الإمام الزنجاني يمتاز بأمور نلخصها فيما يأتي :

١ - الإمام محمد عبده يرى أن منابع الإسلام في سذاجته التي ورد بها من صاحب الدين نفسه هي الكتاب وقليل من السنة في العمل .

ولما كان الثابت بالتواتر من السنة قليلاً فقد صرح الشيخ في تفسير سورة الفاتحة : « أنه يجب أن يكون القرآن أصلاً تحمل عليه المذاهب والآراء في الدين » لهذا توجهت عزيمة الشيخ في أخريات حياته إلى العناية بتفسير القرآن عناية كانت تكاد تستغرق كل مجهوده في الإصلاح الديني .

ويرى الإمام الزنجاني أن مصادر التشريع الإسلامي هي الكتاب والسنة ، وإليهما يرجع سائر الأدلة وأنه لا يمكن الاستغناء عن السنة ، والإكتفاء بالكتاب وحده ، وقد صرح برأيه هذا في بعض الاحتفالات العامة حينما قال أحد الخطباء : « إن الوحدة الإسلامية لا يمكن أن تتحقق إلا بأن تكتفي الأمم الإسلامية بالقرآن الكريم وتستغني عن السنة لأن الاختلاف الواقع في السنة هو أقوى أسباب تفرق المسلمين شيعاً وأحزاباً » وأيده خطيب آخر وقال :

« وقع الخلاف بين الشيعة والسنة حتى في تاريخ وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) لاختلاف الروايات في مثل هذا الأمر الواضح الذي عرفه الصغير والكبير والرجال والنساء ساعة وقوعه لأن وفاته (صلى الله عليه وآله) أعظم من موت الملوك فضلاً عن الأمور الخفية التي تتعلق بها الأغراض والأهواء ، فلماذا لا نتحد الكلمة إلا برفض السنة .

فارتقى الإمام الزنجاني المنبر ، وأثنى على حسن نيات الخطباء وإستقامة

منطقهم ، ولكنه تأسف على أن القرآن الكريم ينفي مطلبهم ويرد إقتراحهم في قوله تعالى : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم . . . الخ ^(١) .

وهذه الآية صريحة في وجود المتشابهات في الآيات القرآنية وحيث لم يبينها القرآن ولم يشخصها فلا يجوز الاستدلال بآية من آياته إلا بعد معرفة أنها من المحكمات وليست من المتشابهات ، ولا سبيل إلى هذه المعرفة سوى السنة المفسرة للقرآن الكريم إذ بها تعرف المحكمات والمتشابهات وبها يميز الناسخ من المنسوخ والعام من الخاص والرخصة من العزيمة ومن الواضح أن إهمال السنة يؤدي إلى الفوضى في الاستدلال بالقرآن الكريم ، فيستطيع كل مضلل وضال حتى الجسم أن يستدل بآية متشابهة من القرآن الكريم وهذه نقطة الضعف في الكلمة الماثورة وهي : « حسبنا كتاب الله » ثم قال الإمام الزنجاني :

« وأما حديث إختلاف روايات الشيعة وروايات السنة في تاريخ وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) فإن العادة والسيرة تقضيان بأن يسأل وارث الميت وأهله وألصق الناس به عن تاريخ وفاته ، وهذا ما فعلته الشيعة الذين لا يروون إلا عن أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) فاللوم واقع على غيرهم .

٢ - حوكم الإمام محمد عبده مع زعماء الثورة العربية وحكم عليه بالنفي ثلاث سنين وثلاثة أشهر ، قضى شطراً منها في سورية ، ولانعرف له فيها أثراً يذكر ، وأقام في بيروت مدة مديدة ، فعين أستاذاً في المدرسة السلطانية ، وكان يشتغل مع التدريس بالتأليف والكتابة ، فألف « رسالة التوحيد » ونقل إلى العربية « رسالة الرد على الدهريين » التي كتبها السيد جمال الدين الأفغاني بالفارسية ، وشرح « نهج البلاغة » ومقامات بدیع الزمان الهمذاني ، ونشر في الجرائد عدة مقالات ، وفي بيروت تزوج زوجته الثانية بعد وفاة زوجته الأولى .

(١) سورة آل عمران .

هذه هي آثاره في سورية ولبنان ، وقد مرّ ذكر بعض آثار الإمام الزنجاني فيها رغم أنّ إقامته في لبنان لم تزد على عشرة أيّام وكذلك إقامته في سورية لم تزد على شهر واحد .

وكان للإمام الزنجاني أعظم الأثر في نيل هذين القطرين الشقيقتين إستقلالهما التام .

وستأتي فهرس مؤلفاته البالغ عددها ثمانين مؤلفاً ، ونتيجة الموازنة واضحة .

٣ - الإمام محمّد عبده مجتّد في التفسير ، ووجهة الطرافة في تفسير الأستاذ محمّد عبده هي حسن الطريقة في البحث ، ولطف التصوير لمعاني القرآن على ما يوافق ذوق هذه العصور وإدراكها حاجاتها والشيخ في كلا الأمرين متأثر بمناهج الفكر الحديث .

ثمّ إقتفى أثره الأستاذ الجوهري الطنطاوي في تفسير القرآن الكريم على ما يوافق العلوم الحديثة والإكتشافات العصرية ، وقد إغتتم الأستاذ الطنطاوي فرصة وجود الإمام الزنجاني في القاهرة فأهدى إلى الإمام مؤلفاته وتفسيره وزاره مرّات راجياً منه أن يصرّح برأيه حول أسلوبه في التفسير .

فأعلن الإمام رأيه في بعض خطبه وقال :

« إنّ القرآن الكريم منع عن هذا التفسير في قوله تعالى : ﴿ ويسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس ﴾ إذ كان السؤال عن سبب إختلاف القمر ، فقد سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن سبب إختلاف الأهلة وأنّ القمر يبدو للرائي أوّل الشهر خيطاً دقيقاً ، ويبدو في ثانيه كحاجب الأشيب ، ويستوي بعده قوساً ، ولا يزال ينمو ويدرك حتّى يستوي بداراً كاملاً ثمّ يتضاءل تدريجاً حتّى لا يرى .

وهذه المسألة من مسائل علم الهيئة فأعرض الوحي عن جوابه الرياضي وبيان سبب هذا الإختلاف الذي يهّم علماء الهيئة فحسب وأجاب عنه ببيان فائدة هذا الاختلاف التي تهّم مجموعة البشر .

وهذا علمنا أنَّ وظيفة النبي (صلى الله عليه وآله) إصلاح المجتمع الإنساني عامة وبيان مآييمه ويفيده وليس من وظيفته أن يكون معلماً لبعض العلوم أو يبين ما يستفيد منه البعض دون الجميع فلا ينبغي أن نأول القرآن ونفسره بأرائنا بعد مضي ثلاثة عشر قرناً بما أعرض عنه في حين نزول الوحي .

ثم قال الإمام الزنجاني : « ومن حاول أن يجاري الفن الحديث في فهم القرآن الشريف وتفسيره ، ساعياً لتأويل الآيات على حسب الزمن الحاضر ، فهو ينظر إلى الزمن الحاضر نظره إلى الزمن الذي اكتشف كَيْل الغوامض والأسرار ، فأراد أن يقيس على هذا الزمن كلَّ شيء ، ومن الواضح أنَّ كثيراً من مكتشفات العلوم العصرية حدس وتخمين ، ورجم بالغيب ، وأنه عسى أن يثبت الإكتشاف غداً ضد ما ثبت اليوم ، كما ثبت اليوم ضد ما ثبت أمس ، وإنَّ ظواهر الكون لاتكاد تنتاهي ، وأنه يجوز أن يكون لها أسباب ودواع خفية هي عللها الحقيقية .

نعم من يتصفح كتاب الله المعجز الخالد بأمعان يرى فيه آراء أقرها علماء العصر ، ولكن قيمته الجوهرية في غير ذلك ، ولا شيء ينقص من قدر القرآن الكريم غير التأويلات البعيدة .

ومن أثبت أن كلَّ النظريات الحديثة في القرآن الكريم وزعم أن قيمته الجوهرية في أنه يتنبأ بالنظريات الحديثة فقد أجحف القرآن الكريم اجحافاً كبيراً ، لأنَّ العلم الحديث وقته زائل ، وثمرة المجهود البشري ، وهو يرتكز على قوة واحدة من قوى النفس ، وهي الفكر بعد التدقيق بالحواس الظاهرة ، أمَّا القرآن فهو وحي إلهي معجز أنزل ليكون خالداً إلى آخر الدنيا ، ويرتكز على قوَّة غيبية خارقة فيجب أن يرتكز فهمه على جميع قوى النفس من فكر ، وشعور وعقل ، وإرادة وقلب ، وعاطفة ووجدان .

أُسلوب التجديد في تفسير الزنجاني

التجديد في تفسير الإمام الزنجاني يرتكز على حسن الفهم والتصوير لمعاني

القرآن الكريم على ما يوافق وظيفة النبوة (صلى الله عليه وآله) ويستوفي حاجات الإنسانية ، والحقائق الراهنة التي تستفاد من ظواهر الآيات القرآنية بأدق تنبيه ، من دون حاجة إلى تجسّم تأويل بعيد أو قريب ، قال الإمام الزنجاني في تفسيره :
« الإنسان أكرم الكائنات على الله تعالى ، خلقه في أحسن تقويم وتولاه بالإلهام والتعليم ، وحلّاه بالعقل الفطري والقلب السليم فقال تعالى : ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم . . . ﴾ الخ ، فأنبت التكريم الإلهي لنوع الإنسان وبهذا التكريم امتاز الإنسان عن سائر الموجودات وصار أشرفها وحاصلاً على القدرة في استخدام مافي الوجود ، وتسخير المادّة وقوى الطبيعة وأمدّه الله بما يناسب مطامحه من حول وقوّة ، ووطأ له أطراف الكائنات ودلّلها له حيث قال تعالى : ﴿ وسخر لكم مافي الأرض جميعاً ﴾ واختار سبحانه وتعالى كلمة « بني آدم » على ألفاظ « الإنسان » « البشر » « الناس » ليذكّرهم أنّهم جميعاً أولاد شخص واحد ، وهذا معنى الأخوة الإنسانية والأخوة ترتكز على المحبة والمحبة تمنع النزاع والحرب فهذه الآية يمكن أن ينال العالم ما ينشده من السلم العام .

• ولكن الإنسان مع هذه المنح كلّها ضعيف الجسد تؤلّه النسبات واهن الجلد تستفزّه الخطرات ، شديد الهلع تستطيره الهواجس قال الله تعالى : ﴿ وخلق الإنسان ضعيفاً ﴾ وهذا الضعف لا ينافي تكريمه ولاتناقض بين الآيتين كما زعم بعض الجاهلين ، بل هذا الضعف منشأ كرامته ومنبع سعادته لأنّ الضعف يؤلّد الحاجة والحاجة تفتق وجه الحيلة فيستعمل مواهبه وغرائزه وأفكاره وقواه العقلية في الاختراع ، والاكتشاف ويتأيد بهذه الآية الكريمة ماقرّر في علم الاجتماع من أنّ القوّة البدنية تؤخّر التطور الاجتماعي وضعفها يعجله لأنّ الفرد الضعيف يضطرّ إلى الاستعانة بالجماعة وإلى الدهاء والحيلة ، وهما من الأدوات الإجتماعية ، كما يتأيد ماقرّر في علم الإقتصاد من أنّ الحاجة هي منشأ الفعاليّة البشرية ، والباعث الأصلي للحركة الإقتصادية فهي إذاً المحور الوحيد الذي تدور عليه المعاملات الكونية لأنّ الإنسان المتأثر بعامل الحاجة يشعر طبعاً بوجوب العمل على تهيئة الأساليب التي تكفل له وفاء حاجاته فالحاجة تولد في نفسه الرغبة في إدراك

ماتصّبوا إليه وترتاح كما إنّ الحرمان يثير فيها كوامن الألم والإنزعاج فهو لذلك يحرص على درء مايؤلمه وجلب مايبلذه وهذه الرغبة تستدعي بذل الجهد المطلوب في سبيل الوصول إلى مايضمن للإنسان وفاء حاجته من الأشياء ، ولما كان بذل الجهد يستدعي المشقة والعناء ، فالإنسان يحاول أن يصل بأقلّ جهد إلى أعظم المنافع في سبيل سدّ حاجته ومن هذا الميل الغريزي إستنبط الإقتصاديون « قانون أدنى الجهد » الذي يدعى - بحق - أهمّ القوانين الإقتصادية لأنّه الأساس الوحيد لرقّي الصناعات والأعمال والملمهم الأصلي لكلّ إبداع وإختراع وإليه أُشير في قوله تعالى : ﴿ ليس للإنسان إلّا ما سعى ﴾ فالحاجة التي هي منشأ أقوى شعور دافع للإنسان إلى الكدح والمثابرة على العمل تغلب ميله الفطري إلى الراحة والسكون ، ولذلك كانت الحاجة هي العنصر الأصلي في الفعالية الإقتصادية والباعث الأقوى للرقّي الإجتماعي فهي « أمّ الاختراع » ولولاها لتبقّى الإنسان هملاً خاملاً ، لافرق بينه وبين العجماوات ، وهي وليدة الضعف فإذا الضعف منشأ كرامة الإنسان .

ولقد أبدع الإمام الزنجاني في إستشهاده بآيات قرآنية في موضوع مقارنة الأديان السّاوية ^(١) إذ قال :

« إنّ الدين الإسلاميّ مزينة على سائر الأديان حيث أنّ دين موسى (عليه السّلام) يحتوي على جهات مادية أكثر من الجهات الروحية فكان موسى (عليه السّلام) رجل المبدأ وصاحب الغرب ، وإلى هذا أُشير بقوله تعالى : ﴿ وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر ﴾ والغرب رمز المادّة ، كما أنّ الدين العيسويّ يحتوي على جهات روحية أكثر من الجسمانيات ، ويأمر بالتخلّي والزهد عن الدار الفانية فكان عيسى (عليه السّلام) رجل المعاد وصاحب الشرق وإليه أُشير بقوله تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً ﴾ والشرق رمز الروح ومبعث الأنبياء ويشاركها في هذا الأمر ولدها عيسى (عليه السّلام) لقوله تعالى : ﴿ وجعلنا ابن مريم وأمه آية ﴾ أي جعلناهما معاً آية ،

(١) نقلاً عن جريدة « الجهاد » المصرية ٣ تشرين الثاني ١٩٣٦ .

ولو أراد أن كلاً منهما على انفراده آية لقال : « آيتين » وإنما وُحِدَ سبحانه صفتها وجعلها آية وهما اثنان لأن الذي أعجز منها شيء واحد ، وذلك أن مريم ولدت من غير زوج وولد عيسى (عليه السلام) من غير أب ، فلو كان زوج لمريم لكان أباً لعيسى (عليه السلام) .

وأما الإسلام فهو لا شرقي محض ولا غربي محض بل جامع بينهما ويحتوي على السعادتين الدنيوية والأخروية ، لقد توجه شارع الإسلام نحو المغرب ثم إلى المشرق ثم قال مابين المشرق والمغرب قبلتي فهو دين الاعتدال ودين السعادة المزدوجة ، ورسول الإسلام رجل المبدأ والمعاد وصاحب الشرق والغرب .

(٣)

الإمام الزنجاني وابن سينا

نكتفي في عظمة ابن سينا ببيان الإمام الزنجاني في قوله ^(١) : ومن الغريب أن تاريخ الفلسفة إحتفى بالفيلسوف « ديكارت » إحتفاءً عظيماً وسجله زعيم النهضة الفلسفية وأباها ، ولكنه إعتبر الرئيس « ابن سينا » واحداً من فلاسفة القرون الوسطى « اسكولاستيك » ولو كان التاريخ يستطيع أن يقارن بين فلسفتيهما مبتعداً عن العواطف لما كان يسجل هذا الحكم الجائر ، ونحن نعتز بأن ديكارت أول فيلسوف غربي أرشد إلى وجود النواقص في فلسفة ارسطاطاليس ، ووفر إنتاج الفلسفة القديمة ، وأزال الخصام الحادث بين الفلسفة والعلوم الحديثة منذ القرن الخامس عشر إلى عصره ، مضافاً إلى أنه مؤسس الهندسة التحليلية ، وصاحب الإكتشافات القيّمة في الرياضيات والطبيعات ، وبه إهتدى الغرب إلى الفلسفة الحديثة ، إلى غير ذلك من أوصافه وخصاله التي تؤهله لأن يعظم في تاريخ الفلسفة ، ولكننا نجد هذه الخصال والأوصاف موجودة في الرئيس « ابن سينا » فهو أول فيلسوف شرقي

(١) نقلاً عن « دروس الفلسفة » تأليف الإمام الزنجاني الجزء الأول الصفحة ١٩ .

وإسلامي بادر إلى محاكمة أرسطاطاليس واليونانيين ، وأظهر النواقص التي في فلسفتهم في مؤلفه « الإنصاف » وفي « حكمة المشرقين » وعمل على خلق معارف جديدة ونظريات مبتكرة يرجع إليها الفضل في جعل الفلسفة منتجة قبل أن يوجد ديكارت بعدة قرون ، مع أنّ « ابن سينا » وجد في القرن العاشر الميلادي ، وفي بحبوحة عظمة فلسفة أرسطاطاليس وأتباعه اليونانيين ، وكان عصره عصر الجمود والتقليد ، والتعصب للقديم ، وفقدان وسائل الإكتشافات ، فكان من حقّ التاريخ أن يعظم ابن سينا مثل تعظيمه ديكارت ، وأن يقدر آثار ابن سينا أكثر من تقديره لآثار ديكارت لأنّ ديكارت ظهر في القرن السابع عشر الميلادي ، وفي عصر كانت رغبة أهله إلى التجدد والنهوض بالغة أقصى درجاتها وكانت العلوم ووسائل الإكتشاف متوفرة فيه . . . الخ .

وصفوة الكلام أنّ الفيلسوف « الرئيس ابن سينا » يمتاز :

أولاً - بالأدب العالي وبلاغة البيان ، وتصويره أدقّ معضلات الفلسفة بأحسن تعبير كان أقصى مايستطاع في عصره .

ثانياً - أنّه أول فيلسوف جاهر بالحقّ ، وعبر عن اتباع المشائين من اليونانيين ، بالخشب المسندة ، ووصفهم بأنهم لايشكون في آراء أرسطاطاليس ومأورثهم اليونانيون ، ويشكون في النهار الواضح ، ونعتهم بالعاميين من المتفلسفة المشغوفين بالمشائين ، والظانين أنّ الله لم يهد إلّا إياهم ، ولم ينل رحمته سواهم ، ثمّ أخذ « ابن سينا » في تمحيص آراء أرسطاطاليس واستدراك أخطائه ، مع إقراره بفضله ، وأنّ صنيعه أقصى ماكان يمكن في عصره ، ثمّ ابتدأ ابن سينا بمحاكمة أرسطاطاليس وأتباعه المشائين ، وشرع في تنقيح آراء اليونانيين ، وقضى لهم وعليهم واثقاً بصحة قضائه العدل ، وحكمه الحقّ ، ومصرحاً بأنّه لم يحاول الحكم عليهم وإعلان الحقّ في أول أمره بل تريث طويلاً لكي لايبقى مجال للشكّ في صحة حكمه ، ولم يترع على منصّة الحكم والقضاء إلّا بعد أن أحاط في ريعان حدائته بجميع ماورثه اليونانيون من العلوم بدقّة

لامزيد عليها وذكر أنه كان في أوائل أيامه يتعصب لهم ويغطي كثيراً من خطاياهم بأغطية التغافل ، ولم يجاهر بمخالفتهم إلا في الشيء الذي لم يمكن الصبر عليه ، حتى طالت المدة ونضج فكره وأحاط بعلم غير اليونانيين أيضاً ثم أخذ الرئيس في المحاكمة بين المشائين وبين الإشرافيين من الحكماء في كتاب « الإنصاف » ونتيجة هذه المحاكمة ظاهرة في كتابه « الإشارات » الذي اعتقد أنه آخر مؤلفات ابن سينا وهو مظهر التحول الفكري ، والتطور الواضح في فلسفة ابن سينا ، فترى فيه مطالب جديدة تلائم حكمة أفلاطون ، سيما النمط الأخير الموسوم بمقامات العارفين .

ثالثاً - عني ابن سينا بالمعاد حتى أنه ألف فيه رسالة أسماها « الأضحوية » طلب منه تأليفها الأمير أبوبكر محمد ابن عبيد في عيد الأضحى .
رابعاً - كان ابن سينا أعظم متخصص في الطبّ مضافاً إلى أنه رئيس الفلاسفة ، وكان طبه يدرس في كليات أوربا وجامعاتها من القرن الثاني عشر الميلادي إلى القرن السابع عشر .

وهذه المميزات ماعدا الأخير منها في هذا العصر منحصرة في الإمام الفيلسوف الزنجاني ، أما الأول فتكفي في إثباته كلمته في أول دروس الفلسفة^(١) وفيها يقول :

وبعد ، فما أحوج معاهدنا العلمية ، ومدارسنا القومية ، وثقافتنا الإسلامية ، إلى مؤلفات فلسفية وافية دقيقة موضوعة في أسلوب عصري سلس ، تنير العقول ، وتثير الأفكار ، وتستفز النفوس وتنفض الروح ، وتشحذ الهمم ، وتأخذ مأخذ الذهن .

وقد تحسست بهذه الحاجة الماسة طائفة من عيون الأساتذة ، تمتلئ نفوسهم غيرة على العالم الإسلامي ، ويجمع قلوبهم - على اختلاف نزعاتهم - الشعور بالأم من موقف العرب والمسلمين ، فأخذوا يقدرّون جهودنا في سبيل الإصلاح الديني والاجتماعي ، وإصلاح مناهج التأليف والتعليم وسألوني أن أختير لهم طائفة من

(١) المطبوع في عام ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م بمطبعة الغري في النجف الأشرف .

الدروس التي ألقيتها في سالف الزمان على طلاب الفلسفة الإسلامية في معاهد النجف الأشرف في سنة ١٣٣١ هـ - ١٩١٢ م وأجمعها في كتاب مراعيأ في تسجيلها وضوح الفكرة ، ودقة التعبير ، وحسن الترتيب ، وسهولة العبارة ، وإيجازها وإيضاح النظريات الفلسفية المعقدة ، والمذاهب العلمية المتلوية بأوضح عبارة لا ينتاب أسلوبها غموض ولا جمود ومنتخباً من المسالك الحديثة ما ألفته طباع أهل العصر وما يلائم أذواق جمهور المتعلمين الذين ينظرون إلى هذه الفلسفة - في أسلوبها الحاضر - نظراً إلى شيء عسير الفهم بعيد الغور ، يكبد الذهن ويستنفد المجهود بلا إنتاج ، فيعرضون عن دراستها .

بيد أنني ترددت طويلاً في إجابة سؤالهم ، وكان السر في ذلك أنني كنت أرى أن كتاب « تطور الفلسفة » أخرى بالتقديم وأوفى بالغرض ولكنهم عادوا ملحين ، ومستحئين ، وكلما زدتهم اعتذاراً زادوني إلحاحاً قائلين : إن كتاب « تطور الفلسفة » لا يناسب إلا الخاصة بل خاصة الخاصة ولكن هذه دروس أولية يعم نفعها وتكثر فائدتها ، فلم أجدي من المطاوعة بما أرادوا مفيضاً .

وأما الثاني فإن الفيلسوف الزنجاني في كتابه دروس الفلسفة من الصفحة ١٣ إلى ٤٤ أخذ في محاكمة « ديكارت » و « دارون » و « كانت » و « جاليلية » و « كوبرنيك » و « آينشتاين » وتمحيص آرائهم وموازنتها مع نظريات « ابن سينا » و « الفارابي » و « الطوسي » و « ابن رشد » و « أصحاب اخوان الصفا » و « ابن مسكويه » و « ابن خلدون » و « صدر المتألهين » وحكم لهم وعليهم بما لم يسبق له نظير في تاريخ الفلسفة وظهرت نتيجة هذه المحاكمة في كتاب « تطور الفلسفة » وفيه يقول الإمام الزنجاني :

فأتضح أن الفلسفة الإسلامية زاخرة بالمبدعات والمبتكرات وكنوز الحقائق الراهنة في جميع أنحاء المعارف الإنسانية السامية ، وأنها تساهمت بحظ كبير في حركة الفكر الإنساني في العالم المتحضر ، وكانت من أكبر وسائل النهضة الفلسفية الحديثة ، بل من أعظم مصادرها .

ولكن ليس من العدل أن نجشّم هذه الفلسفة أن ترتصد - بظهر الغيب - لإصابة كلّ مايجد من التجارب والأفكار بعد ألف عام .

وليس المقصد من ذلك - نبذ الفلسفة الحديثة - كلّاً ، فإنّ كلّاً من الفلسفتين قوّة عقلية جاهزة ، وعدّة فكرية ناهضة يجب إستغلالها ، ولايجوز الإستغناء عن كلّ منهما .

بل يجب أن نضم نفائس - الفلسفة الحديثة الغربية - إلى حقائق - الفلسفة القديمة الشرقية - على ضوء العقل والروية ، لنستخلص منهما مزيجاً إصلاحياً خالصاً ، وفلسفة قويمة صالحة للحياة والبقاء ، وكذلك أراد الله أن تكون الحياة دائماً مزيجاً من صالح القديم والحديث ولن تجد لسنة الله تبديلاً . إنتهى .

وأما الثالث فإنّ إمتياز الزنجاني فيه واضح كما صرّح به في دروس الفلسفة فقال في الصحيفة ١٠١ :

٤ - البحث عن المعاد الروحاني ، وإنّما خصّصوا المعاد بالروحاني ، لإعتقادهم بأنّ المعاد الجسماني لايمكن إثباته بقواعد الفلسفة ولذلك قال « ابن سينا » في « الشفاء » : المعاد - منه - ماهو مقبول من الشرع ولاسبيل إلى إثباته إلّا من طريق الشريعة ، وتصديق خبر النبوة (صلّى الله عليه وآله) وهو الذي للبدن عند البعث ، وقد بسطت الشريعة الحقّة التي أتناها بها سيّدنا ومولانا عمّد (صلّى الله عليه وآله) حال السعادة والشفاعة التي بحسب البدن و - منه - ماهو مدرك بالعقل والقياس البرهاني وقد صدّفته النبوة ، وهو السعادة والشفاعة التابعتان للأنفس . إنتهى .

وتصدّى « صدر الفلاسفة المتألمين » لإثبات المعاد الجسماني بالبراهين الفلسفية ، ولكنّ المعاد الذي أثبته جسماني في الإسم فحسب .

والسبب في ذلك أنّ الفلاسفة إعتقدوا بأنّ للمادة الجسميّة لوازم يستحيل إنفكاكها عنها في جميع أطوارها الوجودية ولذلك لايتكوّن الجسم المادي إلّا من العناصر عن طريق طبيعي ولاينموا إلّا بوساطة الأخلاط ، وقالوا بالتلازم بين

الصورة وبين المادة في الوجود ، ومن المسلّمات عندهم أنّه لا يمكن وجود المادة في الخارج بدون تلك اللوازم والمعاد الجسماني بزعمهم يقتضي وجود المادة في الخارج من دون لوازمها .

ونحن بعون الله تعالى أثبتنا نظرية لم يسبقنا إليها غيرنا فيما نعلم ، وهي : أنّ اللوازم التي إعتقد هؤلاء أنّها لوازم المادة ليست في الحقيقة ونفس الأمر من لوازمها ، وإنّما هي من لوازم النشأة ووعاء هذا الوجود الدنيوي فمن الممكن أن توجد المادة الجسمية في خارج الذهن وفي نشأة الآخرة بدونها ، وحيث أنّ الزمن يرينا في كلّ يوم أنّ الآراء القديمة في قصر الأجسام على خواص معينة وفي حدّ الغايات بوسائل خاصّة آراء باطلة ، فينبغي أن لاتعتمد الفلسفة عليها ، وقد شيّدنا أساسها في كتاب « تطوّر الفلسفة » وفي رسالة « المعاد الجسماني » ونوّهنا بها في تضاعيف دروس الفلسفة الإلهية عسى أن تكون من الآثار الخالدة . إنتهى كلام الزنجاني .

(٤)

الزنجاني والطوسي

١ - الفيلسوف الأعظم الخواجه نصير الدين محمّد بن الحسن الطوسي جدّد الفلسفة بل أحيّاها في القرن الثالث عشر الميلادي بعد أن أشرفت على الزوال ، وكاد أن لا يبقى لها أثر في عالم الوجود من جرّاء كثرة تشكيك فخر الدين الرازي في الفلسفة حينما شرح كتاب « الإشارات » لابن سينا حتّى لقّب الرازي « بلمام المشكّكين » فقيّض الله تعالى الخواجه نصير الدين الطوسي لحفظ الفلسفة فألّف كتاب « شرح الإشارات » وإقتصر فيها على بيان مراد الشيخ ابن سينا ، وتوضيح مقاصد الفلاسفة فاندفعت تشكيكات الرازي بأسرها التي كانت ناشئة من عدم فهم مراد ابن سينا ومقاصد الفلاسفة .

أمّا الزنجاني فإنّه أحى المبادئ الفلسفية والمنطقية ، وأصول إقليدس

الهندسية ، وقوانين « نيوتن » الميكانيكية بنقضه النظرية النسبية » للدكتور إلبرت آينشتاين » التي قلبت نظام العلم والفلسفة ، وأثرت في أصول إقليدس ومبادئ حكماء يونان الفلسفية والمنطقية ، وقاد العلماء إلى ماوراء أفكارهم الحاضرة حول المسافة والوقت والمادة حتى إقتنع آينشتاين بفساد نظريته بعد إطلاعه على آراء الزنجاني .

وكذلك جدد الإمام الزنجاني الفلسفة الإسلامية ، وكشف عن عظمتها ، وأثبت أنها الحلقة الغالية المفقودة من سلسلة تاريخ الفلسفة ، وقال في دروس الفلسفة : « إنتقل تاريخ الفلسفة من العصرين الأغريقي والمسيحي إلى العصر الحديث قافزاً من القرن الرابع الميلادي إلى القرن السابع عشر ولم يعبأ بالعصر الإسلامي ، ومن الغريب كل الغرابة إجماع مؤرخي الفلسفة من الغربيين على الإغضاء عن الفلسفة الإسلامية التي هي حلقة قيمة غالية من سلسلة التفكير الإنساني والحياة العقلية البشرية حيث أجمعوا على أن مدرسة الإسكندرية وهي « الأفلاطونية الحديثة » كانت آخر مصباح شمع نوره على العقلية البشرية ، ثم خبا ، فجمد بخبوه الذهن الإنساني جموداً طال مداه أكثر من إثني عشر قرناً أي من القرن الرابع الميلادي إلى نهوض « ديكارت » و « باكون » في القرن السابع عشر ، واعتذر عنهم بعض الشرقيين بأنهم عنوا عدم الإبداع والابتكار في الدور الإسلامي لأن الفلسفة الإسلامية لاتزيد على أنها نظريات يونانية بحثة ولذلك نقرأ في الكتب الغربية : أن العالم مدين بحرية الفكر لليونان وأن فضل العرب والمسلمين لم يكن إلا نقل الثقافة اليونانية وتسليمها إلى أوروبا وأن المسلمين لانصيب لهم من العلم إلا ترجمة كلام اليونانيين وتقليدهم في أهوائهم ، وأن العلوم الإسلامية مؤسسة منذ بدء نشأتها على علوم اليونان ، وأفكار اليونان بل على أوهام اليونان .

ومنشأ هذه الأوهام هو الجهل بالفلسفة الإسلامية ، والغفلة عن أن الدور الإسلامي من أهم أدوار الفلسفة والتفكير البشري ، ولم يكن إنتاج هذا الدور منحصراً في إحياء بعض النظريات القديمة ، بل كان عهد الابتكار والنظريات

الجديدة القيّمة بإعتراف الغربيين ، وهل يتصوّر إبتكار أو إبداع ؟ أعظم ممّا صدر من فيلسوف الإسلام ومجدّد الفلسفة « الخواجه نصير الدين محمّد بن الحسن الطوسي » في القرن الثالث عشر الميلادي ، من نقض القاعدة اليونانية القديمة « الواحد لا يصدر منه إلّا الواحد » التي كانت آية ثابتة في الفلسفة اليونانية ، وقاعدة مسلمة في جميع أدوار الفلسفة إلى عصره ، وكانت مبتنية عليها أُسس « الهيئة القديمة » والمباحث الفلسفية الكثيرة ، كمباحث العقول العشرة ومايتبعها التي ضخّمت بها الأساطير ، وإتسع فيها نطاق الكتب الفلسفية والرياضية فلإنهار بنقضها أساس الهيئة القديمة قبل ولادة « كوبرنيك وجاليلية » بعدة قرون ، وأعجب ما في الأمر هو أنّ « فيلسوف الإسلام الطوسي » إلّخُذ من ملاك برهان إثبات القاعدة المذكورة دليلاً على نقضها .

وهل يوجد إبتكار أبعد من نظرية « الحركة الجوهرية » التي هي أساس مبدأ التحوّل والتطوّر وناموس النشوء والإرتقاء بأصحّ المعاني وقد إكتشفها « صدر الفلاسفة المتأخّمين محمّد بن إبراهيم » في القرن السادس عشر الميلادي ، وقرّرها على أساس برهاني متين وثاقاً من أنّها حقيقة راهنة فإلّخُذ منها برهاناً على إثبات الصانع ، ودليلاً على حدوث العالم وكان ذلك قبل ثلاثمائة سنة من ولادة « دارون » في سنة ١٨٠٩ م وزملائه الذين نسبت إليهم هذه النظرية التي فسّروها بمعنى محدود قاصر لايساعده برهان ولا تدعمه تجربة صحيحة فإلّخُذ منها « شبلي شميل » وغيره سبيلاً إلى الإلحاد وإنكار الصانع ، لأنهم لم يصلوا إلى حقيقته الصحيحة البرهانية وقد كان دارون نفسه معترفاً بأنّه لم يصل إلى حقيقتها ، وبأنّ آرائه تخمينية وأنّ نظرية « نشأة الأجناس بواسطة الانتخاب الطبيعي » إنّما بنيت على مجرّد الظن بل كان يعلم أنّه سوف يتّضح فساد بعضها فقال في كتاب « أصل الإنسان » إن كثيراً من الآراء التي بسطتها تخمينيّة للغاية ولا أشكّ في أنّه سيتّضح فساد بعضها بالبرهان القاطع ولكنّي قد أوضحت الأسباب التي ساقني إلى التمسك برأي دون رأي . إنتهى .

وقد صحّ تنبؤه إذ أثبتت التجارب الحديثة فساد نظريته ، بالمعنى الذي فسّرها

به وأبلاها التفكير الحديث وأتفق العلم والملاحظة على بطلانها وفندتها كبار الفلاسفة الروحيين وأعلام المفكرين وجهابذة العلماء المتصلّعين وأثبتوا أنّ مايسّمونه « الإنتخاب الطبيعي » و « قانون التطوّر النوعي » ماهو إلا ضرب من ضروب الخيال ، ولكن شاءت كرامة شرذمة من الذين يزعمون لأنفسهم الاستنارة في هذا القرن أن يتباهوا عجباً وتبهاً بالإنتصار لهذه النظرية المحرّفة التي نبذها أصحابها خجلاً منها وترفعاً عن نسبتها إليهم .

هذا مضافاً إلى أنّ جماعة من فلاسفة العرب والإسلام ، أمثال « ابن مسكويه » و « ابن خلدون » و « أصحاب اخوان الصفا » سبقتهم أيضاً إلى القول بنظرية التطوّر بالمعنى الصحيح ، ولذلك قال الأستاذ الأمريكي « دربر » في كتابه « المنازعة بين العلم والدين » :

إنّ مذهب النشوء والإرتقاء للكائنات العضوية الذي يعتبر مذهباً حديثاً ، كان يدرّس في مدارس العرب المسلمين ، وقد كانوا ذهبوا منه إلى مدى أبعد ممّا وصلنا إليه ، وذلك بتطبيقه على الجامدات والمعادن أيضاً . إنتهى . . . الخ . ولم يقتصر الإمام المجدّد الزنجاني بإحياء الفلسفة العامّة ولا بتحديد الفلسفة الإسلامية بل أسبغ أيضاً تجدّداً على فلسفة أفلاطون استنفذها به عن التشويه والإضمحلال حيث قال في « دروس الفلسفة » الصفحة ٥٧ :

إنّ المفكرين في بعض الأمم الغربية السائدة فيها مذاهب « الشيوعية » و « الاشتراكية المتطرّفة » و « الفاشستية » و « الاشتراكية الوطنية » يحاولون أن يبرّروا التعاليم التي يحاولون أن يسيطروا بها شتى المذاهب الفلسفية والعلمية القديمة والحديثة ، ويحاولون أن يستخرجوا منها صوراً خاطفة جذّابة يلمح الرائي في خطوطها أوجهاً قريبة الشبه بمبادئهم ولذا قام فيهم من يحاول اثبات الروابط الوثيقة التي تصل « التعاليم السياسية والاجتماعية » التي جاءت في كتاب « الجمهورية » المنسوب إلى الحكيم الفيلسوف أفلاطون أوّل من ألّف في الشيوعية ، فقد وضع كتاباً سَمّاه « الجمهورية » ووصف به شعباً يعيش عيشة خيالية ، ثمّ تبعه « توماس موروس » في القرن السادس عشر الميلادي ، ووضع

كتاباً أراد فيه إنشاء جزيرة وهمية يحكمها رجال القضاء بسلطتهم الأدبية ولا يملك الفرد فيها حرية التصرف في نفسه وبشؤونه الشخصية ، ثم أُلّف « كامبانه لالا » الإيطالي كتاباً أسماه « مدينة الشمس » وشرح فيه شيوعية النساء وطلب توزيع المال والأرض ، ثم تطوّرت الشيوعية إلى الفوضوية حتّى إنتهى الأمر إلى « كارل ماركس » رسول الإشتراكية ، فوضع مبادئ « الشيوعية الحديثة » أو « الإشتراكية المتطرفة » في القرن التاسع عشر الميلادي ، ثمّ إنعقدت مؤتمرات شيوعية وتطورت أغراضها ، فعقد في سنة ١٨٦٤ م « الإنترناسيونال » الأوّل وبعده بخمسة عشر عاماً عقد الإنترناسيونال الإشتراكي الثاني ، ثمّ عقد « كومنترن » ولا يزال هو القوّة التي تدير الحركة الشيوعية في العالم ، والشيوعية من أعظم التجارب الإقتصادية هولاً وأشدّها خطراً ، ومع أنّ هذه التجربة ليست جديدة فإن إهتمام العالم بها لم يزل عظيماً ، فتكونت من جميع ذلك عند العلماء مسألة وهي : هل كان الحكيم الإلهي « أفلاطون » شيوعياً ؟

ولكي نستطيع أن نجيب عن هذا السؤال بجواب علمي صحيح يجب علينا أن نلّم بأصول فلسفة أفلاطون ، والظروف التي أحاطت به والتي كانت بارزة الأثر في مذهبه ، ونشرح المدلول العلمي المحدود لكلمة « الشيوعية » فإنّه يكاد أن يتلاشى في جوّ عاطفي تتجاوب أمواجه بأصداء الإعجاب والثناء ممزوجة بأصداء الذم والكراهية فنقول . . . الخ .

وبعد أن بحث الإمام الزنجاني في هذه المواضيع بأدق نظره في مايزيد على عشرين صفحة إستنتج منها مانصّه :

النتيجة

إذا لاحظنا ماتقدّم نصل منه إلى النتيجة الآتية :
وهي أنّ « الشيوعية » وليد المذهب المادي الإلحادي ، وهي تحارب الأديان وتناقض الأخلاق والفضائل ، وتستلزم الدكتاتورية وتنكر كلّ ما لايقع عليه

الحسّ وترفض شرف الإنسانية الذي هو ركن القانون الخلقي ، وتقاوم الفطرة والطبيعة بتوجيه القوى النفسية والجسمية إلى غير ما خلقت له .

وأنّ الفاشستية ، و « الاشتراكية الوطنية » تناقضان المذاهب العقلية وأصول الحرية الطبيعية ومكارم الأخلاق الفاضلة وتعاليم الأديان الإلهية .

وأن « أفلاطون » حكيم عقلي وتأكيدي وإلهي وديني وخلقي وديمقراطي ، وقائل بوجود المجردات والموجودات الغير المحسّنة وبشرف الإنسانية ، وإحترام النواميس الفطرية والطبيعية ، وبالجملّة معتقد بكلّ ما يناقض الشيوعية الإباحية والفاشستية والاشتراكية المتطرّفة والاشتراكية الوطنية تمام المناقضة ، إذ أفلا مسوغ لأن ينسب إليه القول بهذه المذاهب الفاسدة .

وأما كتاب « الجمهورية » فلم نجد في المصادر الصحيحة من الفلسفة الإسلامية أنّه من مؤلفاته ، وليس يرجع ذلك إلى إعتبار ديني وكراهة الشرع الإسلامي والطبع العربي أيضاً أن يشترك الناس في النساء وسائر المقتنيات وأمثال ذلك تماماً جاء في ذلك الكتاب ، لأنّ الفلسفة الإسلامية لم تغادر من مهمّات الفلسفة اليونانية ، وآراء فلاسفة اليونان صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصتها حتّى أنّها سجّلت جميع المذاهب المادية الإلحادية التي تناقض الإسلام في صميم أصوله وأركانه .

وعلى فرض التنازل وتسليم أنّه من مؤلفاته نرى من المتعذّر إثبات أنّ جميع ما جاء في « الجمهورية » بحذافيه من آرائه إذ من الجائز أن يكون بعض الماديين الملحدّين من خصوم أفلاطون ومعارضيه في العقيدة قد دسّوا في هذا الكتاب على أفلاطون بعض آرائهم الإلحادية ونتائجها سيّما أنّ الدسّ كان عادة مطردة عندهم فإنّهم تظاهروا كثيراً ما في مختلف الأشكال والمظاهر ، وتوسّلوا لترويج عقائدهم الفاسدة بمختلف الطرق وشتى الوسائل .

وعلى تقدير تسليم أنّه بحذافيه له ، فقد سجّل تاريخ الغرب أنّ أفلاطون بعد نضوج فكره بالتجارب العملية عدل عمّا أثبتته في الجمهورية إلى الخطّة العادلة التي رسمها في كتاب « القوانين » .

ولكن الأنسب بسمو منزلة أفلاطون وعظيم شأنه في الفلسفة أن نقول - على فرض تسليم أن ما جاء في الجمهورية بحذافيه له - أنك عرفت فيما قدمنا أن في عهد أفلاطون إرتكبت الهمجية الديكتاتورية تفريطات في الحكم إستدعت ما يقابلها من الإفراطات ليحصل التوازن بين الشقين المتنابذين ويؤوب إلى الاعتدال من هدى الله تعالى من أصحاب الفطرة السليمة ، وهي سنة من سنن الخالق تشاهد في كل خطوة من خطوات الأفراد والأمم ومؤيدة بقاعدة عقلية ضرورية مسجلة في « الفلسفة » وفي علم النفس ، وهي : أن الوسط لا يمكن تحقيقه إلا بعد تحقق طرفيه و « الاعتدال » هو التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط فلأمندوحة لكل من يروم الانتقال من تفريط الهمجية الإستقرائية الديكتاتورية إلى التعديل والاعتدال من أن يسلك طريق الإفراط ، وهذا هو الذي دعى أفلاطون إلى أن إتخذ من طريق الإفراط وسيله لكي يتوصل بها إلى الاعتدال .

فصفوة القول أن الجواب العلمي الصحيح عن المسألة التي عقدنا هذا البحث للإجابة عنها ، والأخرى التي ظهرت بالمشاكلة في أثناءه : إن الحكيم الإلهي « أفلاطون » لم يكن شيوعياً ولا فاشستياً ولا إشتراكياً وطنياً ولا مغالياً . إنتهى .

٢ - قال الطوسي للعلامة الحلي : إني أوردت شكوكاً ضعفت أسس العقائد الباطلة وسهلت لك أن تزيل هذه العقائد الباطلة عن قلوب المسلمين وعليك أن تزرع في مكانها بعد قلعها مبادئ العقائد الصحيحة . فتم ماأراده الطوسي بعد وفاته بجهود العلامة الحلي .

ولاخفاء في أن الزنجاني منفرداً أزال العقائد الباطلة المفرقة عن قلوب المسلمين وزرع في مكانها المبادئ الصحيحة الموحدة ثم تعهدا ورعاها حتى نمت وأثمرت وأبنت وأتت أكلها بإذن الله تعالى .

٣ - إستعان الطوسي في إصلاحه الديني بالملوك وتقلد منصب الوزارة حسب إقتضاء الظروف المحيطة به وإتخذ من السياسة وسائل لنيل مقصده الإصلاحى .

وإستعان الزنجاني بالله وحده وأتخذ من علومه وتدابيره وإخلاصه وتوكله على الله تعالى وسائل الإصلاح الديني ، ورفض كل ماعرض عليه من المناصب والأموال ، وإبتعد عن السياسة الباطلة قائلاً :

« السياسة جمره نار أحسها ولا ألمها »

(٥)

الزنجاني والعلامة الحلي

ما أعظم شأن المصلح الأكبر رئيس المجتهدين آية الله العلامة الحلي جمال الدين - حسن بن يوسف بن المطهر الحلي - وما أجل آثاره وما قام به من أعمال جبارة تاريخية لاتزال تشع وتلمع في أفق الإصلاح الديني منذ القرن السابع الهجري حتى العصر الحاضر .

لم يقتصر العلامة الحلي على تدريس ثلاثمائة مجتهد كانوا يحضرون يومياً في حلقة درسه عدا طلاب العلوم العقلية الذين كانوا يدرسون عنده الفلسفة وعلم الكلام ، ولا على مؤلفات ألفها في مختلف العلوم والفنون العقلية والنقلية تعد بالآلاف ، بل سافر إلى إيران وحسم فيها النزاع الديني البالغ يومئذ أقصى حدود الشدة بين الطوائف الإسلامية وألقى خطبته المشهورة في بلاط الملك الحنفي أو لجائتو محمد خدا بنده في مجلس عام حضره الملك وجميع كبار علماء المذاهب الأربع ، ونجح نجاحاً باهراً وترك آثاراً خالدة لاتقبل الإنمحاء أبداً ، ومن الجدير بالذكر أن العلامة الحلي راعى إسقلال العلم في مؤلفاته ، فالناظر في تعليقاته على كتاب « الشفاء » لابن سينا يجد فيلسوفاً في مستوى ابن سينا ولا يظهر له أنه عظيم الفقهاء والمجتهدين ومن يطالع مؤلفاته الفقهية لا يجد فيها مسحة ولا أثراً من فلسفته ، وهكذا في سائر العلوم .

وقد ترسم الإمام الزنجاني خطوات العلامة الحلي فإنه أيضاً لم يقتصر على التدريس والتأليف بل سافر أيضاً إلى الأقطار الإسلامية والعواصم العربية وألقى

عشرات الخطب في مجالس كانت أعظم من مجلس العلامة الحلي .
واقتنع بخطب الزنجاني الملوك والأمراء وعلماء المذاهب ومختلف طبقات
الأمم ولكن المقتنع بخطبه العلامة الحلي كان هو الملك وحده دون العلماء
الحاضرين .

ومن يتصفح مؤلفات الزنجاني يعرف أنه أيضاً يراعي فيها إستقلال العلم
ولكنه يماشي أيضاً فيها ناموس الارتقاء وتطور العلوم فيضيف إلى الفلسفة القديمة
نفائس الفلسفة الحديثة ويسجل في علم الفقه أسرار التشريع الإسلامي ،
وكذلك يتمشى تجديده في التفسير والكلام وغيرهما من العلوم النقلية والعقلية .

ترجمة الامام الزنجاني



حضرة آية الله العظمى الشيخ عبدالكريم الزنجاني
النجفي دام ظلّه

الإمام الشيخ عبد الكريم الزنجاني^(١)

أُسْرَتُهُ

نجم ساحة الحجّة الشيخ عبد الكريم الزنجاني من أسرة علمية شريفة كريمة عريقة في المجد ، كانت ساكنة في بلدة النجف الأشرف بالعراق بمحلة شرفشاه الواقعة في حي العمارة منذ أقدم عصورها .

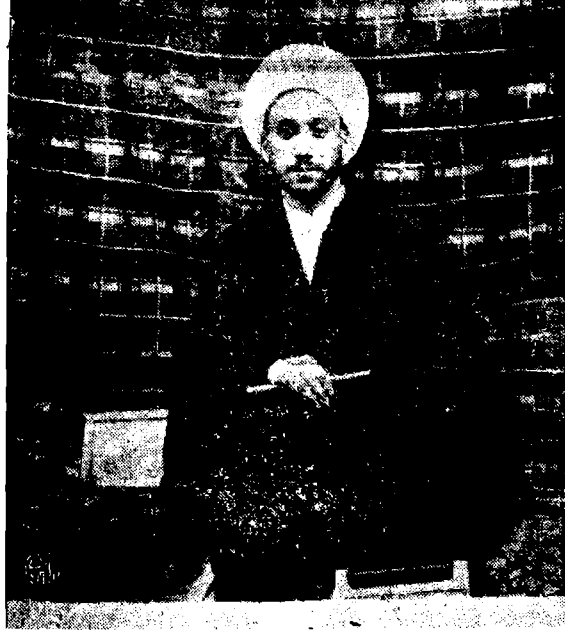
وكان جدّه الأعلى حجّة الإسلام الحاج الشيخ محمّد العلي من أعيان العلماء المبرّزين ، وهو الذي هاجر من النجف الأشرف إلى بلاد إيران في سنة ١٢١٧ هجرية لإختلال الأمن في تلك البلاد المقدّسة بعد إغارة الوهابيين عليها فاحتفلت الأمة الإيرانية لقدمه إلى بلادها بإجلال وإعظام ، واستقبله جلالة ملك إيران من بلدة قم فزار مشهد الرضا (عليه السّلام) ، ثمّ طاف في بلاد إيران بدعوة من أهاليها ولرغبتهم في الأخذ من بركاته وتوزيع كراماته حتّى دخل بلدة زنجان- بلدة جميلة واقعة بين قزوین وتبريز - فاستقبله مجتهدا الأعظم السيد محمّد المعروف « السيد المجتهد » وهو الذي سجّلت إصلاحاته الدينية وأعماله الجبّارة التاريخية في كتاب ناسخ التواريخ تأليف لسان الملك .

رغب السيد المجتهد إلى العلامة الحجّة الشيخ محمّد الحسن نجّل حجّة الإسلام الحاج الشيخ محمّد العلي في مصاهرته ، وبقبوله تلك المصاهرة تمّت إقامته في زنجان ، وأصبح زعيماً عظيماً ومرجعاً دينياً وملك أزيمة الحلّ والعقد وأربى سنّه على مائة وأربعة وعشرين عاماً ، وله مؤلّفات عدّة في الفلسفة والعلوم الدينية . أنجبت كريمة السيد المجتهد للحجّة الشيخ محمّد الحسن ابنه الوحيد العلامة الحجّة الشيخ محمّد الرضا وكان على جانب عظيم من الفطنة والذكاء والنبوغ

(١) نقلًا عن مجلة - العرفان - اللبنانية الجزء الثاني : المجلد ٢٨ : ١٢ ذو القعدة ١٣٥٧ - ٣

كانون الثاني ١٩٣٩ .

والعلم ، والزعامة ، وآية في صحة الرأي فأحسن التدبير والتنظيم إختصه خاله
إمام الجمعة الميرزا عبدالواسع نجل السيد المجتهد بمصاهرته ، فولد للحجة
الشيخ محمدالرضا من كريمة إمام الجمعة ابنه الوحيد صاحب الترجمة علامتنا
الإمام الحجة ، معجزة القرن العشرين سماحة الشيخ عبدالكريم الزنجاني في
سنة ١٣٠٤ هـ يوافقه عدد حروف الآية الكريمة ﴿ نصر من الله وفتح قريب ﴾ .



صورة الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني في السنة التي
نال فيها الشهادة العالية و « إجازة الاجتهاد » بعد أن
أكمل الدراسة النهائية الدينية والفلسفية واستقل
بالتدريس سنة ١٣٣٥ هجرية المصادف ١٩٠٥
ميلادية .

نشأته

نشأ الحجة الزنجاني في النسب والغنى ، ودخل المدارس العلمية والفلسفية والدينية في مختلف البلاد ، وفاق أقرانه وصرف كثيراً من إستعداداته التام إلى تمرين تلك الموهبة العظيمة التي خصه الله بها حتى إستأثر بجميع العلوم العقلية والنقلية ، ومابرح له السبق حتى اصطفى لحضور الدروس العالية الفلسفية ، والدينية المعروفة بإسم البحث الخارج فخرج منها بأعلى شهاداتها ، ونال إجازة الإجتهد من فطاحل أعلام عصره وسنه لم تشرف بعد العشرين .

حدثنا من رآه تلميذاً في المدارس العلمية يزور مع والده وخاله إمام الجمعة عالماً من أجل علماء عصره فأخذ هذا الفتى يجادل في مسائل من علوم الدين وأبحاث فلسفية مجادلة الأكفاء ويحاوره في تعاليل أحكامه محاوره النظراء ، حتى إنبعث لسان الشيخ العظيم بتسبيح من خلق هذا الغلام .

هبط الحجة ساحة الشيخ عبدالكريم الزنجاني إلى النجف إذ تشرف منذ نيف وأربعين سنة فاستفاد من علومه أعيان علمائها واتصل به كثير من أهل المواهب والذكاء وكان يعلمهم من علومه على منهاج صالح .

وقد أمد الحجة الزنجاني أذهان تلامذته إلى كثير مما يحيط بهم ففجّر عقولهم ، وجراً قلوبهم ، ودرب ألسنتهم على المنطق والمغالبة بفنون الجدل والبرهان ، وعوّدهم الجهر بالرأي دون الخوف من أحد وفي ثنايا هذه كان يبعث في نفوسهم دعوة إصلاحية جريئة فأثار لدعاة الإصلاح طريق الدعوة ، وعلمهم كيف يكون الصبر والإحتمال في سبيلها .

وساحة الحجة الزنجاني من مراجع التقليد للمسلمين ، والشيعية الإمامية في الأقطار العربية ، والهند والباكستان ، وإيران ، والأفغان ، وإفريقيا ، والصين وغيرها .



صورة الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني في
السنة التي استقلَ فيها بالإفتاء وأصدر رسائله
العلمية ١٣٣٥ هجرية المصادف
١٩١٥ ميلادية .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكرم العلماء وجعلهم ورثة الأنبياء والصلاة والسلام على
سيد المرسلين وآله وأولياءه وعلى آله البررة الأتراكيا، وبعد فإن أفضل أهل
أهل العلم ما رستبه وذكره وتغيره ونشره وأعلامه شأنه شأنه وتزويده كل في منزله
ولما كان العالم الفاضل والمجتهد الفقي العادل جامع المفعول والمنقول
الشيخ ميرزا أحمد الكريم الزنجاني إدام الله بركات وجوده فمن طالع معه
معاشره وكثرت المطاوعة والمذاكرة فاقفنا منه على علم كثير وفضل كثير
وأما طريف أحكام واجتهاد في مسائل المحلل والحرام واقفا على علمها
مستبظا فرعها من أصولها وقد استبحرنا من أن يروى عنا ما نريد
نحن نحن علمنا الأعلام وأما قد منا الكرام فأجدها إجازة عليه قضاء
لمجتهد راعيا فاعلمه وفضلته مؤكدا عليه وعلى أنفسناهما أكن العمل لأجبا
وتجنبنا في التقريب والأفراط سألنا من الله تعالى أن يوفقنا ولا يشا
والهداية كما
والله اعلم
والله اعلم



صورة « إجازة الاجتهاد » الصادرة عن آية الله الكبرى

رئيس المجتهدين والمرجع الأعلى للمسلمين

السيد محمد كاظم اليزدي الطباطبائي

بخطه وتوقيعه وختمه في سنة ١٣٣٤ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكرم العلماء وجعل مباديهم أفضل من دمه الشهداء
والصلوة والسلام على شرف الأنبياء محمد وآله البررة الأركياء أما بعد
فإن العالم النير الجليل العامر والمجاهد الموعز النقي العادل جامع
المعقول والمنقول عين أعيان العلماء الفحول قدوة الفقهاء الأعلام
حجة الإسلام الشيخ العظيم حضرة الآقا الميرزا عبد الكريم أترنجبا
دام ظله حريٌّ بأن يجيز وأجل شأننا من أن يستجيز كيف
وهو دام ظله قد تربع منقصة الأفتاء والقضاء وصار مرجع التفتيد
مند من بعيد بأجازة عليّة من سيدنا الأستاذ الأكبر
آية الله العظمى حضرة السيد محمد كاظم الطباطبائي البرزدي قدس سره
لكنني أردت أدا، بعض التكليف الواجبة بالتنويه ^{له} لمراتبه
السامية في هرمجات العلم والاجتهاد والتفريع بلياقته الكا
وأهليته التامة للأفتاء والإرشاد فللنا من أن يقلنوه ^{باعتبار}
من علومه الباهرة النافعة ويتبعوا فتاويه وأرائه الساطعة
فإنه دام ظله من أدلة الرشاد والحمد لله رب العالمين
من الحسين البرزدي الفيروز آبادي



صورة تصديق «الإجازة» الصادرة عن آية الله المجتهد الأكبر

السيد محمد الفيروز آبادي خليفة الإمام اليزدي



الإمام العلامة الشيخ عبدالكريم الزنجاني دام ظلّه

خصاله

من الغرور أن أظنّ بقلمى الوفاء بوصف خصال الحجة الزنجاني مهما تفرج له في جوانب البيان ، فإنّ البيان إنما يجري في غايته إلى مآعاده الناس من الشائتل والطبائع أمّا تلك المكارم السامية والخصال العالية والصفات اللامعة التي لا يترامى له حدّ فذلك ما يقصر من دونه البيان .

هو آية عظمى من آيات العلم والدين يدوي بها الشرق كلّه وعبري بقدر ما يمكن أن تأذن به هذه الكلمة ، بليغ في الفضل ، عظيم في جميع مزاياه من جميع النواحي ، هو المثل الأعلى للعلم والعظمة وشدة العقل والكفاية والعزم الجبار والذكاء العجيب وسلامة الفهم والتبصّر بالأمور والرأي السديد تتقطع من دونه جهود التفكير ، وهو جبار العقل والبيان والقلم عذب الروح حلّو الحديث زينة المجلس ، حاضر النكتة يرسلها في موضعها في توقّر واحتشام ، وهو متسّعر الذهن ، ملتهب الذكاء حاد الفطنة ، تطرح عليه القضية وهي تحتاج إلى تسريح النظر وإجالة الفكر وترتيب مقدّمات القياس فتراه ينحطّ بك إلى النتيجة الصحيحة السليمة قبل أن تتم لفظك وتفرغ من قولك ، ليست فطنته بآية حاجة إلى أن تتسكع على مقدّمات القياس حتّى إذا إستوثقت من سلامتها أقرّتها في مواضعها ، ثمّ إستخرجت النتيجة في هوادة ومطمئنّ أناة ، بل يمرّ بذنه على هذا كلّ مرّ البرق الخاطف فيقبض على النتيجة الصحيحة في أسرع من ردّ الطرف .

الحجة الزنجاني من أحسن الناس بياناً ، وأشدّ خلق الله حجةً وأمضاهم قولاً ، لقد يقف في الجمهرة والناس أكثرهم على غير رأيه فيما يجول فيه ، فما يزال يدور على مواطن إحساسهم يحسّونها من هاهنا ومن هاهنا في رشاقة وخفة قول ولطف شاهد وبراعة نكتة حتّى إذا آنس من الأذان تطامناً من جراح وإسترخاء بعد عصيان هجم منها بأجمعه على النفوس فظلّ يهزّها هزّاً ، ويرجّها رجّاً ، فما الليث إذا زار ولا البحر إذا زخر بأشدّ صولة على الأسماك من الحجة الزنجاني يتدقّق في الكلام فما يروعك من هذه الجماهير الواجحة لا أن تراها برغمها قد أرسلت

حناجرها بالهتاف ، وبعثت أكتفها بالتصفيق المرتفع إلى السماء فلا يرى إلا أفواه مغفورة من إعجاب ومن إفتان ، يحكم للحجة الزنجاني بهذا مختلف الطبقات في العواصم الشرقية ، ولقد سمع الناس في أقطار الشرق العربي وديار الإسلام جميعاً صوته العالي الذي تردّد في وادي النيل في العام الماضي داعياً إلى الوحدة الإسلامية الشاملة فرنّ صدهاء في وادي بردى وسهول الرافدين ويطاح الجزيرة ، وفتح مجالاً واسعاً للعمل الجدّي في سبيل الوحدة المنشودة .

إنّ القارئ ليستغرف في العجب حين يقرأ الخطب الإرتجالية التي ألقاها المصلح الأعظم الزنجاني في العواصم العربية ونشرتها الجرائد والمجلاّت ، فيعرف أنّ صاحبها الذي لا يعرف الملل ولا الكلل إنّما نزح عن العراق ليستريح هوناً ما من أعماله العلميّة والدينيّة الكثيرة ويغيّر الهواء لإنحراف مزاجه فما هي إلا خطبة فياضة زاخرة يرتجلها هذا العلامة العظيم حتّى يلوح من ورائها فتح جديد من فتوحه النافعة الخالدة وكأنّ زعيم الإسلام والإصلاح يتفق بينه وبين نفسه على أن يستريح وأن يستجم فلماذا نفسه الكبيرة الغلابة تنقض الإتفاق لأنها لاتعرف الراحة والإستجمام فهو يفكر ويدرس ويحاضر ويخطب أينما حلّ وحيثما كان ، ومع أنّ حياة هذا الحجة العظيم تكاد تستغرقها بالليل والنهار أعماله العلميّة ودروسه ومؤلفاته فلننكّ تجده في بعض خطبه يجيء الشباب الجريء ويشجّع الأخلاق العظيمة السامية ، ولاشكّ أنّ ذلك دليل على عظمة روحه وتأصل المبادئ العالية بين حنايا نفسه ، وصميم وجدانه .

الحجة الزنجاني يتكوى في العمل على نفسه ، لا لضعف ثقته بمن حوله ولكنه رجل قد بني على الجدّ والعمل ويجهز بكلّ معتقده سالكاً طريق الحكمة ولايبالي فيه أصلاً ، وإنّ عالماً عظيماً كالحجة الزنجاني غزير العلم قوي العزم عظيم النزاهة وافر الإخلاص شديد التمكن من النفس لا يجد آية حاجة لأن يراثي الناس أو يماريهم ، بل هو حقيق بأن يعد كتفه لإحتمال كلّ ما يحمله سعيه من التبعات .

ليس له عيب سوى أنّه لاتقع العين على شبهه



يُرى الإمام الأكبر سماحة الشيخ عبد الكريم الزنجاني مع عشرات الألوف من المسلمين المقتدين بساحته في صلاة الجماعة في صحن سيدنا الحسين عليه السلام في كربلاء المشرفة .

مؤلفاته

لم نستطع أن نحصل على فهرس جامع لمؤلفات الحجّة الزنجاني فلتبث هنا
فهرس بعض مؤلفاته :

الفلسفة :

- كتاب روح الفلسفة .
- كتاب دروس الفلسفة .
- كتاب التوفيق بين آراء أهل التحقيق .
- كتاب تطوّر الفلسفة .
- كتاب محاضرات الفلسفة .
- المثل العليا .
- التعليقات على الأسفار .
- التعليقات على شرح الإشارات للطوسي .
- حاشية اللثالي المنظومة .
- التعليقات على الإلهيات « الشفاء » .
- التعليقات على حكمة الإشراق .
- كتاب النفس .
- رسالة في المعاد الجسماني . رسالة في المعراج .
- رسالة الوحي والإلهام .
- الأجوبة على أسئلة دولت بندت رام الهندوسي .
- نظرة في النظرية النسبية لأينشتاين .
- ابن سينا خالد بآثاره .

علم الكلام :

- كتاب التعليقات على الشوارق .
- كتاب عصمة الأنبياء والأئمة .
- كتاب ردّ المذاهب المبتدعة .
- كتاب الأديان والإسلام .
- كتاب برهان الإمامة .
- كتاب « التوحيد » .

علم الفقه :

- كتاب فقه الإسلام .
- كتاب تعاليم الإسلام .
- كتاب الحقوق في الإسلام .
- التعليقات على كتاب التبصرة .
- التعليقات على جواهر الكلام .
- رسالة ذخيرة الصالحين .
- رسالة طريق النجاة .
- رسالة أحكام الربا .
- شرح العروة الوثقى .
- كتاب السياسات الإسلامية .
- التعليقات على نجات العباد .
- كتاب شرح المكاسب .
- رسالة وسيلة النجاة .
- رسالة مناسك الحج .
- رسالة أحكام العلم الإجمالي في أفعال الصلاة .

العلوم الرياضية وفروعها :

- كتاب التعليقات على تحرير إقليدس .
- كتاب التعليقات على مفتاح الحساب .
- كتاب الجامع في الجفر والرمل والزابرجة والأوفاق .
- كتاب التعليقات على شرح تذكرة البرجندي .
- كتاب الكامل في أصول عقد الأنامل .

علم أصول الفقه :

- كتاب حقائق الأصول .
- كتاب الأصول العملية .
- التعليقات على كفاية الأصول .
- التعليقات على الرسائل .
- كتاب حجية الظن الإطمثاني .
- فلسفة الإجتهد والتقليد .

علم التفسير :

- كتاب أسرار التنزيل .
- رسالة في تفسير آية الوضوء .
- كتاب تفسير آيات الأحكام .

علم الرجال والحديث :

- كتاب معضلات علم الرجال .
- كتاب صحيح البخاري والكتب الأربعة .
- رسالة في توثيق عمر بن حنظلة .
- كتاب شرح مشكلات الكتب الأربعة .

رسالة في عدم كفاية تصحيح الغير .

علم المنطق :

كتاب المنطق الحديث .

كتاب التعليقات على منطق شرح الإشارات .

كتاب التعليقات على شرح المطالع .

كتاب شرح الأيساغوجي .

الإمام الزنجاني

في الهند

الامام الزنجاني في الهند (١)

لما رأى الإمام الزنجاني أنَّ الأمة الإسلامية في الهند التي لها المآثر الجلى في الإسلام قديماً وحديثاً قد أوشكت أن تنحل من الجامعة الإسلامية لأسباب
ونحسرها المسلمون كما خسروا غيرها وأصبحت لا يهتمها من أمر المسلمين شيء ،
سافر إلى الهند واجتمع بعظمائه وزعمائه وعلمائه ، واستطاع بعلمه وخطبه
ومحاضراته ومقالاته ، ومواعظه وحكمته وإرشاداته أن يحور فكرتهم ويجمع
كلمتهم ، ويهون من تفرقهم واختلافهم المؤدي إلى إراقة الدماء ، فانتشرت
الروح الطيبة في عواصمها حتى نادوا بوجوب مساعدة مسلمي فلسطين ،
فأحدث الإمام بذلك قوة للإسلام ورهبة للعدو ، هذه إحدى خدماته الكثيرة
للإسلام مضافاً إلى إصلاحات تاريخية قام بها في الهند واليك أمثلة منها :

مثال من إصلاحه الاجتماعي

أيها أعظم ؟

أحدهما زعيم ديني وسياسي ، نذر الصيام ورقد بهيكله العظمي على فراش
غير وثير لا يخطب ولا يتكلم بل يترجح في أرجوحة كالطفل الرضيع تحت ظلال
شجرة المانجو ، والمؤتمر منعقد في ظل أرجوحته فتغلبت هذه الروح العظمى على
مئات الملايين من الهنود وبدلت تقاليدهم ففتحوا هياكلهم للمنبوذين منهم الذين
كانوا يعدونهم منذ ألوف السنين والحيوانات العجمى سواء ، وهذا الزعيم هو
« غاندي العظيم » ! .

والثاني زعيم ديني ومصلح عالمي دخل الهند ، ودرس ديانة الهندوس على

(١) مقتطفات من الصحف الهندية وبعض مذكرات شاهد العيان السيد عبد الله الرضوي نزيل

إختلاف طبقاتهم ، وإستغرب عقيدة الرجس المعنوي الملصق بالمنبوذين منهم الناشئة عن الطغيان السياسي الأري القديم ، فاندفع بدافع الإنسانية والإسلامية إلى إستخلاصهم وإستطاع أن يقنع زعيم المنبوذين « الدكتور أمبداكار » والذين على شاكلته من مثقفهم بروعة أصول الإسلام الفطرية الخالدة والمساواة التامة المقررة في تعاليمه السامية والديمقراطية الصحيحة التي أتى بها كتاب الله المعجز الخالد .

ثمّ بواسطتهم وجّه الدعوة الإسلامية إلى المنبوذين البالغ عددهم سبعين مليوناً فانتشرت هذه الدعوة فيهم بسرعة خارقة وإعتنق الإسلام ألوف منهم حتى رغب في إعتناقه ابن الزعيم غاندي .

وهذا الزعيم الديني والمصلح العظيم هو الإمام الزنجاني حينئذ إنتبه غاندي بعد سبعين سنة من حياته مرّت به وهو يرى بعينيه إضطهاد المنبوذين الشديد القاسي من دون أن يتأثّر منه أو يفكر في إستنقاذهم ، وأحسّ بالخطر المحدق على الهندوس من جرّاء إنتشار دعوة الزعيم المصلح الإسلامي واستيقن أنّه وطائفته الهندوس سيخسرون القضية الوطنية أيضاً مضافاً إلى خسارتهم القضية الدينية ، وأنّ المسلمين في الهند سيربحونها جميعاً ، لعلمه : أن سياسة الشرق قائمة على الديانات والتكاثر بين معتقّيها .

فالتجأ غاندي إلى نذر الصيام ، وبالأحرى إلى التضحية والإنتحار . وكانت غاية غاندي مصلحة طائفية فحسب حينما كانت غاية الزنجاني مصلحة الإنسانية وشتان بين هذه وهذه في مذهب الشعور ، فأيهما أعظم ؟

على ضوء الزنجاني

أُتيحت فرصة للإمام الزنجاني في رحلته إلى الهند ، فدرس فيها الديانة الهندوسية ، وعرف فلسفتها ، وإليك خلاصته :

إنّ قدماء الأريين إستعمروا الهند بعد أن إحتلّوها إحتلالاً عسكرياً وفرضوا

سيادتهم على السكان المقهورين ، وسلبوا من أيديهم كل مصادر الثروة ، واستحوذوا على الأعمال الإجتماعية الشريفة ، وجعلوها وراثية في أعقابهم ، وحرّموا منها سكان البلاد ، واستمرّ قروناً طويلة إستحجرت فيها هذه السياسة الغشوم ، وإستحالت إلى عقيدة دينية ، قسّمت الهنود إلى أربع طبقات ، ثلاثة منها للآريين ، وهي : طبقة الكهنة ورجال الدين ، وطبقة الملوك والجند ، وطبقة الزّراع والتّجار ، أما الطبقة الرابعة فهم العبيد المحقّرون أهل البلاد الذين دعاهم الآريّون « أباريا » أو « شودرا » وهم المنبوذون ، الذين يجري عليهم حكم « لا مساس » الصّارم ، فقد حرّموا الخلطة بهم ، وعزلوهم في مقابعهم وبالفوا في مقاطعتهم حتّى جعلوا كلّ شيء يلامسونه نجساً نجاسة عينيّة مغلّظة غير قابلة للتطهير وحجروا عليهم أن يدخلوا الهياكل والمعابد ، وكذلك المنازل والأسواق واستمرّوا يعانون ذلك إلى هذا اليوم .

وكان من موجعات قلبه الشريف ماكان يسمعه من أفواه المنبوذات وهنّ سائرات في الطريق ، وحين يكثر العابرون ، يسمعنّ يصرخن بملء أفواههنّ « احذروا أيّها المارّة أنا نجسة » ولو مرّت المسكينة ساكنة من غير إعلان عن نفسها ، واتّصل بها طرف ثوب أحد الهندوس لشوى جلدّها الغض ضرباً .

فرأى الإمام من واجبه الإنساني إستنقاذ المنبوذين ولم يجده ممكناً لأنهم يتكلّمون بست لغات ليس في إمكان إحداها التعبير عن سموّ الأفكار الدينية فوجّه إرشاده أولاً إلى نوابغ الهندوس المثقّفين قائلاً لهم : أنّ دينكم هذا الذي يقوم على أساس الاختلاف والتفرقة ويفصل الطبقات الإجتماعية بعضها عن بعض فصلاً يفكّك وحدة المجتمع ينتج في الأّمة التي تدين به أخطر النتائج وأسوأها في الحياة لأنّ كلّ طبقة منها تعدّ نفسها كيّاناً منفصلاً عن بقية الطبقات ، وأنّ أركان دينكم العملية التي لم تقم إلّا على مناقضات تاريخية لامناعة فيها ، وهي غير قابلة للتمحيص بأي وجه من الوجوه سيّتكوّن منها مايفضي بكم في نهاية الأمر إلى تقويضها .

ولكن وجد أنّ هؤلاء النوابغ قد إتسعت لهم فلسفة التّصوّف لتوجيه هذه

التقاليد المستنكرة توجيهاً عقلياً يستهوون به قلوب العامة من المتمدّنين ويستنبطون لهم من ذلك معانٍ روحية سامية توحى إلى الناس حبّ الفناء في عقيدة وحدة الوجود .

فصرخ الإمام فيهم صرخته الداوية قائلاً : أيّها الناس مهما اتسع صدر الفلسفة للتلفيق والترقيع والتلاعب بالألفاظ فهو لا يتسع لإنكار الحقائق وستر الفظائع الواقعية ، وإنّ من الغريب جداً أن يصعد العقل البشري إلى تعاليم الإنشقاق والخلاف فيستخرج منها فلسفة تذهب في تخيلاتهما مذهب الاتحاد والحلول .

ثمّ إنجّبه نحو المتعلّمين من طبقة المنبوذين الذين تخرّجوا في مدارس الإرساليّات المسيحية والجامعات المختلفة ، فوجدهم أنّهم لم ينخدعوا بهذا التلفيق الهندوسي بل شرعوا يجابهون خصومهم بإستنكار فلسفتهم وتقبيح الجمود على التقاليد وأخذوا يرفعون عقيرتهم في المطالبة بالحقوق الإنسانية التي سلبها منهم أولئك المغيرون ودرج على ذلك أعقابهم ، وهم يأبون أن يتساهلوا لهم في شيء من هذه المطالب صيانة لتقاليدهم من الإنتهاك والإنهيار ، ويجهلون عواقب هذه الصلابة وما تجرّه خلفها من ويلات .

ولكنّه وجد أنّ هؤلاء المتعلّمين من المنبوذين قد استهوتهم إلى إعتناق النصرانية لإرساليّات التبشير بكلّ ما أوتيت من بأس وقوّة ، وبكلّ مألديها من مدارس ومستشفيات ونواد وجمعيات وبكلّ مألديها من جدل وحجاج وأموال ومغريات .

وفي نتيجة إرشاد الإمام الزنجاني إهتدى هؤلاء إلى أنّه لا ينبغي لهم أن يخرجوا من دين الطبقات إلى دين آخر يمثله .

ذلك لأنّ الأكليروس المسيحي يعامل المتنصّرين معاملة قاسية لا تتفق والديمقراطية التي يجب أن تكون من روحية الدين الذي يرغبون فيه لخلاص أنفسهم من ربة العبودية للغير والإستخذاء للتقاليد فإنّ الأكليروس المسيحي يحجر عليهم الصلاة في كنائس البيض ، فلا يوجد فرق بين ما يحدث هذا المنع أو

الإنتجاس من سوء الأثر في النفوس .

ثم أرشدهم الإمام إلى سبب آخر يصرف المنبوذين عن إعتناق النصرانية وهو « عامل الوطنية » فأخذوا يلاحظون بحذر ضعف الروح الوطني في متنصرة الهند ، ويشعرون منهم بالميل الشديد إلى إستبقاء الهند تحت سيطرة دولة مسيحية ، عن أن يكون مستقلاً إستقلالاً تسود فيه كلمة الوطنية .

ثم كَوّن الإمام فيهم رغبة صادقة شديدة في إعتناق الإسلام وتفضيله على جميع الأديان لمميّزات توجد في الدين الإسلامي دون غيره .

١ - تقرير مبدأ المساواة والديمقراطية الحقيقية بين معتنقيه وهو لا يفرّق في ذلك بين جنس وجنس ولا بين لون ولون والمؤمنون أخوة وسواسية كأسنان المشط ، خلق الله الجنة لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشياً والنار لمن عصاه ولو كان سيّداً قرشياً ، فهم يرون كلّ من أسلم أخاً للمسلمين جميعاً ، له ما لهم وعليه ما عليهم ، يعبد الله في أي مسجد شاء ويصلي إلى جنب أي شخص أراد ، أميراً كان أو مأموراً ، وأنّ الإيمان بالله الواحد الأحد ورسله والمعاد كافٍ لتطهيره ، ومن يتأمل في المبادئ الإسلامية حول الحرية والإخاء والمساواة يجد أنّ المبدأ الذي يعرفه الغرب بمبدأ حقوق الإنسان والذي تمخّضت عنه الثورة الفرنسية كان قد سبق للإسلام أن جعله بأكمله صورة وأرقى مظاهره أساس العقيدة قبل إثني عشر قرناً من حادثة الثورة وكان فرضه القرآن الكريم على الناس كفريضة دينية قبل أن يكون مبدأ مع العلم بأنّ مبدأ المساواة في الإسلام يشتمل على الميّزات التي تستفزّ الأمم لرقبها ونهوضها ، وأنّ الأمم كما قال نابليون تحتاج المساواة أكثر من حاجتها للحرية .

٢ - أنّ المسلم عنصر شديد الشكيمة لاتلين قناته لغامز ، ولا يدين بالطاعة إلّا لله تعالى ، ولا يستخذي لسلطة غير مشروعة وهو منزوع تلتقي فيه جميع رغبات والوطنين .

٣ - كمال الآداب الإسلامية وطهارتها وكفايتها للصيانة الإجتماعية والعدل الإجتماعي والحرية وقمع الإستعباد ، لأنّ الإسلام دين يشمل كلّ شأن من

الشؤون العالمية كما ينير أمام معتنقيه السبيل في كل ما يتعلق بالأمور الدينية ثم هو بعد ذلك عقيدة وعبادة وسياسة واجتماع ثم هو لا يعرف إقليمية ولا شعوبية إذ المسلم أخو المسلم في كل زمان ومكان له ماله وعليه ماعليه .

٤ - وضوح العقائد الإسلامية ومطابقتها لمنطق العلم ، والأبحاث العقلية والفطرة الإنسانية ، فلقد سجل الإسلام للمدنية الإنسانية أرقاماً عالمية مدهشة أصبحت من أعلى مراتب الإعجاز وركز ضروب الإصلاح الاجتماعي على أصل راسخ عام صالح لكل الأزمنة ولكل الأمم والبيئات وقرر أنظمة عامة للمجموع البشري أسسها على قاعدة المساواة واحترام الحقوق ، واعتبر المرأة مستقلة في نظر القانون الديني وأعطاهما حقّ حيازة الملك ، وحقّ الإرث ، وجعلها مسؤولة عما تدخل فيه من الالتزامات .

من إصلاحه العلمي

(١)

العلم والتطور

لقى الإمام الزنجاني محاضرة تاريخية في لکهنؤ بمدرسة دار العلم ندوة العلماء ، موضوعها العلم والتطور ، أوجبت إنقلاباً عظيماً في أفكار العلماء والأساتذة ، وفي مناهج الدراسة وموادها في بلاد الهند (١) .

وأشار فيها إلى أن إختلاف الفلاسفة في أنّ العلم هل هو من مقولة الكيف النفسي ؟ أو من مقولة الإضافة ؟ أو من مقولة الإنفعال ؟ إنما نشأ من لحاظ كل واحد من هذه الآراء لازماً من لبوازم العلم ، وجعل الملزوم من مقولة اللازم ، مع العلم بوضوح تأخر مرتبة اللازم عن ملزومه وكونه خارجاً عن ذات الملزوم وذاتياته ، فهذا الخلاف نشأ من إشتباه ما بالعرض بما بالذات ولأجل ذلك قال أهل التحقيق منهم أنّ العلم نحو من وجود العالم بمقتضى الحركة الجوهرية

(١) نقلًا عن جريدة « سرفراز » جلد ١١ - ٢٧ سبتمبر ١٩٣٥ و- ١٧ اكتوبر ١٩٣٥ .

النفسانية نظراً إلى أَنَّ الوجود حقيقة واحدة ذات تشكيك في المراتب ثمّ تسائل الإمام قائلاً : ولكن هل يلتزم صاحب هذا الرأي بزوال مرتبة وجود العالم عند زوال علمه بنسيان أو نحوه ؟

ثم قال : إنَّما يطلب الشيء لأجل أثره ، ويكتسب العلم لأجل فائدته وحيث لانجد أثراً خارجياً ، وفائدة ملموسة لهذه الاختلافات فجدير بنا أن نقول :

العلوم لاشرقية ولا غربية

إنَّ النفس الناطقة الإنسانية بعد وجودها ، وفي مرحلة الفطرة المعبر عنها في مصطلح الفلسفة بمرتبة العقل بالملكة مستعدة لجميع الكمالات التي يمكن حصولها لها ، ولها قوّة تحصيلها بسبب محرّك خارجي يحركها نحو كمالاتها المطلوب ويسمى بالمعلّم ، كما أنَّ تلك الحركة هي التعليم ، وذلك الكمال هو العلم . فالعلم كمال للنفس المجردة ذاتاً وصفة إبداعية لها ومن المعلوم أنَّ المجرّد لا يتحرّز في مكان ولا يختص بجهة لأنَّ المكان والجهة من لوازم المادة .

فاستنتج منها أنَّ العلوم - وهي كمالات للنفس - لاشرقية ولا غربية وتوصيفها بالشرقية أو الغربية لكون مدوّنها أو العالم بها شرقياً أو غربياً ، أمر عرضي ومن باب وصف الشيء بصفة متعلّقه فلا يوجب تكثرّاً في جوهر العلوم .

ثمّ قال : النفس مفطورة لطلب الكمال المطلق « العلم » والشرائع السماوية والأديان الإلهية سيّما الدين الإسلامي حثّت على طلب العلم ولو في الصين وجعله فريضة على كلّ مسلم ومسلمة من دون تفريق بين ما كان تدوينه في الشرق أو في الغرب .

ترتيب العلوم

ولكن يلزم رعاية الترتيب في تعلّم العلوم لأنَّ العلم بمشابه الغذاء للروح وللنفس الناطقة ، فكما أنَّ أغذية الجسد تختلف بالمناسبات ، فالصالح من الأغذية للشباب لا يصلح للطفل والصالح للصحيح لا يصلح للمريض ،

والصالح للمزاج القوي لا يصلح للمزاج الضعيف فكذلك العلوم يجب تعلّمها حسب إستعداد المتعلّم بروحه ونفسه ومحيطه وبيئته ورعاية الأصلح منها فالأصلح والأهم منها فالأهم .

وهذا سرّ تقسيم العلوم إلى إبتدائية ومتوسطة وعالية وهو السبب لرعاية الأقدمين الترتيب الطبيعي في موضوعات العلوم لكي يتكوّن للمتعلّم في العلم السابق إستعداد تحصيل العلم اللاحق على وجه يترتّب عليه الأثر المطلوب منه ، ولأجل ذلك إلّزم الحكماء والفلاسفة بتقديم تهذيب الأخلاق وتقويم الفكر بتعلّم بعض العلوم الرياضيّة على الشروع في علم المنطق ، ثمّ قدّموا تعلّم المنطق على الفلسفة وتعلّم الفلسفة الطبيعيّة على العلم الإلهي .

ومن إهمال هذا الترتيب تورّط الرياضي المعاصر الشهير « آينشتاين » في الحيرة وأنكر الأصول الموضوعية في العلوم .
وبعد أن تكلم الإمام طويلاً قال :

بما أنّ العقائد الإسلامية وتعاليم الدين الخفيف ، هي مقتضيات الفطره السليمة ويستقلّ العقل الفطري المجرد عن شوائب الأوهام في الحكم بصحتها ، وهي تصوّر مكارم الأخلاق الملائمة لكرامة الإنسانية وشرفها والبراهين عليها عقلية وحسيّة فمن الواجب علينا بمقتضى ناموس التطوّر أن نصوغ مبادئ الإسلام التي هي صورة صحيحة وآيات ثابتة لا يمكن فيها تغيير ولا تبديل في أساليب عصرية ملائمة بديعة لكي نستطيع أن نرسّخها في أذهان النشء في مدّة وجيزة قبل حياته المدرسية فتكون العلوم الطبيعية والعصرية التي يتعلّمها بعد ذلك أسلحة عصرية وقوّة إسلامية يرهّب بها أعداء الله وأعداء الإسلام وأعداء الإنسانية وإلّا لجعلت هذه العلوم العصرية مدارك التلاميذ مهابط الوسواس ومخازن الدسائس ويستحيلون إلى زنادقة ملحدّين يخربون بيوتهم بأيديهم وهم لا يعقلون وتكون علومهم ناراً محرقة تحرق عواطفهم وعقائدهم ومكارمهم فيخسرون الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين ويتسابقون إلى الشرّ مسيرين

لا تخيرين وهم يظنون أنهم مخيرون لا مسيرون لقد عميت عليهم المسالك وهم لا يفقهون .

فيأتيها المسلمون ﴿ قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾ .

ثم قال الإمام :

أتعجبون إذا وصم بعض أبنائنا بالجهل بعلومهم ومبادئهم الدينية التي فيها سعادة الأولى والآخرة ، وهم لا يكادون يفقهون منه حديثاً وكيف يفقه وقد طرح من أول نشأته في حجر من يجزعه الإلحاد وهو لم يعرف شيئاً عن الإسلام غير أنه سلم لهذا الحاضن على أثر الفطام فصبغ بصبغته ، يظن أن مانث فيه من السم أو السحر لم يقله أحد قبل من غشه ، حتى قام يتبجح بما خدع به ، يعدّه كشفاً جديداً ونظرية حديثة ، ويعدّه عصر النور والعلم ، وعصر إكتشاف الميكروب والكهرباء .

ثم قال الإمام :

إن محنة الإخلاق أشد المحن ، وبالتعاليم الأخلاقية نادى الأنبياء (صلى الله عليهم) والحكماء والفلاسفة والمصلحون والمهيمنون على تربية النشء وتعليمه في مختلف العصور ، لأنها روح الدين والإيمان ووسيلة اتحاد الأمة وقوة النهضة السياسية ومحور الحركة الوطنية والسد المنيع دون تأثير المبادئ الهدامة في المجتمع .

والخلق في علم الاجتماع شبيه بالعنصر الثابت لكل نوع من أنواع الكائنات فخلق كل أمة هي علة تطورها في حياتها ، وهو يقرر مستقبلها وأما التأثير العقلي فضعيف على تفاوت فيه ، ولقد كان العرب المسلمون أيام سقوطهم ذوي عقول

أرقى من عقول أجدادهم القاهرين ، ولكنهم سقطوا لأنهم فقدوا صفاتهم الأخلاقية التي كانت السبب في عظمة آبائهم الأولين فأضاعوا الجدة والمثابرة والعزيمة الصادقة والجلد الذي لا يعرف الوهن ، وفقدوا المقدرة على التفاني في نصرة الحق ، ولا بد لهم من الرجوع إلى ما كانوا عليه ، وما هذا الإنحطاط إلا

عوارض موقّنة سبّبتها بعض الطوارئ وهي لا تلبث أن تزول ، فإذا يمكن للأمة أن تسير إلى الرقي بقليل من العلم والعرفان وتبلغ ذرى المجد والسؤدد متى كان الخلق الصحيح سائداً بين أفرادها .

واستنتج الإمام من المقدمات التي مهّدها أن الخلق الصحيح يجب أن تقوم عليه نهضتنا العربية والإسلامية والوطنية .

٢ - إندهشت الأوساط العلمية في أنحاء العالم من مفاجئة « النظرية النسبية » التي اقترحها الدكتور « ألبرت آينشتان » لربط وتفسير جميع التجارب الحديثة والملاحظات ، لأنها تستدعي قلب التصورات القديمة للزمان والفضاء ، واستبدالها بتصورات أخرى غريبة جداً ، كتصور الحد الرابع وإنحاء الخطوط العالمية .

كما تستدعي قلب أصول إقليدس الهندسية ، ومبادئ فلاسفة اليونان الفلسفية والمنطقية ، وقوانين « نيوتن » الميكانيكية .

واشتهر أن الدلائل الرياضية المستعملة في إثبات قانون هذه النظرية هي أسمى وأدق من أن يدركها أكثر الرياضيين حتى قال « آينشتاين » نفسه متبجحاً : « إنّ الذين يمكنهم أن يفهموها لا يتجاوزون عدد الأصابع » حتى قيّض الله الإمام الزنجاني في رحلته إلى الهند فألقى محاضراته العلمية الفلسفية الرياضية في « لاهور » عاصمة البنجاب - إستجابة لأمنية أساتذتها - ترجمت بعدة لغات غربية وشرقية ، أشار فيها إلى نشوء النظرية النسبية وقال :

إنّ النتائج الحاصلة أخيراً من مشاهدات ظواهر الكون والكهربائية أدّت إلى النظرية القائلة بأنّ قوّتيهما من جنس واحد وأنها حاصلتان من ظواهر الإضطرابات التموجية المنتشرة في الوسط الافتراضي « الأثير » بسرعة « ١٨٦٠٠٠ » ميل في الثانية ، فقام العلماء بعدة تجارب لغرض الوصول إلى غاية تستهدف قياس سرعة سير الأرض بالنسبة إلى الوسط المذكور وتسميتها بالسرعة المطلقة .

وكان أهمّها تجربة « ميكلسن » و « مورلي » سنة ١٨٨٧ م التي سبّبت ظهور

النظرية النسبية المنسوبة إلى « آينشتان » لأنه قام بتفسيرها وتعليلها .
ومبدأ هذه النظرية قضية بسيطة مألوفة ، وهي « أن الأجسام متحركة نسبياً » . . . وهذه القضية من إفادات فيلسوف الإسلام الأكبر « الخواجه نصير الدين الطوسي في القرن الثالث عشر الميلادي » .

ثم قال الإمام :

وكان شوط الفيثاغوريين في هذه النظرية الموهومة أوسع من أشواط « ميكلسن » و « آينشتاين » لإعتبارهم النسبة صفة لازمة لجميع الموجودات بل جعلوها جوهر الكون وقالوا : « النسبة نظام الكون الشامل » والمعياري في هذا النظام ، إعتبار أبعاد متساوية ووحدات قياسية .

وقال : إن هذه النظرية الفيثاغورية مغالطة نشأت من الاشتباه والخلط بين وحدة الحساب ووحدة الهندسة .

ثم شرع الإمام في شرح النظرية النسبية على أسلوب علمي دقيق واستعرض أدلتها وانتقدها نقداً دقيقاً .

وقال الإمام : إن نظرية آينشتاين تؤكد أن الحقيقة الواقعية في جميع الظواهر الموجودة في العالم هي خليط من الزمان والمكان والمادة ، وهذا الثالث يشمل حقيقة واحدة هي خليط من مجموعها ، وعلى هذا فأبعاد الجسم أربعة ثلاثة منها مكانية ، وهي الطول والعرض والسمك ، والرابع الزمان ، وأساس نظرية الأبعاد الأربعة أن يميز الحوادث والموجودات ليس منحصرأ في الموقع المكاني بل لا يتكامل إمتياز بعضها عن بعض إلا بالموقع الزماني .

ثم قال الإمام : « إن الأبعاد الثلاثة للجسم في مصطلح الفلسفة والعلم الرياضي عبارة عن خطوط ثلاثة متصورة في كل جسم ، تتقاطع في زوايا قوائم ، فهذه الأبعاد مقررّة في داخل حدود الجسم باعتبار التقدّم والتأخّر في أجزائه المجتمعة المنضّمة بعضها إلى بعض مع قطع النظر عن كلّ موجود خارج عنه سواء كان محيطاً به أو متقدّماً عليه أو متأخراً عنه ، فإذا حاولنا أن نتصوّر بعداً رابعاً له ، لزم أن يكون هو أيضاً على شاكلة الأبعاد الثلاثة داخلاً في حدوده ، إذ لو كان

بسبب نسبة الجسم إلى وجود حادث أو جسم آخر متقدّم على وجوده أو متأخر عنه لم ينسجم مع الأبعاد الثلاثة ولأجل ذلك قرّر صدر المتأهلين ^(١) البعد الرابع الزماني ، إمتداداً داخلياً للجسم ، وهو مقدار صورته الطبيعية التي هي الهوية الصورية الجوهرية المتجددة بذاتها من جهة تقدّمها وتأخرها الذاتيين ، كما أنّ الأبعاد الثلاثة المكانية إمتدادات داخلية للجسم وهي مقادير صورته التعليمية فالزمان عنده عبارة عن مقدار الطبيعة المتجددة بذاتها من جهة تقدّمها وتأخرها الذاتيين ، وحال الزمان مع الصورة الطبيعية ذات الإمتداد الزماني كحال المقدار التعليمي مع الصورة الجسمية ذات الامتداد المكاني ، ونسبة المقدار إلى الامتداد كنسبة المتعين إلى المبهم ، وهما متّحدان وجوداً ، ومتغايران بالإعتبار .

ولكن آينشتاين لم يعرف هذا المصطلح العلمي ، بل ظنّ أن البعد بمعناه اللغوي المقابل للقرب ، وأخذ أبعاد الجسم الثلاثة من الجهات الست المحيطة به وقرّر أنّ جسماً إذا وجد في وسط غرفة مثلاً يلاحظ مقدار إبتعاده عن سقفها وعن أرضها . فهو البعد المسمّى « السمك » ويقدر البعدان الآخران الطول والعرض بمقدار إبتعاده عن جدرانها الأربعة فهذه الأبعاد الثلاثة اعتبرت بنسبة الجسم إلى سقف الغرفة وجدرانها فكذلك الحدّ الرابع الزماني الذي لا يكمل إمتياز الجسم إلّا به يعرف بنسبة حدوث الجسم إلى حادث متقدّم عليه أو متأخر عنه .

هنا حدّ آينشتاين عن الطريق العلمي المستوي من دون ضرورة تدعو إليه ، والحائد عن الطريق كلّما زاد سيراً زاد بعداً عن المقصد .

إستنتج آينشتاين عن هذه النظرية أنّ المسافة والحجم والحركة والإتجاه والاستقامة والانحناء أمور نسبية بالنظر إلى الملاحظ ، وأنّ المقياس يخلق المكان والزمان . . .

هنا وقع آينشتاين في خبط واضح ، وخلط بين مباحث العلم الطبيعي وبين مباحث علم المناظر والمرايا ، المتأخر موضوعه عن مرتبة موضوع الطبيعي . وأخذ

(١) في كتابه الكبير « الأسفار » الصفحة ٢٣٨ - ٢٣٩ .

يستدلّ بمقررات العلم المتأخر على مباحث العلم المتقدم وهذا ينتج عكس المطلوب ، إذ كان من واجبه أن يبرهن بمقررات العلم السابق على مباحث العلم اللاحق .

ومن البديهي أن اختلاف حجم المرئي في الصغر والكبر بالنسبة إلى بعده عن الرائي أو قربه منه لا يجوز أن يستنتج منه أن حجمه نسبي إضافي وليس له حجم حقيقي واقعي .

ومن هنا تعرف قيمة حكمه بأن السطوح كلّها مقوسة بدليل كروية شكل الأرض . وإستنتاجه من ذلك أنه لا يوجد خطّ مستقيم يكون أقصر الخطوط الموصلة بين النقطتين .

وهذا استدلال بالأخص على الأعم . وممنوع في جميع العلوم ودليل ناقص عند العقلاء كافة ، فإذا رسمت خطاً مستقيماً على سطح مستوٍ من الورق أو الخشب مثلاً ، فهل توجب كروية الأرض إعوجاجه ؟

لم يخفَ على أينشتاين هذا الأمر البدهي ، فالتجأ إلى إثبات التقوس والانحناء حينئذ بالنسبة إلى مشاهد يقف في كرة الشمس فينظر منها إلى الأرض وإلى حركة يدك حينما ترسم خطاً مستقيماً على سطح مستوٍ وبسبب حركة الأرض وحركة الشمس يرى هو ذلك الخط مقوساً معوجاً طويلاً حينما تراه أنت مستقيماً قصيراً وهنا أيضاً يحاول أينشتاين أن يستدلّ بمقررات العلم المتأخر على مسائل العلم المتقدم عليه فيستنتج من هذا أن الاستقامة والانحناء نسيان وإضافيان .

... وإذا اعتقد أينشتاين بأن السطوح مقوسة فجميع الأشياء التي تتحرك خلالها تتحرك مقوسة . ومن ضمنها « النور » ونتيجة هذه النظرية في المعادلة أن الجاذبية ليست قوة من الطبيعة كما قال « نيوتن » ومن سبقه من فلاسفة الإسلام ، بل هي صفة وخاصية من خواص المكان والزمان وإن ثقل المادة في المكان القوسي المنحني كاف للحركة ، فلا ضرورة للجاذبية . . .

ثمّ استعرض الإمام الأدلة الرياضية التي أقامها أينشتاين على نظريته النسبية

استعراض خبير بدقائق الرياضيات وبصير بالإكتشافات الحديثة واستغرق هذه الاستعراضات ثلاث ساعات أثبت خلالها فساد صنف من أدلته الرياضية وفساد استدلاله بالصنف الآخر الذي أثبت الإمام أنها صحيحة في حدود ذواتها ، ولكن لادلالة في شيء منها على صحة النظرية النسبية . وأخيراً قال الإمام :

من أوضح الدليل على عجز آينشتاين عن إقامة الأدلة الرياضية والبراهين العلمية على نفي الجاذبية ، وكفاية ثقل المادة بانضمام تقوُّس المكان إليه في تحقُّق الحركة غير المستقيمة أنه إلتجأ إلى أن يفرض إنساناً خيالياً في غرفة خيالية معلقة في الخلاء تشبه « الغبارة » الوارد ذكرها في قصة « جول وري » الخيالية ، فزعم أن أرضها لاتضغط على رجل ذلك الانسان الذي ليس له ثقل فيها أصلاً ، وإن كرة اللعب ترتفع من أرضها حتى تلتصق بسقفها مادامت ساكنة فإذا تحركت الغرفة الخيالية بحركة خيالية نحو الأرض يضغط أرضها رجل الإنسان الخيالي الذي يتكون له ثقل بمجرد حركة الغرفة وتسقط الكرة الخيالية من سقفها إلى أرضها كل ذلك لأجل المكان القوسي والثقل الطبيعي .

وهذا الخيال أساس « نظرية مساواة الإنتاج » لآينشتاين .

ثم قال الإمام الزنجاني :

يقول آينشتاين : الحركة والاتجاه نسبيان بالنسبة للملاحظة ، فإن جسماً في الفراغ لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون في حال الحركة لأن الحركة تعني اقتراب الجسم أو ابتعاده من أو عن نقاط معينة . . . الخ .
وهذا غريب إذ قرّر في الفلسفة منذ عهد اليونان أن الحركة متوقفة على ستة أمور :

- ١ - مبدأ الحركة .
- ٢ - متنهاها .
- ٣ - المقولة التي تقع فيها الحركة .
- ٤ - الغاية التي لأجلها الحركة .
- ٥ - المحرك ومابه الحركة .

٦ - المتحرّك .

وقرّر أيضاً أنّ الحركة التوسّطية « أي كون المتحرّك متوسطاً بين مبدأ الحركة ومنتهاها » موجودة تحقيقاً ، وأمّا الحركة القطعية « وهي وصول المتحرّك إلى كلّ نقطة من نقاط مافيه الحركة » فهي آنيّة تنعدم حين وجودها .

فمن المغالطة إستدلاله بكون الحركة تعني ابتعاد الجسم عن مبدأ الحركة أو اقترابه من منتهاها على أنّ الحركة نسبية .

وأغرب من هذا ماقاله آينشتاين بهذا العبارة :

لوجلس في عربة قطار أغلقت نوافذها بحيث لاينفذ بصرك إلى الخارج ، وكان القطار يسير منسباً في إتجاه واحد لا يغيّر سرعته ، فمن المستحيل أن تعرف أنّ القطار في حالة الحركة ، لأنك في هذه الحال لا تستطيع أن تطلع على حركة القطار دون ملاحظة شيء في الخارج . . . الخ .

ومن الواضح لدى كلّ أحد أنّ انتفاء العلم بالشيء لا يستلزم انتفاءه في الواقع .

ثمّ قال الإمام الزنجاني :

هذه كلّها أشياء تمهيدية وسنرى براهين آينشتاين وماتظهره فيمايلي . . . الخ .

هنا استعرض الإمام جميع البراهين الرياضية التي أقامها آينشتاين وأبطلها واحداً واحداً بنظريات رياضية أدقّ منها سجّلت في مائة وأربعين صفحة ثمّ ترجمت إلى عدّة لغات شرقية وغربية ، ولما أرسل شاعر الهند وفيلسوفها الإسلامي الدكتور « سر إقبال » ترجمتها باللغة الإنكليزية إلى لجنة تدقيق النظرية النسبية إقتنعت اللجنة بصحّة آراء الإمام والبراهين الرياضية والفلسفية التي أقامها عليها ، وكان من نتائجها ماأشتهر أخيراً من تنازل آينشتاين عن نظريته النسبية وإعترافه بفسادها .



إصلاحه الديني

مثال من إصلاحه الديني

تمهيد

كلمة الإصلاح الديني على وضوح مفهومها - قد يتوهم أن المقصود منها إحداث تغيير أو تعديل في تعاليم الدين ويزيل هذا الوهم ما جاء في مقالة للإمام الزنجاني تكرر نشرها في أعداد كثيرة من الصحف والمجلات في مختلف الأقطار وهذا نصّها مقتضباً :

كاد أن ينقطع حبل الصلة بين رجال الدين وسائر طبقات المسلمين في هذا القرن العشرين الذي إمتاز بخوارق الاختراعات وتقديس المادة وإكتشاف بعض أسرارها تلك الخوارق التي فتقت أذهان الناس وخلقت عالماً جديداً متكوّناً من الفوضى في الأخلاق والأفكار والعقائد ووجّهت أفكار الناس من مختلف الطبقات إلى التفكير الحرّ وعدم الاذعان بشيء مما لا يقبله العقل ولا يساعد عليه البرهان فقيوت فيها نزعات الشكّ واندكت أسس العقائد وبذلك تبدّل أسلوب التفاهم .

وأنّ النقص الموجود في أسلوب تأليف الكتب الدينيّة ومنهاج التعليم الديني أوجب إختفاء أسرار التشريع وحقيقة فلسفة الدين الإسلامي فقصرت عقول الناس عن نيل حقيقتها الواضحة الغامضة ، وأوجد ذلك حيرة عميقة في النفوس ، فأنفسح المجال لأعداء الإسلام لقلب الحقائق الإسلامية والتلفيق فيها وإفراغها في غير صورها وتلوينها بغير ألوانها ، حتّى تشابهت بالأديان الأخرى التي لا يستفاد منها إلّا في المعابد ، فاتّخذها جمع من بسطاء المسلمين معتقدين بأنّها التعاليم الإسلامية ، ومجموع ذلك بعث ألسن الناس بتنقيص الدين والقول بأنّه يعطل التفكير والابداع .

ويدعوا إلى الجمود والانحطاط ، ويصطدم بأسباب الرقي والتقدّم ، ويخالف الحياة في جميع نواحيها .

فتكوّنت عند المسلمين قضايا معقدة ، تحجب المسارعة إلى حلّها إذ بحلّها

وتحليلها تشعّ تعاليم الإسلام ، وثبت نظام الأمم الإسلامية وإرتباط بعضها ببعض ، ويحصل التفاهم المنشود .

ولا يستطيع حلّها إلّا من كان من الراسخين في العلم ، الذين لهم المعرفة الشاملة القائمة على مقرّرات العقل الفطري ، والبحث العلمي والتفكير الحر والإحاطة بسرّ الإسلام وعظمته ، وبأسرار كتابه المعجز الخالد ومعرفة نفسيّات البشر ، ومقوّمات الأمم التي لا تستطيع أمة أن تحيا وترفع رأسها إلّا بها فيصوغ فلسفة الإسلام وتعاليمه في أسلوب عصري عقلي ، لا ينتابه جمود ولا غموض ، مراعيّاً في تسجيلها ما ألفته طباع أهل العصر ، وجمهور المتعلّمين من المسالك الحديثة ، لكي تكون منيرة أخاذة بالألباب راسخة في النفوس مسيطرة على المشاعر ، فسيرنا على النهج القديم التي كثرت فيه العقبات وتشعبت فيه المشكلات ، لا يعدّ سيراً موصلاً للأهداف السامية ، ولا سفيراً مؤديّاً إلى الغايات الرفيعة .

وهذا هو المقصود من كلمة « الإصلاح الديني »



وليس المقصود منها إحداث تغيير أو تعديل في تعاليم الدين الإسلامي فإن من خصوصيات الإسلام أنّ كلّ إصلاح بشري في تعاليمها الحقّة يحطّ من قيمتها فيجب أن تؤخذ كما هي عليه بغير تعديل ولا تنقيح .

وهذا الإصلاح لا يستوحى من الخيال ، ولا يفرض من قوّة خارجة عمّا هو الموجود ، إنّما هو يجب أن يكون وليد الحقيقة ، والوضع القائم وصنيع المؤثرات الاجتماعية والفكرية ومقتضيات الأحوال التي أمر الإسلام برعايتها .

سطور مقتضبة من المحاضرة التاريخية المطوّلة التي إرتجلها الإمام الزنجاني في « كلكتا » ونشرت في عدّة لغات وهذا نصّها :

في طريقي إلى عاصمة الحقيقة

أعلنت الصحف وسجّلت رقاع الدعوة أنّ موضوع محاضرتي في هذه الليلة « الاتحاد الإسلامي » وعلى هذا الأساس حضرت وحضرت عشرات الألوف في هذه الحفلة .

ولكن أخبرني رئيس هذه الحلقة الآن- وأنا على المنصّة - أنّ أكثرية الجمهور المحتشدة في هذا المكان من مختلف الملل والنحل ، ولا يفيدهم الموضوع المقرّر شيئاً أصلاً ، فألجأني ذلك إلى أن ألقى خطاباً في موضوع آخر يناسب فلسفة الدين الإسلامي ، عسى أن يستفيد منه جميع الحاضرين فعليه أشرح لكم حقيقة واقعية ذات نواحٍ كثيرة يمكن أن يستفيد منها مختلف عناصر البشر على اختلاف مللها ونحلها وبلادها وطبقاتها ، ودرجات ثقافتها ، إكتشفتها « في طريقي إلى عاصمة الحقيقة » .

أتحدّث إليكم عن حادث جلل وقع في عنفوان نشأتي فكان له عظيم الأثر في نموّ فكري ، وتكوين عقليّتي وإتجاه ميولي في العقائد والمبادئ والحياة ، ممّا أدّى بي إلى سلوكي المذهب الذي سرت فيه والمبدأ الديني الذي إعتنقته .

نشأت في بيئة دينية ، وأسرة علمية ، وإعتنقت - طبعاً بحكم المحيط والبيئة - عقيدة والدي وهي العقيدة الإسلامية الاثني عشرية .
وكان والدي عالماً جليلاً حكيماً صالحاً صريحاً مستقيماً ، غريز العلم .
جَمَّ الذكاء واسع الاطلاع أريج الطباع ، يكاد ذكائه يكشف حجب السرائر ،
وينفذ الى أعماق الضمائر ، ويعرف دخائل النفوس وخفايا الصدور .
إهتم والدي بتعليمي العلوم وتثقيفي بنفسه ، ولم يكتف بذلك بل خصص لي
أساتذة لتدريسي فنون العلوم ، من العربية ، والأدبية ، والدينية ، والرياضية ،
والفلسفية ، والكلامية ، مضافاً الى الدروس التي عنيت بها في المدارس ، من
منطقي ، وتوحيد ، وتفسير ، وحديث ، وأخلاق ، وبعض العلوم الطبيعية ،
وهذه العناية قد فتحت ذهني على آفاق جديدة من العلم ووجهتني توجيهاً
جديداً .

وقد حدث ذات ليلة من ليالي الشتاء أني كنت مكباً على مطالعة دروسي إذ فوجئت
باستدعاء والدي إياي ، على خلاف المعتاد فأجبتته مستغرباً ذلك . . . أمرني
بالجلوس أمامه ثم قال : « يا ولدي الوحيد اصغ جيداً الى ما أقول وأعلم أن
سعادتك أو شقائك الأبديين منوطان بكلمتي هذه - أخذ قلبي يخفق - واستمر
والدي في كلامه وقال : إنك تخطيت على الحياة أربعة عشر ربيعاً واقتحمت
الخامسة عشر ، ويجب عليك أن تجتهد خلالها في الفحص عن العقيدة الحقّة
« وهي العقيدة التي تسوقك إليها البراهين العقلية والأدلة الحسية » ، وأنت مجهز
بأنواع العلوم والدراسات ، تعينك على أمرك ، وتيسر لك سبل الاجتهاد
ولا يخفى عليك أنك أخذت عقيدتي وإعتنقتها تقليداً ، وتعبدت بعبادتي كعادة
حتى الآن ، ولا يجوز لك بعد هذا أن تكون باطلة وفاسدة مالم تتأيد عندك بالبرهان
العقلي والدليل الحسي ولك أن تحتمل قبل شروعي في الفحص والتدقيق أن الحق
قد يمكن أن يكون في المبدأ الدهري مثلاً مالم يثبت عندك بطلانه بالعقل والحس ،
فابذل يا ولدي أقصى جهودك في زيادة التوغل في درس مواضيع الأديان واللا دينية
وسبر غورها للتوصل إلى الحقيقة الراهنة ويلزمك أن تستعد لمجابهة الحقيقة

بشجاعة وإقدام غير آبه للأسوار الاجتماعية والعاطفية المحيطة بك ، فتخترقها غير هيّاب للعثور على ضالتك المنشودة في طريق الهداية والحق ، وأنت في زهرة العمر ، وغضاضة الصبا ، لم ترسخ في نفسك جذور المعتقدات الفاسدة ولم تصبح الخرافات ديناً مهيمناً على قلبك وكل مالديك أشياء سمعتها من البيئة التي نشأت فيها ، وسرت الى ذهنك من المحيط الذي يحيط بك لم تبلغ حدّ الرسوخ والتمكّن فما هي إلا أن تجد الحق بالبرهان العقلي والدليل الحسي حتى تدعن له ، ويحبّبت له قلبك واعلم يا ولدي أنه كما أنّ المريض بالمرض الجسماني يلزم أن يشرح للطبيب جميع أحواله الظاهرية منذ مبدأ إحساسه المرض الى النهاية ليكون على بصيرة في علاجه كذلك يجب على المبتلى بالأمراض النفسية والعقائد الفاسدة ، أن يستعرض أحواله الباطنية من بدأ تميزه الفكري حتى النهاية التي انعقدت له فيها صورة العقيدة ، ويعرضها على الخبراء لكي يتبّه على مواضع الصواب والثبات ومزال الأقدام ، سكت والدي ، وساد صمت رهيب . ثمّ أذن لي في الأنصراف . . عدت الى غرفتي . . فماذا كان ؟ وجوم فذهول ، فحيرة ، ففكرة ، فمرض ، فشفاء ، فانتبهاه ، ثمّ إقتناع بالعمل ، وقد فتحت كلمة والدي نافذة طموحي ، الآن وقد حان لي أن أقرر مسلكي في المبدأ الديني أشعر بخطورة هذه القضية لاسيما إنّها جاءت في أوائل القرن العشرين في القرن الذي طغت فيه المادة وسادت فيه المحسوسات والملموسات .

في مثل هذا الموقف كان يجب عليّ أن أبحث بحثاً عميقاً وأحلّل الأوضاع اللادينية وأوضاع الديانات التوحيدية تحليلاً دقيقاً من مختلف نواحيها ، بطريقة علمية صحيحة صريحة بدون مراعاة القيود الاجتماعية والدينية أو مجاملة العناصر الأخرى وأرى أن زمن الجمود والتقليد والكتنّان قد مضى ، فنحن في عصر الحقيقة عصر النور والعلم يجب أن نلج فيه الى أعماق الأعماق ونسبر أغوار الأغوار كي يتسنى لنا إخراج لؤلؤ الحقيقة اللّماع المشعشع الخالي من الغش والتزييف ومن أراد أن يتتحي منحى الصراحة وعرف قيمة البحث العلمي المجرد من التحيز

وجبّ عليه أن ينفذ عنه غبار العاطفة ، الأمر الذي يقوده حتماً إلى الإعتصام بالحقائق مهما كانت مزعجة ، وأملّي بهذا أن لا يحقد عليّ البعض من الطوائف والملل المختلفة الذين يمسخهم هذا البحث بسردي الحقائق التي وصلت إليها في عنفوان صفاء نفسي وفراغ قلبي بعد الدرس العميق والتحقيق الدقيق ، ومهما كان الأمر فيّ لأبالي بما أعانية من جرّاء صراحتي ، بل بالعكس أعد نفسي سعيداً بأن أنخرط في سلك الرجال الذين دافعوا عن الحقّ والحقيقة ونزلوا إلى ساحة النضال في سبيل المبدأ الحقّ مضحين كلّ شيء في مسلك الخدمة الإنسانية العامة .

كان من الطبيعي أن يكون أوّل من صادفتهم في مسلك التحقيق الذين كانوا يدينون بالفلسفة الحسيّة التي لا تعتقد بغير ماتلمسه وتحسّ به أو تدركه أو تتقرب منه ، وأمّا ما كان غير ذلك فهو في هذه الفلسفة خرافة وتضليل ، وذلك لأنّ تيار تقديس المادة الذي كان في الغرب تدريجاً يهاجمهم في الشرق فجائياً ، فيضطرون أن يأخذوا النتائج كما هي ، وللمادة قدرة خارقة أذهلتهم فوقفوا أمامه حيرانين ولهائنين .

وكان يؤيّدهم في ذلك بعض الذين يحطّون من منزلة الإنسان فيضعونه في مستوى الحيوان الأعجم ، ويقولون أنّ العلم والدين لا يجتمعان وأنّ القوة والسيطرة هما في جانب العلم وأنّ الدور القاسي الذي لعبه الدين على مسرح الإنسانية قد إنتهى بنتيجة إنتشار العلم وظهور الحقيقة وتهدّمت صروح الدين .

إتصلت بعلماء التاريخ الطبيعي والكيمياء والفلك ، فرأيت أن أحدهم يقول عند كلامه على تركيب الخلية الحيّة أنّها مركّبة من أربعة عناصر ، هي الأوكسجين والهيدروجين والكربون والآزوت ، غير أنّنا لو أردنا تركيب خلية حية من هذه العناصر مع المحافظة على نسبها الكيماوية لما أمكننا ذلك لأنّ الخلية ليست تركيباً كيميائياً فحسب بل هي جسم حي .

ويقول آخر عن الفيل أنّه يستخدم خرطوميه كما يستخدم الإنسان يده لأنّ ضخامة جسمه إستلزمت قصر عنقه ، ولما كان تناول الطعام عسيراً عليه ، فقد

مدّت الطبيعة في أنفه وهو مانسميه بالخرطوم وبه يستطيع أن يلتقط الأشياء الدقيقة حتى الإبر .

ويقول آخر عن الفصول : إن ميل محور الأرض عن مستوى الفلك سبب حصول الفصول الأربعة التي لولاها لأستحال وجود الحياة على سطح الأرض .

فوجدت هذه الآراء غير كافية وهذه العبارات غير موصلة إلى التعليل العلمي الصحيح كما ان نسبة القصد والأحكام إلى الطبيعة العمياء أمر غير معقول ولا نستطيع أن نصل بها إلى حل مرضي لأية ظاهرة من ظواهر الكون وإقتناعنا بهذه الآراء يجعل إدراكنا للأشياء إدراكاً سطحياً لا يكسبنا يقيناً ولا يقننا على حقيقة .

وبالأخرة وجدت نفسي أمام حقيقة مجهولة وأشغلت بالي هذه الأسئلة :
ماسر الحياة ؟ ولماذا لانستطيع تركيبها من عناصرها المكونة لها ؟ وكيف تولدت في الطبيعة الجامدة وبأية علة معقولة يمكن تعليلها ؟ وكيف تحفظ الحياة وجودها وتسري من كل فرد إلى أمثاله في الأنواع المختلفة ؟ وكيف تكوّنت هذه المجاميع العضوية متناسبة ومترابطة لغاية مقصودة ؟ حتى لقد دعيت هذه المجاميع بالميزات النوعية ، وكيف شعرت الطبيعة بحاجة الفيل إلى الخرطوم فمدّت في أنفه ؟ وما سبب الميل في محور الأرض ؟

فلم أجد في الفلسفة الطبيعية تفسير هذه الأمور التي يهمني تفسيرها ولا في أصول العلم الحديث جواباً على هذه الأسئلة أو دليلاً يوصلني إلى الحقيقة التي أطلبها سوى هذه الألفاظ :

الطبيعة ، الحرارة ، البيئة ، الوراثة ، الأثير . . . وهي ليست عللاً أولية بل كلّ منها مفتقر إلى تعليل فلم أجد في العلوم الحديثة ما يشفي لي علة أو يروي لي غلة .

لأنّ العالم الطبيعي يفرّ من البحث عن العلل والأسباب مخافة أن يضطرّه بحثه إلى الإعتراف بوجود العلة الأولى التي هي مصدر كلّ حكمة ومنبع كلّ إفاضة فجاءت بحوثه ناقصة مبتورة .

وقد يضيق به مجال التعبير أحياناً ، فيلجأ إلى هيئات المطاوعة مثل إنفصلت

الأرض عن الشمس ، إنتظمت حركتها ، تطورت الأحياء على سطحها ظاناً أنّ هذه التعابير تغني عن ذكر الأسباب والعلل ، ونسي أنها من أفعال المطاوعة التي هي معلولة بالضرورة لأفعال أخرى غيرها وقد تضطّر فطرته أحياناً إلى نسبة الأثر إلى المؤثر ، فينسب ما لا يرى للصدفة مجالاً فيه إلى الطبيعة العمياء ، وهو لو أنصف لرأى خطأه جلياً لا إبهام فيه ولا غموض ، ثم لاحظت أنّ هذه الفلسفة المادية الحسيّة قد اصطدمت بفلسفة وجود الروح المبتنية على الأبحاث في علم التنويم المغناطيسي وإستحضار الأرواح المبتنية على الأبحاث التي إعتقها كبار فلاسفة العصر الحاضر وبذلك تلاشى تأثير فلسفة الإلحاد في الأذهان ، وظهر لي في أثناء التدقيق أنّ إنكار عالم الروح ليس بنتيجة علم من العلوم أوزبدة فلسفة من الفلسفات نشأت في قرن من القرون ووقفت حيث هي بحيث أن من قرأ ذلك العلم أو شارف تلك الفلسفة أنكر الروح والخلود كلياً ، وإنّما ذلك الإنكار حال يعتري النفوس المستعدّة له فيسلب عنها أجمل صفاتها وهي الطمأنينة للحق ويجعلها مسرحاً لشياطين الشكوك والريب حتّى إنّ الواحد من المصايين بهذا المرض ليسكّ في وجود ذاته ووجود الكون المحيط به من كلّ مكان وله أسباب كثيرة منشأها التربية والمعاشرة والمحيط والمجتمع ومقام دينه من الضغط على العقول والأفكار أو من الحرية والإطلاق . . . الخ ، من الأسباب التي تشكّل الطباع والميول وتصبّ الرجال في قوالب لا يقدر على بعضها أي علم من العلوم ولذلك نرى الإلحاد في الأوروبيين في بعض طبقات الأمة أكثر منه لدى العلماء أنفسهم للأسباب الاجتماعية والأدبية التي تعيش الأمة في وسطها ، وربما يظهر لنا بالاستقراء والتحليل أنّ تلك الأسباب الاجتماعية والأدبية أشدّ فعلاً في إحداث تلك الحالة الإلحادية من العلوم التي يقصد بها بثّ الإلحاد والجمود .

ثم صادفت كلمة للفيلسوف الألماني « ادوردهاتمان » خليفة « شوبنهاور » في كتابه « المذهب الداروني » يمكن الاقتراب من الحقيقة على ضوءها وهذا نصّها :
إنّ الرأي الذي مقتضاه عدم وجود القصد في الكون عند الداروينيين لا يقوم عليه دليل ، وهو من الأوهام التي لا أساس لها من العلم . إنتهى .

ومتى ثبت القصد في الكون فقد ثبت وجود المدبّر الحكيم من طريق محسوس
لا سبيل للجدل فيه ﴿ أفي الله شك فاطر السموات والأرض ﴾ .
وكيف يتصوّر أن يكون صدور الموجودات العالمية عن المبدأ الأوّل كصدور
الضوء عن الشمس أو الحرارة من النار لأنّه يستلزم إلغاء الإرادة الإلهية ، ومتى
ألغيت هذه الإرادة تبعثها الحكمة والتدبير اللذان هما عنصرا كل ما في هذا الكون
من نظام وإتساق ، واللذان لولاهما لكان العالم سائراً يتخبّط تبعاً للمصادفات
الرعناء ، وهذا لا يتصوّر غافل بعد مشاهدة هذا الإبداع الحكيم في كلّ جزئية
من جزئيات العالم ، إلّا إذا تصوّر أنّه إذا وضع كمية من الأحرف الحديدية في
علبة ، ثمّ أفلها وهزّها ردحاً من الزمن وفتحها يجدها قد كوّنت من نفسها مقالة
ليست منظّمة الكلمات والجمل فحسب بل راقية الأسلوب عالية العبارة ، سامية
المرامي والأغراض .

إنّ هذا القائل يسير بغير هدى يلتمس النور في الليل وينشد النظام في
الفوضى ويتمنّى الوصول إلى شاطئ الأمان وهو يتخبّط في بحر الظلمات .

وظهر لي جلياً من تدقيق محاضرات « غوستوف لوبون » الفرنسي خطأ الرأي
القائل بأنّ المادة تتألّف من عناصر جامدة لا يعترها العدم وجدت في أوّل
الأشياء ، وتبقى في خلال جميع تطوّراتها بقاء سرمدياً وخطأ الكيمياء إذ كانت
تقول : لا يفنى شيء لأنّ المادة كانت رغماً عن الإستحالات التي تطرأ عليها تظهر
حافضة لوزنها الأوّل ، ولكنّه برهن حسيّاً في تلك المحاضرات على أنّ المادة مركّبة
من مجاميع صغيرة تشبه المجاميع الشمسية مؤلّفة من ذرّات يدور بعضها حول
بعض بسرعة عظيمة جداً .

وهي وإن كانت ثابتة في حسنّها فما ذلك إلّا بسبب تلك السرعة المفرطة وأثبت
أنّ المادة خاضعة للناموس الحتم الذي يقضي على جميع الكائنات بالفناء
والتلاشي .

وزادني إقتناعاً كتابه الذي أسماه « تولّد المادة وفنائها » ثمّ صادفت مقال
الدكتور « فيلبون » في مجلة « العلم والحياة » صفحة ٤٥١ من سنة ١٩١٧ « لقد

حلّت كلمة « القوة » محل كلمة « المادة » فما يدرينا هل تحلّ كلمة « روح » محلّ كلمة « قوّة » هذه المسألة المحيرة لاتزال سرّاً من أسرار المستقبل .

فعرفت أنّ العلم قد توصّل إلى إحالة المادة إلى قوّة ، أي إلى إثبات أنّها عرض من أعراض القوّة ، وبهذا منيت الفلسفة المادية التي حاولت في خلال عدّة قرون أن تقطع كلّ صلة بين الإنسان وما فوق المادة بفشل حاسم لقيام لها بعده من طريق العلم الطبيعي نفسه ، وهذا وحده كان ذا أثر بعيد في تأديب الإنسان وردعه عن البت في ما ليس من شأنه أن يبت فيه وفي تشكيكه في كلّ ما أسسه عن الأصول العلمية وإعادة وضعها في الميزان تحت ضوء النقد الصارم والتمحيص الدقيق فسقط بذلك العجب الذي كان يخيّل للعلماء أنّهم أدركوا حدود كلّ شيء وأصبح لهم الحقّ في الحكم بالوجود أو بالعدم على كلّ ما يعرض لهم البحث فيه حكماً لا يقبل المراجعة ولا يحتمل التشكيك .

حينئذ فهمت المقصود من كلمة كان يكرّرها أستاذه في الفلسفة وهي :
لاغنى للطبيعة في تعليل أسرارها عن التوحيد ، وأنّ محلّ التوحيد من الطبيعة محلّ الشعاع من السراج أو النتيجة من المقدّمين .

واستغربت مقال من يحاول فصل الدين والعلم ويثبت التنافي بينهما ، ويرى إنّ التقدم والرقى لا يتفقان مع مبادئ الدين ظناً منه أنّ الدين مجموعة تقاليد موروثّة في العقائد والعبادات ، وأنّ العلم مبني على الحسّ والمشاهدة والنظر العقلي ، يعني به العلم الطبيعي ، ويزعم أنّ في ذلك العلم ما لا ينطبق على الدين فنسبه للقصور أو الجمود وعدم الصلاحية للقرن العشرين . ونسي أو تناسى أنّ كثيراً من مكتشفات العلوم العصرية حدس وتخمين ورجم بالغيب وأنّه عسى أن يثبت غداً ضدّ ما ثبت اليوم كما ثبت اليوم ضدّ ما أثبت أمس ، وعلى تقدير التسليم أرى أن كون بعض الأديان لا يتفق والعلم الطبيعي لا يلزم منه أنّ كلّ الأديان كذلك كما أن منافاتها للعلم الطبيعي لا يستلزم أنّها منافية للعلوم الأخرى مضافاً إلى أن العلم الطبيعي اقترب من الدين بعد أن ألقى الإلحاد سلاحه حسبنا بيّنا ولو كان العلم يناهض الدين . فكيف إنتشر الدين الإسلامي في أقطار العالم ؟ وكانت

أنوار العلوم والمعارف نضيء الكون إلى جنب نهوض المسلمين وإتساع سلطاتهم ، وإذا كان التقدم والرقى لا يتفقان مع مبادئ الدين فكيف إذن ازدهرت الحضارة الأثرورية واليونانية والمصرية القديمة بما في ذلك العلم والصناعة ، وجميع نواحي الإنتاج الإنساني ، ازدهاراً بهر العالم ولم يزل موضع الإعجاب حتى الآن ، مع أن الأساس لها كان أساساً دينياً .

حينئذ تمثنت لو أتيح للإنسان أن يكون مؤمناً وعالمياً ، ويجمع بين هاتين القوتين اللتين ليس له عنهما غنى ولا منصرف ، فإن قوة الدين تعصمه من اليأس والهلع ، وتفتح أمامه أبواباً من الأمل الذي ليس له حد ، وتمكّنه من أن يلقي الخطوب ويتجشّم الأخطار راضياً مطمئناً مستبشراً وقوة العلم تمكّنه من الحياة ، كما أتيح ذلك للعالم « باستور » فإنه على جلال خطره وبعد أثره في العلم كان أشدّ الناس تديناً وأكثرهم إيماناً .

ثم لاحظت آراء أبي الفلسفة الحديثة وزعيم نهضتها « ديكارت » فوجدت أنه بعد تشكيكه في الإحساس والقوى ومدركاتها ، وفي المنطق والاستدلال والعلوم الطبيعية والمكان والحركة إستقرّ على قضية إعتقد أنها يقينية وهي :

أنا أفكر إذن فأنا موجود « فأتخذ من التفكير برهاناً على الوجود ثم بدأ فلسفته بحلقة التفكير ، لأنه فطري منبعث من قوة داخلية لا تخلو منها أية نفس بشرية فبنى أساس فلسفته على هذه القضية اليقينية ، وأول شيء استنتجه منها هو التمييز بين النفس والجسد فحكم بأن النفس جوهر مجرد مفكّر ، والجسد جوهر متحيّز يقبل الشكل والوضع وأقام لذلك أدلة ثلاثة .

ولما رأى « ديكارت » أن الفلاسفة المتقدّمين عليه بدأوا سلسلة الاستدلال على وجود الله تعالى بحلقة وجود العالم المحسوس ، واعتقد أن هذه الحلقة يمكن الشك فيها والظن عليها من جانب الذين يقولون أن حقائق الأشياء غير ثابتة ، إبتدع حلقة التفكير البديهية التي لا يستطيع أحد أن يشكّ فيها ، لأن المنكرين والارتبابيين جميعاً مجمعون على أن أحكامهم بالإنكار أو الريب ناشئة عن تفكير ، وإلا لكانت نوعاً من الهراء فالتفكير موجود لانزاع فيه ، لأن كل حكم إيجاباً كان

أم سلباً صادر عن تكفير ، ومن حيث أن التفكير معنى مصدري لا يقوم بنفسه فقد وجب أن يوجد كائن واقعي وموجود خارجي يصلح لأن يكون ظرفاً للتفكير ، ولا يمكن أن يكون هذا الكائن غير الإنسان ، لأن بقية الكائنات الحية لا تشمل إلا على حيوية « ميكانيكية تسيّر أجسامها وإذن فالكائن المفكر - وهو الإنسان - موجود فانتظمت لدينا قضية بديهية وهي : أنا أفكر وإذا فأنا موجود » يستتج منها أن المفكر هو جوهر مجرد في الإنسان وهو نفسه وعقله ، لاجسمه لأنه كغيره من الأجسام والموجود لا بد له من موجد يفوقه في صفات التشريف والطبيعة لا يمكن أن تكون هي هذا الموجد ، لأنها محرومة من العنصر المشرف الذي يستمتع به الإنسان وهو العقل والجوهر المجرد المفكر فلا تستطيع أن تمنحه إياه ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، وإذن فموجد هذا الكون ذات عاقلة مدبرة أزلية أبدية مستمتعة بأسمى أنواع الكينونة أما وجوب كونها عاقلة فلكي يمكن الإيمان بأنها مانحة للعقل ، وأما وجوب كونها أزلية فلكي لا تقتصر إلى موجد يحتاج هو بدوره إلى موجد حتى يقودنا ذلك إلى التسلسل الباطل هذا ملخص ما أفاده ديكارت ولكنه لا يتم إلا بالبرهان على بطلان التسلسل ، وهذا من أشكال الأمور في الفلسفة الحديثة ، ولكنني إستعنت فيه من ابن سينا ورأيت أن برهانه المسمى بالوسط والطرف على بطلان التسلسل مبني على قضية بديهية هي : « أن الوسط لا يوجد بدون وجود الطرفين » وهذه إحدى النتائج التي إستفدتها من الفلسفة القديمة فاطمئت نفسي ببلوغ بعض ماتريد ، بدافع غريزة الشعور الديني - الفطرة - من معرفة مبدأ حياتها ومنتهاها .

وجلب نظري برهان آخر أقامه « ديكارت » على وجود الله فقال :
إنّي أشعر أنّي ناقص ، وأشعر كذلك أنّ نقصي جاء من ناحية الشك الذي صحبني زمناً ، لأنّ الكمال مرافق لليقين ، وإنّي أدرك أنّ هناك كمالاً بالمقابلة إلى نقصي ، وإنّ هذا الكمال معنى مصدري وهو مفتقر إلى موجود قائم بذاته ، وهذا الموجود لا يمكن أن يكون أنا ، لأنّي أثبتّ نقصي لأنّي شككت يوماً ، ولا موجوداً أقلّ منّي لأنه أحرى بالنقص ولا أن يكون حادثاً أرفع وأعلى منّي ، لأنه لحدوثه

يحتاج إلى محدث يفوقه في صفات الشريف ، فهو حينئذ يكون أقلّ كمالاً من محدثه فإن إتّصف هذا الحادث الذي هو أرفع منّي بالكمال المطلق لزم أن يكون أكمل من محدثه وهذا محال ، فإذا الموجود الأكمل هو منشيء كل شيء .

ويجب تكميل هذا البرهان أيضاً بأنّ كمال الموجود الأكمل يلزم أن يكون كمالاً حقيقياً وذاتياً وواقعياً لا من سنخ المفهوم المصدري وإثبات أن المبدأ والمشتق منه في أوصاف الله يستعملان في معنى واحد .

ثمّ نظرت في آراء الفيلسوف « كانت » الألماني فرأيت يقول :

إنّ الفلاسفة أجمع قد اعتمدوا إمّا على التجربة ، وإمّا على ماوراء الطبيعة ، وكلاهما يؤديان إلى نتيجة خاطئة ، لأنهما يعتمدان على الماهيات التي متحتها الحواس للأشياء ، والحواس أقلّ من أن تكون عماداً لبراهين وجود المبدأ الأعلى . وإذا فلم تبق لدينا قوّة تستطيع أن تبرهن على الوجود الأسمى إلّا « العقل العملي » وهو « الضمير » فمنه وحده يبرز البرهان الصحيح على وجود الله ، وهو مصدر سائر البراهين على وجود النفس وخلودها ، لأنّ الضمير هو مشرع « القانون الأخلاقي » والأخلاق عماد البراهين كلّها ، وذلك لأنّ هذا القانون قد أمر بالواجب الذي لا يتمّ الإنسجام إلّا به ، ومن حيث أنّ الواجب قد يهمل أحياناً فالإنسجام قطعاً يتخلف فيها ، ومن حيث إنّنا عاجزون عن تحقيق هذا الإنسجام دون تمكينه من التخلف ولو مرة واحدة ، فيجب أن يكون هناك قوّة قاهرة كاملة تستطيع أن تحقّق هذا الإنسجام دائماً ، وهي « الإله » وبعبارة أخرى أنّ مجرد إدراك التخلّق بالفضائل مرتبط ارتباطاً وثيقاً بإدراك السعادة ، وجدارتنا بالسعادة متعلّقة بتمسّكنا بالفضيلة . ولكن السعادة الواقعية لاتنبع دائماً من الفضيلة ، فيجب أن نعتقد أنّ هذه السعادة لابدّ أن تتحقّق بسبب كائن لا يحد ، متّصف بالكمال المطلق وبالعظمة البالغة حدّ النهاية ، والعدالة التامة والحكمة الوافرة ، وإذا فبرهان وجود الله هو أول نتائج « القانون الأخلاقي » .

ومن حيث أنّ كلّ ما في الأرض من سعادات ونعم لاتكفي لإثابة شخص واحد على قيامه بالواجب مرة واحدة ، فإذا أضفنا إلى هذا أنّ كثيراً من الفضائل

والرذائل يعمل تحت ستار الخفاء وأنّ ما يكتشف منها لا يكافأ أو يعاقب كما ينبغي ، وأنّ هذه المعاملة تنافي العدالة فيجب أن نجزم بأنّ هناك حياة أخرى وراء هذه الحياة تجري فيها العدالة الجديرة بالكمال مجراها وهذه هي النتيجة الثانية من « قانون الأخلاق » .

ومن حيث أنّ القانون الأخلاقي الذي هو من وحي « العقل العملي » « الضمير » يكلف الإنسان بالواجب ، وإنّ التكليف لا يمكن أن يكون إلّا للقادر ، وأنّ القدرة لا تتحقّق إلّا مع الحرّية ، فيجب أن تتحقّق هذه الحرّية لكي يمكن تحقّق الواجب وهذه هي النتيجة الثالثة لـ « القانون الأخلاقي » .

وإذا فمّن الأخلاق تؤخذ براهين وجود الله وخلود النفس أو الحياة الآخرة ، والحرّية الإنسانية . إنتهى .

وعلى هذا أصبح ما وراء الطبيعة هو المعتمد على الأخلاق والمستعين بها عند « كانت » لا الأخلاق هي المعتمدة على ما وراء الطبيعة كما كان يتصوّر الفلاسفة السابقون .

ويؤكّد « كانت » إنّ الفلسفة المبنية على أسس الأخلاق تظلّ أبداً في مأمن من معاول الإرتيابيين ، وأمّا ماعداها من الفلسفات فهو عرضة للهدم والتحطيم ، وبهذه الخطّة إستطاع « كانت » أن يقلب المناهج الفلسفيّة التي تقدّمته .

ثمّ تفنّن الإمام الزنجاني في سرد آراء فلاسفة الغرب وأطال في البيان وإنتهى إلى رأي من قال : « أنّ إدراك الإنسان محدود ، فإذا بلغ حدّه إستحال عليه معرفة ما وراء ذلك ، وإنّ في الطبيعة قوّة يستحيل على العقل البشري إدراكها أمّا الذي نستطيع إدراكه فهو محصور في العلل الثانويّة ^(١) والغايات الثانويّة في الأسباب التي نراها تنتج عنها وإنّ لكلّ أنواع الموجودات تاريخاً يشمل

(١) مراده من العلل الثانويّة العلل المتأخّرة عن العلة الأولى فتشمل سلسلة العلل كلّها ما عدا العلة الأولى . وهذا مصطلح الفلاسفة الخاص .

كلّ الزمن بين خروجها ثمّ لا يدرك بالعقل ، وبين عودها أخيراً إلى ما لا يدرك به . إنتهى .

قال الإمام : استغربت هذا التفريط من فلاسفة الغرب مثلما إستبعدت إفراط الفلاسفة القدماء المغرورين بعقولهم حينما يطلبون أن يتكلّف العقل إدراك كلّما في عالم الوجود حتّى أسرار الكون ، وغوامض الطبيعة وفلسفة الأديان وأن يحيط بواهب العقل وعلةّ العلل ، وهذا أمر خارج عن نطاق إدراكه لوضوح قصوره عن الإحاطة به ، سيّما بعد أن تفهقر العقل في العصور الأخيرة إلى مرحلة الطفولة الأولى كي لا يحاول أن يفهم إلّا العالم المادي بواسطة الحواس التي تخطيء كما تصيب وتعيد عن الحق كما تترن وتستقيم .

وهذا مثل أنّ الإنسان إذا ألقى نظرة واحدة إلى حديقة كبيرة وسبعة غنّاء تتوسّطها قصور وما يلزم من مرافق الحياة عرف فوراً حقيقتها وفائدتها وغايتها ، ولكن النملة لو تجوّلت فيها وطافت عليها وسارت في أزهارها وأشجارها وبنائها مئات السنين فإنّها سوف لا تعرف شيئاً من حقيقتها ومن فوائدها بل تزعم في كلّ آن أنّها صارت في عالم مخصوص مستقل من عوالم الوجود ، وهكذا يتمشّى القول في نسبة بصيرة الإنسان وعقله إلى أسرار عالم الوجود وفلسفات الشرائع والأديان .

وبعد التدقيق والغور في الفلسفتين القديمة والحديثة ظهر لي حدّ الاعتدال ، وهو أنّ العقل يستطيع أن يثبت وجود العلة الأولى « المبدأ الأول » بالبراهين اليقينية والحسيّة ، ولكنّه قاصر عن إدراك حقيقتها ، وصفاتها الحقيقية .

إنّتهى ما أردنا إقتضابه من محاضرة الإمام الزنجاني الإرتجالية المطوّلة التي لا تتسع صفحات هذا الكتاب لنقلها فإنّها تستغرق مائة وعشرين صفحة .

وقد صرّح فيها الإمام بأنّه لم يستفد من الفلسفة الحديثة ما يفيد في هذا الموضوع سوى مسألتين ولم يجد في الفلسفة القديمة سوى ثلاث مسائل ووجد في علم الكلام مسألة واحدة فقط لها فائدة في هذا الموضوع وإستعان الإمام بهذه

المسائل على إثبات وجود الصانع وتوحيده وصفاته ، وأن ثبوت المبدأ يستلزم ثبوت المعاد ، ثم بين حكمة الخلق وأسرار الوجود ، وغوامض الاجتماع وإنتهى إلى لزوم بعث الرسل والأنبياء (صلى الله عليهم) وكشف عن سر تعددهم وكثرتهم وإختلاف شرائعهم حسب إختلاف الإستعداد في البشر وتدرجها حسب ناموس الإرتقاء إلى أن بلغ الإنسان أقصى مراتب الرشد فاستحق أرقى الأديان .

وقال : يختلف الناس في الطاعة حسب إختلافهم في درجات المعرفة فمنهم من عرفوا أن دين الله الحق مثله منزّه عن الكثرة والمناقضة ولا تبديل لكلماته ، وأن الأديان الإلهية كلّها قوانين حقّة أنزلها الله تعالى لصالح البشر ، وهي من ناحيته تعالى واحدة ليس فيها إختلاف ولا تغيير وإنما تتراءى متخالفة ومتغايرة في ناحية البشر حسب إختلاف إستعدادهم وأنّ الانقلاب الديني إضافي بالنسبة إلى المكلفين بالدين وهؤلاء لا يصعب عليهم اعتناق الدين الجديد وقبول القانون الإلهي الجديد الذي أتى به الرسول المبعوث (صلى الله عليه وآله) لعلمهم بأنّ المشرّع واحد وهو الذي تجب طاعته ولا غرو في أن يبدل قانونه ويغيّره بحكمته لإقتضاء المصلحة له ، وأنّ إمتثال القانون الجديد هو إمتثال المشرّع كما كان إمتثال قانونه القديم إمتثالاً له قبل تشريعه قانونه الجديد ، وهؤلاء العارفون لا يصعب عليهم تصديق المبعوث الجديد في حينه لأنّه إمتثال المشرّع والناس مكلفون بإمتثاله لا بإمتثال القانون بما هو قانون ، وعند هؤلاء جميع الأديان والشرائع الإلهية حقّ وصدق ويجب إتباع كلّ منها في حينه وكلّ واحد منها يصدق سائرهما ويعاضدهما ، ولا مناقضة بينها أصلاً لأنّ كلّها من عند إله واحد ﴿ لا نفرّق بين أحد من رسله ﴾ .

ومن الناس من لا يعرف المشرّع والحاكم حقّ معرفته ، وإنما يعرف القانون الديني فحسب ، فيتوغّل في عالم التضاد والمناقضة بين الأديان ، ويهّمه إمتثال القانون لا إمتثال المشرّع ، ويسيطر عليه الجمود ويتولّد منه الجحود فيتعصب للدين المنسوخ ، ويصعب عليه قبول الناسخ فلا يكون نصيبه من الدين سوى الخيرة والضلال ، والقيل والقال ، والخصومة والجدال ، ولا يستطيع الوصول إلى

ساحل الحقيقة والخلاص أبداً وهؤلاء في مستوى الذين ينكرون المشرع أو يشركون به .

ثمّ قارن الإمام بين الأديان الإلهية ، وإنتهى إلى تفضيل الإسلام على غيره بمزاياه ، وتقريره السعادة المزدوجة ، وشرح تعاليمه السامية في الأصول والفروع ، ثمّ استعرض الإمام المذاهب الإسلامية ، وتكلّم طويلاً في موازنة بعضها مع بعض حتى إنتهى إلى صحّة مذهبه الذي يعتنقه .

الإمام الزنجاني
في مصر

الامام الزنجاني في مصر

ألا ترى أنه معجزة من معجزات القدر أن يهيء الله « جلّ شأنه » لسماحة الإمام الزنجاني طلوعه على مصر ، ومصر حاضرة الثقافة العربيّة ومصدر الإنتاج الأدبي وزعيمة الشرق العربي في شهرتها الواسعة ومكانتها العلمية والأدبية ، وجبروت ثقافتها وهو فرد « ولكنه كان جيشاً في إهاب رجل ، ورجلاً في عزيمة جيش » .

« وكلّ عضو في الروع منه جموع »

« وكان من نفسه الكبيرة في جيش وإن خيل أنه إنسان »

لقد وقف الإمام الزنجاني في مصر على ذروة توازي ذروة الهرم الأكبر بل تعلوا عليها ، وكأنّ خيوطاً من النور تصل بينه وبين عظماء الكنانة الذين ساهموا في جهاده المقدّس العظيم .

فغمرها بموجة من الهبة الإلهية ، والروحانية القدسية ، والعقلية الفيّاضة ، والعبقريّة العلمية ، وتجلّت ميزة العلم والفلسفة ، وشدّة العقل والإخلاص في أقواله وأفعاله ، فقد أوتي منها ما يضمن له منزلة رفيعة في نفوس الأمم ، في مشارق الأرض ومغاربها ، ومكانة سامية في قلوب زعمائها وأعلامها « ويمثل هذا كان الإمام يعدل أُمماً وتنطوي في مؤهلاته أجيال » فأمالوا له الأعناق خضوعاً ، وطأطأوا الرؤوس أمامه تواضعاً ، وآمنوا بدعوته ، وأحلّوه مكاناً لا ثقباً به ، وأصبح الكلّ حاسة سمع لما يلقيه عليهم من بليغ القول وطيب الكلم وخالص الحكمة وخلاصة العلوم ولباب الفلسفة وشعروا أنّه مصلح عظيم لا يستهدف سوى الصلاح والإصلاح ولم يسلك إلاّ طريق الوحدة والسلام فقابلوه بفائق الاحترام ووافر الحشمة وأعدّوا له منصّة الإرشاد وإثتمّوا به فكان خير إمام وهادٍ .

ولقد عرف الناس في أقطار الشرق العربي وديار الإسلام جميعاً بل في مشارق الأرض ومغاربها صوته العالي الذي ترجع في وادي النيل داعياً إلى الوحدة الإسلامية الشاملة والسعادة الإنسانية الكاملة ، فرنّ صداه في وادي بردي

وسهول الرافدين وبطاح الجزيرة ودوى به الشرق وفتح مجالاً واسعاً للعمل الجدّي
في سبيل الوحدة المنشودة .
وهذه لمحات عذبة من نفحات هذه الرسالة السامية التي إضطلع سماحتها
بالدعوة لها :

قدوم عالم جليل (١)

الاسكندرية في : ٢٧ أكتوبر ١٩٣٦ لمدوب الأهرام

وصل الاسكندرية اليوم من العراق فضيلة الأستاذ الإمام الشيخ عبدالكريم
الزنجاني من كبار علماء النجف الأشرف في طريقه إلى القاهرة .
وقد زاره فضيلة شيخ المعهد الاسكندري ، ثم زار فضيلته دار جمعية الشبان
المسلمين في الاسكندرية ، وسياسفر فضيلته في الساعة السابعة من صباح غدٍ إلى
القاهرة .

صورة عن النجف (٢)

حديث لعالم شرقي كبير

الحياة الدينية والمدنية في بلاد النجف وشؤون هامة أخرى

لمكاتب المقطم الاسكندري

قدم الاسكندرية من أيام العلامة الكبير الاستاذ الإمام الشيخ عبدالكريم
الزنجاني من كبار علماء مدينة النجف الأشرف ومن أظهر فلاسفتها ومفكرها ،
وقد ضمّني وسيادته بعد وصوله إلى الثغر بقليل مجلس في جماعة الشبان المسلمين
دار في بيتنا حديث على هذا البلد الكريم وما فيه من فلاسفة وعلماء وكتاب وعن
الحياة المدنية والأدبية فيه أجمله فيما يلي :

(١) نقلًا عن جريدة الأهرام المصرية ٢٨ / ١٠ / ١٩٣٦

(٢) نقلًا عن جريدة المقطم - مصر - القاهرة : مساء الجمعة ٣٠ أكتوبر ١٩٣٦
- شعبان ١٣٥٥ وعن المذكرات .

هذه هي المرة الأولى التي يهبط فيها هذا الشيخ الإمام الديار المصرية وقد جاءها كما قال لي لدرس أنظمة الأزهر والمعاهد الدينية والزمنية والحياة في مصر من جميع نواحيها العامة والخاصة .

أما لبس الشيخ فعلى غرار ثياب أعلام علماء العراق وإيران ، وهو فصيح العبارة رصين الإلقاء ولا غرو فهو من العلماء الجهابذة الواسعي الإطلاع المحيطين بكل ما في بلاد الشرق من شؤون وأحوال ونهضات فلسفية أو ثقافية أو علمية ، وبمعنى آخر ليس هو من رجال الدين فحسب .

قلت لفضيلته بعد أن رحبت بمقدمه : سيدي زدني علماً بمهنتك ، فقال لي : أردت الإطلاع على أصول التدريس الديني عندكم وعلى النفسانيات والمعارف الزمنية الموجودة في هذا القطر المحبوب ثم الوقوف على مبلغ العلاقات الودية التي تربط الأمة العراقية والأمم الإسلامية بالأمة المصرية ومعرفة الفوائد الأدبية التي تنفعنا في إصلاحات زمنية سواء في مناهج التدريس أو أصول الفحص والتنقيب في بلادنا ، وبما أن جماعات الشباب من أهم العوامل المؤثرة في حياة الأمم فإنني لسعيد أن يكون أول من ألقى في مصر هم ورئيسهم وسكرتيرهم الفاضل وأنه لمن فضل الله عليّ أن أزور بلاداً مستقلة مجاهدة وفي هذه الظروف الحسنة بعد ما طال شوقي لرؤيتها .

وتذكرت من مشاهدة الإسكندرية مدرستها التاريخية أعني « مدرسة الأفلاطونية الحديثة » ومؤسسها الحكيم « أفلاطون » وما استهدفته تلك المدرسة من تكوين فلسفة جديدة في صورتها ، قديمة في جوهرها ، بمزيج من آراء أفلاطون ، وأرسطو ، وزينون ، محدودة في دائرة التنسك الشرقي .

وتذكرت أيضاً جهود الإسكندر الأكبر في سبيل تحقيق أهم مبادئ الفلسفة الاستوئية وهو مبدأ الوحدة الإنسانية ، لاعتقاده أن إشتراك أفراد الإنسان جميعاً في العنصر السامي وهو العقل يجعل فكرة إزالة الفروق الوطنية والجنسية أرقى ما تصل إليه الهيئات الاجتماعية من سمو وعظمة .

ولا يخفى أننا في معاهدنا العلمية نستعرض هذا المبدأ في تفسير قوله تعالى :

﴿ ولقد كرّمنا بني آدم . . . ﴾ الخ حيث أثبت التكريم الإلهي لنوع البشر ، مع تذكيرهم بالأخوة الإنسانية وأنهم من أصل واحد .

ثم تذكرت القاعدة المشهورة « فرّق تسد » التي هي من وصايا الحكيم اليوناني « أرسطو » للإسكندر حينما تغلب على الممالك الفارسية قبل الميلاد وقتل الملك « دارا » وأركان الأكاسرة وهم بقتل الرؤساء الباقين عن بكرة أبيهم فمنعه استأذه « أرسطو » وأشار عليه بتقسيم تلك البلاد إلى عشرين مقاطعة وتوليک عشرين ملكاً من أولئك الرؤساء عليها فقبل الاسكندر وصيته وهم المسمون بملوك الطوائف الأولى ، فتجزأت قوّاتهم ولم يجتمعوا على المصلحة العامة وبذلك أمن الاسكندر من غائلة الانتقام واستمر الحال في البلاد الفارسية على هذا المنوال يتنازعهم خلف عن سلف زهاء خمسمائة عام ، حتى قام أردشير بن بابك من أحفاد ساسان فخلص الممالك الفارسية من ملوك الطوائف المختلفين وجدّد عهد الأكاسرة .

هل لي أن أعرف من سيادتكم شيئاً عن بلاد النجف ؟ .

هذا بلد تقترن شهرته باسم الخليفة العباسي هارون الرشيد فهو الذي اكتشف فيه قبر الإمام الأعظم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السّلام) فأمر بتحجير بناء على مرقده المقدّس ، ومنذ ذلك الزمن صار مزاراً لشيعّة الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) وأولاده وأسباطه وأتباعه .

ثم تأسست مدينة النجف الأشرف تدريجاً حوله ، وليست عظمتها في سعتها ، بل جمال النجف وروحها ومعنوياتها ، إنّ الإنسان كلّما ازداد بهذا الروح إتصلاً ازداد تعلقاً وشغفاً ، وبهمم ملوك المسلمين الصالحين أُستبدل التحجير الهاروني ببناء عظيم يحتوي على أجمل التحف الفنية التي تبدع في زينتها ، وتتفنن في إبداعها وتملأ العين والعقل وتحيط بهذا البناء العظيم أروقة وسبعة جميلة تحتوي من بدائع الفن الساحر على ما يستوقف النظر ، ويغلب الألباب ، وتتجلّى في كلّ جزء من بناء هذا المشهد العظيم آيات الفن والجمال ، وعظمة المقدرة الفنية ، وبراعة الفن القديم في جلاله وروعه وفي أبهى مظاهره ، وبراعة الصانع ، وذكاء

الآثار الناطقة بذكاء أجيال ، فعلى كل حجر من أحجارها وكل جزء من أجزائها آية لتضامن قوة العقل البشري الذي ينظمه ويحركه جهد الفنان .

إن الزائر لدهش مما يشاهده من جمال الفن في ذلك البناء الرائع وفي ضريح الإمام الأعظم - مشوى القلب الذي يوزع على العالم أجمع مواد الحياة الروحية السامية - لامن صورها فقط بل من أوضاعها ونقوشها وعجائبها التي لا يخلص الزائر من واحدة منها حتى يرى أخرى أكثر اتباعاً وأشدّ إسترعاءً للخاطر من سابقتها .

وكذلك تدهش الزائر معلقاتها المصنوعة من الذهب الأبريز غارقة بماتعرق من الأحجار الثمينة واليواقيت التي يخطف الأبصار لمعانها وتستوعب خزائن الدنيا أثمانها ، فيجمع مشاعر زائرها حسن واحد بين الذهول والروعة : هو الإكبار . ولا أستطيع أن أصف روعة الصحن الواسع المحيط بذلك البناء الشريف وبهاء تلك القبة الذهبية الشاحخة التي تسامي السماء رفعة وإجلالاً وتضاهي الشمس توهجاً وشعاعاً وتناطح السحاب إرتفاعاً وهي مشرقة السناء بهيئة المنظر ، ويقصدها دوماً الحشد الزخار من المسلمين من شرق الدنيا وغربها يتبركون بأعتابها ويسألون الله مقاصدهم عند ضريحها القدسي المشيد بإعجاز الفن المبدع جامعاً على جودة الصنعة نفاسة المادة في بهر رائع وفتون بالغ ملؤه العظمة وملؤه الجمال . نعم هكذا تقبل الدنيا إلى من زهد فيها وطلّقها وأعرض عنها إثارة للدار الآخرة وهكذا يدوم على وجه الأرض ما كان لله وحده حينما أصبحت عظام مناويّه الجبابرة الذين كانوا يعبدون الدنيا مبتذلة محتقرة تدوسها الأقدام غير متحرّجة ولا آسفة .

هذه صورة مصغّرة جداً من جامع النجف الأشرف ، وأما جامعة النجف الأشرف فهي من أقدم الجامعات الإسلامية ومنزلته من الشرق منزلة الأزهر الشريف من حيث القدم فقد مضى على تأسيسها ألف سنة تقريباً وقد جعلت أبوابها مفتحة لجميع الطلاب المسلمين على اختلاف عناصرهم وجنسياتهم ، ونظّمت مناهجها على وجه تحقّق آمال المسلمين فيها وتناسب مع تاريخها المجيد ،

وتعد خريجيها للقيام بالواجب الملقى على عاتقهم في جميع العصور على أحسن وجه .

وطائفة الطلبة فيها طائفة علمية بحتة تحتفظ بكيانها داخل البيئة العلمية التي تكتنفها هيئة الأساتذة ، وهي هيئة لاتعرض لغير المظاهر العلمية وهذه الغيرة على أن تبقى البيئة العلمية سليمة عن كل جرثومة سياسية أو نزعة حزبية هما اللذان يضمنان التفوق ويضمنان الإنتاج الصحيح .

وأول ماتبتينه من الطلبة في معاهد النجف الأشرف هو الإقبال على العلم بروح الرغبة الصادقة ، والنشاط الكبير ، والإخلاص الأكيد لإعتقادهم بأن طلب العلم من أهم الفرائض الدينية وإنّ العلم مطلوب لذاته ويدافع هذه العقيدة يبذلون أقصى جهودهم الجبارة في سبيل تحصيله إلى درجة يستغنى معها عن تطبيق قوانين الفحص والامتحان عليهم يتجلى كل ذلك في الانصات التام لمايلقى عليهم من محاضرات الدروس ، وفي السكون الشامل الذي يسود قاعة المحاضرات وقد غصّت وامتألت مقاعدها جميعاً ، ويتجلى أيضاً في المناقشات الحادة بين الطلبة وبين أساتذتهم التي تحدث أثناء المحاضرة أحياناً وفي المحادثات التي تدور بين الطلبة أنفسهم خلال الفترات التي تفصل بين المحاضرات ، ذلك بأنهم يفقهون أنّ تيار الحياة جارف ، وأنهم إذا ماأتموا دراساتهم فإنهم سيعملون في ميادين التخصص التي تحول بينهم وبين هذه المناهل العذبة .

ثم إنهم في مظهرهم آيات للتواضع وحبّ الإنزواء وتلوح عليهم سمات الجدّ والنصب وأثار السهر الطويل في المطالعة والمذاكرة والتحصيل وهم كلما علت مكانتهم العلمية ازدادوا تواضعاً وغاروا انزواءً .

وأما الأساتذة في معاهد النجف الأشرف فإنهم نخبة ممتازة من المتخصصين في العلوم الدينية والفلسفية وأكثرهم شيوخ قد انحنت ظهورهم قليلاً يمعنون في تكفيرهم ذاهبين إلى معاهدهم متواضعين ، فعندما يجيء المجد فيكّل بهالته جهودهم وأبحاثهم يعلم أنّ هؤلاء الشيوخ يبتكرون النظريات العلمية ويجمعون ألوف المعلومات العالية التي تسطع منها في الحين بعد الحين الأنوار التي تجدد

شباب المسلمين بل شباب الشرق ، وتذكي في طلاب العلوم الدينية والفلسفية الشعلة المقدسة الخالدة .

ولهؤلاء الشيوخ صور مختلفة المحبوبة في أنفس الطلاب حيث تتمثل منازلهم في أنفس الطلاب بمقدار استعداد الطالب ومقدار ما في قلوب الطلبة من شوق إلى الدرس وهيام بالاستفادة من علوم الأساتذة الذين تعزّز بهم معاهد النجف الأشرف .

ومن هؤلاء الشيوخ من لا يجدون دائماً في منازلهم من الكتب ما هم في حاجة إليه لتشديد دعائم العلم والحقّ والمجد فيذهبون إلى « المكتبات الأهلية » وهي على قاب قوسين من جامع الإمام الأعظم وهناك يتصفحون الكتب بشغف ويوجد بينها المجلّدات العتيقة المتأكلة والأسفار التي أحالت الأيام لونها ، ثمّ يعودون وقد حشوا أحقابهم بالأوراق المسوّدة ويمسكون بها كأنها طفل من لحمهم ودمهم ، ثمّ يحملونها إلى منازلهم .

وفي ضمن هؤلاء الأساتذة من إذا لقّيته خارج الدرس رأيته رجلاً فاتراً جداً لا تشوقك رؤيته إلى التطلّع إلى لقاءه ثانية ولكنّه في الدرس جذاب جداً يأخذ بعقلك وقلبك من بداية المحاضرة ولا يمكنك الإنصراف عن متابعته بشوق وحاسة حتّى تتم ساعة الدرس .

وخلاصة القول : إنّ النجف الأشرف بجامعة وجامعته عاصمة العلوم والمعارف الكبرى وحصن العزّ العلمي ، وهي من حيث كونها وسطاً علمياً من أمتن الأوساط العلمية وأقدرها على تكوين الملكات العلمية وعلى تعوّد الإفصاح عن الفكر بمنطق صحيح وبترتيب ووضوح وصبغة الحياة فيها حياة العلم الخالص والنسك القويم منزّهة عن كلّ تلك المظاهر المموهة التي تسود حياة غيرها من البلاد ، وهي مدينة جميلة وعالمة وعفيفة وحازمة وذات جد ووقار وذات أسرار قد جمعت من البهاء والرواء ما لا يمكن أن يحقّقه غيرها مهما حسن بل هي سجل للحياة الدينية ويجوز أن يقال : إنّها مدينة سماوية يسكنها صنف أشباه الملائكة .

ماهي النهضة العلمية عندكم ؟

قلت لكم أنّ مدينتنا تعدّ في الحقيقة عاصمة العلوم والمعارف والفلسفة وفيها مدارس حكومية كثيرة بين ابتدائية وثانوية ومدارس أهلية ومعاهد دينية توجّهت عناية هذه المعاهد بكيفية خاصة إلى مراحل التعليم الديني العام الذي يقصد منه التفقه في علوم الدين ونشر المبادئ الفاضلة والأخلاق الكريمة بين الناس على اختلاف طبقاتهم .

وفيها أقسام للتخصص في العلوم الدينية والفلسفية قديمها وحديثها وفي المواد التي تعنى بها معاهد النجف الأشرف للتبحر فيها ، ومنح المتخرجين منها بشهادة الاجتهاد مع لقب الفقيه أو الفيلسوف .

وذلك لأنّ التخصص في العلوم هو الطريقة المنتجة التي جرى عليها علماء الإسلام في أوائل العصور وإليها يرجع الفضل في تقدّم العلوم وإرتقائها قديماً وحديثاً .

قلت : هل هذه المعاهد الأخيرة مقصورة على تدريس الدين ؟
قال الإمام : كلاً . فنحن ندرّس فيها الفلسفة أيضاً ومذاهب الفلاسفة كالفارابي وابن سينا وابن رشد وصدر الدين الشيرازي والرازي وابن العربي ، وكأرسطو وأفلاطون وسائر فلاسفة اليونان ، وتعتبر هذه المواد الدراسية كضروبيات ، وتمتاز معاهد النجف الأشرف بتدريس علوم أخرى كمالية وهي علوم متفرّعة على أقسام الفلسفة : منها علم الأزياج وعلم الارصاد وعلم الاضطراب وعلم الربع المجيب وعلم الزائجة وعلم أحكام النجوم وعلم الخواص وعلم الأوفاق وعلم الحروف وعلم خواص الأعداد وعلم التكسير « التبادل » وعلم الأرقام وعلم صور الكواكب وعلم المسالك والممالك وعلم المناظر وعلم المرايا وعلم الجفر وعلم الرمل وعلم المزاوِل وعلم الأوزان والموازين وعلوم المتوسّطات وغيرها من العلوم التي ربّما يبلغ عددها ٧٩ علماً ومن جملة ما علم حساب عقد الأنامل الذي وضعه العرب وكان متداولاً في الأمة العربية أيام الجاهلية ، وكان مستعملاً في عهد النبوة وقد ورد في الحديث الصحيح : « أسلم أبوطالب (رضي الله عنه) بحساب الجمل فعقد بيده ثلاثاً وستين » .

ونحن في نهضتنا العلمية اتخذنا منهجاً في دراسة الفلسفة يؤدي إلى تحليل الآراء والمذاهب الفلسفية والمقارنة بينها وبين آراء جدت في نظر المعاصرين كأراء ديكارت وباكون ومذهب النشوء والارتقاء والنظرية النسبية التي وضعها آينشتاين ، ثم توسّعنا في دراسة تفسير القرآن الكريم فنحن نبحث عن نظرية الجاذبية وناموس الارتباط العام بين ذرات العالم أجمع في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ﴾ ونعرض نظرية النشوء والارتقاء على ما جاء في القرآن الكريم في أصل الإنسان .

وفي هذه النهضة إجتمع في معاهد النجف الأشرف على أساتذة الفقه وأصول الفقه والتفسير والكلام والحديث ، أساتذة الفلسفة وعلم النفس والأخلاق وآداب اللغة العربية وفقه اللغة ، وتاريخ الأمم الإسلامية وسنن الله الكونية وتاريخ التشريع الإسلامي ، ومقارنة الأديان السماوية يتعاونون على تزويد الطلاب بما يبعدهم على أداء واجبهم الديني والعلمي على وجه يليق بهذا العصر ، ونحن حينها نجعل من مواد الدراسة ، مقارنة المذاهب الإسلامية نقصد منها تقريب وجهات النظر فيها لنجمع به كلمة الطوائف الإسلامية التي تفرقت شيعاً لأسباب أقل ما توصف به أنها لا تثبت للنقد والتحليل ، سيما في هذا العصر الذي أقبلت فيه الأمم الإسلامية على عهد يتطلّب منطق الأشياء فيه العمل المستمر الدائم على تبادل المنافع بينها وتوطيد علاقات المودة والولاء بينها ، وتوحيد شعورها فالمقصد ضمّ شمل الذين تجمعهم عقيدة التوحيد ومقاصد الإسلام لمكافحة الإلحاد والفوضى الأخلاقية ورفع كيان المسلمين إلى المستوى الأعلى في حياتهم الإجتماعية ، وليس المقصد إحداث تغيير أو تعديل في تعاليم الدين الإسلامي ، فإنّ من خصوصيات الإسلام أنّ كلّ إصلاح في تعاليمها الحقّة يحطّ من قيمتها ، فيجب أن تؤخذ كما هي عليه بغير تعديل ولا تنقيح ، إنّ انحطاط المسلمين نشأ من فتورهم ، والفتور نتيجة لتعاميهم عن التعاليم وغير خفيّ عليكم أنّ هذا الموضوع كثير المناحي ، لا يمكن الإحاطة به في هذا المجال الضيق ، إنّما قصدت أن أرسم لكم صورة مصغرة لجامعة النجف الأشرف

وما للعلوم الحديثة من الأثر فيها .

ثم قال السيد الإمام : والحكومة العراقية تبذل كمال المساعدة لهذه المعاهد وللعلم والعلماء وهي من أكبر أنصاره وأنصارهم .

ماهو المذهب السائد في بلادكم ؟

الأغلبية الساحقة هم الجعفرية أي الشيعة الإمامية في لوائنا ويوجد بعض الحنفيين ، ولكن هؤلاء وأولئك من دعاة الوحدة الإسلامية والإصلاح الاجتماعي ، ولا يألون جهداً في إعلاء كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم .
ما عدد سكان النجف ؟

يربوا عدد سكان النجف على مائة ألف نسمة على الأقل .

هل فيها نور كهربائي وماء على النحو الذي ترى في الإسكندرية ؟

نعم فيها النور الكهربائي والماء ووسائل الحضارة الحديثة وشوارع معبدة ومتسعة ونظيفة وقد بنيت فيها القصور والعمارات لاسيما في أطراف المرقد الشريف وفي الأحياء المستجدة .

ماهي وسائل النقل عندكم ؟

السيارات من النجف الأشرف إلى كربلاء « مدفن الإمام الحسين بن علي وابن فاطمة بنت محمد رسول الله صلى الله عليه وآله » وعدا ذلك فنحن متصلون بجميع الأنحاء بسكة الحديد ، وأن القادم إلى هناك ليدهش إذ يرى انقلاباً عمرانياً في البلاد العراقية عامة خلال هذه المدة القصيرة التي تشكلت فيها الحكومة الملكية العراقية على أساس الاستقلال التام .

قلت : هل دخلت عندكم الحضارة ؟ وهل وسعتها علومكم ؟

فضحك الشيخ الإمام في كمال وقال : إن هذه العلوم هي التي جلبت الحضارة الصحيحة وقد قدمت لك أن بلادنا فيها النور الكهربائي والماء النقي المثبت في جميع الدور والقصور على النحو الذي عندكم وأكثر منه .

قلت : أي العلماء الأقدمين أنجبت بلادكم ؟

قال : لا يحصى عددهم . وأقدمهم شيخ الطائفة « محمد بن الحسن بن عليّ

أبوجعفر الطوسي « مؤسس جامعة النجف في أواخر القرن الرابع الهجري ومنهم : الآية الباهرة العلامة الحلي أبو منصور جمال الدين حسن بن يوسف بن المطهر ، وله من المؤلفات في العلوم الدينية وفي الفلسفة والكلام والمنطق ما ينوف على خمسمائة مؤلف ، وكان ممتازاً برعاية استقلال العلوم في مؤلفاته .

ومنهم : حجة الحق ومحبي الفلسفة نصير الدين الطوسي محمد بن محمد بن الحسن ، ومؤلفاته في الفلسفة والكلام والعلوم الرياضية والعلوم الدينية والأخلاق أشهر من أن تذكر ، وترجم أغلبها إلى عدة لغات غربية وهو صاحب المرصد والمكتبة التي وصفها جرجي زيدان في آداب اللغة العربية بقوله : أنه قد جمع في خزانه كتبه ما ينوف على أربعمائة ألف مجلد وأنه أقام المنجمين والفلاسفة ووقف عليها الأوقاف فزها العلم في بلاد المغول على يد هذا الفارسي كأنه قيس منير في ظلمة مدلهمة . إنتهى ، وغيرهم من العلماء الأعلام الذين لا يحصى عددهم ولا تسع عشرات المجلدات الضخمة بذكر أسمائهم ومؤلفاتهم .

وإذ كان الإمام يلقي عبارته الفصيحة بلغة خلابة تشويها لهجة جذابة تزيد جمالاً تذكرت السيد جمال الدين الأفغاني فقلت : ما رأيكم في السيد جمال الدين الأفغاني والأستاذ الشيخ محمد عبده ؟

فقال الإمام : لما دخلت هذه الدار وقرأت الآية المرموقة على وجهتها ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ تذكرت فوراً الفيلسوف الأكبر السيد جمال الدين الحسيني وتذكرت كلمة مأثورة عنه وهي قوله : « الأحزاب في الغرب دواء وفي الشرق تستحيل إلى داء » ، وحسبُ هذا السيد أنه زعيم النهضة الشرقية ، وأنَّ المغفور له سعد زغلول باشا والأستاذ الإمام كانا من تلاميذه فهو فخر الشرق جميعاً .

أمّا الأستاذ الإمام ، فقد دارت بيني وبينه مراسلات في عنفوان شبابي وعندي منه كتب أعدها من أنفس الذخائر وأثمن ما يورثه الأول للآخر ، وكلا الرجلين من أبطال النهضة التي ينعم بها الشرق الآن .

ثم خضنا بعد ذلك في أفانين شتى من الكلام أسفر فيها الشيخ الإمام عن

ذهن متّقد وبداهة حاضرة ، وعقلية عظيمة جمعت بين كريم القديم وطيب الحديث ، فشكرت له في النهاية هذه المعلومات وتمنّيت له طيب المقام بين ظهرانينا .

هذا ويسافر سيادته إلى القاهرة غداً « الأربعاء » بقطار الظهر لمقابلة كبار العلماء والمفكرين وسمو رئيس مجلس الوصاية ودولة رئيس الوزراء وغيرهم .

قدوم عالم كبير (١)

وصل القاهرة في الساعة الثالثة بعد ظهر أمس صاحب الفضيلة الأستاذ الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني من كبار علماء الشيعة في العراق وإيران ، قادماً من مدينة « النجف » في العراق عن طريق بيروت والاسكندرية ، وقد استقبله في محطة العاصمة كثير من العلماء والأدباء والوزراء المفوضون ولقيف من كبار أعضاء الجاليتين الإيرانية والعراقية .

وسيمكث فضيلة الشيخ الإمام في القاهرة عشرة أيام يدرس في خلالها نظم التدريس ومناهجه في الجامعة الأزهرية .

فضيلة الأستاذ الأكبر والعلامة الامام الزنجاني (٢)

زار حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمّد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر ، ومعه فضيلة الشيخ عبدالمجيد سليم مفتي الديار المصرية ،

(١) نقلاً عن جريدة الأهرام ٢٩ اكتوبر ١٩٣٦ - ١٣ شعبان ١٣٥٥ وفي الصفحة المقابلة يرى الإمام الزنجاني حين وصوله القاهرة تحف به الوزراء المفوضون للحكومات الإسلامية ووجهاء القاهرة والأساتذة والأدباء والجهامير .

(٢) نقلاً عن جريدة المصري ٢٢ شعبان ١٣٥٥ - ٧ نوفمبر ١٩٣٦

ونقلاً عن - المقطم - مساء السبت ٧ نوفمبر ١٩٣٦



وفضيلة الأستاذ الشيخ فتح الله سليمان رئيس المحكمة العليا الشرعية ، حضرة صاحب السماحة الأستاذ الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني كبير علماء الشيعة في فندق « مودرن » الذي نزل فيه ، ومكثوا معه ساعتين ، وقد تناولوا في حديثهم بعض الشؤون الإسلامية العامة ونظم الدراسة في الأزهر ، وقد أبدى الأستاذ الأكبر إعجابه الكبير بعلوم الإمام الزنجاني وخصاله وعقله ومزايه ، وأبدى سماحته إعجابه الكبير بالتقدم الذي وصل إليه الأزهر في عهد شيخه الأكبر . ثم انصرف مودعاً بالإكرام .

العلامة الامام عبدالكريم الزنجاني

يزور شيخ الأزهر^(٢)

قصد قبل ظهر أمس فضيلة الأستاذ الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني العالم الشيعي الكبير نزيل القاهرة الآن إدارة المعاهد الدينية ، وبصحبه وزير إيران المفوض والقائم بأعمال المفوضية العراقية ، وقد زاروا صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر واستقبلوا بكل إجلال وتكريم ومكثوا لديه حوالي الساعتين كانوا في خلالها موضع حفاوته وتكريمه ، وقد تحدث فضيلته مع سماحته عن الدراسة في الأزهر بين الماضي والحاضر وعن الخطوط التي يخطوها في سبيل خدمة الدين والعلم وأظهر استعداداه التام لإطلاع سماحة الإمام الزنجاني على كل ما يهيمه ، ثم انصرف الإمام ومن معه مودعين بالإجلال وقد علمنا أن سماحته يمكث في مصر مدة يزور في خلالها كليات جامعة فؤاد الأول ودار العلوم والجمعيات الإسلامية وكبار رجال العلم .

وبعد ذلك زاروا دار الأستاذ « مؤدب زاده » صاحب جريدة « جهره نما » لمناسبة احتفاله بذكرى مرور العام الثالث على وفاة والده مؤسس الجريدة وصديق الإمام الزنجاني .

(٢) نقلاً عن جريدة الأهرام ١٩٣٦/١١/٨ ونقلاً عن جريدة المصري ٨ نوفمبر ١٩٣٦

إحتفال الأزهر التاريخي لتكريم كبير علماء الشيعة

مشيخة الأزهر تكرم الإمام الزنجاني كبير علماء الشيعة (١)

أقام صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر في منتصف الساعة الخامسة من مساء أمس حفلة شاي تكريماً لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني كبير علماء الشيعة في إدارة المعاهد الدينية .

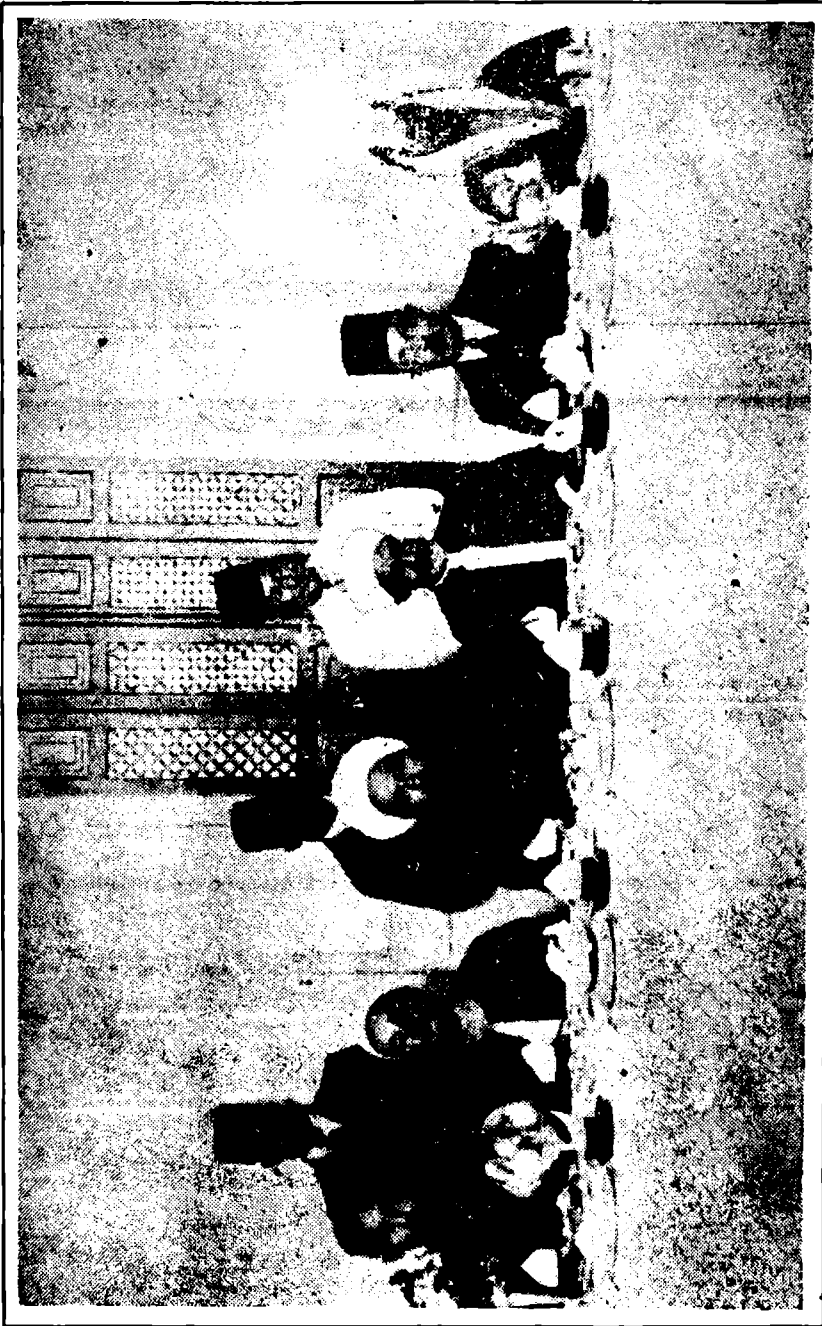
وقد أقبل حضرات المدعوين من العظماء والعلماء يتقدمهم أصحاب الفضيلة الشيخ عبدالمجيد سليم مفتي الديار المصرية ، والشيخ فتح الله سليمان رئيس المحكمة العليا الشرعية ، وشيوخ الكليات الأزهرية الثلاث والشيخ محمد عبداللطيف الفحام وكيل الأزهر والمعاهد الدينية والشيخ الريدي ، والشيخ دراز وكيل المعهد ، وأعضاء جماعة كبار العلماء ، والشيخ محمد البناء مدير الشؤون الدينية برئاسة مجلس الوزراء والسيد ماسونتين مندوب الجمعيات الإسلامية في الصين ، والشيخ إبراهيم شاكوشين رئيس البعثة الصينية الأزهرية ، وكثير من العلماء المدرسين في الكليات الأزهرية الثلاث ، وقد حضر الوزراء ومعالي زكي العراقي باشا وزير المعارف ، كما حضر أصحاب السعادة وزير العراق المفوض ، ووزير إيران المفوض ، ووزير المملكة السعودية المفوض ، ووزير تركيا المفوض ، ووزير الأفغان المفوض ، وكبار موضفي المفوضيات ، وحضر حضرة الدكتور سعد الدين الضبع ، والأستاذ محمد فريد وجدي مدير مجلة الأزهر ، وكثير من رجال العلم والأدب والصحافة ، وحضر الوجيه عبدالحميد بك

(١) نقلاً عن جريدة «الأهرام» ١١/٨/١٩٣٦ و ١١/٩/١٩٣٦ .

نقلاً عن جريدة البلاغ ١١ نوفمبر- ١٩٣٦ .

نقلاً عن جريدة المصري ٩ نوفمبر- ١٩٣٦ و ١١ نوفمبر- ١٩٣٦ .

نقلاً عن جريدة الجهاد ٨- نوفمبر- ١٩٣٦ .



يرى في الوسط الامام الزنجاني يتصدر المائدة الرئيسية المزدانة بأصص الرياحين وعلى يساره فضيلة الأستاذ
 الأكبر الشيخ المراغي شيخ الجامع الأزهر فوزير المعارف المصرية فالشيخ فوزان وزير مفوض المملكة العربية
 السعودية ، وعلى يمينه رئيس المحاكم الشرعية وزعيم مسلمي الصين وغيرهم .



يرى الإمام الزنجاني وهو جالس على المائدة الرئيسة المزودة بالزهور والرياحين وعلى يساره فضيلة الشيخ الأكبر المراغي شيخ الجامع الأزهر فوزير المعارف المصرية فالشيخ فوزان وزير مفوض المملكة السعودية ومدير الشؤون الدينية برئاسة مجلس الوزراء ، وعلى يمينه رئيس المحاكم الشرعية وزعيم مسلمي الصين وغيرهم .

كازروني رئيس الجمعية الخيرية ، والوجيه مهدي بك مشكي رئيس التجار ،
والأستاذ مؤدب زاده صاحب جريدة « جهره نما » ، وكثير من أساتذة الجامعة ودار
العلوم .

وكان حضرات الأستاذ محمد خالد حسنين بك ، والأستاذ محمد عزت مدير
إدارة المستخدمين بإدارة المعاهد الدينية ، والأستاذ محمود السيد السكرتير الخاص
لفضيلة الأستاذ الأكبر ، والأديب محمد عبد المنعم الموظف بمكتب فضيلته ،
يستقبلون حضرات المدعوين ويجلسونهم في أماكنهم .
وقد أقيمت الحفلة في القاعة الصيفية لفضيلة الأستاذ الأكبر وإزدانت
بأصص الرياحين والأزهار .

وفي منتصف الساعة الخامسة تماماً حضر فضيلة الإمام الزنجاني « المحتفل
به » يحفّ به الجلال والوقار ، فرحب بفضيلته الجميع كماحيّاه فضيلة الأستاذ
الأكبر بعد أن استقبله وأجلسه إلى جانبه الأيمن وجلس إلى جانبهما وزير المعارف
يحيط بهم كبار العلماء ، وبعد أن تبادلوا عبارات التحية والاحترام مع فضيلة
المحتفل به انتقل الجميع إلى قاعة الاجتماعات الكبرى في الإدارة العامة للمعاهد
الدينية وقد بسطت فيها موائد الشاي على أجمل وضع وزينت بالزهور والرياحين
فجلس على المائدة الرئيسية فضيلة المحتفل به الإمام الشيخ عبد الكريم الزنجاني
وإلى يساره فضيلة الأستاذ الأكبر ، وإلى يساره وزير المعارف وإلى يمين فضيلة
المحتفل به المفتي الأكبر ورئيس المحكمة العليا الشرعية فجماعة كبار العلماء
فالوزراء المقوضون للحكومات الإسلامية ، وجلس إلى موائد أخرى أصحاب
الفضيلة شيوخ الكليات الأزهرية الثلاث وجماعة كبار العلماء ومندوبوا الصحف
العربية وأساتذة الجامعات ، والوجوه والأشراف والعظماء ، فأكلوا هنيئاً وشربوا
مريئاً ، وعقب انتهائهم من تناول الشاي والفاكهة والحلوى ، وقف فضيلة
الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وألقى كلمة ممتعة تقوم على تحية فضيلة المحتفل
به باسم مشيخة الأزهر وقال :

أنه يعرف أن فضيلة الإمام الزنجاني يتحلّى إلى جانب غزارة العلم والفضل

وكرم الخلق ولين الجانب بجميع الصفات الإنسانية السامية وخصال المصلح العظيم ، ثم قال :

إعتاد الناس أن يبدأوا حفلاتهم التكريمية بذكر مناقب المحتفل به ولكنني حينما أتحدث عن فضيلة الأستاذ الإمام الزنجاني العالم الشيخ الكبير الذي نحتفل به اليوم لا يمكنني إحصاء مناقبه وصفاته وخصاله وعلومه وفلسفته .

سأحدثكم قصيراً عن معهد النجف الأشرف الذي قام علمائه ويقومون بدرس العلم ورعايته للعلم وحده .

هذا المعهد العظيم الذي يقوم على حب العلم للعلم هو الذي نكرم ممثله العظيم الآن ونكرم في فضيلته هذه الصفة مع بقية الصفات التي يمتاز بها محب العلم للعلم وهي : التواضع ، وسماحة النفس . وقد رأيتم أنني جعلت تكريم فضيلة الإمام الأستاذ الزنجاني في إدارة الأزهر لأجعل في ذلك إشعاراً بأننا نقصد بتكريم فضيلته وتقدير علومه الكثيرة وشمائله الإعتراف بالتقدير والتحية لمعهد النجف الأشرف الذي نرجوا أن نقوم بواجب الزيارة له ومدفنه الشريف تأكيداً لروابط العلم والأخوة الإسلامية .

وقد أريد من هذا الإحتفال في هذا المكان - أي في إدارة المعاهد الدينية - أن نرسل تحية الأزهر والأزهريين إلى معهد النجف الأشرف وعلماء النجف تحية خالصة يرسلها مسلمون إلى إخوانهم في هذا المعهد العظيم ^(١) .

وعلى الأثر وقف فضيلة الإمام الزنجاني « المحتفل به » وردّ على فضيلة الأستاذ الأكبر ردّاً مشبعاً بالود والإخاء ، وحيّ فيه الأزهر وعلماء الأزهر وأشار فيه إلى ما يشعر به من السرور والغبطة بزيارة مصر التي يحبّها ، والأزهر الذي يحلّه ويرى فيه الشقيقة لجامعة النجف الأشرف في خدمة العلم وقال :

(١) نقلًا عن الأهرام ١١ نوفمبر ١٩٣٦



الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني يلقي كلمته التاريخية في حفلة
تكريمية في الأزهر بالإدارة العامة للمعاهد الدينية ، ويرى بجواره
فضيلة شيخ الأزهر ووزير المعارف ووزير المملكة السعودية المفوض
ومفتي الديار المصرية ورئيس المحاكم الشرعية وزعيم مسلمي الصين
وغيرهم يستمعون إليها بكلّ عناية .

إنّ أشعر بسعادة عظيمة وغبطة لوجودي بين هذا الحفل العلمي الكريم الذي تأيد فيه نجاح جهودنا الجبارة في سبيل توحيد شعور المسلمين وتقوية الروابط الدينية بينهم على إختلاف أوطانهم وإذكاء روح الأخوة الإسلامية في طوائفها المختلفة ، وأرى جلياً أنّ وجهات النظر بين الطائفتين الإسلاميتين الكبيرتين ، الشيعة والسنة ، قد تقاربت بمساعيئنا ومساعي فضيلة الأستاذ الأكبر ، وتجلّت حقيقة هذا التقارب في التشريعات الحديثة واستنباط الأحوال الشخصية في مصر من تعاليم جميع المذاهب الإسلامية وفي ضمنها مذهب الشيعة الإمامية ، وكذلك تجلّت حقيقة الأخوة الإسلامية في هذا الاحتفال العظيم التاريخي الذي أقامه الأزهر الشريف تكريماً للنجم الأشرف ، ولا يخفى على حضراتكم أنّ النجم الأشرف « مدفن الإمام الأعظم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام » كعبة العلوم الدينية والفلسفية والعربية تقصدها الوفود الإسلامية من جميع القارّات ليتفقهوا في الدين ولغة القرآن الكريم وينشروا ذلك في قومهم إذا رجعوا إليهم .

وإنّ معاهد النجم الأشرف أنشأت منذ ألف سنة تقريباً لتخريج المجتهدين وعلماء الفقه الإسلامي الذي له تاريخه المجيد وآثاره العظيمة في الحياة الفردية والنظم الاجتماعية ، فهو جامع لمجموع الحكمة العملية والعلوم الحقوقية وفنون العلوم من الاجتماعي والاقتصادي والأسري والسياسي والثقافي والعمراني والديني والخلقي والقضائي والشرع الدولي وعوامل التربية المقصودة ، والفقه الإسلامي غني بالمبادئ التي تحقّق السعادة للإنسان في شخصه وفي علاقته بغيره وقد بنيت عليه المدينة الإسلامية في عصورها الزاهرة ، كما عني به الغربيون باعتباره مصدراً قوياً من مصادر التشريع .

النجم الأشرف قلب الإسلام النابض وعلمه الخفّاق ومصباحه الوهاج الذي تعاقبت عليه الأجيال والقرون وهو يرسل أشعة العلوم والإيمان والتقى ومكارم الأخلاق إلى مشارق الأرض ومغاربها وبفضل علمائها إنتشرت روحانية الإسلام في أقطار الأرض واهتدت الأمة الإسلامية إلى مافيه مصلحتها ، وهكذا

أخذ المهتدون سمتهم في طريق الحياة الخالدة مقتدين بنوايغ أعلامها الذين شقوا منها الصالح في وسط المشاكل المدهمة والظلمات المتكاثفة وتوالت الأجيال على هذه الأمة وهي تستنير بشموسها وأقمارها ونجومها السواطع فتنسج على منوالهم وتعوذ بهم في الطوارئ .

وغير خفي عليكم - أيها السادة - أن بغداد كانت عاصمة الثقافة والعلوم في الشرق كله بل في العالم رداً من الزمن وبعد سقوطها وضياح ذخائرها العلمية ، إضطلع معهدان بحمل عبء المعارف الإسلامية والعلوم الدينية في الشرق فصار كل منهما المثابة الأخيرة والقبلة التي يؤمها طلاب العلم من جميع الأقطار .

الأول معهد النجف الأشرف في العراق وقد أسسه الطوسي شيخ الطائفة الامامية قدس سره الشريف ، وكان ولا يزال نبراساً تستضيء بنوره جميع الأمم الإسلامية ومنبعاً غزيراً للعلوم الدينية والفلسفية والعربية والفنون الأدبية واللغوية منذ عشرة قرون تقريباً .

والثاني معهد الأزهر الشريف في مصر الذي حل تلك الأمانة أحقاباً طويلاً في الشرق العربي وكان هدف هذين المعهدين العلميين الدينيين واحداً ، كان مؤسساهما من الشيعة فهل نريد للشيعة ماثرة أعظم منهما ؟ وهما وإن اختلفا في الخطة بعد حين ، ولكنهما احتفظا على بث الثقافة الإسلامية والعربية .

ويمتاز معهد النجف الأشرف بما وصفه به الأستاذ الأكبر وهو أن العلم فيه مقصد وغاية لا وسيلة ، ومحجوب مطلوب لذاته لا لغيره ومرغوب فيه لذاته ويمتاز أيضاً بغزارة مواد الدراسة فيه من أنواع العلوم والفلسفة ، كما أن معهد الأزهر الشريف ممتاز بحسن النظام وجودة المناهج .

ويسرني أن أصرح بعد ذلك بأن ما شاهدته في الأزهر كله من أقسامه الحديثة إلى كلياته العليا إلى أقسامه الابتدائية إلى إدارته من آثار الإصلاح العلمي والنظام الحديث سواء في ما يتعلق بمبانيه الفخمة أو قوانينه ونظمه ومناهج الدراسة فيه قد دلني على المقدار العظيم الذي يتمتع به الشيخ الأكبر من التفكير العلمي ورجاحة العقل ، وقد أقام فضيلته الدليل الواضح للمسلمين ولعلمائهم على مكانة الأزهر

العلمية وعلى إنتاج الأزهر العلمي في هذا العصر الحديث وأثره في تحقيق الوحدة الإسلامية .

ودلّ بحق على أنه جدير أن يلقب بشيخ الإسلام والمسلمين وجدير بهذا المعهد أن يكون على رأسه شيخ جليل مثله يسير به في الطرق المؤدية إلى الغاية التي يطلبها أهله وسائر المسلمين في أقطار الأرض بل يطلبها معهم سائر الشرقيين الذين يعتزّون بأقدم جامعة لهم في الشرق بعد جامعة النجف الأشرف .

وفي الختام أشارك فضيلة الأستاذ الأكبر في تمنياته أن يزور فضيلته وبعض علماء الأزهر ، معهد النجف الأشرف بل أعدّ هذه الزيارة من أسعد الفرص لنا ولمعهدنا ، ولاشك أن الرابط بين أهل العلم الواحد واجب من أقدم الواجبات التي يجب أن تتوثق بين علماء الإسلام ومذاهبه وفرقه ، فإن العلم رحم بين أهله . ومن المأمول في علماء الدين الحنيف أن يستقصوا أحوال الشعوب الإسلامية ، وأن يقفوا على جليلة ماهي عليه من خير أو شر في كل لحظة لبصروها في سبلها وبيعثوا في صدورهم الهمة والغيرة ويتقدّموا لها بالدفاع والاحتجاجات حتى يجمعوا كلمتها ويوحّدوا شعورها وصفوفها وينالوا ثقتها - ومن لم يهتم في شؤون المسلمين فليس منهم - وأن يدفعوا عن الدين بأموالهم وأنفسهم وأن ينفروا خفافاً وثقلاً ينشرونه في البلاد وينصرونه ويدفعون عنه افتراء المفترين في جميع الجهات ليعزّهم الله وينصرهم ويثبت أقدامهم أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها .

وقد صدّق الحاضرون لهذه الكلمة الجامعة .

تكريم مشيخة الأزهر لفضيلة الإمام الزنجاني^(١)

وما يذكر عن هذا التكريم العلمي ، ملاحظه بعض المفكرين من أن هذه هي المرة الأولى بعد أكثر من ألف سنة التي تجتمع فيها كبار العلماء السنيين في

(١) نقلًا عن جريدة « البلاغ » المصرية ٢٦ شعبان ١٣٥٥ - ١١ نوفمبر .

الأزهر لتكريم كبير علماء الشيعة .

ومّا يذكر كذلك أنّه عندما قدم معالي العرابي باشا وزير المعارف وجلس بجانب الأستاذ الأكبر قال فضيلته له ضاحكاً : هذه حفلة لتكريم العلم لذلك إكتفينا بدعوة وزير العلم والمعارف ، فضحك الوزير وقال : إنه يشعر بالسرور وينال شرفاً عظيماً حين يشترك في هذا التكريم .

وبعدئذ قام فضيلة الأستاذ الأكبر ودعا سماحة الإمام الزنجاني والحاضرين لمشاهدة الدار الجديدة للمعاهد الدينيّة ، وسرّوا بما شاهدوا ، وصادف الوقت غروب الشمس وكانت صفوف المصلّين تستنظر فضيلة الأستاذ الأكبر لصلاة المغرب فطلب فضيلته من سماحته أن يؤمّهم ، فقال الأستاذ الإمام الزنجاني :

« لاشكّ في أنّ صلاة المغرب من فرائض الليل وفي وقتها يجوز إفتار الصائم المأمور في القرآن الكريم بأن يتمّ صيامه إلى الليل ومن الواضح أنّ الليل يتحقّق بإستتار قرص الشمس تحت دائرة الأفق ولا يجوز الاكتفاء فيه بإستتار قرصها عن الأنظار لما قرّر في علم المناظر وعلم المرايا من أنّ شعاع البصر إذا إنتقل من شيء لطيف وإنتهى إلى جسم كثيف إنكسر الشعاع إلى جانب التحت ولذلك نجد أنّ الفص إذا وضع في إناء بعيد بحيث لا يراه الناظر في الإناء يظهر لنظر الناظر بعد أن يوضع ماء في الإناء ، وأمّا إذا إنتقل شعاع البصر من الكثيف إلى اللطيف ، كان إنكساره نحو جانب الفوق فلا يرى الناظر ما يحاذيه ، وحيث أنّ الهواء المحيط بالأفق ألطف دائماً من الهواء المحيط بالمدن والأمصار ، فالشمس تغيب عن أبصار الناظرين قبل استتارها تحت دائرة الأفق بعدّة دقائق فلا بدّ من رعايتها وإنتظارها للصائم والمصلّي حتّى يستبين بذلك دخول الليل ، كما أمر به الإمام الصادق جعفر بن محمّد (عليه السّلام) شيعته وعليه العمل في مذهب الشيعة وهذا التقرير مبنيّ على أن الأبصار بخروج الشعاع ، ويناسبه قوله تعالى : ﴿ وَيَقَلِّلْكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ ﴾ بداهة عدم تناسبه للإنطباع .

وبعد صلاة المغرب انصرفوا مودّعين بالحفاوة والاحلال .

فضيلة الأستاذ الامام الزنجاني

يزور كليات الأزهر^(١)

علم القراء أنّ فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر زار ساحة الأستاذ الشيخ عبدالكريم الزنجاني ، وقد تحدّث فضيلته مع سباحته عن الدراسة في الأزهر بين الماضي والحاضر ، وعن الخطوات التي تخطوها في سبيل خدمة العلم والدين ، وأظهر استعداداه التام لاطلاع ساحة الإمام الزنجاني على كلّ ما يهمّه في الأزهر ، ففي صباح « الاثنين » قصد ساحة الأستاذ الامام الزنجاني إلى زيارة كليات الأزهر وقد بدأ بزيارة كلية أصول الدين يرافقه خالد حسنين بك رئيس التفيتش في الجامعة الأزهرية والوزير الإيراني المفوض والقائم بأعمال المفوضية العراقية وكبار موظفي المفوضيتين وصاحب العزة كازورني بك ومشكي بك وفريق من الوجوه ولفيف من الأساتذة والعلماء والأدباء ومدير « جهر نغا » فاستقبله فيها فضيلة الشيخ عبدالمجيد اللبان شيخ الكلية ، وأساتذتها أروع إستقبال ، وبعد أن استراح سباحته قليلاً في مكتب الشيخ طاف بفصول الدراسة ، وقد حيّاه فيها الأساتذة والطلبة بمقطوعات نثرية وشعرية قيّمة ، وناقش سباحته في كلّها الطلاب والأساتذة في مختلف مواضيع الدراسة التي حضرها مناقشة خبير بدقائق الفلسفة ، عظيم في سائر العلوم الدينية ، محيط بجميع شؤونها ، وقرّر مباحثها بأسلوب رصين ، ثمّ ألقى على المجموع كلمة جامعة نالت استحسان الحاضرين ، وكان لها أعظم وقع في نفوس السامعين وإعجاب كثير ببراعة الإمام الزنجاني في الفلسفة والعلوم وكثرة علومه وسعة إطلاعه وجمعه بين كريم القديم وطيب الحديث .

ثمّ قفى سباحته يوم « الثلاثاء » إلى كليتي الشريعة واللغة العربية فاستقبله

(١) نقلًا عن جريدة « الجهاد » ٥ نوفمبر ١٩٣٦ - ٢٠ شعبان ١٣٥٥ .

شيخا الكلّيتين أروع إستقبال وطافا به في فصول الدراسة وقد انفسح لطلاب الأزهر مجال القول فانبروا بين يديه مرتجلين نظماً ونشراً ، وقد زوّدهم سماحته بنصائح جليّة ، وناقشهم في كثير من مواضيع الدراسة وأبحاثها مناقشة لطيفة ، وجال في كلامه في نواحٍ شتى ممّا يهّم النفوس من أسرار الدين والتشريع وأصوله العلميّة وفيما له صلة بالعالم الانساني ومراميه الأدبية فتطرّق من ذلك إلى اختلاف المذاهب الإسلاميّة ونشوء الفرق ، وما ابتنى على ذلك من انفصام وحدة المسلمين ووقوع الشقاق بينهم إلى درجة يحاول كلّ فريق منهم أن يفني الآخر تلبية لدعوة التفريق التي ينشرها الجاهلون بالحقائق وبأخطار العواقب وانقياداً للألعيب السياسة واستغلال الماكرين بعقول العامّة واحتفاظ أرباب الشهوات والمطامع بجاههم وسلطانهم ويتسابقون إلى الشرّ مسيرين لا مخيرين ، وهم يظنون أنّهم مخيرون لامسيرون ، لقد عميت عليهم المسالك وهم لا يفقهون . ثمّ بين سماحته الأسباب التي دعت إلى ذلك والبواعث التي أوجبتّه ، من عوامل سياسية قديمة تأثرت منها الأجيال وتوارثها الأعقاب وأراء فقهية إتّسع صدر التاريخ الإسلامي لألوف منها نشرها أصحابها في مختلف ممالك العالم الإسلامي ولم يكن لها أثر سوى مقارعة الحجّة بالحجّة ، ومناهضة الدليل بالدليل ، وفي العصور الأخيرة إنَّخذ منها بعض الطوائف الإسلامية سهاماً ترمي بها من سواها تصيب الصميم ، ولم يكن الغرض منها أمراً بمعروف أو نهياً عن المنكر ، وإنّما كان يدسّها من يريد استثمار الخلاف بينهم فيتخذها أداة لتشييد ملكه وسلطانه ، ورأى سماحته أنّ هذا التخالف يمكن تداركه الآن ، أو على القليل حصره في دوائر ضيقه إن قام الأزهر بواجبه نحو الوحدة الإسلامية .

ثمّ قال : وقد ذهب من المسلمين ماكانوا يختلفون عليه من ملك ، وزال عنهم ماكانوا يتنازعون عليه من سلطان وأصبحت مواضيع الخلاف والخلافة أموراً تاريخية بحثة ، لايسوغ التنازع عليها ، ومن المعلوم الضروري لدى كلّ مسلم أنّ الإسلام دين توحيد وأخوة وأنّ المسلمين جميعاً تجمعهم قواعد الإسلام ويؤلف بينهم كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلّم) فمن الممكن أن

يتحرّر المسلمون من قيود الأحقاد القديمة ويحسنوا معاملة الأخوة الدينيّة والتعارف والتعاون بينهم ، وفي مقدور كلّ منهم بعد ذلك أن يبيّن لأخيه وجه الصواب إن كان على خطأ ، والحقّ أنّ كان على الباطل ، فعندما تصفوا القلوب ويتوفّر حسن النية يصبح التفاهم ميسوراً والنجاح مقدوراً .

ثمّ قال سماحته بحماسة زائدة : اعلموا أنّ لكلّ شيء مهمّة في هذه الحياة عليه أن يؤدّيها فإن كمال الشيء فيها اختص به فإن لم يقم بأدائها وجب أن يزول من مرتبة حياته ، فالفرس إذا عجز عن العدو السريع عومل معاملة الحمير ، والسيّف إذا فقد صرامته استعمل استعمال السكّين والانسان يمتاز بكماله في العقل والعلم والعمل الصالح لنفسه وللمجتمع ، فإن فقدته نزل إلى مرتبة ﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضلّ ﴾ وكذلك المعاهد الدينيّة إذا لم تقم بماعليها من الواجبات في جميع النواحي وجب أن تزول من الحياة ، وكان من العبث بقاؤها .

ثمّ شكر سماحته لشيخيّ الكلّيتين ما ألفاه من نظام الدراسة البديع وطيب الحفاوة .

وقد ودّع سماحته مثل ماودّع به في كلّية أصول الدين بعاصفة قوية من الطلاب التي خرجت من صفوفها لوداعه .

وكان أمس « الأربعاء » ختام تلك الزيارة ، ففي الساعة التاسعة والنصف توجه سماحته في موكبه المهيب إلى إدارة القسم الثانوي بالصلبية ، يرافقه الأستاذ خالد حسنين بك رئيس التفتيش في الجامعة الأزهرية والوزراء المفوضون للحكومات الإسلامية وكبار الموظّفين في هذه المفوضيّات وفريق من الكبراء ولفيف من العلماء والأدباء ، ولما وصل الدار استقبله الأساتذة والطلاب استقبالا يحلّ عن الوصف .

صورة مقتضبة من كلمة الامام الزنجاني

التي ارتجلها في فصل الفلسفة بكلية أصول الدين في الأزهر^(١)

وقع نظري في منهج دراسة هذه الكلية على هذه العبارة :

٣ - الفلسفة

(مع الرد على مايكون منافياً للدين منها)

وسمعت من بعض أساتذتكم في الصف ماينطبق عليه هذا المنهج فرأيت من واجبي أن أصارحكم أنكم لاتدرسون الفلسفة في فصل دراسة الفلسفة وإنما تدرسون علم الكلام باسم الفلسفة ، - توضيح ذلك - أن موضوع « علم الكلام » هو الوجود من حيث كونه متعلقاً للمباحث الجارية على « قانون الإسلام » والمراد بقانون الإسلام أصول مأخوذة من كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله) وخلفائه ، والاجماع والمعقول الذي لا يخالف القطعيات من تلك الأصول .

ولذلك عرفوه تارة بأنه « علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها » .
وأخرى بأنه « صناعة نظرية يقتدر بها على إثبات العقائد الدينية » .

وبهذا الاعتبار - أعني تقييد البحث في علم الكلام بكونه جارياً على قانون الإسلام - هو الذي أخرج الأدلة الكلامية من البرهان إلى الجدل ، بيد أن المتأخرين من المتكلمين أدرجوا في علم الكلام معظم مباحث الطبيعيات والإلهيات ، وخاضوا في الرياضيات حتى تشابهت مباحث العلمين وكاد أن لاتتميز مباحث علم الكلام عن مباحث الفلسفة لولا اشتغالها على تقييد البحث في

(١) نقلاً عن مذكرات الأستاذ الجليل السيد رشيد مرتضى .

علم الكلام بأن يكون جاريّاً على قانون الإسلام ، وبعبارة ثانية ، مباحثها متشابهة جداً ولكن الأدلة الكلامية مرتكزة على أساس الجدل حينما تركز أدلة الفلسفة على أساس البرهان .

ومن هذا التشابه وقع في الغلط كثير من ألفوا في الفلسفة وتاريخها من الغربيين والمستشرقين ، ومقلّديهم من الشرقيين ، لأنهم أخذوا تلك المباحث الطبيعية والإلهية والرياضية من الكتب الكلامية ، على أساسها الجدلي المقيّد باعتبار ديني ، وزعموا أنها مباحث الفلسفة الإسلامية البرهانية العقلية ، فوقعوا في الخلط ، والخط ، وضلّوا وأضلّوا ، وأضاعوا كرامة الفلسفة الإسلامية التي وضعتها أعلام الفلسفة على أساس برهاني متين ، وفي طلاس من الرموز يستعصي فهمها على أمثال هؤلاء الذين غاية فضلهم أنهم تعلّموا اللغة العربية ، أو بعض قواعد العلوم ، فنظروا إلى كتب الفلسفة الإسلامية - التي لا يستطيع أن يحلّ رموزها سوى من تنتهي دراسته إلى واضعي تلك الرموز - كنظرهم إلى أي كتاب أدبي .

وأوضح دليل على قولي هذا أنّ الأستاذ المشهور « البارون كارادي فو » المستشرق الفرنسي المعروف بأنّه نصير الإسلام قال :

ليس القرآن كتاباً فلسفياً ، وليس محمّد (صلى الله عليه وآله) فيلسوفاً بالمعنى الفني لهذه الكلمة ، ولكنّه إلّقى أثناء تأديته مهمّته ، ببعض المشاكل الفلسفية فمنحها حلولاً إلهامية مصوغة في أسلوب أدبي ، ومجموعة هذه الحلول هي التي كوّنّت « العقيدة الإسلامية » وهي صارت فيما بعد نقطاً محدودة في النظر الفلسفي عند العرب وإذا فلم تكن المشكلة العامة عند العرب هي البحث عن الحقيقة ، مادام أنّ هذه الحقيقة قد قدّمت إليهم في عدّة من هذه النقط الجوهرية ، وإنّما كانت هي التدليل بالبراهين التحليلية العقلية على هذه الحقيقة التي بسطت بطريقة إلهامية وإستبدال الصورة الأدبية التي صيغت فيها بصورة تتفق مع مناهج الفلسفة القديمة ، وذلك هو ما يمكن أن يطلق عليه إسم « المشكلة المذهبية » .

وهذا الوصف الذي وصف به الأستاذ « كارادي فو » الفلسفة الإسلامية - إن صحَّ - ينطبق على علم الكلام والنظر الكلامي ولا ينطبق أصلاً على نظريات فلاسفة الإسلام - إلّا على منهاج هذه الكلية - وإن شئتُم دليلاً ثانياً على ذلك فإليك نصّ مقال ناشر « منطق المشرقيين » قال : إنَّ فلسفة ابن سينا تكاد تكون لاهوتية ، مثال ذلك أنّه يقول في تأييد رأيه بضرورة كون العالم حادثاً : إنَّ الموجودات كلّها ماسوى الله ممكنة الوجود بالطبع ، وتكون واجبة الوجود بفعل المبدع الأوّل . وبتعبير آخر : إنَّ ممكن الوجود قد يكون واجب الوجود . إنتهى .

أنظروا إلى هذا الفاضل مع أنّه عربيّ ومصري كيف لم يتوفّق بالمطالعة إلى معرفة مراد ابن سينا من عبارته الواضحة ، وفي هذه المسألة التي هي من بدهيات مباحث الفلسفة الإسلامية ، حتّى أنّ المبتدئ يعرفها . فوقع في خبط عشواء ، ومقصود هذا الناشر من كلمة « لاهوتية » أنّ فلسفة ابن سينا لا يصدّقه العقل . ودليله على ذلك أنّ ابن سينا يرى ضرورة حدوث العالم ودليله على هذا الرأي أنّ ممكن الوجود قد يكون واجب الوجود . والعقل لا يصدّق أن ممكن الوجود قد يكون واجب الوجود بل يراه تناقضاً ولا يعرف صلة هذا الأمر بحدوث العالم .

ولم يعرف هذا الناشر أن الفلاسفة اتفقت على أنّ العقل إذا لاحظ الموجود من حيث أنّه ممكن لا يقتضي وجوداً ولا عدماً ، ويتساوى وجوده وعدمه لعدم معقولية الأولوية الذاتية وعدم كفاية الأولوية الخارجية ، طلب لاحالة مرجحاً يجب به وجود الممكن لجزمه بضرورة بطلان ترجّح أحد المتساويين من دون مرجّح ، ولذلك أجمعوا على أنّ الممكن بالذات مالم يجب وجوده بالعلّة لا يوجد . وسَمّوا هذا الوجوب « الوجوب السابق » لسبقه على وجود الممكن . ثمّ أثبتوا للممكن الموجود وجوباً بعد وجوده وسَمّوه « الوجوب اللاحق » وهو مفاد الضرورة بشرط المحمول ، التي لا تخلو عنها قضية فعلية ، ولذلك قالوا « الممكن الموجود محفوف بوجوبين بالغير مع إمكانه بالذات » .

فالعالم - أي الموجودات كلّها ماسوى الله - ممكنة الوجود وإنّما ترجّحت وجوداتها على إعدامها بإيجاب المبدع الأول . فوجبت وجوداتها بفعل المبدع الأول فوجدت . وهذا معنى الحدوث الذاتي الذي رأى ابن سينا ضرورة ثبوته للعالم . وعلى هذا الأساس الكلامي - الجدلي - يتبنّى ماسمعت من بعض أساتذتكم من مقال كان ينمّ عن أصالة الماهية في الجعل والتحقّق وهذا رأي ناشئ عن خفاء الماهية على بعض الأفهام ، فعليه أقول باختصار :

لاريب في أنّ صانع العالم موجود ، وأثر الموجود الخارجي لا بدّ أن يكون موجوداً خارجياً ، والموجود الخارجي بذاته وبنفسه هو الوجود ، وأمّا الماهية فهي تابعة للوجود في التحقق ، ومالم يتحقّق المتبوع لا يتحقّق التابع ، وهذه التبعية تظهر بالتحليل العقلي فإنّ العقل يحلّل الوجود الصادر عن الجاعل إلى ١ - حيثيّة الوجود ٢ - وحيثيّة نقص في الوجود المعلول ، لوضوح إمتناع التكافؤ بين المعلول وعلّته في درجة الوجود ومرتبة الموجودية ، إذ لو كان وجود المعلول مساوياً لوجود علّته في قوّة الوجود وشدّته ، لزم ترجيح أحد المتساويين على الآخر من دون مرجّح ، إذ ليس أحدهما أولى بالإفاضة من الآخر وإن كان وجود المعلول أكمل من وجود علّته لزم ترجيح المرجوح على الراجح ، وكلاهما محال ، فلا بدّ من نقص وجود المعلول عن وجود علّته في الشدّة ، والقوّة ، ونقصه عبارة عن كونه فاقداً لمرتبة الوجود العليّ والمراتب المتكافئة لها ، وهذا النقص هو الذي يعبر عنه بلفظ « الماهية » ولذلك ورد في كلمات أساطين الفلسفة : إنّ الماهيات هي النقائص وهي حدود الوجودات الإمكانية ، فلكلّ موجود خارجي في محيط الإمكان حدّ محدود ، ومرتبة خاصة من الظهور والوجود ، ودرجة مخصوصة من الفعلية والحصول بحسب الخارج ، وغاية المجد والعلو من دون حدّ للوجود الواجبي القيميّ الذي هو محض الفعلية ، والكمال بلاشائبة نقص وحد وقصور أصلاً ، وماسواه مصحوب بالقصور الذاتي الناشئ من الإمكان الذاتي على تفاوت مراتب النقص فيها ، وكلّما بعد المعلول عن منبع فيض الوجود كان قصوره ونقصه أشدّ وإمكانه أقوى ، إلى أن ينتهي الوجود في سلسلة الجواهر إلى

« عنصر المادة » التي يكون وجودها الجوهرى عين تقوّمها بالصورة الحالة فيها ، ويكون فعليتها محض القوّة والاستعداد ، وينتهي في سلسلة الأعراض إلى « الحركة » التي وجودها نفس الشوق والطلب والسلوك إلى غاية على سبيل التدرج .

والعقل يحكم بأنّ الفائض بالذات عن العلة حيثيّة الوجود وأما حيثيّة النقص في الوجود « الماهيّة » فلا يمكن أن يكون فائضاً عن العلة ، لأنّ النقص - وهو حدّ الوجود - عديميّ ، وقد قرّر في محلّه ضرورة المناسبة بين العلة ومعلولها في الوجود والعدم والماهية .

ولما كانت حيثية النقص لازمة لحيثية الوجود الإمكانى كانت تابعة لها في الفيضان والمجعوليّة ، كما كانت تابعة لها في الموجودية .

فالنقص في الوجود الإمكانى - الماهيّة - مجعول بالتبع للوجود المقيّد به وليس للنقص هويّة سوى هوية معروضة .

وصفوة القول أنّ الوجودات الإمكانية كلّها حادثة بالذات والحدوث وصفّت ذاتي لها ، وفائضة عن المبدأ الأوّل ، وأما الماهيّات أي النقائص وحدود تلك الوجودات فهي تابعة للوجودات في الحدوث والمجعولية والموجودية .

وهذا التحليل العقليّ هو مراد الفلاسفة بقولهم : « كلّ ممكن زوج تركيبى له ماهيّة ووجود » أي أن للعقل أن يحلّل الممكن الموجود في الخارج إلى ماهية ووجود ، ولكنّه في عين الحال يحكم بأنّ نسبة الوجود إلى الماهيّة في الخارج إتحاديّة بمعنى أنّه ليس لهما في الخارج هويّتان متغايرتان ، كما هو الحال في الجسم والبياض مثلاً ، فإنّ هوية البياض في الخارج ليست عين هوية الجسم ، ولذلك كانت نسبة البياض إلى الجسم إنضماميّة ، واختلاف آثار الموجودات يستند إلى اختلاف حدود وجوداتها ، وهذه الحدود هي أقسام الماهيّات ، وهي معلومة الأسماء والخواص ، وأما الوجود الحقيقي لكلّ شيء فلا يمكن التعبير عنه بإسم أو نعت ، لأنّ أنحاء الوجودات هويّات عينيّة ، وليست لها صور كليّة في الذهن حتّى توضع لها أسماء ، والتسمية فرع التصور ولا يمكن تصوّر حقيقة الوجود ولا يمكن وجودها

في الذهن فلا يمكن وضع اسم لها ، فالوجودات الخاصة أمور مجهولة الأسماء ، وشرح أسمائها أنه وجود إنسان أو وجود زيد مثلاً ثم يلزم الجميع في الذهن مفهوم الوجود العام المقول عليها بالتشكيك ومن هنا نشأت أوهام المتكلمين .

ولا غرو في أن لا يوجد لنوع أو فرد إسم خاص يشرحه كما في الألوان حيث أن بين طرفي التضاد الواقع فيها أنواعاً كثيرة من الألوان ولا أسامي لها بالتفصيل . ويقع على كل جملة منها إسم واحد بمعنى واحد على نحو التشكيك في الشدة والضعف . كالبياض يطلق على اللون المفرق للبصر ، على كثرة أفراده . وكذلك السواد والحمرة وأمثالها ووقوع لفظ على أشياء مختلفة لا يكون بالاشتراك اللفظي كوقوع لفظ العين على معانيه . بل يكون بمعنى واحد في الجميع لكن لا على السواء كوقوع الإنسان على أشخاصه ، بل على الاختلاف إماماً بالتقدم والتأخر كوقوع المتصل على المقدار وعلى الجسم ذي المقدار ، وإماماً بالأولية وعدمها كوقوع الواحد على ما لا ينقسم أصلاً وعلى ما ينقسم بوجه آخر غير الذي هو به واحد ، وأماماً بالشدة والضعف كوقوع الأبيض على الثلج والعاج ووقوع النور على الشمس ونور السراج والوجود جامع لهذه الاختلافات - مع كونه حقيقة واحدة - فإن مفهوم الوجود يقع على العلة ومعلوها بالتقدم والتأخر . وعلى الجوهر والعرض بالأولية وعدمها ، وعلى القار وغير القار « كالسواد والحركة » بالشدة والضعف بل على الواجب والممكن بالوجوه الثلاثة . والمعنى والواحد المقول على أشياء مختلفة لا على السواء يمتنع أن يكون ماهية أو جزؤ ماهية لتلك الأشياء لأن الماهية لا تختلف ولا جزئها ، بل إنما يكون عارضاً خارجاً عن ماهيتها لازماً أو مفارقاً .

ومما قرّرنا من استناد اختلاف آثار الموجودات إلى اختلاف حدود وجوداتها ظهر سرّ تعريفهم الماهية بما يقع في جواب السؤال عن الشيء بما هو . أي أنهم يجمعون الألفاظ الشارحة لتلك الآثار كالجسمية والنمو والادراك الاحساس والحركة بالإرادة للحيوان مثلاً فيجيبون عن السؤال عنه بقولهم جسم نام حسّاس متحرّك بالإرادة .

صورة موجزة من كلمة الإمام الزنجاني

ألقاها في فصل التوحيد بكلية أصول الدين في الأزهر

إنَّ السعادة العظمى والمرتبة العليا للنفس الناطقة الإنسانية معرفة الصانع « جلَّ شأنه » بما له من صفات الكمال والتنزه عن النقصان . وبما صدر عنه من الآثار والأفعال في النشأة الأولى والنشأة الآخرة وبالجمل « معرفة المبدأ والمعاد » حسبما تقتضيه الفطرة .

والطريق إلى هذه المعرفة من وجهين أحدهما طريقة أهل النظر والاستدلال وثانيهما طريقة أهل الرياضة والمجاهدات والسالكون للطريقة الأولى إن إلتزموا في بحثهم ملّة من ملل الأنبياء (صَلَّى الله عليهم) وشريعة من الأديان السماوية فهم المتكلمون واسم علمهم علم الكلام وهذه الطريقة منهاج دراسة التوحيد في هذه الكلية . وإن لم يلتزموا ديناً بل أعطوا للعقل حرية تامة في معرفة الحقائق فهم الحكماء المشاؤون واسم علمهم الفلسفة المشائية والسالكون للطريقة الثانية إن إلتزموا في رياضتهم موافقة أحكام الشريعة فهم الصوفية واسم علمهم علم التصوّف وإن لم يلتزموا موافقة الشريعة فهم الحكماء الأشراقيون واسم علمهم الفلسفة الاشراقية .

وينبغي أن يعلم أنه ليست نتيجة الرياضة والمجاهدة في الطريقة الثانية سوى تلطيف السرّ ، وتهذيب الباطن ، ليسرع النظر ويسرع الفكر ، ويصفوا الذهن فتتجرّد المعقولات النظرية عن الغواشي الوهمية ويتميّز المعقول من الموهوم ، وذلك هو معنى الكشف ونور الله الكاشف عن الأشياء كما هي وما إليها تماماً ورد في عبارات بعض المشايخ الصوفية وليس الكشف طوراً وراء العقل ، إذ ليس طور وراء العقل سوى النبوة والرسالة والوحي ، فليس التصوّف إلّا الحكمة البالغة إلى درجة المشاهدة التامة ، والمكاشفة الكاملة التي هي ارتفاع حجب الأوهام الجزئية . والأغشية الحسيّة عن عين البصيرة العقلية التي هي حقيقة نور الله

الكاشف عن الأشياء كما هي . وأمّا الاستغناء بالكشف عن العقل فهو التصوّف المنحرف .

الامام الزنجاني في كليتي الشريعة واللغة العربية (١)

في الساعة العاشرة من صباح أمس قصد الأستاذ الامام الشيخ عبدالكريم الزنجاني كبير علماء الشيعة إلى دار كليّة الشريعة الاسلامية وكليّة اللغة العربية لزيارتها وتفقد نظم الدراسة فيها ، ورافقه في هذه الزيارة حضرة صاحب العزّة الاستاذ محمّد خالد حسنين بك وأصحاب السعادة وزير إيران المفوض والقائم بأعمال المفوضية العراقية ولفيف من العلماء والأساتذة والأدباء وفريق من الوجوه وقد استقبله حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ مأمون الشناوي شيخ كليّة الشريعة ، وفضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم حمروش شيخ كليّة اللغة العربية وطافا سباحته على الفصول الدراسية في الكليتين ، فكان يناقش الأساتذة والطلاب ويفهمهم بعض المسائل العلمية ، وألقى في كلّ فصل كلمة جامعة أثارت إعجاب الحاضرين وقد انفسح لطلاب الأزهر وأساتذته مجال القول فانبروا بين يديه مرتجلين شعراً ونثراً ، وقد زوّدهم بالنصائح الجليلة ، فشكر لشيخه الكليتين مألّفاه من نظام الدراسة البديع وطيب الحفاوة ، واستراح قليلاً في مكتب فضيلة الأستاذ الشيخ مأمون الشناوي شيخ كليّة الشريعة وشرب الشاي ، ثم ودّع بعاصفة قويّة من الأساتذة والطلّاب التي خرجت من فصولها لوداعه .

السيد الامام الزنجاني في الأقسام الثانوية (٢)

زار سماحة الأستاذ الامام الشيخ عبدالكريم الزنجاني أمس صباحاً الأقسام الثانوية في الأزهر .

(١) نقلاً عن جريدة الأهرام ٤ - ١٩٣٦ .

ونقلاً عن جريدة الوادي مساء ٢٠ شعبان ١٣٥٥ - ٥ نوفمبر ١٩٣٦ .

(٢) نقلاً عن جريدة - الأهرام - ٥ / ١١ / ١٩٣٦ .

صورة مقتضبة من كلمة الاستاذ الزنجاني الارتجالية

التي ألقاها على أساتذة أصول الفقه في كلية الشريعة الاسلامية

إمتاز الدين الاسلامي من سائر الأديان الإلهية باستهدافه السعادة المزدوجة واستجماعه عناصر الخلود وموجبات عموم الدعوة ، إذ أسست تعاليمه الأصلية على صرائح العقول السليمة ، ومقتضيات الفطرة والغرائز الانسانية الطבעية التي تثبت في كل زمان ، وتصلح لكل قوم فهودين عام خالد صالح لكل عصر ، ويوافق كل أمة ، ولا يقبل النسخ مادامت الفطرة الانسانية موجودة في العالم وهو ناسخ ومكمل لما سبقه من الأديان ، شرعه الله للعباد بعد تهيئتهم للكمال الدائم بواسطة الشرائع السماوية السابقة عليه ، نعم ترقت الأقسام البشرية جيلاً فجيلاً وكان لها في كل مرحلة من مراحل سيرها دين يناسبها وأخيراً جاء الاسلام وقد بلغت الانسانية رشدًا ، فكان ديناً وسطاً عرف لكل من الجسم والروح حقه ، وبنيت أحكامه على الاعتدال من غير افراط ولا تفريط وكان نظاماً كاملاً شاملاً لا يقف نفعه على الأمة الاسلامية وحدها بل هو عام للمجموع البشري ، إذ قد أسس على قاعدة المساواة واحترام الحقوق ، ولذلك صارت الدعوة إليها عامة دائمة وكلف به جميع البشر على اختلاف قومياتهم إلى الأبد .

فكان لابد لهذا الدين الإلهي العام الخالد من قانون إلهي ودستور سماوي يسايره في البقاء والدوام بنفسه ، وهو كتاب الله المعجز الخالد أعني القرآن الكريم الذي جاء بالناموس الأعظم لكمال الحياتين ، الدنيوية والأخروية . وهو كافل لكل ما يهم البشر لسعادته في دينه ودنياه ، وفي الحياة الفردية ، والنظم الاجتماعية من أخلاق وثقافة ، وعلوم ، وتشريع . ففي التشريع الذي ينظم جميع أمور الدولة والأمور المدنية والجنائية والأحوال الشخصية جاء القرآن الكريم بالآيات القانونية التي يسميها الفقهاء آيات الأحكام وهي الأساس الأول في التشريع الاسلامي وآيات التشريع على قلتها تعرضت إلى جميع ما يصدر عن المكلف من

أفعال وعن الانسان من أعمال فتعرضت إلى العبادات من صوم وصلاة وخمس وزكاة وحج وجهاد وإلى الأمور المدنية كبيع وإجارة وهبة وصلاح ومزارعة ومساقاة ووكالة وحوالة وربما ونحوها . وإلى الأمور الجنائية من قتل وسرقة وزنا وقطع طريق ونحو ذلك ، وإلى نظام الأسرة وعوامل التربية والأحوال الشخصية من زواج وطلاق وميراث ونحوها ، وإلى الأمور الدولية كالشرع الدولي والقتال وعلاقة المسلمين بالمحاربين وما بينهم من عهود وغنائم الحرب وما إلى ذلك .

والقرآن هذه الآيات القانونية وسائر آياته الواردة في الأخلاق ونظام الاجتماع قرّر القوانين الكلية والأصول الأولية حتى تكون في نصّ القانون سعة بحيث يمكن أن يطبق على ما يجد من حاجات ويحدث من جزئيات تاركاً تخريج أحكام الجزئيات لاجتهاد أهله يستنبطونها حسب الزمان والمكان من كتاب الله وماورد في بيانه من سنة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي كان مكلفاً به في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ فسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخلفائه الأئمة الطاهرين نور مقتبس من نور الكتاب الكريم يهدي به الله من يشاء إلى صراط مستقيم ، وينور السنة ظهرت تفاصيل ما أجمل في الآيات القرآنية وتفسير ما خفي من غوامض الكلمات الربانية - فهو المفسر للكتاب وإنما نطق النبي (صلى الله عليه وآله) لنا به عن ربه - والسنة - التي هي وحي غير متلو - تبين القرآن الكريم من ناحية عمومه وخصوصه ، ومطلقه ومقيده ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه ومنطوقه ومفهومه .

فيجب أن يكون باب الاجتهاد في الفقه الاسلامي مفتوحاً إلى آخر الدنيا لمن تتوفر فيهم شروطه من الأئمة المطلعين والعلماء المجتهدين .

وذلك لأنّ الفقه الاسلامي قانون عام وضع للناس كافة في كل زمان ومكان فلا بدّ أن تتقبل نصوصه المصالح المختلفة ، ويكون لولاة الأمور من المجتهدين الذين يتولون تشريع الأحكام والوظائف العملية للناس بالاستنباط فيها سعة ، وذلك هو المثل الأعلى للتشريع الذي يراد به أن يكون شرعة لجميع الأمم في

مختلف العصور ، فاتضح أن سدّ باب الاجتهاد في الفقه الاسلامي مناقض لأغراض شارع الاسلام من جميع النواحي ، ومن هذا البيان يستطيع المنصف أن يعلم أنه ليس للفقه الاسلامي وأحكامه الواقعية مصادر غير الوحي - بقسميه - وهو ما شتمل عليه القرآن الكريم ودلّت عليه السنة فجميع أحكامه الواقعية وقواعده النفس الأمرية مأخوذة من هذين المصدرين مباشرة أو بطريق التخرير والتفريع على عموماتها ، ويلحق بهما الاجماع والعقل عندنا - الشيعة - والاجماع والقياس عند غيرنا - السنة - فإنّهما وإن عدّهما الأصوليون دليلين مستقلين نظراً لما لهما من الأحكام والشروط الخاصة بهما ولكنّهما يرجعان في باطن الأمر إلى الكتاب والسنة أمّا القياس عند من يعتبره من الطوائف الاسلامية ، فقد قال الأصوليون منهم : أنه كاشف عن وجه تناول النصّ للمقياس وبيّن طريق دلالة عليه ، وهذا معنى قولهم : إنّ القياس مظهر لا مثبت .

وأما الاجماع في الفروع فوجه حجّيته أنه يكشف كشفاً إنياً عن دليل يدلّ على ما انعقد عليه الاجماع ، إذ علماء الأمة لا تجتمع على شيء بمجرد الميل ومحض الهوى ، وليس وجه حجّيته دليل اللطف أو طريقة الحدس والملازمة العادية أو العقلية .

وأما العقل فقد ثبت بحكم الكتاب والسنة أنّ الأحكام الشرعية معلّلة بالمصالح ، والعقل هو الذي يدركها فيعتبر ما استكشفه كشفاً إنياً وفي عدم كفاية كشفه اللّمي وبيان موارده وثبوت الملازمة بين حكم العقل وحكم الشرع كلام لا يسعه المقام .

وصفوة القول أنّ الاجتهاد من لوازم الدين الاسلامي ، وبعد إتساع رقعة المملكة الاسلامية مست الحاجة إلى الاستنباط المتوقّف على معرفة الكتاب والسنة واحتاج المستنبطون في خلال القرن الأول من الهجرة إلى معرفة القوانين والقواعد لاستفادة الأحكام الشرعية من مصادرها وأوّل من نهض بهذه المهمة هو باقر العلوم الامام أبو جعفر محمّد بن علي (عليه السّلام) وبعده إبنه الامام الصادق جعفر بن محمّد (عليه السّلام) ، وقد أمليا على جماعة من تلاميذهما تلك القواعد

والقوانين وجمعوا منها مسائل رتبها المتأخرون على ترتيب مباحث أصول الفقه ككتاب أصول آل الرسول الأصلية وكتاب الفصول المهمة في أصول الأئمة وكتاب الأصول الأصلية وأول من أفرد بعض مباحثه بالتصنيف هشام بن الحكم تلميذ الامام الصادق (عليه السلام) الذي صنّف كتاب الألفاظ ومباحثها وهو أهم مباحث أصول الفقه ، ثم يونس بن عبد الرحمن تلميذ الامام الكاظم موسى بن جعفر (عليه السلام) وهو صنّف كتاب إختلاف الحديث وهو مبحث تعارض الدليلين والتعادل والترجيح بينهما ، ثم كتبوها فناً قائماً برأسه سمّوه أصول الفقه وهو كتاب ألفه الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان (قدّس سرّه) .

وليس الشافعي أوّل من صنّف في أصول الفقه في أواخر القرن الثاني الهجري كما زعمه السوطي وابن خلدون . وإنّ علمائنا الأعلام قد بلغوا النهاية في تحقيق هذا العلم وتدقيق موضوعه وتنقيح مسائله خلفاً عن سلف ، وكانت طريقتهم ولم تزل تقرير القواعد وأتباع الأدلّة من دون إلتفات إلى موافقة رأي أو مذهب .

ولكن إخواننا علماء أهل السنّة عدلوا عن هذه الطريقة التي سمّوها « طريق المتكلّمين » إلى « طريق الحنفيين » في القرن الخامس ورائدهم فيها صوغ القواعد الأصولية موافقة لما أثير عن أئمّتهم في الفروع .

وأعتقد أنّ هذا إحدى نتائج سدّهم باب الاجتهاد ، فاتخذوا من علم أصول الفقه الذي إنّما دوّن لتسهيل الاجتهاد واستنباط حقائق الأحكام الشرعية الواقعية أداة للتقليد من أئمّتهم ، وسدّ باب الاجتهاد .

ثمّ جاء طائفة من متأخري الحنفية جمعوا بين الطريقتين ، وليت شعري كيف يمكن الجمع بين الاجتهاد وبين التقليد في طريقة واحدة .

ومن نتائج هذا الانحراف ماسمعت الآن في فصول الدراسة من أنّ موضوع أصول الفقه مجموع أمور ثلاثة :

١ - الدليل السمعي من حيث يوصل العلم بأحواله إلى القدرة على معرفة أحكام أفعال المكلفين .

٢ - الحكم الشرعي من حيث يثبت بالأدلة .

٣ - المكلف من حيث يثبت لأفعاله الأحكام .

ومن البديهي أن موضوع كل علم ما يبحث فيه عن عوارض الذاتية والعوارض الذاتية لكل من هذه الثلاثة مغايرة للعوارض الذاتية التي لغيره منها ، ولا نجد عنواناً واحداً جامعاً لهذه الأمور الثلاثة حتى يصح اعتبارها موضوعاً واحداً بحسب ذلك العنوان الواحد ، فيلزم أن يكون أصول الفقه علوماً ثلاثة .
وأما قيد الحيثية فهو لا يثبت عنواناً واحداً جامعاً مضافاً ، إن هذا القيد إن اعتبر شرطاً وجزءاً لموضوع العلم لزم :

١ - الدور .

٢ - أن يكون العرض المحمول على موضوع العلم داخلاً في الموضوع .

٣ - رجوع المسائل إلى المبادئ .

٤ - عدم إفادة الحمل .

كما يلزم الأخير لو اعتبر قيد الحيثية شرطاً لموضوع العلم لاجزاء منه ، ولا يخفى عليكم إننا أيضاً نقيد بعض موضوعات العلوم بقيد الحيثية ونجعل تمايز الموضوعات بتمايز الحيثيات أحياناً ، ولكننا نقصد منه إعتبار التحيث بحيثية إستعداد الموضوع وقابليته لعروض المحمولات بأن يكون التقيد داخلاً والقيد خراجاً ، وهذا أمر واقعي لا بد من لحاظه لوضوح أن طرو كل عارض لمعروضه وحصول كل وصف لموصوفه بل حصول كل صورة جوهرية للمادة لا بد أن يكون مسبقاً باستعداد المعروض والموصوف والمادة لذلك بداهة إمتناع الفعلية بدون سبقها بالقوة ، فحمل كل محمول على موضوع ما متوقف على استعداد ذاك الموضوع لحمله وعروضه ، فالمراد بالحيثيات المقيدة بها موضوعات العلوم حيثية الاستعداد الخارجة ، وبهذا تندفع الاعتراضات المذكورة والاشكالات التي

استصعبها أقوام ، وهذا الذي قرّره أمر واقعي لا بدّ من اعتباره في موضوعية الموضوع لكل مسألة وليس لمجرّد التفرقة بين الموضوعات فقط كما زعمه الحكيم السبزواري في شرح المنظومة .

وسمعت أيضاً من بعض أساتذتكم أنّ الدليل في اللغة المرشد وعند الأصوليين (مفرد يمكن التوصل بالنظر في أحواله إلى مطلوب خبري) مثلاً أقيموا الصلاة دليل لأنّه يمكن التوصل بالنظر في أحواله من كونه أمراً إلى مطلوب خبري وهو التصديق بأنّ أقيموا الصلاة يفيد أمراً بوجوبها بأن يقال : أقيموا الصلاة أمر بإقامتها والأمر بإقامتها يفيد وجوبها . . . الخ .

وظاهر هذه العبارة يناسب رأي العضدي في الدليل وأنّه الأصغر في مصطلح الأصوليين ، وهذا الرأي غير مرغوب فيه عند المتأخّرين - بيانه - أنّ الدليل في مصطلح علماء الميزان - المنطق - مجموع الصغرى والكبرى أي التصديقات المعلومة الموصولة إلى التصديقات المجهولة ، وفي مصطلح الفلاسفة هو الحد الأوسط فقط ، مع العلم بأنّ الوسط لا يوصل إلى النتيجة إلّا بحمله على شيء في الصغرى ووضعه لشيء في الكبرى ، فالحمل والوضع عند الفلاسفة من شرائط الدلالة لا من مقومات الدليل ، وإطلاقات العرف تساعد على مصطلح الفلاسفة ، حيث يعلّلون الشيء بما يقع وسطاً في القياس الاقتراضي ، فيقال : علّة تحريم المسكر إسكاره أو نهى الشارع عنه ، وعلّة الحكم بحدوث العالم تغييره .

ويؤيد ذلك أنّ المنطقيين مع ما هم عليه من الاصطلاح كثيراً ما يطلقون العلّة - التي هي مساوقة الدليل والحجّة - على الوسط ، فإنّهم يقولون مثلاً في مقام بيان الفرق بين البرهان اللّمي وبين البرهان اللّمي : أنّ اللّمي هو الذي يكون الحدّ الأوسط فيه علّة للنسبة في الذهن والعين والأني هو الذي يكون الحدّ الأوسط فيه علّة للنسبة في الذهن فقط . ولهذا الأسباب قال بعض فحول علمائنا الأصوليين أنّ مصطلح الأصوليين في الدليل هو عين مصطلح الفلاسفة ، وصرّح شيخنا الأعظم الأنصاريّ (قدس سرّه) بأنّ الحجّة - المساوقة للدليل - عبارة عن الوسط

الذي به يحتج على ثبوت الأكبر للأصغر ويصير واسطة للقطع بثبوت له كالتغير لإثبات حدوث العالم .

ولكن العضدي صرح بأن الدليل في مصطلح الأصوليين هو الأصغر وقال :
إنّ الدليل عندنا - الأصوليين - على إثبات الصانع هو العالم وعندهم - المنطقيين -
أنّ العالم حادث وكل حادث له صانع . . . الخ .

وتوجيهه في نظري - على تقدير ثبوت هذا الاصطلاح للأصوليين - أنّ
الأصولي ينظر إلى أنّ الداعي الأول لحركة الذهن نحو المطلوب « النتيجة » إجمالاً
هو الأصغر دون الأوسط ، والشئ يسند عنده إلى الداعي لأنّه أسبق علله ، وأمّا
المنطقيّون فنظرهم إلى العلة التامة وهي الصغرى والكبرى جميعاً ، ولكنّ
الفلاسفة يعتبرون الجزء الأخير من العلة التامة .

وسمعت مقال بعض أساتذتكم في تعريف أصول الفقه : هو القواعد التي
يتوصّل بها المجتهد إلى استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من الأدلة التفصيلية
ولاحظت عليه :

- ١ - أن أصول الفقه علم بالقواعد لا نفسها .
- ٢ - أنّه ينتقض بقواعد العلوم التي لا بدّ للمجتهد من معرفتها في توصّله إلى
الاستنباط من مبادئ الاستنباط البعيدة كعلم النحو وسائر العلوم سيّما علم
معرفة أحوال الرواة وعلم التفسير وغيرهما .

وهي كلّها بمثابة صغريات الأقيسة التي للمجتهد ، والقواعد الأصولية مباد
قريبة للاستنباط ويجب أن تكون بمنزلة كبرياتها .

ولهذا عرفه قدماء علمائنا بأنّه : « علم بالقواعد الممهّدة لاستنباط الأحكام
الشرعية الفرعية عن أدلّتها التفصيلية » .

وهذا التعريف وإن كان سليماً عن الانتقاض بالعلوم العربية والأدبية التي
ليست ممهّدة للاستنباط ولكنّه ينتقض بمثل علم الرجال وقواعده الممهّدة

للاستنباط ، ويخرج عنه بعض المباحث الأصولية التي لاتقع في طريق الاستنباط كمبحث حجّة الظنّ على تقرير الحكومة ومباحث الأصول العملية في الشبهات الحكمية .

ولذلك عدل منه بعض الأعلام إلى تعريف أصول الفقه بأنّه : صناعة تعرف بها القواعد التي يمكن أن تقع في طريق إستنباط الأحكام ، أو التي ينتهي إليها في مقام العمل .

ولكنّ القيد الأخير الذي أضيف إليه ليشمل المباحث التي لايشملها التعريف المشهور أصبح مخلاً بالتعريف ، فإن الغرض المترتب على القواعد التي يمكن وقوعها في طريق إستنباط الأحكام هو الاستنباط والغرض المترتب على القواعد التي ينتهي إليها في مقام العمل هو غير الاستنباط مما يستلزم عدم الاستنباط فالغرضان متناقضان لاتعقل اعتبار أمر جامع بينهما وتعدّد الغرض يوجب تعدّد العلم عنده (قدّس الله سرّه) .

وهذه المقالات التي سمعتها من بعض أساتذتكم ومن سواهم أُلجأتني إلى أن أقول :

أعتقد أنّ تعريف الأسد الأخصر لعلم أصول الفقه أنه : « علم يبحث فيه عن أحوال مصادر الفقه الاسلامي » .

والمراد من العلم « الفن » أعني الوحدة المنتزعة من المسائل ، وإضافة الأحوال إلى المصادر تنبئ عن أنّ المراد بها هي المبادئ القريبة التي لاتبقى بعد معرفتها حالة منتظرة للتشريع والاستنباط فخرجت منه جميع المبادئ البعيدة حتّى علم الرجال ونحوه .

وبما أنّ الفقه الاسلامي « وهو آداب ورسوم وأحكام ووظائف مقرّرة من الشارع الحكيم لترتيب الثواب أو العقاب عليها ، أو لتمييز الحقوق أو لحفظ سلسلة النظام » يشمل كلّ ما يحتاج إليه البشر على اختلاف عناصره إلى آخر الدنيا لسعادته في دنياه وآخرته وفي جميع حالاته من القطع والظن والشك والغفلة

والنسيان ، وفي الحوادث المتجددة إلى الأبد ، وفي جميع وظائفه العملية ، فضلاً عن الأحكام الواقعية والظاهرية .

فمصادره عبارة عن كل ما تعرف به وظيفة المسلم في أعماله ، وبذلك يشمل هذا التعريف جميع مسائل أصول الفقه ومباحثه حتى مباحث حجّة الظنّ على التقريرين والأصول العملية في الشبهات الحكمية .

وموضوع أصول الفقه مصادر الفقه الاسلامي بهذا المعنى الذي قرّناه أي مصادر الأحكام الواقعية ثبوتاً أو تنجيزاً أو أعماراً ، والأحكام الظاهرية ، والوظائف العملية حسب اختلاف أحوال المكلفين .

وهذا العنوان جامع لشتات موضوعات مسائل أصول الفقه التي لا تجمعها الأدلة الأربعة المعروفة - الكتاب والسنة والاجماع والعقل - لابذواتها ولا بعنوانها ووصف دليليتها حتى مع التكلف .

وبعد ذلك قصد سباحته إلى المسجد حيث يوجد القسم العام ، وفحص أنظمة الأقسام العامة ومناهج فصول الدراسة فيها ، والمواد التي تدرس في مراحلها ، واستمع في المرحلة الثالثة إلى درس التفسير ، وناقض الأساتذة والطلّاب في تفسير بعض الآيات ، ولما همّ سباحته بالانصراف خاطبهم قائلاً :

إنّ منكم من اكتفى في تفسير القرآن الكريم بالشرح اللغوي ، ومنكم من جدّ ليعرف سرّ بلاغته ، ومنكم من أخذ في تجويده وترتيله دون التفقّه في معناه ، ويوجد في جامعاتكم من عدّه ككتاب أدبي قد مضى وقته وأفل زمانه ، وفي أساتذة الجامعات من ظنّه لتهديب القابلية الفنية فقط . ومن واجبكم أن تكونوا من الذين تلقّوه بعقولهم وأفئدتهم فإنهم أولئك الذين اقتبسوا من نوره واستضاءوا بضياءه ، وأولئك هم المفلحون .

ثمّ عرج سباحته على الزاوية الجوهريّة التي تضم قبر القائد جواهر الصقليّ مؤسس الأزهر ، وبعد التفرّج عليه وتلاوة الفاتحة له ظهرت على سباحته آثار التآثر الشديد فقال :

رحمك الله أيها القائد الخالد العظيم ، رفاتك في هذه الزاوية ، رمز خالد لعظمة المسلمين عامّة وعظمة الشيعة خاصّة ، وهذا الأزهر الشريف أترك الخالد عاش ألف سنة وسيعيش إلى الأبد إن شاء الله تعالى حاملاً لواء العلم والثقافة ومستهدفاً الأهداف السامية التي أسسته لأجل تحقيقها وممثلاً لخلوصك الراسخ ، وما كان لله يدوم .

ثمّ دعي سباحته إلى زيارة المكتبة الأزهرية فتفقد أقسامها إلى أن وصل إلى القسم الخاص بمكتبة الأستاذ الشيخ محمد عبده ، فشهد سباحته مكتبته وجلس على كرسيه الذي كان يجلس عليه في داره في الزيتون ، فتأثر لذلك تأثراً شديداً ، وبعد تلاوة الفاتحة قال سباحته :

رحمك الله أيها الأستاذ الامام ، فلئن أصابك مايصيب كلّ مصلح من أهل زمانه ، وعشت غريباً في وطنك معذباً بين قومك ، منكوراً من مواطنيك ، ورموك بالإلحاد تارة ، وقذفوك بأنك صنيع الانكليز أخرى ، وقاومت الخاصة إصلاحك فنبعتهم العامة لا لسبب معقول ومنطقي ، سوى ضيق في عقولهم ، وعجزها عن النظر في الوجود وتغييره ، وهم يعيشون في هذا التبديل ولا يشعرون به ، ولئن حالت الظروف دون أن تستطيع من إصلاح الأزهر ، وربط الدين بالعلم ، وتحقيق رغائب أستاذك الأعظم معلّم الشرق الأكبر السيّد جمال الدين الحسيني ، رغم جهادك وصمودك لثورة الذين اتخذوها رهبانية إبتدعوها من عند أنفسهم ، وغرّوا الناس بظواهرهم فأنشأت قصيدتك الخالدة وأنت محتضر على فراش الموت ، وكاد أن يقع في الوجود الأمر الذي كنت تحاذره ساعة إرتحالك إلى دار الخلود .

ولكنّ الله سبحانه وتعالى قيّض من بعدك أعلاماً مصلحين وعابرة مرشدين وفي طليعتهم تلميذك وخليفتك المراغي ، يحاولون الصلاح والإصلاح عن طريق إيجاد الوحدة الاسلامية بتوحيد الثقافة ، وتوحيد شعور المسلمين وأخراجهم من الركود إلى الحياة والانتعاش ، وها هي الأيام أخذت تحقّق نظريتك الإصلاحية ، والاسلام والشرق والأمم في أمسّ الحاجة إلى من يقوم عوجها ويهذب نواحيها ، ويجدّد حواشيتها ويبعث الحياة والروح في هياكلها والله تعالى وليّ التوفيق .

الامام الزنجاني في المقر العام لجامعة الشباب العربي^(١)



ساحة الامام المصلح الشيخ عبدالكريم الزنجان كبير علماء الشيعة وإلى يساره زعيم مسلمي الصين السيد عبدالرحيم ماسونتين أثناء الحفلة التكريمية التي اقامتها لسياحته رابطة الشباب العربي بالقاهرة ، وترى أعضاء الرابطة محيطين بفضيلة المحتفى به .

(١) نقلاً عن جريدة المصري ، ١١ رمضان ٣٥٥ - ٢٥ نوفمبر ١٩٣٦ .

تقيم جمعية رابطة الشباب العربي بمقرّها العام بالقاهرة بعابدين حفلة شاي في الساعة ٣ - ٧ من مساء اليوم الأربعاء ، تكريماً لسماحة الامام الزنجاني . وقد دعت إليها كثيراً من الكبراء والعظماء والأدباء والمشتغلين بتوثيق الروابط العربية .

صورة مصغرة من محاضرة الامام الأكبر الزنجاني التي ارتجلها في مقرّ رابطة الشباب العربي العام بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

أصبحت قضية ضرورة الاتحاد والاتفاق والانضمام والوحدة في الأمم بأقرب سبب وأقلّ جامع من عنصر أودين أو لغة من القضايا الضرورية والقواعد الأساسية في علم الاجتماع ، لا يجهلها جاهل ولا يرتاب في لزومها عاقل . ولكلّ خطيب أو مؤلف في علم الاجتماع على اختلاف أساليبهم ونزعاتهم ، خطبة أو وقفة أو مقالة في موضوع الوحدة وضرورة الاتحاد في الأمم بجامع من عنصر أو دين . وهذا البحث يكاد أن يكون صيغة مبتذلة أو أمراً مفروغاً منه لكثرة ما قيل فيه . فالأمة العربية بمجموع أفرادها والأمم الاسلامية على اختلاف طوائفها وعناصرها باتت عارفة بذلك ، فترى العامي يردّد في مجالسه البسيطة كلمات الدعاية للوحدة الاسلامية بما لو تفوّه خطيب النادي ليصفقوا له كثيراً .

بيد أنّه قد تجلّى لكلّ ذي لب أنّ القوى والمعدّات الحربية والآلات الجهنميّة القائمة في الماء أو المحلّقة في السماء أو الراكزة على الأرض مهما تنوّعت وتعاظمت فإنّ قوّة الاتحاد والاتفاق في الأمة أشدّ بأساً وأعظم مراساً وأبعد أثراً ، بل لاتجدي تلك القوى وإن تسامت في الحول والطول وشدة الهول ما لم تكن مرتكزة على تلك القوّة .

وهل بلغ العرب المسلمون ما بلغوا إليه من أوج المجد والرفعة في بدء

نهضتهم إلا بهذه القوة ؟ وهل سقطوا ذلك السقوط إلا حين فقدوها ؟ وهل أدلّ على ذلك ممّا نراه اليوم من دول الغرب ما تبذله كلّ دولة من الجهود الجبّارة في توحيد صفوفها وجمع كلمتها وجعل شعبها كجسد واحد تتصرّف فيه روح واحدة ؟

وهذا هو الذي إستفزّ أقطاب الإصلاح والغيارى من رجال العرب ورجال الاسلام في هذا القرن فصرخوا بملوك العرب وملوك الاسلام وطوائف المسلمين صرختهم الداوية التي ملأت أخبارها الصحف والمهاريق وتأثّرناهم في جميع مؤلّفاتنا وخطبنا وأسفارنا في مختلف الأقطار العربية والعواصم الاسلامية . كلّ ذلك علماً بمسّيس الحاجة وضرورة إستبقاء هذا الرّمق الأخير من حياة العرب والاسلام والمسلمين بالتعاون والتضامن والسعي وراء عوامل الوحدة ومحققاتها .

وليس معنى دعوتنا إلى الوحدة الاسلامية نبذ الوحدة القومية وعدم الاهتمام بشدّ أمراسها وتوثيق عراها . كلّاً . فإنّ كلّاً من الوحدة الاسلامية والوحدة القومية قوّة جاهزة وعدّة ناجزة وينبغي بل يجب على عامّة المسلمين وكافة العرب أن يستغلّوا كلتا القوتين ويتدرّعا بكلتا العدّتين ، فالعرب اخواننا وأغصان دوحتنا بجامع الدم واللغة والأصل ولا ينافيه أنّ المسلمين من غير العرب أيضاً اخواننا بجامع الدين والتقاليد والشعور .

بل الحقيقة الراهنة أنّ الوحدة العربية أساس متين ضروري للوحدة الاسلامية وأنّ الوحدة الاسلامية لا تستهدف سوى تحقيق السيادة الروحية والأدبية للعنصر العربي على سائر الأمم الاسلامية . وذلك بأنّ يستعمل العرب سلاحهم السابوي الذي اختصّهم الله تعالى به أعني « النبيّ العربيّ صلّى الله عليه وآله » و « القرآن العربيّ المعجز الخالد » فلكلّ من الوجدتين علاقة شديدة بالأخرى .

مع العلم بأنّ القومية العربية ليست كغيرها من القوميات الاعتبارية ومن العوارض الخارجة عن جوهر الذات ، بل هي حقيقة واقعية معترف بفضلها من فوق عرض الله تعالى حيث أنّ الانسانية لمّا بلغت رشدها واستحقّت ديناً عاماً

خالداً ، إقتضى عدل خالق الشعوب أن ينتخب رسوله الخاتم (صلى الله عليه وآله) مربي الانسانية ومرشد البشرية من الشعب العربي الباسل الجدير من الناحية الفطرية بأن يحمل للعالم أجمع مهمة تبليغ الدين العام الخالد تحت قيادته (صلى الله عليه وآله) وأن يؤيده بالقرآن العربي المعجز الخالد الذي يساير الاسلام في البقاء بنفسه لا بمجرد ذكر خبره ، ثم تكفل « عز وجل » بحفظه حيث قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ وهذا وعد إلهي صريح بخلود اللغة العربية المستلزم لدوام حياة الأمة العربية وعظمتها .

وهذا كله لعلمه تعالى بأن الشعب العربي الكريم ممتاز من عناصر البشر بقوة الارادة وصدق العزيمة وثبات المبدأ وإحتقار رغد العيش والاعتناء بتنفيذ ماأراد والاهتمام بكسب الشرف ، وأنه جدير بالسيادة المعنوية .

فمن واجب الأمة العربية أن تقدّر هذين السلاحين الإلهيين وتستعين بهما على القيام باستعمار سائر الأمم الاسلامية روحياً ومعنوياً في هذا الزمن تتفنن فيه الشعوب لاختراع أساليب الاستعمار ، كما استعانت بهما في العهد الأول فبلغت بهما أوج العزة وذروة المجد والسيادة ، وحازت المثل الأعلى للامبراطورية الاسلامية .

فسارت الراية الاسلامية بأيدي العرب تدوخ الأقطار ، تحف بها الهيبة ويحدوها الجلال ، وسارت معها الدعوة الاسلامية التي شعارها لا إكراه في الدين ، نعم كانت الوحدة الاسلامية قوة العرب السياسية في عصورهم الذهبية الزاهرة ، مستهدفة الوحدة العربية المرتكزة على سيادتهم الروحية على سائر الأمم الاسلامية لعلمهم بأن الوحدة الاسلامية لاتبعث إلى نبذ الوحدة القومية بل تعززها وتقرّر لهم السيادة الأدبية على غيرهم ، وبها تستقرّ الأحوال المتموجة بموجات الاضطراب في الشرق العربي والعالم الاسلامي ، ويتحقّق التفاهم الديني في مختلف المواضيع الحيوية بالوسائل القويمة التي يعتمد عليها علم السياسة الاسلامية العربية التي هي كفيلة برفع مستوى الأحوال السياسية في بلاد العرب

والمسلمين وإن كانت مخالفة في جوهرها لسياسة الغرب المستندة إلى القواعد المكيافيلية « سياسة الغاية تبرّر الوسيلة » التي ليست تتفق والروح العربية والاسلامية .

وهذا هو الهدف الأكبر لزعماء العرب المخلصين في دعوتهم إلى الوحدة العربية السائدة ، دون الدعاية القومية المجردة التي يقوم بها السذج وبعض مقلّدة الغرب إذ ليس مغزاها سوى وضع القومية العربية السائدة في مستوى غيرها من القوميات كالفارسية والتركية والهندية وأمثالها ونزع صفة السيادة عنها بتجربتها من سلاحها الإلهيين ، وهذا ربّما يؤدي إلى تأخرها عن درجة هذه الأمم أيضاً ، لأنّ لبعضها من الكمال الحضاري والرشد الإداري والنضوج السياسي والثقافة العالية الممتازة والنهضة القومية درجات تفقدها الأمة العربية ، فليست هذه الدعوة سوى آلة عاملة لإضعاف رابطة الجامعة الاسلامية وتفريق القوى المعنوية وتجزئة الشعوب المرتبطة بها ليسهل على المستعمرين استعمارها وبسط سيطرتهم عليها ، فمن الواجب أن لانجعل بعد اليوم النعرة القومية وصيحة الوحدة العربية ناقضة لغرضنا الأهم وهو السيادة الروحية على جميع الأمم الاسلامية باستعمالنا السلاحين الإلهيين اللذين عليهما ترتكز الوحدة الاسلامية . فإذا تخلّت العرب عن الجامعة الاسلامية فمعناه التخلي عن سيادتهم الروحية على الأمم الاسلامية ، وهذا ما لا يتفق والغاية التي رمى إليها زعيم العرب الأعلى محمد (صلى الله عليه وآله) والاسلام الذي جاء به من ربه .

وينبغي أن ننظر إلى الحوادث وإلى أوضاعنا بعيون صحيحة مجردة ونقدّر نتائجها على ضوء العقل والمنطق ، ثمّ نعمل بنفوس لاتبين عليها العواطف ليتسنى لنا مسّ الحقيقة والعلم المفيد واتباع الأوفق والأصلح وعلينا أن نستعد قبل أن يؤخذ على أيدينا فلانستطيع أن نستعد وحينئذ نشعر بمضض الإهمال في الوقت الذي لا يفيد هذا الشعور ولا يدفع الضيم وعلينا أن نفكر سريعاً ونعمل بأسرع منه بجّد وعزم وحزم ونقوم بواجبنا في سبيل متطلّبات بلداننا في الحال والمستقبل وإعادة كياننا وصون مقدّساتنا وتأمين سبيل الوصول إلى مانصبوا إليه من

وهذا هو الذي استفزّ دعاة الاصلاح وقادة الرأي منذ أوائل هذا القرن الهجري ، فبدلوا كلّ جهودهم في سبيل الدعوة إلى الوحدة الاسلامية ، ولكنّ كلّ ذلك لم ينتج ثمرة يعتدّ بها ، بل نجدها صفراً على الشمال بمقارنتها مع ما قام به المصلحون في سائر الأمم ، والسبب في ذلك أمران :

الأول أنّ الدعاية للإتحاد في أمتنا العربية الاسلامية لاتزال ناقصة غير مأخوذة بأطرافها من جميع النواحي . فكلّ ما نسمعه ونطالعه في هذا الشأن محدود المسافة لا يذهب فيه الخطيب أو الكاتب إلى أكثر من الوصف لفضائل الوحدة ، ووجوب التضامن ، وضروة الاتحاد .

وقد علم هؤلاء المفكّرون وقادة الرأي أنّ الأمة لم يستفزّها هذا الوتر إلّا بصورة مؤقتة ، أفليس هنالك أسلوب غير هذا الوتر وأنغامه المستجدة ؟ وناحية عملية أخرى توصل بالمجتمع الاسلامي إلى الغاية المنشودة . لقد دعوا إلى الوحدة فلم يجدوا النتيجة المرضية . أفلا يجب البحث عن السرّ في ذلك ، ولقد دعوا إلى نبذ العداوة والبغضاء فلم يجدوا غيرهما . أفلم يلزم السعي إلى إكتشاف ناحية الضعف ؟ ومعرفة ما للمسلمين من نفسيّات يتبادلون فيها سوء الظنّ وقبح التصوّر ؟ ويسيرهم بها أعداء الاسلام نحو التناذب والخصام . ثمّ معالجتها بتعريف كلّ فرد واجبه وكيفية القيام به .

والثاني دسائس استعمارية كانت ولا تزال تحاك حول المصلحين في أمتنا ، أفلم يتهم الامام المصلح محمد عبده بأنّه ملحد وأنّه صنيع الانكليز كما اتّهم به المصلح الزعيم الخالد سعد زغلول وقاسم أمين ؟

وكان من نتيجة فشل هؤلاء الدعاة إلى الوحدة أنّ فريقاً من المسلمين زعموا أنّ الجامعة الاسلامية لا يمكن أن تحقّق أبداً وغفلوا عن أنّها تحقّقت فعلاً في العصور التاريخية الطويلة ، ولم ينشأ مانع جديد من تحقّقها مرّة ثانية ، عدا ما حدث في بعض الطوائف الاسلامية من التعصب والجمود والاسترسال في أوهام

ما أنزل الله بها سلطان ، ولكنه عارض وفي الإمكان إزالته وإعادة تلك الروابط الإسلامية التي كانت بين الأحاد في تلك العصور التاريخية أروع وأقوى من جميع روابط الجماعات التي نازعتها الحياة ، وكانت تلك الروابط تستمد وجودها من أعلى المبادئ الاجتماعية التي جاء بها كتاب الله المعجز الخالد ، وبها أحدث الإسلام تكافلاً عاماً بين الشعوب الإسلامية يقوم مقام التراحم الحيواني ، فمنشأ الزعم المذكور قصور صاحبه عن إدراك حقيقة الدين الإسلامي .

ولو أدرك الناس كافة روح الإسلام ، وفقهوا كنه ما يرمي إليه لما بقي على وجه الأرض من يدين بدين آخر لأنه مطلوب كل روح ، ومرمى كل قابلية وأنشودة كل استعداد ومطمأن كل إحسان ومنتهى كل عقل من معنى الدين والإيمان ، وهو دين التوحيد والرحمة والمحبة والحياة والوحدة والحكمة والسعادة المزدوجة وعرفان الجميل لا دين الخصام والانقسام والتناوب والدمار .

ولولا أن الإسلام دين ينطبق على كل قابلية لاستعداد ويلائم كل عاطفة وإحساس لما كلف الخالق العادل به عموم خلقه .

ثم توهم فريق آخر أن الوحدة الإسلامية تعارض القوميات الإسلامية وتبعث إلى نبذ الوحدة القومية ، وهذا وهم باطل ، والحقيقة هي أن القوميات الإسلامية بمثابة معدّات أساسية وأركان ضرورية يجب تحقيقها لبناء الوحدة الإسلامية عليها ، وأن سعي أمتنا العربية التي هي منبت الدين الإسلامي إلى وحدتها حجر أساس الوحدة الإسلامية ويجب أن تبنى الوحدة الإسلامية على أساس قاعدة الوحدة المتعاونة الأجزاء التي قام عليها نظام الخلق ونظام المجتمع لتكون الوحدة الإسلامية قوة عظيمة للأمة العربية إذ بها يشملها عطف العناصر الإسلامية الأخرى ، فمن الواجب على المسلمين تحقيق كلتا الوجدتين واستغلال كلتا القوتين .

وزعم بعض الناس أن الوحدة الإسلامية مساوقة لتوحيد المذاهب الإسلامية ، وهذا الزعم فاسد ، لأن وجود المذاهب أمر ضروري لا بد منه

ولا ضرر فيه ، واختلاف الآراء سنة الله في الكون ، ولكن الضرر كله من التعصب للرأي إلى حدّ يتخذ أداة هدم للدين الاسلامي وكيانه الاجتماعي .

فيجب أن يحكم على المذاهب بالنظر إلى سيرة أرقى ممثليها ، لا إلى انحرافات أحط الآخذين بها ، فإن جرينا على هذا عرفنا كيف تكون تنقية الشعور الديني من الضغائن والأحقاد ؟ وكيف يجب بعضنا بعضاً ؟ وكيف لا يبغض بعضنا بعضاً على طريقة الغلاة والمتعصبين .

فليس مقصد دعاة الوحدة الاسلامية توحيد المذاهب ، وإنما المقصود جمع كلمة المسلمين ، وتوحيد الشعور في فرق التوحيد التي تجمعها عقيدة التوحيد ، ومقاصد الاسلامي للحصول على روح الاتحاد في الجهود والعمل لحفظ العقائد الاسلامية المشتركة ومكافحة الاحاد والفوضى الاخلاقية ولتنظيم العمل الاجتماعي والوحدة الروحية ، ورفع كيان المسلمين إلى المستوى الأعلى في حياتهم الاجتماعية والعمل على تقريب وجهات النظر بين الطوائف الاسلامية المختلفة بحيث يشعر الكل أنهم إخوان في الاسلام يحتاجون إلى التضافر والتعاون بدلاً من المخاصمة والعداء ودفع الشبهات التي يلقيها الأعداء على الاسلام ، وإرشاد النشء وتثبيت العقيدة عنده والحيلولة بينه وبين الافتتان بما يملك خصوم الاسلام من القوى المادية والمدينة الباهرة .

ثم إن بعض المغرضين إتهم دعاة الوحدة الاسلامية بأنهم يسعون إلى إعادة الخلافة ، وهم براءء من هذه التهمة ، لأن انحلال الخلافة هو الذي أوجد مجالاً للدعوة إلى الوحدة الاسلامية والعمل لها وتقريب طوائف المسلمين بعضها من بعض إذ صار لهم النظر الاستقلالي في شؤونهم الدينية والاجتماعية .

وقد مضى حين من الدهر ولم يتساءل أحداً عن الخلافة ، ولا شك أن ذلك يعود إلى عدم ملائمة وضع الشعوب الاسلامية في الوقت الحاضر لنظام الخلافة إلا أن بعض الغربيين والذين يحذون حذوهم من الشرقيين أخذوا يشتغلون بإثارتها والدعاية لها في حين أن أصحابها لا يهتمون لها .

فاتّضح على ضوء الحقائق المحسوسة والدقائق المبرهنة أنّ قضية الوحدة كما
ألمحنا إليه خرجت عن طور الدعوة والبرهان والحجّة والبيان وصارت بحيث ترى
ضرورتها بالعين وتلمس باليد وإنّما الأمر المهم اليوم منها السعي والعمل والدعوة
الجديّة العملية والاستغناء عن الكتابة والأقوال بالجهود والأعمال .

نحن يلزمنا العمل ، يلزمنا الصدق ، يلزمنا الاخلاص ، يلزمنا التضحية
والمفادات ، وهي الحياة أو الممات .

﴿ والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾



مقتطفات من المحاضرة الارتجالية للامام الزنجاني

في رابطة موظفي الحكومة المصرية المشمولة برعاية

صاحب الجلالة الملك المعظم

يتشرف رئيس رابطة موظفي الحكومة بدعوتكم لسماع المحاضرة التي
سيلقيها سماحة الأستاذ الامام الأكبر الشيخ عبدالكريم الزنجاني كبير علماء
الشيعه بدار الرابطة بشارع عماد الدين رقم ١٨٧ بالقاهرة في الساعة السابعة
والنصف من مساء يوم الخميس الموافق ١٩ نوفمبر سنة ١٩٣٦ وموضوعها :

الحالة الأدبية والإجتماعية والخلقية في إيران والعراق

بسم الله الرحمن الرحيم

الاسلام دين يشمل كل شأن من الشؤون العالمية ، كما ينير أمام المسلم
السبيل في كل ما يتعلق بالأمور الدينية ، ثم هو بعد ذلك عقيدة وعبادة وسياسة
وإجتماع ، وهو لا يعرف الفوارق الاقليمية والشعوبية وهو يمزج بين السلطتين
الدينية والدنيوية بحيث يشملهما الدين جميعاً وهو دين الفطرة ودين الطبيعة
ولذلك قرّر في تعاليمه كلما تتطلبه طبيعة الانسان - بصفة أنه مدني بالطبع - من
أنظمة إجتماعية واقتصادية وسياسية وإدارية وقضائية وحربية ، وقرّر نظام
التوظيف مرتكزاً على دعائم قوية يرتبط بعضها ببعض ، وأهمها « حسن اختيار
الموظف » وأن يكون التعيين والعزل على أساس مراعاة المصلحة العامة وتحري
الأكفاء للقيام بأعمال المسلمين ، وكان هذا سرّ إنتصار القادة المسلمين في ميادين
الجهاد ، وإنتصار ساستهم في إدارة شؤون البلاد ، فصلحت شؤون الدولة
الاسلامية في العهد الأوّل .

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو الذي وضع هذا الأساس القويم

للتوظيف بفعله وقوله : فقد روي في الصحيح أنه (صلى الله عليه وآله) قال : « من قلّد رجلاً على جماعة وهو يجد في تلك الجماعة من هو أَرْضَى منه فقد خان الله وخان رسوله (صلى الله عليه وآله) وخان المؤمنين » .

وذلك لأنّه بعمله حرم الجماعة من مزايا أكفئهم ، وربما أدى التماهي في هذا إلى إماتة الكفاءات ، فرسول الله (صلى الله عليه وآله) عدّ التعدي على الأكفاء بتعيين من هو دونهم خيانة لله ولرسوله (صلى الله عليه وآله) ولجميع المؤمنين ، لأنّ في هذا إضاعة لمصالح الأمة وإهداراً لكفائات أرباب الكفاءات ؛ فتضعف العزائم وتسوء سمعة الأمة الإدارية ، ولهذا كان الرسول (صلى الله عليه وآله) لا يولي عملاً إلاّ من تحقّق أنّه أحقّ به لكفاءته وقوّه إرادته وسموّ أخلاقه وعلمه ودرايته .

وهذا الأمر من ضروريات مذهب الشيعة وعليه تركز عقيدتهم في الإمامة التي هي منصب إلهي .

ولما صار العزل والتعيين على أساس العصبية والمجاملة والمحاباة ونفع المقرّبين والمحسوبين والمخصوصين ، وتوظيف غير الأكفاء من أناس لا يصلحون لإدارة شؤونهم فضلاً عن المهمّات الخطيرة والخطط العامّة ، عمّت الفتنة وساءت حالة الدولة .

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعني كثيراً بسماع ما ينقل إليه من أخبار عماله ، ويصغي إلى شكاية من يشكوهم ، ويأخذ عليها زلّاتهم ويحاسبهم ، فقرّر الرسول (صلى الله عليه وآله) بذلك « قانون مراقبة الموظّفين » فانتج هذا « شعور الموظّف بواجبه » وقام الموظّفون المسلمون بواجبهم أحسن قيام ونجحوا في سياستهم أحسن نجاح ، وتوفّر للدولة الإسلامية في أوّل عهدها أعظم القوادر وبناءة المجد الخالد وعباقة الساسة الإداريين ومصلحي الجماعات والأمم ، ولم يكونوا خريجي جامعات ولم يدرسوا نظم السياسة والحرب ولا فنون الحكم . وإنما كانوا خريجي المدرسة المحمدية في صحراء العرب ، ودرسوا أنظمة القرآن الكريم وتفقهوها .

وفي عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السّلام) الذي كتبه للأشتر النخعي لما ولّاه على مصر وأعمالها مجموعة تلك الأنظمة والقوانين في أسلوب منطقي وبرهاني يعد إعجازاً ، وفيه قال (عليه السّلام) :

ثم أنظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً ، ولا تولهم محابة وأثرة فإنهم جماع من شعب الجور والخيانة ، وتوخّ منهم أهل البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام ، المتقدّمة فإنهم أكرم أخلاقاً ، وأصحّ أعراضاً ، وأقلّ في المطامع إشرافاً ، أبلغ في عواقب الأمور نظراً ثم أسبغ عليهم الأرزاق فإنّ ذلك قوّة لهم على استصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ماتحت أيديهم وحجّة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك .

ثم تفقّد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليه ، فإنّ تعاهدك في السرّ لأموالهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية وتحفظ من الأعوان ، فإنّ أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك إكتفيت بذلك شاهداً فبسطت عليه العقوبة في بدنه ، وأخذته بما أصاب من عمله ، ثم نصبته بمقام المذلّة ، ووسمته بالخيانة وفلّدت عار التهمة . . . الخ .

ويؤسفني أنّي لا أستطيع أن أتبسّط في هذا الموضوع الخطير بالرغم من شدّة مناسبتة لجمعية رابطة الموظّفين إذ طلب رئيسها إليّ في كتاب الدعوة أن أتحفكم بمحاضرة موضوعها الحالة الأدبية والاجتماعية والخلقية في إيران والعراق .

وكلكم تعلمون أنّ هذا الموضوع كثير النواحي متشعب المناحي وسيع المراحل لا أستطيع في هذه الأمانة العجلى أن أحيط بأطراف هذا الموضوع المترامية ، ونواحيه المتباعدة التي لا يمكن إستقصائها بعشرات المحاضرات بل بمئاتها وله سلسلة ممتدّة ، كلّها حلقات متّصلة ، وعرى مرتبطة ، يستدي بعضها بعضاً ، ويتوقّف بعضها على بعض ، تجمع شتاتها حياة أمتين عظيمتين عريقتين في المجد سمتا بماضيهما في زمن كانت الامبراطورية تمتدّ من أوساط آسيا حتّى

حدود أوروبا ، ومن حوض البحر الأبيض المتوسط إلى المحيط الهندي ، ونهضنا في حاضرها ، وأخذنا تعدّان العدة لسعادة مستقبلها ، ولكنّي سأحاول ما استطعت أن أضع بين يديكم من أبرز نواحيها صورة مصغّرة واضحة وافية لما نحن بصدد من الإصلاح الديني والاجتماعي .

إيران قبل الاسلام :

عُني التأريخ بالبحث عن علوم إيران القديمة - قبل الاسلام - وذكر المؤرخون والعلماء مكتباتها الشهيرة كمكتبة « إصطخر » التي كانت أمّ مكتباتهم ومعدن علومهم وذخائرهم في الفلسفة والطبيعيّات والرياضيّات وأنواع العلوم ، وكانت كتبها موضوعة بالفهلوية ومنقوشة على أحجار خاصّة ، ولما استولى الاسكندر على اصطخر أمر بترجمة ما ارتبط منها بالنجوم والطبّ والطبيعة إلى القبطية وألحقها بمكتبة الاسكندرية في مصر .

ومكتبة « قهندز » وكانت كتبها بالفهلوية ومنقوشة على ألواح الشجر ، دفنت بأمر طهمورث ملك الفرس ، وعثروا عليها في أوائل القرن الرابع للهجرة ، وكان من جملتها زيچ قيّم استخرج منه « زيچ الشهر يار » المعروف حسبما جاء في كتاب « اختلاف الزيجات » لأبي معشر البلخي ، ومكتبة « أردشير بن بابك » وابنه شابور فإنّها أمرا بجمع كتب الفلسفة اليونانية والهندية وكتب سائر العلوم وترجمتها إلى الفهلوية ، فانتعشت النهضة العلمية في عهدهما . ومكتبة « جند شابور » للملك أنوشيروان الذي استطلّت الفلسفة بلوائه .

لقد كانت الفلسفة والدين في بدء تكونهما متآلفين ومتوافقين بل كانا متّحدين في الغاية ، وكانت معرفة مبدأ العالم ومصيرة ودراسة الألوهية وصفاتها وأفعالها وآثارها من أهم عناصر الفلسفة ، وهذا سرّ ما يترأى في الفلسفة الشرقية ، وفي الفلسفة اليونانية التي تكوّنت - على التحقيق - من العناصر الشرقية ، من مظاهر الانعطاف نحو العقيدة ، فإنّ مزج الدين بالفلسفة إنّما هو من مقتضيات الطبيعة

الانسانية والفطرة البشرية وغريزة التعقل ، ولذلك لا يخلوا من هذا الانعطاف وهذا المزج دور من أدوار الفلسفة ، حتى فلسفة ديكارت وكانت وغيرهما من أعلام الفلسفة الحديثة .

وقد أثبت التاريخ قبل الاسلام أن الفلسفة أعانت على إعداد الشعوب المسيحية ، لأنّ المسيحية الخالصة والفلسفة الصحيحة كانتا متآلفتين ومتعاضدتين مادامت المسيحية ثابتة على ناموس الفطرة ، ولما تغيّرت وانحرفت عن الفطرة أنكرت الفلسفة إنكاراً شديداً ، وإنتهى الأمر بالفلسفة إلى أن إلتمست لها مقراً لا يتسلط فيه حزب المسيح (عليه السلام) فهاجرت إلى الفرس ، واستظلت بلواء الساسانيين .

وأكرم أنوشيروان مثنوى الفلاسفة المشردين من روما وأمرهم بتأليف الكتب في الفلسفة والمنطق فآلفوا فيها ، وترجمت مؤلفاتهم إلى الفهلوية ، وعُني بمطالعتها أنوشيروان ، وعقد لهم مجلساً للمناظرة ، وأمر أيضاً بترجمة جملة من الكتب السانسكريتية إلى الفارسية وأحدث مستشفى في جند شابرو وأحضر له الأطباء من الهند واليونان وأمرهم بتدريس الطب الهندي واليوناني فيه .

وكانت عدّة الكتب الفهلوية والمترجمة من اليونانية والهندية في الطب والفلسفة والمتنوعات في مكتبتها ستة وثمانين كتاباً مرتبطاً بالأُمور الدينية والمذهبية ، وسبعين كتاباً متعلّقة بأُمور مختلفة في البيطرة والحرب والقصص والنجوم والسير والتاريخ والآداب والموسيقى .

وأما إيران بعد الفتح الاسلامي إلى إستقلالها السياسي في سنة ٢٥٣ فقد سارت على ضوء التعاليم الاسلامية في الحالات الاجتماعية والخلقية والأدبية والثقافية حسب ناموس الإرتقاء ، وكانت مراكزها العلمية كالبخاري ونيشابور وقم ، غاصّة بمكتبات خصوصية وعمومية وكانت مكتبة أبي الوفاء بن أبي سلمة في همدان تحتوي على مختلف أنواع الكتب وكان فيها ثلاثمائة ديوان لأشهر مشاهير شعراء الجاهلية ، جمع منها « أبو تمام الطائي » كتابه المعروف بديوان الحماسة ،

ونبغ منها في هذا العصر أئمة المذهب ؛ وأئمة الأدب ؛ منهم « أحمد بن حنبل »
المروزي صاحب المذهب الحنبلي ، ومحمد بن إسماعيل البخاري صاحب
الصحيح وابن المقفع وأبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن مائه الأصفهاني
صاحب المذهب الحنفي المتوفى سنة ١٥٠ هـ ، ثم تجلّت آثار هذا النبوغ الثقافي
في أكمل مظاهرها بعد إسقلال إيران السياسي ، إذ تأسست مكاتب ضخمة وكثر
المؤلفون ، وتغير منهاج التأليف وزيدت مواد للدراسة وقد ألف الفضل بن شاذان
المتكلم النيشابوري مائة وثمانين كتاباً ؛ وألف أحمد بن محمد بن خالد البرقي
القمي المتوفى سنة ٣٧٤ هـ كتابه المحاسن في أخبار الإمامية من ألف كتاب
معتبر ، كما ذكره في أول كتابه المحاسن ، وجمع أبو عبدالله محمد بن أبي الحسن
البخاري كتابه الجامع في الحديث من ستمائة ألف حديث في ستة عشر سنة .

ونبغ لهذا العصر في إيران أئمة الفلسفة وأئمة الأدب وأئمة الدين منهم
الفارابي والغزالي والزمخشري وابن سينا والخيام والفردوسي ومحمد بن زكريا
الرازي وأبو حنيفة نعمان بن محمد بن منصور الشيعي قاضي مصر ومؤلف دعائم
الاسلام المتوفى سنة ٣٦٣ ، وأبوريجان البيروني المتوفى سنة ٣٧٤ هـ ، وغير
هؤلاء كثيرون لا يحصى عددهم - رفعوا راية العلم والأدب والابتكار - وعقد ابن
خلدون في مقدمته باباً خاصاً أثبت فيه أنّ حملة العلم في الاسلام أكثرهم العجم
واعتقد كثير من المستشرقين بتأثير آداب الفرس في لغة العرب وأنّ الثقافة الايرانية
لم تكتسب كثيراً من اختلاطها بالثقافة العربية إذ كان الغنم فيها للثانية والربح لها
وفيراً .

وكانت بغداد عاصمة الممالك الاسلامية لهذا العصر عاصمة العلوم ومهتمة
بجميع مظاهر التمدّن ، وتأسيس المكتبات العمومية والخصوصية على طراز
جديد إنَّخذه هارون الرشيد في بيت الحكمة وحسن تكميله في أيام ابنه المأمون
وبعده ، بجمع الكتب اليونانية والهندية والفهلوية وإحضار المترجمين لها من
الأقطار ، في تاريخه الذهبي .

وفي أواخر القرن الثالث للهجرة إقتفى الفتح بن خاقان ، وزير

المتوكل بالله ، ولقيف من وزراء الدولة العباسية وأمرائها بالمأمون في جمع الكتب وتأسيس المكتبات العامة والخاصة على طراز بيت الحكمة وأكثرها منها وأسست للشيعة مكتبة سابور بالكرخ ولم تكن في بغداد مكتبة أحسن كتباً من تلك المكتبة وكانت كتبها بخطوط الأئمة المعتمدة وأصولهم المحررة ، ولكنها احترقت فيما أحرق من محال الكرخ عند ورود طغرل بك أول الملوك السلجوقيين إلى بغداد سنة ٤٤٨ هـ وبعد هذا الحادث هاجر شيخ الطائفة الشيعية الطوسي « قدس سره » من كرخ بغداد وهبط في النجف الأشرف وأسس معهداً الديني التاريخي الموجود فترسب هذا التنافس إلى إيران من عاصمتها بغداد في عصر الدولة البويهية المحبذة للعلم والعلماء فيها ، أوائل القرن الرابع للهجرة وبذلك بلغ تشكيل المكتبات والمعاهد العلمية في إيران إلى حدود التكامل في عهد الملوك البويهيين ، وفي الدور الذي تلاه وقد نقلت معظم كتب الفلسفة والشعر الإيرانية إلى اللغات الأوروبية المتعددة كما زخرت معظم متاحف العالم الكبرى بروائع الفن الإيراني .

أحدثت حملة جيوش المغول تحت إمرة « جنكيز خان » و « هولاكو خان » في غزواتها المتعددة ، واحتلالهم إيران تبدلات كثيرة في حالتها السياسية والاجتماعية والثقافية ، فإنهم سطوا على معظم ما كان مذكراً من النفائس والكنوز في بلاد إيران وتركوها صحراء جرداء بعدما أتت جنودهم وخيولهم على كل شيء فيها ، كما أحدثت مثلها في بغداد والقطر العراقي أيضاً ما عدا النجف وكربلاء - الحائر - والحلة وكانت الحلة عاصمة العلم ومركز علماء الشيعة يومئذ ، فلم يدخل أحد من جنود هولاكو لهذه البلاد الشيعية وكان سببه كتاب العهد الذي استحصله من هولاكو قبل وصوله العراق علماء الشيعة وعلى رأسهم السيد الزاهد العالم الورع رضي الدين علي بن موسى بن جعفر ابن طاووس والعالم السديد الأجل الشيخ يوسف بن المطهر الحلي ولذلك لم يفتقر النشاط الزراعي في هذه البلاد الشيعية وكان نهر الفرات ينساب على ضواحي الحلة ويتدفق في أراضيها يسقي مواتها وتمد بالحياة أرضها فاهترت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ومضى أهل هذه البلاد الآمنة في ركب الحياة متقدمة بالزراعة يشتد بهم الطمع ويتسع أمامهم أفق العمل

واستغلّوا خصوبة أرضهم ووفرة منتجاتها وخبرتهم بالزراعة ومهارتهم في السقاية حتّى أقبل عليهم الغنى وأدركتهم الثراء واجتمعت عندهم كمّيات كثيرة من الغلات فاضت عن حاجتها واشتدّ الطلب عليها من بغداد بعد أن وقع القحط فيها على أثر سقوطها في أيدي قوات المغول ومست الحاجة إلى الغلات ، ولكن أصحاب الغلات أبوا أن يبيعوها بالنقود وطلبوا بدل أثمانها الكتب ، وبهذا التدبير انتقلت كتب مكتبات بغداد إلى الحلة والحائر واجتمعت عند الشيعة ، ثمّ حملها الفيلسوف الأعظم نصير الدين الطوسي محمّد بن محمّد بن الحسن منها إلى مكتبته في إيران التي وصفها المؤرّخ الشهير جرجي زيدان في آداب اللغة العربية بقوله :
إنّه قد جمع في خزانة كتبه ماينوف على أربعمئة ألف مجلّد وإنّه أقام المنجّمين والفلاسفة ووقف عليها الأوقاف ، فزها العلم في بلاد المغول على يد هذا الفارسي كأنّه قبس منير في ظلمة مدلهمة . . . الخ .

فعاد نشاط النهضة العلمية والثقافية إلى إيران ، وفي أواخر القرن السادس الهجري سنة ٥٨٢ هـ ظهر جنكيز خان زعيم المغول ومؤسّس دولتهم التي عاشت ١٣٧ سنة - وأشار إلى خروجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقوله : « القيامة القيامة » ، فإنّ عدد حروفها بحساب الجمل ٥٨٢ - ولم يكن جنكيز خان متديناً بدين ولا متعصباً لبعض الأديان بل كان يحترمها ، ولكن جاء من بعده من أولاده من تعصّب لليهود ، وهو أرغون خان فأسند وزارته إلى اليهودي سعد الدولة وكاد أن يقضي هذا اليهودي على الإسلام لولا اغتياله من بعض المسلمين ، ومال منكوفاء آن إلى الدين العيسوي وضيق على المسلمين .

ثمّ اعتنق الإسلام بعض ملوك المغول مثل غازان خان وكانوا على المذهب الحنفي الذي كان مذهب الإيرانيين حتّى القرن السابع ، وكان السلطان الجايتو محمّد خدا بنده مسلماً حنفي المذهب ولمّا وقع في مشكلة طلاق زوجته ثلاثاً في مجلس واحد ولم يعجبه ماسمعه من آراء المذاهب الإسلامية الأربعة وظهر له من مناظرة المولى صدر جهان البخاري الحنفي مع المولى نظام الدين عبدالملك المراغي الشافعي بطلان كلا الرأيين فسأل عن غيرها ، فأخبروه عن المذهب

الجعفري وكان رئيسه يومئذ - المحقق الحلي - الشيخ الأجل أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى الحلي الذي كان يقيم في الحلة - بالعراق - وبطلب من السلطان أرسل المحقق إلى إيران تلميذه الجليل جمال الدين حسن ابن يوسف بن المطهر الحلي ومثل أمام السلطان في بلدة السلطانية - بين قزوين وزنجان - التي كانت مصيفه .

ثم أمر السلطان - أو الجائتو محمد خدا بنده - باحضار أعظم علماء المذاهب الإسلامية الأربعة المعروفة أمثال المولى قطب الدين الشيرازي وعمر الكاتبى القزويني ، وأحمد بن محمد الكبشي وركن الدين المفيد الموصلى والمولى نظام الدين عبد الملك المراغى الشافعي ، وكثير غيرهم من الموالى والصدور وأعلام علماء المذاهب الأربعة ، وعقد في حضرته مجلس المناظرة وأمر الشيخ حسن بن يوسف المطهر الحلي عالم الشيعة الامامية بمناظرتهم ، فناظرهم وبدأ المناظرة بخطبة تاريخية - فكان أول عالم شيعي كبير ألقى خطبة مذهبية أمام علماء المذاهب الأربعة في حضرة سلطانهم - .

وكانت نتيجة المناظرة أنّ السلطان أو الجائتو محمد خدا بنده عدل مع امراءته وعساكره وجّم غفير من العلماء الأكابر إلى مذهب الشيعة الإمامية وزينوا الخطبة والسكّة بأسامي أئمة الشيعة ولقّب الشيخ حسن بن يوسف بن المطهر الحلي - بالعلامة الحلي - وأمره الملك بتأسيس المدرسة السيارة .

ومن هذا البيان الموجز تظهر لكم قيمة ماسجّله الاستاذ المؤرّخ المصري أحمد أمين في كتابه المطبوع في هذه الأيام وهذا نصّه :

وتشيع قوم من الفرس خاصّة لأنهم مرنوا أيام الحكم الفارسي على تعظيم البيت المالك وتقديسه وإنّ دمّ الملوك ليس من جنس دمّ الشعب فلمّا دخلوا في الإسلام نظروا إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) نظرة كسروية ونظروا إلى أهل بيته نظرهم إلى البيت المالك ، فإذا مات النبيّ (صلى الله عليه وآله) فأحقّ الناس بالخلافة أهل بيته . . . الخ .

أنظر إلى هذا الكلام الفارغ فاضحك وأبك ، وهل يجوز لمؤرخ سَجَل تاريخ أمة عريقة في المجد التاريخي كالفرس أن لا يكون عالماً بأن الفرس أسلموا في صدر الإسلام وظلّوا سنين حنفيين وشافعيين ستة قرون بل كانوا ناصبين العداوة لأمير المؤمنين عليّ (عليه السّلام) وكانوا يسبّونه على المنابر في عصر الأمويين ولو كان تشيعهم كما زعمه هذا الرجل ناتجاً من نظرهم الكسروية إلى بيت النبوة وتقاليدهم القومية فلماذا تأخر ستة قرون ؟ حتّى زالت تلك التقاليد وتجددت أجيال أصبحت لاتعرف شيئاً من تلك التقاليد وعندئذ اختاروا التشيع عن منطق صحيح وبرهان قاطع واضح ، وبعد تردّد طويل وإحجام غير قليل .

فهذا المؤرخ إمّا جاهل بالتاريخ وإمّا متعنّد متعصّب ، والمؤرخ يجب أن يكون عارفاً بالحقائق التاريخية ومجرداً نفسه عن العواطف والعصبية فإنّ التاريخ مرآة الماضي ومنازة الحاضرة ، وهو لن يكون مرآة أجيد صقلها حتّى تتضح فيها صورة الماضي ومنازة يشعّ نورها براقاً يستضيء به الحاضر ، إلّا إذا قام على ذكر الحقائق الكاملة المستقاة من أوثق المصادر لا يتسرّب إليها شك ولا تشوبها ريبة .

والدولة الصفوية التي أسّسها الشاه إسماعيل الصفوي وهو يرجع بنسبه إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السّلام) كما كانت تجري في عروقه دماء الساسانيين - عن طريق إحدى بنات يزدجرد الثالث - كانت من أعظم أنصار العلم والدين .

ولكنّ القدر ساق إليها السلطان سليم الأوّل الفاتح العثماني وهو باستعانه من الدعاية المذهبية المفرقة الواصلة إلى درجة نصب العداء لأئمة الشيعة هزم الجيش الإيراني في واقعة جالدران بالرغم من إستبسال الجنود الإيرانية ودفاعها المجيد ، واحتلّت الجنود العثمانية جميع ولايات إيران الغربية ولبثت تحت الحكم العثماني ، حتّى جاء الشاه عباس الكبير أكبر الملوك الصفوية وحارب خصومه العثمانيين بنوع سلاحهم أعني الدعاية المذهبية التي ألجأته إلى إستعمالها الدعاية العثمانية على أساس ردّ الفعل ، وطرد العثمانيين واستردّ جميع الولايات الغربية

التي كانت في قبضتهم وأعاد تنظيم سير القوافل وكفل طمأننتها وسلامة الطرق والمحافظة عليها ، وأقام الجسور وأعاد للتجارة نشاطها وللثقافة والعلوم ازدهارها ، وفي آثاره أروع تحفة من تحف الفن الإيراني ، وتدين لهذا الامبراطور النهضة الثقافية والفنية في إيران بازدهارها .

ومن ذاك التاريخ برز الاستيلاء الديني المذهبي ذو الغرض السياسي القومي المحض المخفي وراء ستار الدين وتقوية العناصر المتقابلة إزاء بعضها بقصد التطاحن الاستعماري المتجلبب بجلباب العلم والمهذب والدين وأخذت التعصبات الذميمة تنمو بين طائفتين اسلاميتين عظيمتين الشيعة والسنة ، وكانت المسؤولية الكبرى في ذلك على عاتق العثمانيين الذين ابتدؤوا بها وابتكروها وألجأوا الإيرانيين إلى مقابلتها بنوعها فأولدت هذه الدعايات والتعصبات فيهما النصب والغلو وكادت أن تقضي على حياتهما الإسلامية لولا أن الله سبحانه وتعالى قيض برحمته نابليون الشرق الامبراطور الأمي نادر شاه الحديد الجليد وكان له أعصاب من فولاذ وإرادة من حديد وروح من نار ونظر بعيد وقريب ، ففضى على جميع ثورات البلاد الداخلية وأخضع جميع قبائلها ثم طرد الأفغان واسترد منهم خراسان ومشهد وهرات ، وسار بعد ذلك إلى ملاقاته العثمانيين فاستولى على بغداد وتغليس وأجلاهم عن أراضي الجزيرة ، واستعاد كردستان وجورجيا وضمهما إلى بلاد إيران ثم اضطر روسيا على التنازل عن حقوقها المزعومة في إقليمي جيلان ومازندران وأنشأ سفناً بحرية واسطولا في بحر قزوين ولما استرد جميع الولايات الغربية التي فقدتها البلاد في أواخر عهد الصفويين واستتب له الأمر في البلاد أمر بتشكيل مجلس الشورى « المجلس التأسيسي » في صحراء « مغان » واجتمع فيه جل الشخصيات البارزة والممثلون لمختلف طبقات الأمة الإيرانية لإنتخاب الملك الامبراطور فانتخبوه بالاجماع ملكاً على البلاد فاعتلى العرش وولى وجهه شطر بلاد الأفغان فاستولى على قندهار وسار إلى بلاد الهند غازياً فعبّر مضيق خيبر بعد استيلائه على كابل واستولى على دلهي واستحوذ فيها على عرش الطاووس الشهير الخاص بملوك المغول ونقله إلى إيران ثم توغل بجيوشه بعد ذلك في أواسط آسيا

ففتح بخاري وخيو ، وبينما كان يسير في إخضاعه لبلاد جورجيا إذ وافته الأخبار بإغارة العثمانيين من جديد إلى جنوب إيران فأسرع إلى لقائهم عند ديار بكر وأفنى جيشهم واضطّرهم إلى عقد الصلح والتنازل نهائياً عن المطالبة بالولايات التي كانت تحت أيديهم .

وهذا الامبراطور المنتصر قرّر عدة مواد في هذه المعاهدة تعتبر أسساً قومية للوحدة الإسلامية ولجمع كلمة المسلمين ، وتوحيد صفوفهم ، ونبد الفوارق الطائفية ، وهذه المواد تشابه في جوهرها المواد التي إنَّخذناها مع فضيلة شيخ الجامع الأزهر في هذا الوقت أسساً لبناء الوحدة الإسلامية الشاملة عليها .

ومن كلماته الخالدة المشهورة كلمته المنبئة عن أهم عناصر عبقريته ونفسيته الفذة المجبولة بالاستقلال الذاتي وهي :

« إنّي لا أركب مركباً ليس زمامه في يدي »

قالها الملك الهند حينما قدّم لجلالته فيلاً راجياً أن يركبه - والفيل لا زمام له - . وفي تاريخ إيران الحديث ، كان عهد فتح عليّ شاه القاجار عهد التطور التاريخي ، إذ لعب فيه النفوذ الأجنبي دوراً ظاهراً لأول مرة في تأريخ إيران ، واستطاع نابليون بنابرت أن يحتلّ قلب الشاه باسم محاولته تقديم كلّ مساعدة له بدون عوض ، وزعم للشاه أنّه صديق مخلص ليس له طمع في إيران لبعده مملكته عنها ، فأرسل كتاباً إلى نابليون طالباً منه أن يرسل عدة من الضباط الحربيين لتنظيم الجيش الإيراني وتزويده بأحسن الأزياء العسكرية ، والمستشارين الإداريين وأطباء ومدرّسين وخبراء فنيين . . . الخ .

ولكنّ نابليون نصحه في جواب كتابه بعشرة وصايا تنم عن صدق اللهجة وتتلخّص في أنّ هذه المطالب كلّها ليست من صالح البلاد الإيرانية وأنّ تدريب الجيش الإيراني تحت سلطة الضباط الأجانب يضرّ بروحيّات الجيش ومعنوياته بل يمكن أن يزيلها تماماً ، وأكّد فوائد مختلف الأزياء في الجيش الإيراني في الحرب ، وأنّ توحيد الشكل والأزياء العسكرية ليس في صالح جيش صغير تجاه جيش كبير

يمثله في الزي والشكل وأوضح أن تطبيق القوانين الغربية بواسطة المستشارين الإداريين في أمة شرقية غير مثقفة وبلاد كبلاد إيران يسبب إختلال إدارتها ، وأن الأطباء الأوروبيين لا ينجحون في العلاج في بلاد لا يعرفون شيئاً من مناخها وبيئتها وعاداتها وتقاليدها وطباعها ، ورجّح للشاه أن يوفد إلى باريس بعثة إيرانية من أذكىء الطلاب لكي يدرسوا فيها أنظمة الحرب والجيش والحكم والإدارة ، وفنون العلوم والطب ليقوموا بتنظيم جيشهم وبلادهم بعد رجوعهم إليها ، وحينئذ دخلت الثقافة والعلوم الغربية إلى إيران ، وترجمت كثير من كتب القصص والروايات من اللغة الفرنسية إلى اللغة الإيرانية ، وكان لهذه التراجم أثر كبير في تغيير الحالات الاجتماعية والأخلاق والآداب الإيرانية .

وأما نهضة إيران الأخيرة وأثرها في الثقافة والحالات الاجتماعية والخلقية والأدبية فهي غنيّة عن التوضيح والتعليق .

وما من ريب في أن الوضع الجغرافي في إيران يتطلّب أن يحرص الشعب الإيراني وزعيم نهضته كلّ الحرص على التمسك بالدين الاسلامي وإعلاء شأنه ، بجانب حرصه على الفخار القومي والمجد الوطني الخالد ، وأن يحدّد من إندفاعه نحو الحضارة الأوربية دون تبصّر ، ويتخذ خطة حكيمة وطريقاً وسطاً يؤدي إلى ما يتفق مع تقاليد الشعب الإيراني وماضيه المجيد ومع تعاليم دينه الإسلام الخفيف بإعتباره صديقاً للعلم والحضارة ، لكي تكون نهضة ذات أثر كبير في سرعة تقدّم البلاد ، ودوام نهضتها ، ويتخلّص بوطنيتّه من براثن الاستعمار ، ويتخذ من الدين الخفيف الفطري الذي هو شعلة للحقّ لن تطفأ حصناً قوياً وسداً منيعاً دون تسرّب المبدأ الشيوعي الهدّام إلى بلادهم .

ذلك المبدأ الخطر الذي تهابه الدول العظمى البعيدة عن منبع جرائمه وهي ذوات القوّات المدهشة الغير المحدودة فضلاً عن حكومة فتية صغيرة محدودة القوى مجاورة لذلك المنبع ، بل ملاصقة بحدوده .

فيستعيدون بهاتين القوتين - الدينية والوطنية - مجدهم السابق ، وعظمتهم

التأريخية ، ويسجلوا اسم بلادهم في صفحات الخلود في أرفع مكانة وأسمى مقام .

وأما بلاد العراق ، فهي من البلاد ذات الماضي التأريخي البعيد المجيد لها سلسلة من التطورات والاتجاهات التأريخية المتعاقبة ، ولعلها البلاد الوحيدة التي حافظت على تقاليدها الشرقية التي نشأت عليها منذ القدم . ومالبت قائمة بها في مظاهر حياتها ونواحيها الأدبية والخلقية والثقافية إلى اليوم ، رغم أنها لبثت قروناً ترزح تحت الحكم الأجنبي ، تلك التقاليد التي انعدمت قريناتها في البلاد الأخرى وأسدل عليها ستار النسيان ، حتى بات لزاماً على من يريد أن يلمّ بالحالات الاجتماعية والثقافية والخلقية والأدبية في العراق اليوم أن يرجع في جزء غير قليل إلى تأريخ البلاد القديم .

ولا يهمني من هذا التأريخ في موقعي هذا سوى ناحية الحياة العقلية لأنّ التأريخ العقلي الذي يمتاز به العراق ، هو تأريخه الحيّ الخالد وهو الوجه المشرق من التأريخ الذي ينير للإنسانية منهاجها ، ويصف علاجها ويسموها إلى المثل العليا .

وهذه الناحية من تأريخ العراق تحمل معها الشاهد ، فقد كانت عاصمة العراق هي الوسيطة العلمية والفلسفية والثقافية بين اليونان وبين أوروبا وبين الشرق والغرب وبين القديم والجديد وكان الأدب العراقي ولا يزال يرتكز على الأدب الإلهي القرآن الشريف وعلى نهج البلاغة ، وهذا طابعه المخصوص في النثر كما أنّ الطابع الخاص بالشعر العراقي ما يتجلّى فيه من مسحة أدب السيّد الرضي وأسلوبه الشعري القوي الساحر .

ويمتاز الشعب العراقي الكريم برصانة الخلق ، وثبات العز واستقرار الرأي ، والثقة بالنفس ، والسعي لإحراز الفخار والمجد وحسن الأحدث في حمى الذمار إلى إكرام الجار إلى التفاني في الكرم والشجاعة والمطاولة في المصاولة إلى صدق الحديث إلى وفاء الوعد إلى قوة الإرادة إلى ثبات المبدأ ، وقد برهن عليها في

مختلف الظروف حتى إنتهى استقلال البلاد بملوكية جلالة الملك فيصل الأول الدستورية ، وكان جلالته ممتازاً بالمهارة الحربية والحز الإداري وحسن التصرف ومرونة الخلق وسحر الشخصية مما حَبَّب فيه القبائل العراقية وزعمائها فاستغل مواهبه وكفاءته ولبت عشرة أعوام يكيل فيها الخدمات لبلاده ، ويبسط فيها النشاط والجِدَّ والعمل ، حتى وصل بشعبه إلى مصاف الأمم الحيَّة ، ودخلت حكومته في عصبة الأمم .

وكان هذا البطل الهاشمي ممتازاً بشخصية فتانة تملأ كلَّ من عرفه إعجاباً به ومرضاة عنه .

ولم يكن عجباً من جلالته أن تبرز منه مواهب ممتازة فقد ولد في أفق الحجاز ، مهبط الوحي المحمَّدي ، وانحدر من سلالة صاحب الرسالة الأعظم صحيح النسب ، عريق الشرافة .

واختطت الأمة العراقية الكريمة في نهضتها الأخيرة طريقاً وسطاً فلا هي جامدة على القديم ، ولا هي مسرفة في تقليد الحديث ففازت بالإنفتاح بالحضارة الحديثة من غير أن تفقد في سبيلها عقيدتها وتقاليدها وأخلاقها ومميزاتها وفضائلها وهي لاتتعصب للفرق والطوائف وعندها أنَّ الخلافات المذهبية لايعطى لها إلَّا مقام ثانوي بالنسبة لمقام الوحدة الإسلامية وتتمنَّى أن ينشأ علماء المستقبل ورجاله تحت نظام من التعليم والتربية متشابه ليسهل ذلك عليهم التفاهم والعمل لتحقيق المقصد الأسمى فمن توحيد الشعور والثقافة يتولَّد روح الاتحاد في الاتجاه والعمل الجَدِّي في سبيل الوحدة الإسلاميَّة الشاملة التي ندعوا إليها ، وماأردت إلَّا الاصلاح ما استطعت وماتوفيقي إلَّا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .



صورة الإمام المجدّد الشيخ عبدالكريم الزنجاني حين خروجه من الحفلة
التكريميّة التي أقيمت لسمحاته في المفوضيّة العراقيّة الملكية بالقاهرة ويرى
على يساره وزير إيران المفوض في القاهرة .

تكریم الإمام الزنجاني في

المفوضیة الملكية العراقية بالقاهرة (١)

أدب حضرة صاحب السعادة السيد عبدالقادر الكيلاني القائم بأعمال المفوضية العراقية مآدبة غداء تكريماً لصاحب السباحة الأستاذ الكبير الشيخ عبدالكريم الزنجاني لمناسبة زيارته مصر . دعا إليها عدداً كبيراً من الكبراء والعظماء وكان في طليعتهم سعادة وزير إيران المفوض والوزراء المفوضون للحكومات الإسلامية وكان الضيف الكريم يحادثهم عن شؤون العراق وعن نشاط الحركة العلمية في ربوعها وفي النجف الأشرف وقال إن الحكومة العراقية من أكبر أنصار العلم والعلماء وإن القادم إلى العراق ليدهش إذ يرى تقدماً وانقلاباً عظيماً عمرانياً وثقافياً وإقتصادياً وإجتماعياً في البلاد العراقية عامة في المدة القصيرة التي نالت فيها الاستقلال تحت رعاية مليكها المعظم وأن الوحدة والأخوة الإسلامية متجلية فيها بين الطوائف الإسلامية ثم إنصرفوا شاكرين لسعاده .

(١) جريدة الأهرام ٨ نوفمبر ١٩٣٦ .



في حفلة التكريم التي أقامها وزير إيران المفوض لكبير علماء الشيعة سماحة الشيخ عبدالكريم الزنجاني ، ويرى سماحة المحتفى به ، وعلى يمينه الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، وعلى يساره وزير إيران ، ويرى أصحاب الفضيلة مفتي الديار المصرية ، والشيخ عبدالمجيد اللبان « شيخ كلية أصول الدين » والشيخ فتح الله سليمان رئيس المحاكم الشرعية ، والسيد محمد البيلوي ، والشيخ عبد الوهاب النجار ، والقائم بأعمال المفوضية العراقية ، ووزير تركيا المفوض ، وغيرهم .

تكریم صاحب الفضيلة الإمام الزنجاني في

دار المفوضیة الإيرانية بالقاهرة^(١)

إمتازت الحفلة التي أقامتها سعادة سلطان أحمد رادخان وزير إيران المفوض احتفاءً بصاحب الفضيلة الإمام الكبير الشيخ عبدالكريم الزنجاني العالم الشيعي الكبير نزيل العاصمة بصفائها وروائها وبما ساد جوّها من إخاء ووثام وبمن حضرها من صفوة عظماء مصر وكبارها ورجال العلم والدين والصحافة والأدب ، فقد كان في مقدّمة الذين حضروها فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي شيخ الجامع الأزهر وصاحب المعالي زكي العراقي باشا وزير المعارف وأصحاب الفضيلة الشيخ عبدالمجيد سليم مفتي الديار المصرية والشيخ فتح الله سليمان رئيس المحكمة الشرعية العليا والشيخ اللبان والشيخ محمّد البيللاوي ونقيب السادة الأشراف وشيوخ الكليات الأزهرية وحضرها أصحاب المعالي والسعادة والعزة محمّد حلمي عيسى باشا وزير المعارف الأسبق وأحمد مدحت يكن باشا وتوفيق رفعت باشا رئيس المجمع اللغوي ومحمّد طلعت حرب باشا والشيخ فوزان السابق القائم بأعمال المفوضيّة السعودية وعبدالقادر بك الكيلاني القائم بأعمال المفوضيّة العراقية ومحمد الباسل باشا والدكتور علي إبراهيم باشا عميد كلية الطب والدكتور طه حسين عميد كلية الآداب والدكتور فارس نمر والحاخام حاييم ناحوم عضو المجمع اللغوي والدكتور منصور فهمي بك مدير دار الكتب المصرية والدكتور عبدالحמיד سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين والشيخ عبد الوهاب النجار وكيله وفؤاد أباطه بك والدكتور عبدالرحمن شهنندر والشيخ مصطفى عبدالرزاق - شيخ الجامع الأزهر الحالي - ومحمود بك تيمور والدكتور عثمان لبيب والشيخ عباس الجمل

(١) نقلاً عن جريدة المصري ١٠ نوفمبر ١٩٣٦ - ٢٥ شعبان ١٣٥٥ ، وجريدة الأهرام ١٠ نوفمبر ،

وجريدة المقطم مساء ١٠ نوفمبر .

وكثير من رجال الصحافة ، ولّبي الدعوة أيضاً أعضاء الجالية الإيرانية بمصر وفي طليعتهم عبد الحميد كازروني بك رئيس الجمعية الخيرية وميرزا مهدي رفيع مشكي بك والأستاذ مؤدب زاده والأستاذ عباس غالب وكانوا يشاركون سعادة الوزير وموظفي داره في الحفاوة بالمدعوين الذين إلتفوا حول الضيف الكريم بحادثونه ومحادثهم عن شؤون العراق وإيران وعن الحركة العلمية في ربوعها وعن كليتة قم وجامعة طهران وكليتة المعقول والمنقول وقال : إنّ لمصر عظمة باهرة من حيث المركزية الأدبية والدينية في نفوس المسلمين في أنحاء المعمورة ويتمنون لها مستقبلاً كبيراً ، إن من المعلوم أنّ الملل الغربية إنّما تحكم على أفكارها الجهة السياسية فقط ولذلك ربّما يكره الكاثوليكي الألماني من هو على مذهبه في فرنسا ، ومنذ أمد بعيد والحاكم على أفكار المسلمين إنّما هو الوجهة الدينية ومع إختلاف المسلمين من حيث المذهب والعنصر والأوطان لم يزل يحبّ كلّ مسلم كمال الرقيّ وبلوغ المرتبة السامية لأخيه المسلم مهما فرقت بينهما الأوطان وميّز بينهما العنصر لأنّ الإسلام يدعوا المتدينين به من مختلف الأجناس والعناصر إخواناً وقد أمرهم جميعاً بإيجاد القوى الأدبية والمادية وأصلح القوميات التي كانت منشأ الحروب والفتن بصبغة الأخوة الإسلامية الموجبة للإتحاد والتضامن وتشيد أركان إمبراطورية إسلامية قائمة على عناصر قوية وأمم مستقلة ، فبالإسلام وحده يمكن بسط الأمن والسلام العام على البسيطة ، ثمّ قال : ولم تزل هذه الروح سائدة في الأمة الإسلامية في جميع الأقطار . ثمّ ذكر إهتمام الإيرانيين بلغة القرآن الكريم وأنّ مؤلفاتهم الدينية والفلسفية أكثرها باللغة العربية بنسبة خمسة وسبعين في المائة . وقال :

إنّ اللغة الفارسية تشابه العربية في أنّها ذات عنصر واحد وليست من اللغات المختلطة ذات العناصر المتعدّدة كاللغة التركية ولغة الأردو في الهند فلا يلام من قام بإصلاح تلك اللغة والتحفظ على بساطته ليحفظ به كيانه الأدبي .

وإنتهى فضيلته من الكلام وقد أدهش الحاضرين وملك ألبابهم واسترعى إعجابهم .

وبعد أن تناول الجميع ما لذ وطاب من أنواع الحلوى والشاي صوّرت لهم صورة يتوسطها ساحة الزنجاني ، وفي الساعة السابعة أخذ المدعوون بالإنصراف معجبين بعلوم فضيلة الزنجاني وشاكرين لسعادة صاحب الدعوة كرمه وإغتنامه الفرص لإقامة أمثال هذه الحفلات التي تزيد الأواصر الأخوية بين مصر وإيران قوّة ومتانة .

﴿ فضيلة الأستاذ الكبير ﴾
(الامام الزنجاني في دار العلوم) « ١ »



يُرى ساحة الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني في دار العلوم وعلى يمينه عميد
الدار وجمع من المهتمين بشؤون التعليم .

فضيلة الأستاذ الكبير الإمام الزنجاني

في دار العلوم^(١)

زار دار العلوم أمس حضرة صاحب الفضيلة العالم الشيعي الكبير الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني فاستقبله ناظر المدرسة وأساتذتها وطلابها ، وبعد أن طاف بآماكن الدراسة وتفقد نظم الدراسة فيها وناقش الطلاب في بعض المطالب العلميّة وأرشدهم إلى المنهاج الصالح إستراح قليلاً في مكتب الناظر وشرب الشاي ثم ودّعه ناظر المدرسة وأساتذتها وطلابها بمثل ما قبل به من الحفاوة والتعظيم والإكرام ، وقبل أن يغادرها أوصى بالطلاب العراقيين الذين يدرسون في الدار .

تكريم فضيلة الإمام الزنجاني

في دار الرابطة العربية^(٢)

أقام سعادة الأستاذ الكبير محمود بسيوني رئيس مجلس الشيوخ ورئيس الرابطة العربية حفلة تكريمية للعالم الشيعي الكبير فضيلة الشيخ عبدالكريم الزنجاني ، وقد لبّى دعوته لهذه الحفلة جمهور من رجال الثقافة والأدب نذكر من بينهم الأساتذة الأجلاء طه حسين بك ومنصور فهمي بك والدكتور السنهوري والدكتور مشرفه والدكتور عبدالرحمن شهنندر والسيد مصطفى عبدالرزاق والسيد إبراهيم السقاف الزعيم العلوي الجاوي وميرزا مهدي رفيع مشكي بك ومحسن مشكي بك والدكتور فريد الرفاعي وعبدالرحيم عثمان بك والسكرتير العام

(١) نقلاً عن جريدة الأهرام ٢٧ - ١١ - ١٩٣٦ .

(٢) نقلاً عن جريدة الجهاد ٣ رمضان ١٣٥٥ الموافق ١٧ نوفمبر وجريدة

الأهرام ١٧ - ١١ - ١٩٣٦ .

للجامعة والنائب المحترم محمود همام حمادي بك وغيرهم .

وكان يستقبل المدعوين لفيف من حضرات أعضاء مجلس إدارة الرابطة نذكر منهم الدكتور محجوب ثابت والدكتور مظهر سعيد وصالح جودت والسيد عبدالمقصود خضر والأستاذ كامل زيتون سكرتير الرابطة والدكتور أحمد نشأت .

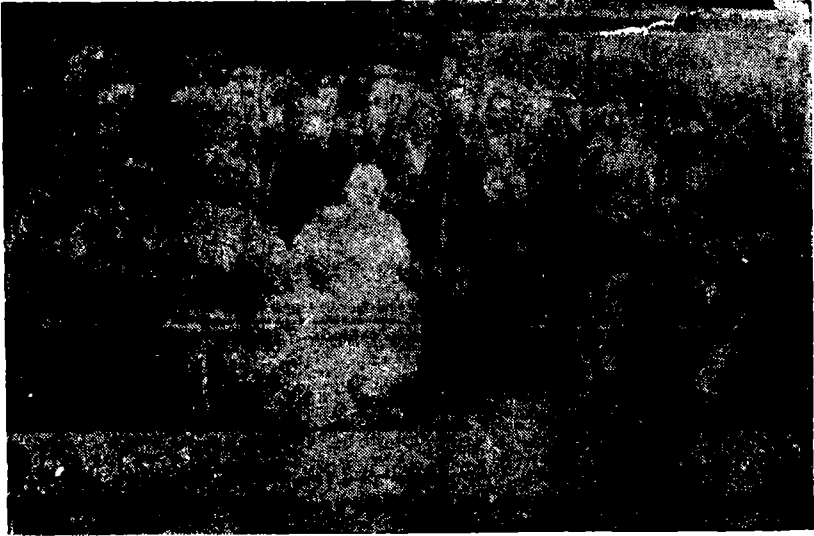
وبعد تناول الإفطار ألقى الأستاذ زيتون كلمة ترحيب بالفيلسوف الكبير بالنيابة عن الرابطة ضمّنها أغراض الرابطة وما ترمي إليه من توثيق العلاقات العلمية والاقتصادية والاجتماعية بين الأمم العربية ، ثم تفضّل الإمام الكبير الزنجاني وردّ عليه بكلمة طيّبة في كيفية توحيد الأمم العربية في مختلف أنحاء المعمورة شاكرًا للرابطة حسن حفاوتها وجميل إستقبالها ذاكرًا مايجب على الرابطة خصوصاً والمصريين عموماً نحو الوحدة العربية والارتقاء منها إلى الوحدة الإسلامية الشاملة وقال : إنّ العالم الاسلامي يتطلّع لمصر بصفتها المحور العام الأساسي للثقافة والاقتصاد والاجتماع .

فقبولت كلمة سماحته بالاستحسان والارتياح ، ثم انصرف المدعوون شاكرين للرابطة وسعادة رئيسها جميل حفاوتهم وعظيم إكرامهم .

كبير علماء الشيعة في بيت الأمة (١)

زار بيت الأمة أمس صاحب الفضيلة الشيخ عبدالكريم الزنجاني كبير علماء الشيعة وفي صحبته وزير إيران المفوض والسكرتير الأول وكازروني بك رئيس الجمعية الخيرية ووكيل الجمعية والأستاذ مؤدّب زاده وقد استقبله في بيت الأمة حضرة الأستاذ مأمون الريدي ، وبعد أن زار مكتب المغفور له الزعيم الخالد سعد زغلول باشا ومكتبته إستراحوا قليلاً في مكتب الرئيس ثم استقبلتهم حضرة صاحبة العظمة أمّ المصريين ، فقدّموا لعزيمتها تحياتهم وأعرب فضيلته عن

(١) نقلاً عن جريدة الأهرام ٢٨ - ١١ - ١٩٣٦ .



وفي هذه الصورة رى في الوسط الامام الاكبر الشيخ عبد الكريم

إصلاحية هامة دينية وعلمية ونوّه بعلم فضيلته وعظيم مقامه العلمي والروحي في تقديره لمواقف سعد الخالدة ورغبته في أن يزور ضريحه لأنّه عاضد المصلح الأكبر السيد جمال الدين في نهضته الإصلاحية فشكرت أمّ المصريين شعوره الكريم وكلف الأستاذ الريدي أن يرافقهم في زيارتهم للضريح وقد قصدوا الضريح وقرأوا الفاتحة ووضعوا على القبر الطاهر إكليلاً من الزهور .

تطوّر الفلسفة

خلاصة المحاضرة الفلسفية التاريخية التي ألقاها سماحة الإمام الحكيم

الزنجاني بدعوة عميد كلية الآداب في الجامعة المصرية (١)

غصّت قاعة الجمعية الجغرافية مساء أمس بالوافدين من الكبراء والعلماء والفلاسفة والأدباء لسامع محاضرة الفيلسوف الكبير فضيلة الإمام الشيخ عبد الكريم الزنجاني كبير علماء الشيعة عن :

دراسة الفلسفة الإسلامية في النجف وإيران

وفي منتصف الساعة الثامنة إعتلى منصّة الخطابة الاستاذ عبد الوهاب عزام فتكلّم عن تاريخ فضيلة الإمام الزنجاني ودراسته وغزارة علومه وقوّة إطلاعه وعلوّ كعبه في جميع العلوم بعبارة سلسلة وأسلوب جذّاب ، ثمّ ابتدأ الإمام الزنجاني محاضرته إرتجالاً وإنتهى منها بعد ساعتين وقد ملك على السامعين ألبابهم وإسترعى إعجابهم .

(١) نقلاً عن جريد الجهاد المصرية العدد ١٨٤٦ - ١٥ رمضان ١٣٠٥ - ٢٩ نوفمبر ١٩٣٦ ؛ وعن مذكّرات شهود العيان .

الإمام الزنجاني محاضر في كلية الآداب بالجامعة المصرية^(١)

المستشرقون والفلسفة الإسلامية

إنتهز صاحب العزة الدكتور طه حسين بك عميد كلية الآداب بالجامعة المصرية وجود العالم الأكبر فضيلة الأستاذ الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني بالقاهرة فدعاه باسم الجامعة إلى إلقاء محاضرة عن :

دراسة الفلسفة الإسلامية في النجف وإيران

فقبل الإمام الدعوة وفي منتصف الساعة الثامنة من مساء أمس كانت قاعة المحاضرات بالجمعية الجغرافية الملكية مزدحمة بالعلماء والكبراء والأدباء نذكر منهم حضرات أصحاب السعادة الوزراء المفوضين للحكومات الإسلامية في مصر وجعفر ولي باشا والأستاذ إبراهيم الهلباوي بك ومحمد بك رشدي والأستاذ عبدالرزاق السنهوري - عميد كلية الحقوق - وأساتذة الكليات وأساتذة دار العلوم وأساتذة كلية الآداب وطلبتها وفي طليعتهم عميد الكلية والأستاذ أحمد أمين ومصطفى عبدالرزاق - فضيلة شيخ الجامع الأزهر الآن - وعبدالحميد العبادي وكثير من أساتذة الفلسفة والحقوق والعلوم .

وقدّم الأستاذ عبدالوهاب عزام فضيلة الإمام الزنجاني المحاضر فذكر أنه تلقى العلوم الرياضية والمنطق والفلسفة وسائر العلوم العقلية والنقلية بإيران وبعد أن إستأثر بجميعها وبلغ درجة الإجتهد وصل إلى العراق وفاق فيها على المجتهدين وتولّى التدريس العالي النهائي في المعقول والمنقول بالنجف منذ أربعين عاماً ووصل بعد ذلك إلى الهند وفي هذا العام سافر إلى الشام فمصر لغايات العالم الاسلامي وأنه في طليعة مراجع تقليد الشيعة .

(١) نقلاً عن جريدة المصور المصرية في العدد ٦٣٤ وجريدة المصري في العدد ٥٠ وجريدة المصري في العدد ٥٠ - ١٥ رمضان ١٣٥٥ - ٢٩ نوفمبر ١٩٣٦ .



سماحة الإمام الشيخ عبد الكريم الزنجاني وهو يلقي محاضرة فلسفية
جامعة ، ويُرى إلى جانب المنصة وزير إيران المفوض وإلى جانبه جعفر
ولي باشا والأستاذة إبراهيم الهلباوي ومحمد بك رشدي وعبد الرزاق
السنهوري عميد كلية الحقوق وأحمد أمين والشيخ مصطفى عبد الرزاق
وعبد الحميد العبادي والعزام وغيرهم .

ثم شرع الفيلسوف الأكبر الإمام الزنجاني في إلقاء محاضراته إرتجالاً على أسلوب علمي دقيق لم يستطع مندوبنا غير أنه إختزل بعض مواضيعها :

فذكر سماحة الإمام الزنجاني أولاً أنه كان يرى أن يتحدث عن « الأدب والاسلام » وأنه يقصد من « الأدب » الموضوع الجامع لكل مطالب العقل والنفس وقواها وغرائزها وأنحاء أفعالها وألوان إنفعالاتها لكي يتضح من بيانه مقدار تأثير آداب الأمم في تكوين أخلاقها وتكييف عاداتها وترسيخ عقائدها التي تدفعها إلى أفعالها حسبما تقضي به القاعدة الفلسفية المبرهن عليها وهي : « إن العلول يستند إلى أسبق علله » وترتكز عليه تعاليم الدين الاسلامي الذي هو دين الآداب والأخلاق والفضيلة والسعادة المزدوجة ولأجل ذلك ينطبق على كل قابلية واستعداد ويلائم كل عاطفة وإحساس قال : وهذا هو السبب لتعريفنا علم الفقه الذي هو مجموع قوانين هذا الدين القويم بأنه : « آداب وتعاليم قررها الشارع الحكيم لترتيب الثواب أو العقاب عليها ، أو لتمييز الحقوق ، أو لحفظ سلسلة النظام » .

ولكن سماحته قبل أن يتحدث عن دراسة الفلسفة في النجف وإيران بناء على إقتراح الأستاذ العميد وأنه يحمل له في نفسه أسمى مقام .

ثم قال سماحته : نحن ندرس الفلسفة الإسلامية التي ربما يوجد فيكم من لا يدعن بوجودها ، لأن تاريخ الفلسفة الذي تدرسونه في كلياتكم إنتقل من العصرين الاغريقي والمسيحي إلى العصر الحديث قافزاً من القرن الرابع الميلادي إلى القرن السابع عشر ، ولم يعبأ بالعصر الاسلامي ، ومن الغريب كل الغرابة إجماع مؤرخي الفلسفة من الغربيين على الإغضاء عن الفلسفة الإسلامية التي هي حلقة غالية من سلسلة التفكير الانساني والحياة العقلية البشرية ، حيث أجمعوا على أن مدرسة الاسكندرية وهي الأفلاطونية الحديثة كانت آخر مصباح شمع نوره على العقلية البشرية ، ثم خبا فجمد بخبوه الذهن الانساني جموداً طال مداه أكثر من إثني عشر قرناً ، أي من القرن الرابع الميلادي إلى نهوض ديكارت وباكون في

القرن السابع عشر ، وإعتذر عنهم بعض الشرقيين بأنهم عنوا عدم الإبداع والإبتكار في الدور الاسلامي ، لأن الفلسفة الإسلامية لاتزيد على أنها نظريات يونانية بحتة ، ولذلك تقرأ في الكتب الغربية : إن العالم مدين بحرية الفكر لليونان وأن فضل العرب لم يكن إلا نقل الثقافة اليونانية وتسليمها إلى أوروبا ، وأن المسلمين لانصيب لهم من العلم إلا ترجمة كلام اليونانيين وتقليدهم في أهوائهم وأن العلوم الإسلامية مؤسسة منذ بدء نشأتها على علوم اليونان وأفكار اليونان بل على أوهام اليونان ، وأيد بعض الغفلة هذه العقيدة بأن كلمة الفلسفة كان أول من استعملها فيثاغورس أو هيرودوت أو كريسوس في وصيفة لصولون - أو ثيوكديدس في رثائه بركليس - حيث قال فيه : « نحن نتفلسف من غير أن تكون فينا أنوثة » مشيراً إلى أنهم أرباب عقول كما أنهم أرباب شجاعة .

ولكننا نعتقد بأن الفلسفة اليونانية كانت نوات الفلسفة الإسلامية التي إستوت شجرة باسقة فائمرت وأينعت وآت أكلها كل حين وعاشت أكثر من ألف سنة وستعيش إلى الأبد لأنها حقائق راهنة جديرة بالخلود ولايتطرق الزوال إلى جوهرها وإن تغيرت صورتها أحياناً جرياً على ناموس الارتقاء ، ونعتقد أيضاً بما إعتقد به المدققون من أن ديكارت وضع فلسفته على أساس ابن سينا وأيد المنصفون من علماء الغرب هذه العقيدة أمثال بروفيسور فورلاني وكيوم دوورني .

وهذا هو السبب في أننا ندرس الآراء الفلسفية اليونانية والمذاهب الفلسفية الحديثة لغرض المقارنة الدقيقة بين تلك الآراء وهذه المذاهب وبين مقررات الفلسفة الإسلامية .

وإنّي لأشكّ في أن منشأ ماجاء في تاريخ الفلسفة الغربي والأوهام الناشئة من دراسته هو الجهل بالفلسفة الإسلامية والغفلة عن أن الدور الإسلامي من أهم أدوار الفلسفة والتفكير البشري ، ولم يكن إنتاج الدور الإسلامي منحصرأ في إحياء بعض النظريات القديمة بل كان عهد الابتكار والنظريات الجديدة القيمة بإعتراف الغربيين .

وهل يتصور إبتكار أو إبداع أعظم مما صدر من فيلسوف الإسلام الخواجة نصير الدين محمد بن الحسن الطوسي في القرن الثالث عشر الميلادي من نقضه القاعدة اليونانية القديمة : « الواحد لا يصدر منه إلا الواحد » التي كانت آية ثابتة في الفلسفة اليونانية ، وقاعدة مسلمة في جميع أدوار الفلسفة إلى عصره ، وكانت مبنية عليها أسس الهيئة القديمة والمباحث الفلسفية الكثيرة كمباحث العقول العشرة وما يتبعها التي ضخمت بها الأساطير ، وإتسع فيها نطاق الكتب الفلسفية والرياضية ، فإنهار بنقضها أساس الهيئة القديمة قبل ولادة كوبرنيك وجاليليه بعدة قرون ، وأعجب ما في الأمر هو أن الطوسي فيلسوف الإسلام إتخذ من ملاك برهان إثبات القاعدة المذكورة دليلاً على نقضها .

وقرر أن العلية مطلقاً لا يمكن أن تكون بحسب ذات العلة - حسب أصول الفلاسفة - فلا بد في صدور المعلول الواحد أيضاً من حيثية العلية مضافة إلى الذات ، وعلى هذا الأساس الرصين إرتكز تنزيه هذا الفيلسوف العظيم الطوسي للمبدأ الأول « جلت آلائه » من الاتصاف بالعلية لأنها لاتصدق عليه بدون تحقيق المعلولية ، فالطوسي يرى أن إتصاف ذات الله - سبحانه وتعالى - بالعلية نقص في حقه تعالى فجعل العلية صفة لأمره تعالى الوارد ذكره في قوله تعالى : ﴿ وما أمرنا إلا واحدة ﴾ وفي قوله تعالى : ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ وإنتهى إلى التنزيه المحض والتوحيد الصرف ، وللطوسي (قدس سره) في هذا المقام كلام دقيق أرق من النسيم إذا سرى يقف اللسان عن نشره وشرحه وقوفاً عند قول بعض العرفاء : « إفشاء سر الربوبية كفر » .

وهل يوجد إبتكار أبعد من نظرية الحركة الجوهرية التي هي أساس مبدأ التحول والتطور وناموس النشوء والإرتقاء بأصح المعاني وقد اكتشفها الفيلسوف العظيم صدر الفلاسفة المتأخرين محمد بن إبراهيم في القرن السادس عشر الميلادي وقررها على أساس برهاني متين واثقاً من كونها حقيقة راهنة فاتخذ منها برهاناً على إثبات الصانع ودليلاً على حدوث العالم وكان ذلك قبل ثلاثمائة سنة من ولادة دارون في سنة ١٨٠٩ م وزملائه الذين نسبت إليهم هذه النظرية التي فسروها

بمعنى محدود قاصر لا يساعد عليه برهان ، ولا تدعمه تجربة صحيحة ، فأتخذ منها شبلي شميل وغيره سبيلاً إلى الإلحاد وإنكار الصانع لأنهم لم يصلوا إلى حقيقتها الصحيحة البرهانية ، وقد اعترف دارون بذلك وقال في كتابه أصل الانسان : إن كثيراً من الآراء التي بسطتها تخمينية للغاية ولا أشك في أنه سيتضح فساد بعضها بالبرهان القاطع ولكنني قد أوضحت الأسباب التي ساقني إلى التمسك برأي دون رأي . إنتهى .

وكانت الحركة لدى جمهور الفلاسفة اليونانيين والإسلاميين لاتقع إلا في أربع مقولات عرضية وهي مقولات : الكم والكيف والأين والوضع ، فقرّر صدر المتألهين وقوع الحركة في مقولة الجوهر أيضاً بأن يكون الجوهر الذي هو الطبيعة والصورة النوعية متجددة بالذات أي بالوجود والهوية لا بالماهية وموضوع الحركة الجوهرية هو المادة والهيولي المتحصلة بصورة ما ، فجاز أن تبدّل عليها خصوصيات الصور فتكون هي ما فيه الحركة مع بقاء الهيولي بشخصها بصورة ما .

هذا مضافاً إلى أن جماعة من فلاسفة الإسلام أمثال ابن مسكويه وابن خلدون و اخوان الصفاء سبقتهم أيضاً إلى القول بنظرية التطور بالمعنى الصحيح ، ولذلك قال الأستاذ دريبر الأمريكي في كتابه المنازعة بين العلم والدين : إن مذهب النشوء والارتقاء للكائنات العضوية الذي يعتبر مذهباً حديثاً ، كان يدرس في مدرسة العرب المسلمين وقد كانوا ذهبوا منه إلى مدى أبعد مما وصلنا إليه بتطبيقه على الجامدات والمعادن أيضاً . . . الخ .

ثم كيف يجوز إغضاء المؤرخ عن العصر الإسلامي وقد نبغ فيه المعلّم الثاني أبو نصر الفارابي كما نبغ المعلّم الأوّل أرسطو طاليس في العصر اليوناني ، وألف الفارابي في الفلسفة مئة وثمانية وعشرين كتاباً ولخص في كتابه التعليم الثاني تراجم الفلسفة اليونانية ، وهذبها تهذيباً جعلها منتجة ، وصار كتابه إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها أساساً لوضع دوائر المعارف الأوربية .

وكيف ترمي الفلسفة الإسلامية بأنها نظريات يونانية ؟ وقد صرح رئيس

فلاسفة الإسلام ابن سينا في كتابه الحكمة المشرقية بأنه وصله من غير جهة اليونانيين علوم ، وعبر عن أتباع المشائين من اليونانيين بالخشب المسندة ، ونعتهم بالعاميين من المتفلسفة المشغوفين باليونانيين والظانين أن الله لم يهد سواهم ، ثم أخذ الرئيس في تمحيص آراء أرسطا طاليس ونقدها مع إعترافه بفضلها وأن صنيعه أقصى ما كان ممكناً في عصره ، وابتدأ بمحاكمة أرسطا طاليس وأتباعه وشرع في تنقيح آراء اليونانيين فحكم عليهم واثقاً بصحة قضائه العدل ومصرحاً بأنه لم يحاول الحكم عليهم في أوائل أمره بل تريت طويلاً ولم يترجع على منصة القضاء والحكم إلا بعد أن أحاط في ريعان حياته بجميع ما أورثه اليونانيين من العلوم بدقة لا مزيد عليها ، وأحاط أيضاً بعلوم غير اليونانيين وإنتهى أمره إلى حيث وصفه الرئيس نفسه بهذه العبارة : « وإذ وجدنا صورتنا هذه فبالحرى أن نتق بأكثر ما قضينا وحكمنا به واستدركناه ولا سيما في الأشياء التي هي الأغراض الكبرى والغايات القصوى التي اعتبرناها وتعقبناها مثلاً من المرات ، ولما كانت الصورة والقضية على هذه الجملة أحيينا أن نجتمع كتاباً يحتوي على أمهات العلم الحق الذي إستنبطه من نظر كثير وفكر ملياً ولم يكن من جودة الحدس بعيداً ، وما جمعنا هذا الكتاب لنظهره إلا على أنفسنا - أعني الذين يقومون مقام أنفسنا - وأما العامة من مزاويل هذا الشأن فقد أعطينا في كتاب الشفاء ما هو كثير لهم وفوق حاجتهم . . . الخ » .

ووصف الرئيس كتابه بهذه العبارة : « فقد نزعنا الهمة بنا إلى أن نجتمع كلاماً فيما يختلف أهل البحث فيه لانتلفت فيه لفت عصبية أو هوى أو عادة أو إلف ولا نبالي من مفارقة تظهر منا لما ألفه متعلموا كتب اليونانيين إلفاً عن غفلة وقلة فهم ، ولما سمع منا في كتب ألفناها للعاميين من المتفلسفة المشغوفين بالمشائين . . . الخ » .

وألّف ابن سينا كتابه الانصاف للحكومة بين الشرقيين والغربيين ، وهذه هي الفلسفة الإسلامية التي يحاول الجاهلون بها من أعداء الإسلام إنكارها وتسجيلها نظرات يونانية بحتة وإنّها دوّنت لتأييد قواعد الإسلام فلم يفرّقوا بين

هذه الفلسفة التي يكون البحث فيها جارياً على قانون العقل سواء وافق الإسلام أو خالفه وبين علم الكلام الذي يكون البحث فيه جارياً على قانون الإسلام ، وما علينا في هذه العجالة إلا أن نحيلكم إلى بيان لهذه الحقيقة أدليته في كليات الأزهر الشريف :

تطوّر الفلسفة

وربما ظهر لكم من بياني الموجز أنّ الأساليب المختلفة التي أحدثتها الفلسفة في غضون تطوّرها في مختلف القرون والأجيال يصحّ أن تكون موضع نظر مستقلّ خاص بها في دراسة الفلسفة ، وهذا هو الذي حدا بي إلى تأليف كتاب تطوّر الفلسفة وبيّنت فيه أن أسلوب الفارابي في التأليف والتدريس كان دقيقاً واضحاً لا يشوبه غموض أو تعقيد . ويشهد بذلك اعتراف ابن سينا بأنّه يشس من فهم أغراض مابعد الطبيعة بعد أن أعاد قراءته أربعين مرّة ثمّ صادف كتاب الفارابي في أغراض مابعد الطبيعة وبقرائه لأول مرّة انفتح له أغراض ذلك الكتاب ، وحاول الفارابي أن يجمع بين رأيي أرسطو وأفلاطون وكان ذلك مبدأ التطوّر في الفلسفة .

وكان أسلوب ابن سينا التحليل النقدي للمشكلات الفلسفية وتنمية روح البحث العلمي في الميدان الفلسفي وكانت تتخلّل محاضراته مناقشات حادة من بعض تلامذته مثل بهمنيار ولكنّه في مؤلفاته عني بصوغ معضلات الفلسفة في قوالب الرموز وهذا أوجب زيادة التشكيكات حتّى بلغت أقصى درجاتها في عصر الرازي ولكنّ الله قيّض بلطفه فيلسوف الإسلام نصير الدين الطوسي فأحى الفلسفة بأسلوبه الأنيق الواضح الدقيق بعد أن أوشكت إلى الفناء والاضمحلال من جرّاء تشكيكات الرازي وأتضح من بيانه في شرح الاشارات أن تشكيكات الرازي كانت ناشئة من عدم إدراكه مقاصد الفلاسفة فتطوّرت الفلسفة في عصره تطوّراً منقطع النظير ثمّ أكمله العلامة الحليّ مفخرة العراق ونابغة المسلمين

حسن بن يوسف بن المطهر الحلي الذي لم تزل آثاره المشعشة لامعة حتى الآن .
ثم عاد الغموض مرة ثانية إلى مناهج التأليف والتدريس في الفلسفة في عصر
الفيلسوف الأعظم السيد الداماد الملقب بالمعلم الثالث ولم يلبث مدة وجيزة حتى
نهض في حياته تلميذه النابغة صدر المتألهين ببحث عام في الفلسفة وتخطى الحدود
الضيقة للآراء الشخصية ووضع أمام الباحثين صورة واضحة للفلسفة برمتها ،
واستخدم كل ما لديه من الأساليب البليغة الجذابة في تدعيم نظرية جديدة في
الفلسفة تكون خالية من التناقض ، وبين جميع ما قال به الفلاسفة وألم
بالمصطلحات الفلسفية المرموزة شارحاً أسباب اختلاف المذاهب الفلسفية ،
وآلف كتابه الكبير الأسفار عالج فيه المذاهب الفلسفية المختلفة والنظرات المتباينة
التي قال بها كل فيلسوف يوناني أو إسلامي معالجة بعيدة عن روح التحيز ، وأثبت
ناموس النشوء والارتقاء بإكتشافه الحركة الجوهرية ، وأعطى صورة شاملة
مفصلة لا عن حالة التفكير الفلسفي في عصره وفي الدور الإسلامي فحسب بل
عن الفلسفة في جميع أدوارها وشق لنفسه طريقاً وسطاً بين الطريقتين الاشراقية ،
والمشائية ، ووصل - على ضوء نظريته الممتازة بمميزات عظيمة - إلى حل المسائل
الأساسية في أقسام الفلسفة حلاً يدفع بأي باحث قادر على التفكير الحر المستقل
إلى إختيار الحلول التي تبدو في نظره راجحة في معضلات الفلسفة ولأجل ذلك
صارت مؤلفاته ولم تزل من أهم كتب دراسة الفلسفة في الدرجة النهائية في العراق
وإيران وتجلى هذا التطور الفلسفي الذي أحدثه صدر المتألهين في مؤلفات
الفيلسوف الأكبر الشيخ محمد هادي السبزواري التي احتوت على لباب مطالب
صدر المتألهين والصفوة الناضجة من آرائه العالية على كيفية التلخيص والتدقيق
وقررت مؤلفات السبزواري من كتب الدراسة في الدرجتين المتوسطة والعالية .

ويختلف ترتيب مواد الدراسة في الدرجات في المنهاج الحاضر حيث تبدأ
الدراسة العالية بالفلسفة الإلهية العامة وتسمى بالفلسفة الأولى والعلم الإلهي
الأعلى ثم العلم الإلهي الخاص أثولوجيا الباحث عن الحقائق العامة والإلهيات
التي تقتضيها الفطرة الإنسانية وغريزة الشعور الديني ويقضي بها أشرف القوى

الانسانية وهو العقل ، لا عن دين من الأديان الإلهية بعينه كما زعمه بعض الفلاسفة الغربيين ومقلدوهم من الشرقيين ، فقالوا : إنّ أثولوجيا علم خاص وليس فلسفة عامة ، وتنتهي الدراسة العالية إلى الفلسفة الطبيعية التي تبدأ بها الدراسة الابتدائية والدراسة المتوسطة ، لأنها تبحث عن أقدم الأشياء بالقياس إلينا ، ولأجل ذلك كان القدماء يتبدؤون بها حتى في الدراسة العالية النهائية وفي جميع مؤلفاتهم إلّا أنّ المتأخرين من الفلاسفة قرّروا في منهاج الدراسة العالية أن يبدأ بالعلم الإلهي العام ، لأنه يبحث عن أقدم الأشياء بالنسبة إلى نفس الأمر ، إذ تعرف فيه الأمور العامة ومباحث الوجود وأحكام العدم فمباحث الحدوث والقدم ومسائل الفعل والقوة ثمّ مباحث الماهية فمباحث الوحدة والكثرة وأحكام التشخيص فمباحث الجواهر والأعراض .

ونحن حينما نبحث في العلم الإلهي عن آراء نظرية مجرّدة نبحث أيضاً عن التطوّرات الحادثة بعد أن وضع وليم جيمس فلسفة الذرائع البراجماتية المتمركزة على الاهتمام بالحاضر من صنيع الزمن ، وصرف النظر عن الماضي والمستقبل ، وهذه الفلسفة لتسجيلها أنّ حقيقة الكائنات ليست في مادّتها وجوهرها ، بل في أثرها في حياة الفرد والمجتمع ، ذلك الأثر الذي قد يكون روحياً ناسب أن يكون البحث عنها في الفلسفة الإلهية العامة ، ولكنّ البحث عن المذهب المادي الحديث لا يناسب سوى الفلسفة الطبيعية .

ونحن نبحث في أثولوجيا عن معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله الإبداعية والإختراعية والتكوينية فكيفية ربط الحديث بالقديم فعالم المثال والمثل الأفلاطونية ، وأصول تعاليم الفلسفة الطبيعية في منهاج الدراسة عندنا ثمانية علوم :

١ - علم السماع الطبيعي ، ويسمّى بسمع الكيان ، ويبحث فيه عن الأحوال العامة للجسم الطبيعي ، ومبادئ التغيرات كالزمان والمكان والنهاية واللانهاية ، والسكون ، والحركة ، وأقسامها من الأبنية والوضعية والكمية ،

والكيفية ، والجوهرية ، والطبعية والإرادية ، والقسرية والعرضية .

٢ - علم السماء والعالم وفيه تعرف الأجسام البسيطة ، والمركبة ، والحكمة في صنعها ونضدها وجمال نظام العالم وأحكام البسائط العلوية والسفلية وتجوهر الأجسام وأجزاء الجسم الطبيعي العنصرية والمقدارية ومباحث الهوى والصورة والجزء الذي لا يتجزأ والأجزاء الصغار الصلبة لـ ديمقراطيس - ديموكريت وأنها تختلف عن الجزء الذي لا يتجزأ الذي وضعه لوقبوس قبل ديمقراطيس مع مقارنتها بالآراء الحديثة المذهب المادي العملي والمذهب المادي النظري والمذهب المادي الوصفي والمذهب المادي العلي والمذهب المادي التكافؤي وآراء المثاليين والماديين وفي منهاجنا نهتم بالفلسفة المادية الديالكتيكية التي توسّع فيها كارل ماركس وفريدريك انجلز وتبهما لينين .

٣ - علم الكون والفساد ، ويعرف فيه الأركان والمادة والقوة والعناصر وكيفية تكوّن المواليث الثلاثة وتبدّل الصور على المادة الواحدة وطبقات الأرض . . . الخ .

٤ - علم الآثار العلوية ، ويبحث فيه عن كائنات الجو من السحب والأمطار والثلوج والنرعد والبرق وقوس قزح والهالة وحوادث الحرّ والبرد والحوادث الأرضية من الزلزلة وكيفية التوليد والتوالد وإنتفاع الأجسام الأرضية من أشعة السماويات في نشأتها وحياتها واستبقاء الأنواع مع فناء الأشخاص .

٥ - علم المعادن ، ويعرف فيه المركبات وكيفية تركيبها وبين فيه الرأي الحديث القائل أنّ المعادن السبعة ليست مركّبة من العناصر مع المقارنة بينه وبين الرأي القديم .

٦ - علم النبات ، وتعرف فيه الأجسام النباتية والنفس النباتية وقواها ويعلم أنّ عالم النبات متوسط بين عالمي الجهاد والحيوان ومحقق لناموس النشوء والارتقاء .

٧ - علم الحيوان ، وتعرف فيه الأجسام المتحركة بالحركة الإرادية ومبادئ

حركاتها ونفوسها وقواها وتناسلها .

٨ - علم النفس ويعرف فيه الإنسان وأحوال النفس الناطقة الإنسانية وكيفية تدبيرها وتصرفها في البدن وتجردّها وقواها وأنها في وحدتها كلّ القوى وإبطال التناسخ بأقسامه الأربعة من النسخ والمسخ والرسخ والفسخ .

وتكلّم فضيلته في هذه العلوم والمباحث طويلاً ثم ذكر علوماً كثيرة وقال :
إنّها فروع لعلوم الفلسفة الطبيعية كعلم الطبّ وعلم الصناعة وعلم الفلاحة وعلم أحكام النجوم وعلم الكيمياء وفيه يعرف تبديل قوى الأجسام المعدنية بعضها إلى بعض لتوليد قسم خاص .

وعلم السيمياء وهو علم الخيالات ويقتدر به على إراءة مشالات خيالية لاحقيقة لها في الخارج ، وعلم الليمياء ويعرف به تمزيج القوى العالية بالسافلة المنفعلة لأحداث فعل غريب .

وعلم الهيمياء ويعرف فيه أحوال السيارات وتأثير الفواعل العلوية في القوابل السفلية وتسخير الروحانيات والعزائم والدعوات .

وعلم الريمياء وهو علم الشعوذات ومزج القوى الأرضية بعضها ببعض لإيجاد قوّة منها تحدث فعلاً غريباً .

ثم قال المحاضر : إنّ الطالب لا يشرع في الفلسفة إلّا بعد إتقانه للعلوم العربية والأدبية وبعد تهذيب أخلاقه ثمّ يبدأ بدراسة العلوم الرياضية المعدودة من أقسام الفلسفة النظرية ، وهي العلوم التي مبادئها قريبة من الإحساس ، وأحكامها تصدق صدقاً عاماً لا يحتمل النقيض ، ولذلك أسماها القدماء علوم التعاليم وقرّروا أن يبدأ طالب الفلسفة بدراستها تمريناً لذهنه ، وإعداداً له لدراسة الفلسفة ، وأخذها بعضهم المثل الأعلى الذي يجب أن تحتذيه العلوم في أبحاثها ، وأصول العلوم الرياضية أربعة علوم ، وهي : الحساب والهيئة والهندسة ، وعلم التأليف ، الذي من أنواعه الموسيقى ، وقالوا في سبب حصرها

في الأربعة : أنّ موضوع كلّ من هذه العلوم هو الكم وأنواع الكم منحصرة في أربعة : الكم المتصل القار - الساكن - أي الجسم والسطح والخط ، وهو موضوع علم الهندسة الجومطريا والكم المتصل غير القار وهو موضوع علم الهيئة الأسطرونوميا والكم المنفصل معن النسبة التأليفية وهو موضوع علم التأليف ، والكم المنفصل بدون نسبة تأليفية - العدد - وهو موضوع علم الحساب .

ثمّ تفنّن الإمام المحاضر كثيراً في بيان تفاصيلها ، وذكر علوماً كثيرة إعتبرها القدماء فروعاً لهذه العلوم الرياضية ، منها علم المرايا والمناظر ، وعلم جرّ الأثقال ، والجبر والمقابلة ، والمجسطي الجغرافيا ، وعلم المساحة ، علم عقود الأبنية ، وعلم مراكز الأثقال ، وعلم استنباط المياه والزيجات ، ومعرفة الاسطرلاب والربع المجيب ، ومعرفة التقاويم ، والنيرنجات ، وعلم الأوفاق ، والزائجة ، والجفر ، والتكسير ، وعلم الحروف ، وعلم الرمل ، وعلم خواص الأعداد ، وعلم الحساب المفتوح ، وعلم التعابي ، وعلم الأرصاد ، وعلم الآلات الظليّة ، وعلم صور الكواكب ، وعلم المسالك والممالك ، وعلم المزاوّل ، وعلم الآلات الحربية ، وعلم الآلات الروحانية ، وعلم الأوزان والموازين ، وعلم عقد الأنامل ، وهذا الأخير من مختصّات العرب وكان متداولاً عندهم في الجاهلية وبعد الإسلام وفي الحديث : « أسلم أبو طالب بحساب الجمل فعقد بيده ثلاثاً وستين » وليست دراسة هذه الفروع من الضروري بل من الكماليّات .

ثمّ قال الإمام المحاضر : إنّ منهاجنا لا يسمح للطالب أن يتبدأ بالفلسفة إلّا بعد أن يكمل دراسة علم المنطق النهائية ، ولدراسته عندنا درجات ثلاث ، الابتدائية والمتوسطة والنهائية ، ومجموعها حاوية لتاريخ المنطق ولحقائق عناصره وأقسامه الكثيرة التي ظهرت بأسماء جديدة في العصر الحديث ، كالمنطق السيכולوجي ، والمنطق الستيمولوجي ، والمنطق الرياضي ، والمنطق الصوري البحث ، فإنّ الطالب قبل أن يخوض في المقاصد يدرس الرؤوس الثمانية فيعرف فيها أن أرسطا طاليس هو مؤلف المنطق ومهذّبه وهو أوّل من وضع علم المنطق

بصفة العلم المستقل وصنّف أبوابه ومسائله تصنيفاً علمياً دقيقاً بأمر الإسكندر الذي بذل له مكافأة مقدارها خمسمائة ألف دينار ، وأدرّ عليه في كلّ سنة مائة وعشرين ألف دينار وكانت مسائل المنطق قبل أرسطا طاليس عبارة عن مناقشات في كيفية حصول التصورات في الذهن وبحوثاً في التعريفات وطريقة الاستدلال القياسي حسبها صرّح به أرسطا طاليس حيث قال :

إنّا ماورثنا عمّن تقدّمنا في الأقيسة إلّا ضوابط غير مفصّلة وأمّا تفصيلها وإفراد كلّ قياس بشروطه وضروبه ، وتمييز المنتج عن العقيم إلى غير ذلك من الأحكام فهو أمر قد كدّدنا فيه أنفسنا وأسهرنا أعيننا حتّى إستقام على هذا الأمر ، فإن وقع لأحد ممّن يأتي بعدنا فيه زيادة أو إصلاح فليصلحه ، أو خلل فليسدّه . . . الخ .

وقال الشيخ الرئيس ابن سينا : انظروا معاشر المتعلّمين هل أتى بعده أحد زاد عليه ؟ أو أظهر فيه قصوراً أو أخذ عليه مأخذاً مع طول المدة وبعد العهد ؟ بل كان ما ذكره هو التأمّ الكامل والميزان الصحيح والحقّ الصريح . . . الخ .

وكان الرئيس يسمّي المنطق خادم العلوم إذ ليس مقصوداً في نفسه بل وسيلة إليها فهو الخادم لها ، ونعم العون على إدراك العلوم كلّها ، وكان الفارابي يسمّي رئيس العلوم الآخر بأسرها لنفاذ حكمه فيها فيكون رئيساً حاكماً عليها ، وكلا النظريين صحيح لإختلاف الإعتبار .

وبعد معرفة تاريخ المنطق يشرع الطالب في معرفة القوى المدركة في الإنسان ومعرفة الوظيفة التي تؤدّيها كلّ قوّة من قوى الإدراك أو في إمكانها أن تؤدّيها ، وكيفية حصول صور الأشياء فيها وما به يفترق العلم الحسولي من العلم الحضورى ، وتقسيم العلم الحسولي إلى تصوّر وإلى تصديق مقتصرّاً بالمقدار الذي يتوقف عليه الشروع في المقاصد ، وهذه هي الناحية السيكلولوجية في المنطق ، وبعبارة أخرى إنّ في علم المنطق يبحث عن العلم من حيث العلوم وحصوله ، وأمّا في علم النفس فيبحث عن العلم من حيث العالم ومن حيث

صدوره أي العمليات العقلية التي بها يحصل العلم .

وكذلك يبحث في المنطق عن الإدراك الحسيّ وكيفيته ، والإدراك العقلي وأنحاء ، ويبيّن فيه أنّ المعلوم بالذات - أي بلا واسطة - هو الصورة الحاصلة عند العقل ، وأمّا ذو الصورة فهو معلوم بالعرض - أي بواسطة الصورة - .

وهذه هي الناحية السيمولوجية في المنطق المرتكزة على نظرية المعرفة لا ماتوهمه جون لوك .

ثمّ يشرع في مقاصد علم المنطق ، وهي تسعة أبواب ، ووجه الحصر أنّ البحث في المنطق إمّا عن مقدّمات الموصل ، وإمّا عن نفس الموصل ، والموصل إمّا تصوّري وإمّا تصديقي ، فالبحث عن مقدّمات الموصل التصوّري باب الكليات الخمس ويقال لها إيساغوجي والبحث عن نفس الموصل التصوّري باب الحدود والرسوم والبحث عن مقدّمات الموصل التصديقي باب القضايا ويقال لها باريير ميناس والبحث عن نفس الموصل التصديقي إمّا من حيث صورته فهو باب القياس ويقال له أنولوطيقا الأولى وهذه ناحية المنطق الصوري البحث ، وأمّا من حيث مادّته فهو خمسة أبواب تسمّى الصناعات الخمس وهي باب البرهان ويقال له أنولوطيقا الثانية و باب الجدل ويقال له طوربيقي و باب المغالطة ويقال له السفسطة و باب الشعر و باب الخطابة .

وبما أنّ المسلّمات في المنطق أنّ الحدّ لا يكتسب بالبرهان ولا بالضدّ ولا بالقسمة ولا بالإستقراء ، وإمّا يقتنص الحدّ بالتركيب ، فيجب على متصدّي التعريف الحدّي شيء أن ينظر إلى أشخاصه أنّها من أيّ جنس من الأجناس العالية أي المقولات العشر فياخذ جنسها العالي وفصولها البعيدة والقرية لينتظم منها الحدّ ولأجل ذلك جعل أرسطا طاليس باب المقولات العشر قاطيغورياس من أبواب المنطق تسهيلاً للأمر على المتعلّمين لما في الحوالة إلى فن آخر من الصعوبة ، وقرّر محله في ترتيب الأبواب أن يكون بعد الأيساغوجي ، ولكنّ في الدور الإسلامي جعلوا قاطيغورياس من مباحث الفلسفة وحذفوها عن أبواب

المنطق لعدم الحاجة إليه في تعليم المنطق وأضيف إليه أبواب مهمة .

وينبغي أن يعلم أنّ اقتناص الحدّ من التركيب لا يوجب تركيب المحدود وإن كان الحدّ عين المحدود إذ التفاوت بالإجمال والتفصيل إنّما هو في الملاحظة لا : في الملحوظ ، وأجزاء الحدّ تؤخذ من الماهية البسيطة بالتعلم العقلي لإمكان أخذ المعاني الكثيرة من ذات واحدة بمختلف الإعتبار .

واستعمل القدماء في بارير میناس حروف الهجاء رموزاً للتعبير عن موضوعات القضايا وممولاتها لغرض الاختصار ولئلاّ يشغل ذهن المتعلّم بالأُمور الخارجة عن أغراض المنطق في مرحلة التعليم إقتباساً من علم الهندسة ، فاستغنوا بذلك عن الأداة الدالّة على النسب أيضاً كقولهم كل ج ب ، وهذه هي الناحية الرياضية للمنطق ، فانتقل الأستاذ بول من هذا إلى تنظيم المنطق الرياضي أو المنطق الرمزي فأراد فيه أن يعبر عن النسب التصديقية بعلامات رمزية فكان يرمز للقضية الحملية في جميع أنواعها بهذه الصورة $A = B$ ، حيث تدلّ العلامة $=$ على التكافؤ في المصداق بين الطرفين أ و ب ، وتدلّ العلامة $()$ في وسط $=$ على دخول مصداق أ في مصداق ب .

وأما الأستاذ فتجنا نشيتاين فهو يعتبر الأسس الرمزية « دوال الصواب » وعنده أنّ قضية (أ) مثلاً ترمز للقضية المناقضة لها بهذه الصورة $(A -)$ ، وإذا كانت (أ) صحيحة كانت $(A -)$ خطأ .

ومن الواضح أنّ هذه الرموز ناقصة إذ لا يمكن التعبير بها عن التصورات ولا عن الإستقراء ، وليس لها فائدة ولا قيمة ، فإنّ الداعي إلى إتخاذ هذه العلامة وإستعمال هذا الرمز إمّا رعاية الإختصار فهو محلّ والتعبير بعلامة القدماء أخصر وأسدّ ، وإمّا الدقة فلانجد فرقاً بين هذه العلامة وبين التصريح اللفظي ، بل يتطلّب المنطق الرياضي تعلّم الأساليب الرمزية زيادة على تعلّم أساليب المنطق اللفظي المتعارف فتتضاعف صعوبة الدراسة .

وأما مبحث القياس أنولوطيقا الأولى فهو ناحية المنطق الصوري البحت

وبيّن فيه الأصول الصورية للفكر التي بها تستقيم صورة القياس ، وفي هذا القسم الصوري من المنطق لا ينظر في عنصر الفكر ومادة القياس ولا في صور التفكير في العلوم إلّا بالعرض وبالنظر الثانوي ويوصف فيه التفكير العلمي على ما يجب أن يكون عليه ومطابقاً للقوانين المنطقية التي يجب أن يفكر الإنسان بمقتضاها حتى يكون فكره صحيحاً حينما يبحث في أنولوطيقا الثانية وسائر الصناعات الخمس عن مادة القياس وعنصر الفكر أولاً وبالذات .

وفي الدرجة المتوسطة يتوسّع في دراسة أقسام القياس بحسب مادّته وبحسب صورته ، ومعرفة لوازم المتّصلات والمنفصلات وأصول المطالب العلمية من الماثية والهلية واللمية وفروعها .

ومن كتب الدراسة في هذه الدرجة كتاب الجوهر النضيد وكتاب شرح المطالع وكتاب شرح اللثالي المنتظمة .

وفي الدرجة النهائية تدرس أقسام القياس كلّها ويتوسّع في دراسة أقسام البرهان أنولوطيقا الثانية وأنحاء الذاق والعرضي وتفصيل سائر الصناعات الخمس ، وأساليب الجدل طوربيقي وأنواع المغالطة السفسطة من إيهام الإنعكاس ، والمصادرة على المطلوب ، وأقسام اشتراك اللفظ ، وسوء التأليف وسوء التبكيث ، وسوء إعتبار الحمل ، وتركيب المفصل ، وتفصيل المركّب ، ووضع مالميس بعلّة علّة وأخذ ما بالعرض مكان ما بالذات وغيرها .

ومن كتب الدراسة في هذه الدرجة كتاب منطق الشفاء وكتاب منطق شرح الاشارات للطوسي وكتاب منطق شرح حكمة الإشراق وفي هذه الدرجة النهائية يبيّن أن الموازين الواردة في القرآن الكريم في الأصل ثلاثة : ميزان التعادل ، وميزان التلازم ، وميزان التعاند ، أمّا ميزان التعادل فأقسامه ثلاثة : التعادل الأكبر وهو الميزان الأكبر الذي إستعمله خليل الله (عليه السّلام) مع عمروود كما جاء في قوله تعالى : ﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ .

والتعادل الأوسط وهو الميزان الأوسط الذي إستعمله الخليل (عليه السّلام)

حيث قال : لا أَحَبَّ الْآفِلِينَ .

والتعادل الأصغر وهو المستعمل في قوله تعالى : ﴿ وما قدرُوا اللهَ حقَّ قدره إِذْ قالُوا ما أَنزَلَ اللهُ على بَشَرٍ من شَيْءٍ ﴾ .

وأما ميزان التلازم فهو المستعمل في قوله تعالى : ﴿ لو كان فيهما آلهة إِلاَّ اللهُ لفَسَدَتِا ﴾ وفي قوله تعالى : ﴿ قل لو كانوا هؤُلاءِ آلهة ماوردوها ﴾ .

وأما ميزان التعاند فموضوعه في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض قل اللهُ وإنا أوْ إياكم لعلى هدى أوْ فى ضلال مبين ﴾ .

أُسلوب الدراسة

وأما أُسلوب دراسة الفلسفة عندنا فنحن نبدأ ببيان مراد المؤلف حسبما وصل إلينا باتصال سند دراستنا إليه وإن كان عصره بعيداً عن زمننا ، ثم نستشهد على مراده ممَّا سجَّله في سائر مؤلفاته - إن تعددت مؤلفاته - ثم نبين آراء سائر الفلاسفة القدماء والحديثين في موضوع الدرس وماوصلنا من أدلتهم وبراهينهم عليها ونفارق بينها وننقد ما يستحقُّ النقد منها ونزيد عليها من الحقِّ الذي يجب أن يتَّبَعَ وأخيراً نصهر الكلَّ في تركيب رصين يندر جداً مثله في دروس الفلسفة من حيث السعة والتماسك فيكون فكراً يفرض نفسه على الفكر العالمي ويحدث أثره القويم في توجيه الثقافة العالمية - إن إستطعنا نشره في العالم - بتوفيق الله تعالى ، ثم نبين الحقَّ الذي يجب أن يتَّبَعَ حتَّى ينتهى الطالب إلى الحقيقة الناصعة ، وللتلميذ حقَّ المناقضة والإعتراض بكلِّ الحرية .

وهذا المنهاج يختلف حسب اختلاف مراتب الدراسة من الابتدائية والمتوسطة والنهائية ، ونستعمل أُسلوب المحاضرة في قسم خاص من النهائية .

ثم قال الإمام الزنجاني : اسمحوا لي أن أستعمل التقاليد الأمريكية في محاضرتي وأستطرد بعض الكلام عن مناسبات موضوع المحاضرة .

في عصور التفتُّح العلمي والعقلي والسياسي في الشرق العربي أُعتبرت الفلسفة عدوًّا للدين ، وأدَّى ذلك إلى تحريم دراستها في المعاهد الدينية ومراكز الثقافة حتَّى فيما تعلَّقَ منها بعلم الكلام - سوى معاهد الثقافة في طهران عاصمة إيران ، ومعاهد النجف الأشرف - وأخذت مصر بقسط وافر من ذلك التحريم ، ولكن كانت صدور بعض النابهين من رجال الدين والعلم في القاهرة تحمل أثراً ضئيلاً من علاقة الدين بالفلسفة وبقايا التراث الفكري العربي الإسلامي ، وهذا الأثر على قلَّته وعلى كثافة الحجب التي أحكمها عليه ضيق الفكر والتعصب والجهل بقيت شعلته تتأجج ، فساعدت على تهيئة الوسط المناسب لفيلسوف الشرق السيّد جمال الدين ، فوجد في بعض أساتذة الأزهر وبعض رجال مصر إستعداداً لقبول أفكاره التجديدية وتبشيره بالإصلاح العقلي ، ووجد أيضاً أن مذهب النشوء والارتقاء يضمّ تحت لوائه عدداً غير قليل من الناشئين لأنّ هذا المذهب يستهوي العقول التي لم تتعرّف إلى ضروب أخرى من التفكير الفلسفي العميق ، فتصدّى للرّد عليه وأخذ يبيّن الحقائق الفلسفية في مصر ليكون الاعتماد على مأخذ فلسفية أعمق من تلك التي تمسّك بها أصحاب مذهب النشوء ، وفي عصره تلمّست مصر الحقائق الفلسفية وتذوّقت استقلال الفكر وحرّيته .

ومن بعده تصدّى تلميذه الإمام لتحقيق مقاصده السامية ونجح قليلاً ولكنّه توفّي مضطهداً سنة ١٩٠٥ ، ثمّ حاول تلميذه الزعيم الخالد سعد زغلول باشا أن يقرّر إضافة دراسة الفلسفة والعلوم النافعة إلى مواد الدراسة في الأزهر ، ولكن امتناع العلماء عن قبوله ألجأه إلى أن أسّس سنة ١٩٠٧ مدرسة القضاء ، حاوية على منهاج الأزهر بإضافة سائر المواد والعلوم اللازمة الأخرى ، وحيثُ أوعز السلطان عبّاس الخديوي بتضمين مناهج الدراسة في الأزهر المواد التي كانت في منهاج مدرسة القضاء قاصداً بذلك الاستغناء عن مدرسة القضاء .

فظهر أنّ في الأزمنة المتأخّرة جعلت دراسة الفلسفة من مواد منهاج الدراسة في الأزهر كما عيّنت الجامعة المصرية فيما بعد بتدريسها ، وكذلك دار العلوم . ولكن لم يدرسوا فيها الفلسفة الإسلامية عن مصادرها الأصلية ولم تكن عندهم

سلسلة الدراسة متصلة إلى أصحاب الآراء الفلسفية بل اعتمدوا على مؤلفات المستشرقين الذين يتعلمون اللغة العربية ثم ينظرون في كتب الفلسفة ورموزها الغامضة كما ينظرون في كتب الأدب والقصص ولا يصلون إلى حقائقها بل يلفقون أوهاماً يزعمونها الفلسفة الشرقية الإسلامية وينسبونها إلى فلاسفتنا العظام وهم براء عنها ، وكذلك مؤلفات مقلديهم من الشرقيين التي صورت الفلسفة الإسلامية في صورة تقشعر من قباحتها هذه الفلسفة ولا يعرفها أهلها إذا عرضت عليهم . إذ لعبت بها أيدي المغرضين من جهة ، والجاهلين من ناحية أخرى فصورتها على صورة تؤدّي إلى تحويل تيارات العقول والأفكار إلى الناحية المعاكسة لأصل نشأتها وغايتها .

وتركت دراسة طائفة من هذه الكتب والتواريخ في الجامعات الشرقية أثراً سيئاً عميقاً في نفوس الشرقيين فأهملوا فلسفتهم وثقافتهم وكاد أن ينبذوا بهذه الفلسفة الشرقية الإسلامية العربية إلى جانب الأوهام والخرافات ، رغم أنها فلسفة قوية زاخرة بالمبدعات والمبتكرات وكنوز الحقائق الراهنة في جميع أنحاء المعارف الانسانية السامية ، وأنها ساهمت بحظ كبير في حركة الفكر الانساني في العالم المتحضّر وكانت من أكبر وسائل النهضة الفلسفية الحديثة بل من أعظم مصادرها ، وليس من العدل أن نجشّم هذه الفلسفة أن ترتصد - بظهر الغيب - الإصابة كلّما عسى أن يجد من التجارب والأفكار بعد ألف عام ، وليس المقصد نبذ الفلسفة الحديثة ، كلاً فإنّ كلاً من الفلسفتين قوّة عقلية جاهزة وعدّة فكرية ناهضة يجب استغلالهما ولا يجوز الاستغناء عن كلّ منهما ، بل يجب أن نضمّ نفائس الفلسفة الحديثة الغربية إلى حقائق الفلسفة القديمة الشرقية على ضوء العقل والروية لنستخلص منها مزيجاً إصلاحياً خالصاً ، وفلسفة قوية صالحة للحياة والبقاء ، وكذلك أراد الله أن تكون الحياة دائماً مزيجاً من صالح القديم والحديث ﴿ ولن نجد لسنة الله تبديلاً ﴾ .

المستشرقون وطلاسم رموز الفلسفة الإسلامية

ثم قال الإمام المحاضر : إنّ للفلسفة الإسلامية أسلوباً معقّداً اتخذته من الفلسفة اليونانية ، وهو أنّها مصوغة في طلاسم من الرموز لا يمكن حلّها وفهمها لغير واضعيها ، أولّذين يدرسونها بطريقة تنتهي إليهم من ذوي العقول والأفهام الممتازة ، ولا يمكن الوصول إلى ناحيتها المغلقة بمجرد معرفة اللغة ، أو بعض قواعد العلوم ، فقد روى ابن أضيعة أنّ فيثاغورس كان يرمز الحكمة ، وذكر عدّة من ألغازه الفلسفية ، وبلغت كتب هرقليطس من غموض الأسلوب والإلتواء والتعقيد حدّاً تكاد تستعصي معه على الأفهام ، حتّى لقّب بالغامض تارة وبالمظلم أخرى ، وقال سقراط أنّ ما فهمه من كلامه قيم عظيم ، وما لم يفهمه يجب أن يقاس على ما فهم ، وكان سقراط ضناً بالحكمة يطلب دائماً إلى تلاميذه أن يعنوا ينقش المعارف الفلسفية في أذهانهم بدل حفظها في الأوراق ، وتسجيلها في الصحائف ، ولما خشي تلميذه أفلاطون من أن تعبث بالفلسفة أيدي الفناء رأى أنّ النظريّات الفلسفية يجب أن تدوّن بالرموز ، وقال أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي - المتوفى سنة ٣٣٧ هـ - في كتاب البيان صحيفة ٥٣ :

وقد أتى في كتب المتقدّمين من الحكماء والمتفلسفين من الرموز شيء كثير ، وكان أشدّهم استعمالاً للرمز أفلاطون . . . الخ ، ولهذا بقي أبو الفرج عشرين سنة في تفسير ما بعد الطبيعة ومرض من الفكرة مرضة كاد يلفظ نفسه فيها ، وأمّا في العهد الإسلامي فقد قال الرئيس ابن سينا : قرأت ما بعد الطبيعة فما كنت أفهم ما فيه ، ولتبس عليّ غرض واضعه حتّى أعدت قراءته أربعين مرّة وصار لي محفوظاً ، وأنا مع ذلك لا أفهمه ولا المقصود منه ، وأيست من نفسي ، وقلت هذا الكتاب لا سبيل إلى فهمه ، وفي بعض الأيام عرض عليّ دلال كتاباً في الفلسفة ، فرددته ردّ متبرّم معتقداً أنّه لا فائدة في هذا العلم ، وبعد إلحاحه إشتريته ، فإذا هو كتاب لأبي نصر الفارابي في أغراض ما بعد الطبيعة فرجعت إلى بيتي وأسعرت إلى

قراءته ، فانفتح عليّ في الوقت أغراض ذلك الكتاب بسبب أنه صار لي على ظهر القلب ، وفرحت بذلك وتصدّقت ثاني يومه بشيء كثير على الفقراء شكرًا لله تعالى . إنتهى .

والعجب أنّ ابن سينا إختار عين ذلك الأسلوب الرمزي المغلق المعقّد في مؤلفاته الفلسفية ، وشدّد في التوصية بضنّها عن غير أهلها ، وقرّر لدراستها شروطاً قلّما تجتمع في شخص ، وقال بعد ذلك كلّه : فإن أذعت هذا العلم أو أضعته فالله بيني وبينك ، وكفى بالله وكيلًا . . . الخ .

وقال الفيلسوف الطوسي : وعذره - ابن سينا - في ذلك أنّ الفلسفة لا تخلوا عن إنغلاق شديد ؛ وإشتباه عظيم ؛ لأنّ الوهم يعارض العقل في مآخذها والباطل يشاكل الحق في مباحثها ؛ ولذلك كانت مسائلها معارك الآراء المتخالفة ؛ ومصادم الأهواء المتقابلة حتى لا يرجى أن يتطابق عليها أهل زمان ولا يكاد يتصالح عليها نوع الإنسان والناظر فيها يحتاج إلى قوة بصيرة ؛ وزيادة إستعداد وجودة قريحة ؛ ومزيد تجريد للعقل ، وتمييز للذهن ؛ وتصفية للفكر ؛ وتدقيق للنظر ، وإنقطاع عن الشوائب الحسيّة ؛ والأهواء العاطفية ؛ وإنفصال عن الوسائوس العادية فمن لم يرزق ذلك فعرض قوانين الفلسفة عليه لا يجدي له إلّا زيادة غباوة وخسراناً مبيئاً ؛ فلا بد أن تضن عليه كل الضن وهذه الضنّة محمودة إلخ .

وجرى على سيرة الرئيس - ابن سينا - في هذا الأسلوب الرمزي سائر فلاسفة العرب والمسلمين في مؤلفاتهم الفلسفية ؛ فلا غرو أن لا يفهم الفلسفة الإسلامية من ينظر في كتبها الموضوعية على مناهج رمزية يحار فيها المطالع الغير المتعمق في البحث الفلسفي محاولاً أن يعرف المراد منها ويكشف أسرارها بمجرد معرفته اللغة العربية أو بعض قواعد العلوم ولا يلام من لم يفهم هذه الفلسفة المرموزة من الغربيين المستشرقين وغيرهم ولا يستغرب أن تأتي الفلسفة التي تنقل إلى العربية من طريق الترجمة عن الكتب الأوربية مشوهة قبيحة ؛ وإتّما يوجه اللوم إلى من

زعم أن مافهمه بقاصر نظره فلسفة إسلامية وسجل جهله بحقيقة هذه الفلسفة
كإكتشاف تاريخي يقضي بوجوب إعراض جمهور المتعلمين عن الفلسفة الإسلامية
لأنهم ينظرون إليها نظرهم إلى شيء عسير الفهم بعيد الغور يكد الذهن ؛
ويستنفذ مجهوداً ووقتاً طويلاً ، بل يوجب إهمالها في تاريخ الفلسفة وإسقاط
حلقتها الغالية عن سلسلة التفكير العام ، مع أن هذه الفلسفة ترتبط بتاريخ
إرتقاء العقل البشري إرتباطاً وثيقاً ؛ وتفتح أمام الذهن الإنساني آفاقاً جديدة ؛
وتوجهه إلى البحث عن المثل العليا ولا بد للفيلسوف الإجتماعي أن يدرسها ؛
ولا يمكن أن يستغني عنها من أراد معرفة الفلسفة الكاملة التي هي الحكمة ﴿ ومن
يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾ .

وقال الإمام المحاضر : في النجف الأشرف وإيران لدراسة الفلسفة سند
يصل أساتذة الفلسفة إلى أصحاب الآراء الفلسفية وبذلك يدركون حقائقها ؛
ويكتشفون رموزها فنحن بحكم سند الدراسة المتصل إلى ابن سينا مثلاً ندرس
آرائه ونكشف رموزها كما لو كنا ندرسها من ابن سينا نفسه وهذه المزية مفقودة في
مصر وغيرها ؛ وها أنا ذا أضع أمامكم عدة شهود واضحة حسيّة .

الشاهد الأول : كان سقراط يقول : أن لكل نوع من الأنواع الطبيعية
الموجدة في العالم مثال نوري مجرد ، أسماه - رب النوع - وأن أرباب الأنواع
موجودة بعدد أنواع الكائنات الموجودة في العالم ؛ وكان تلميذه « أفلاطون » مغالياً
في هذا الرأي حسبما قاله : « ابن سينا » في الإلهيات الشفاء وقد أسماها أفلاطون
« أرباب الأنواع » و « المثل ذو المشاركة » و « المثل النورية » و « العقول المتكافئة »
و « العقول العرضية » .

وكان لأفلاطون نظرية أخرى ثانية مختصة به لا يشاركه فيها سقراط ولا غيره
وهي : أن لكل شخص من موجودات العالم صورة مثالية مجردة تجريداً برزخياً
وأسماها - المثل المعلقة - ولم يتنبه إلى ذلك المستشرقون وقالوا : أن أفلاطون كان
يعتقد بالعقول المتكافئة وأنها مثل نورية وصور مجردة لكل شخص موجود في

الكون ؛ فخلطوا بين النظريتين ومسخوهما وأخرجوا منها شيئاً لا يقول به سقراط ولا أفلاطون .

والشاهد الثاني : أن المستشرقين يعتقدون أن فلسفة أفلاطون نظرية محضة بينما يقولون أن نظرية أرسطو عملية صرفة ؛ والحقيقة أن كل واحدة من الفلسفتين جامعة بين النظرية والعملية ؛ وهنا بين فضيلة المحاضر تفصيلاً عن الفلسفتين وعن مأخذ « كتاب الجمهورية » المنسوبة إلى أفلاطون وقال : أثبت التاريخ أن « أفلاطون » حكيم عقلي وتأكيدي وإلهي وديني وخلقي وقائل بوجود المجردات الغير المحسوسة وبشرف الإنسانية وإحترام النواميس الفطرية والطبيعية .

ومعتقد بكل ما يناقض الشيوعية والإباحية والفاشية والإشترابية المتطرفة والإشترابية الوطنية وسائر ماجاء في كتاب « الجمهورية » المنسوب إليه تمام المناقضة ، إذا فلا مسوغ لأن ينسب إليه كتاب الجمهورية ؛ هذا مضافاً إلى إننا لم نجد في المصادر الصحيحة من الفلسفة الإسلامية أنه من مؤلفاته ، وليس يرجع ذلك إلى إعتبار ديني وكراهة الشرع الإسلامي والطبع العربي أيضاً أن يشترك الناس في النساء وسائر المقتنيات وأمثال ذلك مما جاء في ذلك الكتاب ؛ لأن الفلسفة الإسلامية لم تغادر من مهمات الفلسفة اليونانية وآراء فلاسفة اليونان صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها ، حتى أنها سجلت جميع المذاهب الإلحادية التي تناقض الإسلام في صميم أصوله وأركانه ؛ وعلى فرض التنازل وتسليم أنه من مؤلفاته نرى من المتعذر إثبات أن جميع ماجاء في كتاب « الجمهورية » بحذافيره من آرائه إذ من الجائز أن يكون بعض الماديين الملحددين من خصوم أفلاطون ومعارضيه في العقيدة قد دسوا في هذا الكتاب على أفلاطون بعض آرائهم الإلحادية ونتائجها التي تناقض أسس فلسفته وعقائده لغرض ترويجها ، سيما أن الذي كان عادة مطردة عندهم ، فإنهم تظاهروا كثيراً ما في مختلف الأشكال والمظاهر وتوسلوا لترويج عقائدهم الفاسدة بمختلف الطرق وشتى الوسائل .

وعلى تقدير تسليم أنه بحذافيره له ؛ فقد سجّل تأريخ الغرب أن
« أفلاطون » بعد نضوج فكره بالتجارب العملية عدل عما أثبتته في الجمهورية إلى
الخطّة العادلة التي رسمها في كتاب « القوانين » .

ثم قال الإمام المحاضر : أمّا الشاهد الثالث : فهو أمر حسيّ حاضر وهو
أحد الكتب التي أهداها لنا ناظر دار العلوم المصرية ومؤلفه أستاذ الفلسفة في الدار
وبالنظرة الأولى ظهرت فيه آراء نسبت إلى المعلم الثاني « الفارابي » ولكنّها لو
عرضت على الفارابي لاندحش منها ولم يعرفها كما لا يعتقد بها من أتم الدراسة
الإبتدائية في الفلسفة . ولتوضيح ذلك لا مندوحة لي من تقديم بيان وجيز يتضمن
آراء الفارابي الحقيقية .

إنّ من رأى الفارابي أن سلسلة الموجودات التي أفاضها المبدء الأول الحكيم
بعلمه العنائي بالنظام الأحسن تبتدئ من أكملها وأتمّها وجوداً وهو العقل الأول
المجرد من المادة ذاتاً وفعلاً فهو ليس مادياً ولا مدياً بل هو فوق المادة وفوق الزمان
وتنتهي سلسلة العقول إلى العقل العاشر المفوض إليه تدبير عالم المادة وهذه هي
العقول الطولية وكلّها مجردة من المادة في ذاتها وفي فعلها وعالم العقول هو عالم
الإبداع المنزه عن المادة والزمان والعقول العشرة هي المرتبة الأولى في سلسلة
الوجود الإمكانى المرتب على نظام الإشراف ؛ فالأشرف ؛ وتسمّى العقول العشرة
بالمبدعات كما تسمى المرتبة الثانية بالمخترعات وعالمها عالم الإختراع وهو إيجاد
شيء عن مادة ^(١) لافي الزمان فالمخترعات موجودات ماديّة لا تقترب بالزمان والمدة
وهي الأفلاك التسعة والفلكيات - السيارات - ونفوس الأفلاك الكلية المحركة
والموجودات المثالية ؛ وأمّا المرتبة الثالثة : المسماة بالمكونات وعالمها عالم التكوين
فهي موجودات مقترنة بالمادة والزمان وهي العناصر والطبع والصورة الجسمية
والهوى - العنصر المادي - التي هي خاتمة قوس الوجود النزولي ^(٢) والعنصريّات

(١) لا يخفى أنّ مادة المخترعات غير مادة المكونات .

(٢) في سلسلة الجوهر لأنّ فعليتها محض القوة والإستعداد ؛ وأمّا سلسلة الإعراض فينتهي قوس
نزولها إلى - الحركة - التي وجودها نفس الشوق والطلب والسلوك إلى غاية على سبيل التدرّج .

من الأجسام والمواليد الثلاث ؛ وفي رأي الفارابي للنبات نفس نباتية وقواها وللحيوان نفس حيوانية مع قواها والإنسان مخصوص بالنفس الناطقة التي هي مجرد ذاتاً وأما في أفعالها فهي محتاجة إلى البدن والجوارح ؛ وللنفس الناطقة قوتان . إحداهما : قوة نظرية بها تستكمل الفيض الذي تأخذه من عالم الملكوت وللنفس بحسب هذه القوة العلامة مراتب أربع وهي العقل الهولائي ؛ فالعقل بالملكة والعقل المستفاد ؛ والعقل بالفعل . والثانية : قوة عملية بها تستنبط النفس واجبها فيما يجب أن تفعل ؛ وللنفس بحسب هذه القوة العمالة أربع مراتب مرتبة وهي التجلية فالتخلية فالتحلية فالفناء .

وبعد أن سمعتم هذا البيان الموجز من آراء الفارابي فكل واحد منكم يستطيع أن يحكم بالغلط والخطأ والخلط والخبط في كل الآراء المنسوبة إلى الفارابي في ذلك الكتاب المدرسي للسنة الدراسية الحاضرة الذي أهدها إلينا ناظر دار العلوم ؛ وهو رمز دراسة الفلسفة في معاهد مصر ؛ وإليك نص ماجاء في ذلك الكتاب الذي أسموه محاضرات في الفلسفة ألقاها على طلبة الدبلوم - الدكتور علي العاني - أستاذ الفلسفة بدار العلوم بشارع الخليج بجنينة لاظ الصفحة ٦٥ : ٢ الفارابي .

جاء في هذا الكتاب آراء غريبة ؛ ونظرات عجيبة منسوبة إلى الفارابي في الصفحات ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ما هذا نصّه :

ما وراء الطبيعة : وإذا كان الأول على أتم ما يكون من الوجود الذي هوله يجب ضرورة أن يوجد عنه سائر الموجودات فالموجودات كلها فيض عنه وهي على كثرتها متفاضلة يتبدى منها الأكمل ثم يتلوها ما ينقص عنه في الكمال وهكذا إلى موجود لا يمكن أن يوجد بعده موجود ؛ وهذا الفعل أو الصدور الأول إنما يحدث عن معرفة الوجود الأول بما عليه من تمام تلك المعرفة التي توجب هذا الفيض وتحتّم هذا الصدور^(١) ويفيض عن الوجود الأول الوجود الثاني وعن الثاني الثالث وهكذا على الترتيب الآتي :

(١) في هذه العبارة قصور واضح عن تصوير العلم العنائي .

- ٥ - الصورة غير جسمية ولكنها^(١) موضحة بالأجسام
٦ - الهيولى غير جسمية ولكنها^(١) موضحة بالأجسام

العالم المادي

- ١ - الأجرام السماوية .
٢ - الأركان الأربعة .
٣ - المعدن .
٤ - النبات .
٥ - الحيوان .
٦ - الإنسان .

تبع الفارابي في هذا التكوين الأفلاطونيات الحديثة المعروفة عن أفلاطون عنده لأنه رأى في ذلك طريقاً وسطاً بين مذهب أرسطو وعقيدة الخلق ليتمكن بذلك من تحقيق الوحدة الإلهية التي تظهر في الكون العام^(٢) إنتهى نص عبارة كتاب محاضرات في الفلسفة .

هاهنا أطال فضيلة الإمام المحاضر في المناقشة ثم قال : إني لأشكّ في أنّ الأستاذ العناني إعتد على المستشرقين في تقرير هذه الآراء السخيفة وفي نسبتها إلى أكبر فلاسفة الشرق « الفارابي » وأنّ كل ما في تلك الآراء من الخلط والفساد فهو من ناحية المستشرقين وأعتقد أنّ كثيراً مما يدرسونه من آراء فلاسفة الشرق في مصر وغيرها من هذا القبيل مأخوذ من المستشرقين وبهذا تسمت أفكار طلاب

(١) هذا يدل على عدم وصول الأستاذ إلى رأي الفارابي في تحقيق الصورة الجسميّة والصورة النوعية ؛ والظاهر أنّه أخذ هذه الآراء الباطلة من المستشرقين على علّاتها .

(٢) يظهر خلاف ذلك لمن يراجع إلى - رسالة الجمع بين رأيي أرسطو وأفلاطون للفارابي - .

الفلسفة الشرقية فتراهم يرجحون أحط نظرية غربية على نظريات فلاسفة الشرق
أجمع وإنهم لمعدورون في ذلك لأنهم لم يتعلموا حقائق تلك الآراء في معاهدهم
العلمية .

إنّ المستشرقين لا يلامون على قصورهم في حلّ رموز الفلسفة التي لا تحل
إلاّ من ناحية واضعها ويعجز عن حلّها أهل اللسان فضلاً عن الدخيل في اللغة
العربية .

فلسفة الدين الإسلامي

وما أشبه دراسة فلسفة الدين الإسلامي في مصر بدراسة الفلسفة الشرقية
والإسلامية فيها حيث يأخذونها أيضاً من المستشرقين وكان من واجبه أن
يأخذوها من القرآن الكريم المعجز الخالد بواسطة العلماء المتخصصين في معرفة
أسراره وحقيقة فلسفة الدين الإسلامي ؛ ومن المؤلم أنّ المستشرقين الذين
يتوافدون على بلادنا لدرس تعاليم الدين الإسلامي ينظرون إلى أعمال المسلمين
ويذهبون إلى تدوين ما يرونه كأنه فلسفة الدين الإسلامي وتعاليمه ثم تأتي كثرة من
الشباب وكثير من الشيوخ فيدرس مؤلفاتهم فيخرجون منها مارقين من الدين
ومعتقدين بأنّ الدين يضع العراقيل في طريق سيرهم نحو الرقي والتعالى ويظنون
أنّ الدين لا يصح أن يتخذ أساساً في الحياة ؛ وأنّ نيل سعادة الحياة وبلوغ
الحضارة وتأسيس الدول الراقية المجهزة بالعلم والصنائع لا يتم إلّا برفض الدين
فإنصرفوا من الدين إلى الإلحاد وعبادة المادة تقليداً للغرب ثمّ إجرأوا على الإسلام
أيضاً ؛ فاتهموه عمداً أو جهلاً بأنّه كغيره من الأديان ؛ إن يصلح فإنما يصلح
للأرواح ؛ أمّا الحياة الدنيوية الزمنية فإنه لا صلة بينه وبينها لأنّه خلوما يقومها
ويصلحها ؛ وأنّ ما يدعيه له أنصاره فإنما هو أشياء جمدوا عليها على أنّها وإن
ناسبت كما زعموها له فإنما هي أمور عدم عهدتها وكانت لزمن سالف وأمة قد
خلت ؛ ولكنهم لو أنصفوا ودققوا النظر لوجدوا أنّ كلمة الدين في كتب الأوربيين
معناها المسيحية لا الدين في ذاته ؛ وإذا فهي لا تنطبق على الإسلام الذي لم

- ١ - العقل الأول وهو الفلك المحيط أو الفلك الأعلى - النفس - ^(١) .
- ٢ - العقل الثاني وهو كرة الكواكب الثابتة - النفس الفلكية - ^(٢) .
- ٣ - العقل الثالث وهو زحل .
- ٤ - العقل الرابع وهو المشتري .
- ٥ - العقل الخامس وهو المريخ .
- ٦ - العقل السادس وهو الشمس .
- ٧ - العقل السابع وهو الزهرة .
- ٨ - العقل الثامن وهو عطارد .
- ٩ - العقل التاسع وهو القمر .

هذه العقول التسعة تسمى الأفلاك السماوية ^(٣) وهي تكون المرتبة الثانية من الوجود العام الذي في المرتبة الأولى من الوجود الأول أو واجب الوجود ^(٤) وفي المرتبة الثانية يوجد العقل الإنساني الفعال الذي يجمع بين عالمي الأرض والسما ^(٥) وفي المرتبة الرابعة توجد النفس الإنسانية ويتعدد العقل الإنساني

(١) هذا تصريح من المؤلف بأن العقل الأول والفلك الأعلى والنفس شيء واحد وموجود واحد عند الفارابي وهذا خلاف الحقيقة وجهل بأن العقل مجرد عن المادة في ذاته وفي فعله وأما الفلك فهو مادي والنفس مجردة في ذاتها لكنها محتاجة إلى المادة في فعلها في رأي الفارابي والعقل الأول من المبدعات في المرتبة الأولى من الوجود الإمكانى عند الفارابي والفلك الأعلى من المخترعات وفي المرتبة الثانية من عالم الوجود الإمكانى .

(٢) الخلط والخطب والغلط والجهل برأي الفارابي في هذا كسابقه وهي مستمرة في عبارة الكتاب إلى العقل التاسع وهو القمر ؛ فلاحظ وتدبر وإضحك وإبك .

(٣) هذا إفتراء على الفارابي والعقول المجردة عنده عشرة لاتسعة وهي في المرتبة الأولى من الوجود الفيضي ؛ والأفلاك التسعة ماديات في رأيه وفي المرتبة الثانية .

(٤) هذا مخالف لرأي الفارابي حيث جعل الصادر الأول مبدأ الموجودات الإمكانية .

(٥) هذا كذب على الفارابي لأن العقل الفعال عنده إسم العقل العاشر المجرد في ذاته وفي فعله والمفوض إليه تدبير عالم المادة ؛ وصاحب الكتاب من كثرة خلطه وجهله برأي الفارابي أهمل ذكره تماماً وعند الفارابي أن النفس الإنسانية بحسب قوتها النظرية تسمى في الدرجة الرابعة منها بالعقل بالفعل وهذا لصيرورة العقل بالملكة - أي بالقوة - عقلاً فعلياً . فأين هذا من العقل الفعال يا أستاذ

الفعال^(١) وكذا النفس الإنسانية بتعدد الأجسام وفي المرتبة الخامسة والسادسة الهيولى والصورة وهما في آخر مراتب العالم العقلي^(٢) والراتب الثلاثة الأولى هي عقول مجردة محضة^(٣) .

والمراتب الباقية وهي : النفس ، والصورة ؛ والهيولى ، في حالة إتصال بالأجسام ويتضح لك هذا مما يأتي :

العلم العقلي أو عالم الوجود^(٤)

١ - الوجود الأول أو واجب الوجود وحدة عقول محضة^(٥)

٢ - العقول التسعة وحدة عقول محضة^(٥)

٣ - العقل الإنساني الفعال متعددة^(٦)

٤ - النفس الإنسانية متعددة^(٦)

الفلسفة ؟ ! .

(١) هذا غلط لأن العقل الفعال الذي هو العقل العاشر واحد شخصي عند الفارابي لا يتصور فيه التعدد وهو في المرتبة الأولى لافي الرابعة والذي يقبل التعدد هو بالفعل من مراتب النفس الناطقة وهو في المرتبة الثانية لافي الرابعة عند الفارابي .

(٢) رأي الفارابي أن الهيولى في آخر مراتب العالم المادي لا العالم العقلي ؛ وأما الصورة فهي ليست آخر مراتب العالم المادي أيضاً .

(٣) هذه فريّة مزدوجة لأن الأستاذ جعل واجب الوجود المرتبة الأولى ثم حكم أخيراً بأن الواجب والعقل والفلك والعقل الإنساني كلّها عقول مجردة وليس هذا ولا شيء من جميع ما ذكره رأي الفارابي ولا رأى أحد من فلاسفة الشرق .

(٤) في رأي الفارابي وسائر فلاسفة الشرق العالم العقلي هو عالم المجردات فقط أما عالم الوجود فهو يعم المجردات والماديات كلّها فإستعمال الأستاذ العالم العقلي رديفاً لعالم الوجود غلط وجهل بالحقيقة ويمصطلح الفلاسفة .

(٥) الفارابي بريء من أن يعد واجب الوجود من جملة العقول وإعتباره عاشر العقول تعالى عن ذلك علواً كبيراً والفلاسفة المسلمين برءاء من هذه الآراء الفاسدة الإلحادية .

(٦) مرّ أن القابل للتعدد هو العقل بالفعل لا العقل الفعال الذي في المرتبة الأولى في رأي الفارابي وسائر الفلاسفة الشرقيين فضلاً عن المسلمين .

يفهموا روحه وحقيقته لأنهم تعلموا تعاليم الإسلام من الغربيين الذين إستنبطوها من أعمال المسلمين « والمسلمين شيء والإسلام شيء آخر » ولو أخذوها من علماء الدين الإسلامي المتخصصين في معرفة فلسفته وأسرار تشريعه وأسرار كتابه المعجز الخالد لأذعنوا بأن الإسلام يجب أن يكون المبدأ الذي تصدر عنه نهضتنا ؛ والأساس الذي نبني عليه حياتنا لأن للدين سلطاناً فوق العقل ؛ وسراً يدق عن التعبير ؛ ولأن الإسلام ليس ديناً بالمعنى الذي يعرف في أوروبا ؛ ويأخذه بعض الشباب المثقف في أقطار الشرق الإسلامي تقليداً بلا فهم ولا علم ظانين أنه كسائر الأديان لا يصح أن يتخذ أساساً في الحياة ؛ ولكنهم لو كانوا يفهمون الدين بدافع غريزة التدين والشعور الديني ؛ ويعرفون أساليب المقارنة والموازنة بين الأديان السماوية ، إتضح لهم أن الأديان الإلهية كلها صادقة فقد جاء كليم الله (عليه السلام) بما كان يقتضيه زمانه من الشريعة المتكفلة للسعادة الدنيوية المادية كما قال الله تعالى : ﴿ وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر ﴾ . والغرب رمز المادة ؛ ولما كان الانتقال من الإفراط إلى الاعتدال الذي هو التوسط متوقفاً على وساطة التفريط فلذلك جاء دين عيسى روح الله (عليه السلام) مشبعاً بالروحانيات التي تفضل السعادة الأخروية من الزهد والرهبانية على الدنيوية فجاء في القرآن الشريف : ﴿ وذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً ﴾ . والشرق رمز الروح وبنضمام قوله تعالى : ﴿ وجعلنا ابن مريم وأمه آية ﴾ . يتم الإستدلال ، إذ كان حق العبارة أن يقول : آيتين ؛ لأنها إثنان ؛ ولكن جهة الإعجاز فيهما واحدة فلذلك أتى بلفظ المفرد وفي ذلك إشارة إلى جواز نسبة ماورد في شأن أحدهما إلى الآخر .

أما الإسلام فجاء بالاعتدال التام في كل ذلك ليجعل العدل موزعاً فكان لاشرقياً وروحياً محضاً ولاغريباً ومادياً صرفاً بل جمع بين السعادتين فالإسلام متكفل لجميع مصالح البشر الدنيوية والأخروية ومحتولاً لأسرار سعادة الإنسان الأبدية ؛ وهو دين الحياة ؛ ويوافق جميع وسائل الرقي والسعادة ويلائم الطرق الإصلاحية .

ومن المستشرقين من عرفوا فلسفة الإسلام ولكن أبت سريرتهم إلا أن يصوروا الإسلام كغيره من الأديان قاصراً عن إيصال المسلمين إلى السعادة الدنيوية قاصدين بذلك حصر الإسلام في المساجد والمعابد لكي يتسنى لهم نشر حضارتهم في بلاد المسلمين .

ولكن يوجد في المستشرقين من أفاد اللغة العربية واللغات الشرقية كما يوجد فيهم من لا يصلون إلى الحقائق ؛ وقد زار أحد المستشرقين طهران عاصمة إيران منذ أكثر من نصف قرن بعد أن تعلّم اللغة الفارسيّة في مدارس الألسنة الشرقية وكان يحاول أن يضع تاريخاً عن حالتها الاجتماعية والأخلاقية كما يشاهدها ؛ فرأى حالين وعلى رؤسهم أو أن مذهبه وأشياء فاخرة وأمهم الدفوف والمزامير ؛ فسأل المستشرق غلاماً عن ذلك فقال له الغلام إنهم يحملون جهاز عروس فسأله المستشرق ما اسم العريس فقال له الغلام « ماذا يهّمك » وفي المساء رأى المستشرق رجلاً يضرب امرأة في الشارع فسأل غلاماً عن هذا الشخص فقال له الغلام إنّه زوجها وقد تركته بغير حق فسأله عن اسم الزوج فقال له الغلام « ماذا يهّمك » فظن المستشرق أنّ اسم الرجل « ماذا يهّمك » وإنّه العريس الذي رأى جهازه في الصباح فكتب المستشرق في كتابه « تاريخ إيران » أنّه رأى في عاصمتها بعينه عريساً إقترن صباحاً وضرب عروسه في الشارع ليلاً وكان اسمه « ماذا يهّمك » .

هذا حال المستشرقين في الحسيات والمشهودات فكيف يكون حالهم في النظريات الدقيقة الغامضة ؟ وهذا مقدار صحة مايوردونه في كتبهم في قضايا لا يتعمدون التحريف فيها ؛ فكيف فيما يتعمدون فيه التحريف ؟

ثمّ قال الإمام : وكذلك وجدت في مؤلفات بعض الأساتذة في مصر إنّ ماجاء فيها من عقائد الشيعة الإمامية لا يصور الحقيقة .

ثمّ تساءل الإمام المحاضر : هل يظن هؤلاء الفلاسفة النوابغ : أي : ابن سينا ؛ والطوسي ؛ والحلي ؛ والصدر الشيرازي ؛ والسيد الداماد ؛

والسبزواري ؛ وأمثالهم إنهم كانوا يتدينون بالخرافات والأوهام . ثم قال :
حاشاهم عن ذلك وقد كانوا جميعاً من الشيعة الإمامية وكان مذهبهم « التشيع »
ذلك المذهب الذي كتب عنه بعض الأساتذة بمصر وبعض المساعدين لفكرة
أعداء الإسلام أشياء يتبرأ منها كل شيعي . إخواني : هؤلاء الأعلام كانوا
يعتقدون مذهب التشيع الذي صورته لكم أقلام الجهل والعصبية والعناد واللجاج
في أقبح الصور ؛ وإنّي أعلن أمام هذا الجمع المحتشد من الأساتذة والأركان أن
الذين كتبوا في مصر وخارجها عن مذهب الشيعة كل شيء لا يعرفون عنه شيئاً
وإنهم من أكابر السّعة لتمزيق وحدة المسلمين ؛ وقد عرف كل ذي حسّ شدة
الضرورة إلى عقد الوحدة وإنه لاحياة للمسلمين إلّا بتوحيد كلمة فرق التوحيد
ونبذ الفوراق .

وقد كان الأصلح لهؤلاء الكتاب أن يكتبوا في المواضيع التي لهم إلمام ومعرفة
بها وتخصص فيها لكي تخلد آثارهم ؛ وأمّا الذي كتبوه عن مذهب الشيعة
الإمامية من دون دراية فسيخلد خزيّاً تأريخياً لهم وسيكشف الله الغطاء عن
مفترياتهم قبل أن يجف حبر مؤلفاتهم وسيظهر سوء نياتهم وهم في قيد الحياة
عابثون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .
ثم قال :

زعم أحد الكاتبين عن مذهب الشيعة ^(١) أن كتاب الكافي للكليني عند
الشيعة كصحيح البخاري عند أهل السنة فنقل من الكافي عدة أحاديث وحاول
أن يحتج بها على الشيعة ؛ ولكنه غفل عن أنّ الكافي وسائر كتب الحديث الموجودة
عند الشيعة كلها مخازن للأحاديث الصحاح والضعاف والحجة منها محصورة في
الأحاديث التي يصحح إسنادهام المجتهد الشيعي المتخصص في علم الرجال وفي
معرفة أحوال الرواة لأنّ باب الإجتهد مفتوحة عند الشيعة دون السنة ومن أهم
شروط الإجتهد عند الشيعة أن يكون المجتهد الحي متخصصاً في العلوم العربية

(١) قصد به مؤلف كتاب - ضحى الإسلام - في الجزء الثالث منه في الصفحة ٢١٣ .

والمنطق والكلام والفلسفة والتفسير والحديث والفقه وأصول الفقه وعلم الرجال والدراية ؛ وفائدة التخصص في علم الرجال معرفة صحة سند الرواية فلا يستنبط الحكم الشرعي إلا من الحديث الصحيح ؛ ولا عبرة بكل حديث لم يحكم بصحة سنده المجتهد الشيعي وإن وجد في أشهر كتب الحديث ؛ ولهذا نجد أن بعض الأحاديث المخزونة في الكافي يخالف لجوهر مذهب الشيعة ؛ والسري أن علماء الشيعة لم يضعوا كتاباً خاصاً يجمع صحاح الحديث إنهم لا يكتفون بتصحيح الغير ويعتبرون الإكتفاء به تقليداً لذلك الغير في سند الحديث كما أن التقليد في الحكم الشرعي تقليد في مضمون الحديث ودلالته والنتيجة تتبع أخس المقدمات ؛ فلاذن يكون وضع الكتاب الخاص بجمع الصحاح المحكوم بصحتها من واضعه عارياً عن كل فائدة بالنسبة إلى غير واضعه ومؤلفه عند الشيعة لأن غيره من المجتهدين لا يراه صحيحاً بل يرى من واجبه أن يجتهد في الحكم الشرعي وفي جميع ما يتوقف عليه الاستنباط حتى في تصحيح سند الحديث ^(١) .

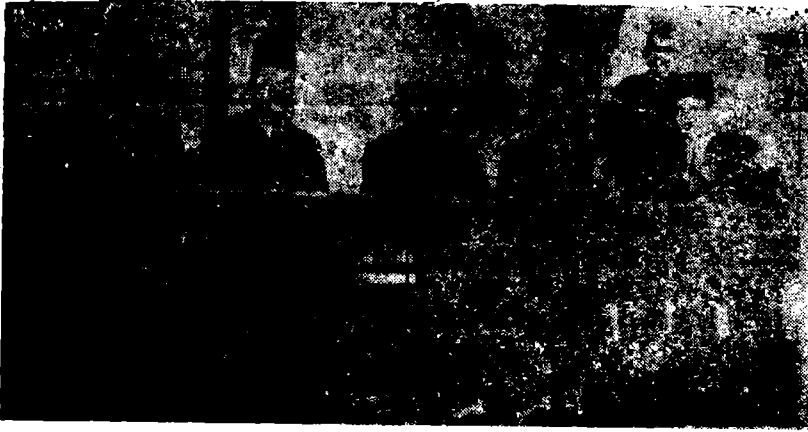
وبين فضيلة الأستاذ المحاضر قضايا مهمة كثيرة ثم لفت أنظار هؤلاء المؤلفين إلى أصل أساسي يجب مراعاته في كل بحث وكتاب . وقال : إن لكل مسألة موضوعاً له مرتبة طبيعية أو وضعية خاصة من مراتب سائر موضوعات مسائل العلم بحيث لو قدم عليها أو أخر عنها إختل وضع المعرفة ؛ وعلى الناظر في مسألة أن يعتبر المبادئ التي بُنى عليها المسألة في العلوم السابقة أو المسائل السابقة عليها مسلمة فإن خالجه شك أو أعتراه وهم في مبادئها فالواجب عليه أن يرجع إلى المباحث السابقة ويجعل بحثه فيها ويؤخر النظر في المسألة المتأخرة إلى أن تنجلي له مبادئها التي هي بمثابة القواعد ؛ والشرط المهم أن يجرد الباحث نفسه عن كل عاطفة وعصبية ويستهدف إستجلاء الحقيقة ؛ وختم فضيلة الإمام الزنجاني محاضراته القيمة بشكر مصر والمصريين جميعاً لما لاقاه منهم من ترحاب وإكرام وتقدير للعلم والعلماء وشكر الأستاذ العميد .

(١) نقلاً عن مذكرات الأستاذ الشهير السيد رشيد مرتضى .

ثمّ تقدّم الدكتور عبدالوهاب عزام بالنيابة عن عميد الكلية وأساتذة الجامعة وطلبتها وسائر الحاضرين فكرر الشكر لفضيلة الإمام الزنجاني .

ثمّ تلاه الأستاذ الدكتور طه حسين عميد كلية الآداب فشكر الإمام الزنجاني ؛ وقبل يده ؛ وأظهر إعجابه الشديد بعلمه وفلسفته ونبوغه وقال : إنّه كان يرجو أن يطيل سماحة الإمام الزنجاني مقامه في مصر حتى يستفيد المصريون من علمه كما يستفيد العراقيون .

الإمام الكبير
الشيخ عبد الكريم الزنجاني
عظيم علماء الشيعة في دار الكتاب (١) بالقاهرة



ويرى سماحته في الوسط يحف به مدير الدار ؛ وجماعة من الأساتذة الكبار

(١) نقلاً عن جريدة الأهرام ١١ نوفمبر ١٩٣٦ .

الإمام الزنجاني

يقرر منهاج البعثة الأزهرية إلى الهند^(١)

أجاب فضيلة الأستاذ الأكبر المراغي شيخ الجامع الأزهر إقتراح الإمام الزنجاني بإرسال البعثة الأزهرية الإسلامية إلى الهند ؛ ولكنه رغب إلى الإمام الزنجاني بأن يقرر لها المنهاج الصالح .

وفي هذه الصورة يرى في الوسط الإمام الأكبر الشيخ عبدالكريم الزنجاني وهو يقرر المنهاج الصالح تمهيداً للوحدة الإسلامية ؛ ويرى أمامه فضيلة الشيخ إبراهيم الجبالي - رئيس البعثة الأزهرية الإسلامية إلى الهند - وإلى يمينه فضيلة الشيخ عبدالوهاب النجار - عضو البعثة ونائب رئيسها - وإلى يمينه زعيم مسلمي الصين ؛ وسائر أعضاء البعثة وجمع من المهتمين بالوحدة الإسلامية ؛ ومن مواد المنهاج الذي وضعه سماحة الإمام الزنجاني درس أحوال المنبوذين وغيرهم .

الوحدة الإسلامية^(٢)

محاضرة كبير المجتهدين في دار المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين
كبير مجتهدي الشيعة يدعوا إلى الوحدة الإسلامية وضرورتها
وضرورة التعاون بين أهل السنة والشيعة

زار القاهرة في الشهر المنصرم الإمام المجتهد الشيعي الكبير الشيخ

(١) نقلاً عن جريدة الأهرام ١١ نوفمبر ١٩٣٦ .

(٢) نقلاً عن مجلة الشبان المسلمين رمضان ١٣٥٥ ديسمبر ١٩٣٦ الجزء الثالث الجلد ٨ .

وعن جريدة الجهاد ١٢ رمضان ١٣٥٥ - ٢٦ نوفمبر ١٩٣٦ .

وعن جريدة الأهرام ٢٦ نوفمبر - ١٩٣٦ .

وعن جريدة البلاغ مساء الجمعة ١٣ رمضان ١٣٥٤ - ٢٧ نوفمبر ١٩٣٦ .

وعن جريدة البلاغ ١٧ رمضان ١٣٥٤ - ديسمبر ١٩٣٦ .

وعن مذكرات الاستاذ الكبير السيد رشيد مرتضى .

عبدالكريم الزنجاني وقد عنيت به السفارتان الإيرانية والعراقية في القاهرة وحل محل الإجلال والإكرام من جميع البيئات المصرية وألقى في العاصمة المصرية عدة محاضرات محاولاً فيها إثبات التقارب بين المذهبين الإسلاميين الكبيرين مذهب أهل السنة ومذهب الإمامية الإثني عشرية توطئة لإقامة حسن الظن والمودة بين الجميع ؛ وقد عقد أمس في دار المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة إجتماع كبير حضره أكثر من خمسة آلاف نفر للإحتفال بسماحة الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني كبير العلماء المجتهدين في الشيعة والمسلمين وكان في مقدمة الحاضرين أصحاب المعالي والسعادة جعفر ولي باشا ؛ ومحمد علي علوبة باشا ؛ ومحمد بهي الدين بركات ؛ سلطان أحمد زاد وزير إيران المفوض ؛ عبدالقادر بك الكيلاني وزير العراق المفوض في مصر ؛ مصطفى حنفي بك وكيل الحقاينة ؛ شوكت بك المستشار الملكي ؛ وغيرهم من كبار العلماء وأساتذة الجامعتين المصرية والأزهرية ؛ واستقبلهم جميعاً حضرة الدكتور عبدالحמיד سعيد شيخ الشبان المسلمين ومعه أعضاء مجلس إدارته .

وبعد أن تناول المحتفل به المرطبات والحلوى مع جمع من الكبراء ثم إنتقل إلى القاعة الكبرى للمحاضرات فإستقبله الجمهور المحتشد فيها بعاصفة من التصفيق ثم إرتقى المنصة فقدمه صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار بكلمة طيبة وقال : إننا رجونا سماحته في أن يحاضر الشبان المسلمين في هذه الليلة فأجاب الرجاء وإنكم لتسمعون الليلة مايملاً قلوبكم فرحاً لدلالته على وحدة الشعور والعاطفة بين مصر وشقيقها العراق وإيران بل بين مصر وكل جزء في العالم يسكنه مسلمون . ووقف بعد ذلك سماحة الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني فألقى خطبة جامعة كانت من أروع ماشهدته مصر وقد بدأها بالتدليل على أن نظام الخلق ونظام المجتمع قاما على قاعدة الوحدة المتعاونة الأجزاء والمفتقر بعضها إلى بعض ؛ ونحى في هذا التدليل نحواً فلسفياً إستقام فيه المنطق ؛ وكان يركز في كل ناحية من البحث على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ولم يترك آية ولا حديثاً دون بيان وشرح وتفسير في عبارات عربية بليغة فأثار هذا إعجاب

«الحكيم الزنجاني بدعوة عميد كلية الآداب في الجامعة المصرية» (١)



الحاضرين عامة وإعجاب الأزهرين خاصة وإستطرد سباحته في الخطاب إلى ذكر اللغة العربية وما تصادفه من إنتشار في كل البلاد التي يسكنها مسلمون في الشرق كاهند ؛ وفي البلاد الإسلامية كإيران ؛ في الأولى يقوم التعليم في إحدى كلياتها باللغة العربية ؛ وفي الثانية توجد جامعة عظيمة يجري التعليم في إحدى كلياتها باللغة العربية كذلك ؛ ثم إلى جانب هذا وذاك ماتزال دراسة الفقه الإسلامي وعلوم التفسير والحديث والكلام والفلسفة باللغة العربية وقال : إن اللغة العربية لايمكن أن يستغنى عنها في البلاد غير العربية التي يسكنها مسلمون ؛ وأينما وجد الدين الحنيف وجدت اللغة العربية لغة القرآن المجيد ؛ وذكر سباحة الإمام الزنجاني بعد هذا أن بعض المؤلفين أهدى إليه كتاباً قبل بضعة أيام فوجد ما أنشأه لايتفق مع الواقع فيما - يختص بالكلام عن مذهب الشيعة - وقال إنه يرى أن هذا المؤلف لم يخطئ فيما قاله عن الشيعة إلا لأنه لايعرفها أو لم يخصص نفسه لدراسها ولو أنه أختار موضوعاً لمؤلفه يكون قد تخصص فيه لانتج إنتاجاً عملياً مفيداً وإستطرد من هذا إلى الكلام عن مذهب الشيعة فقال : إنه يقوم على توحيد الله في ذاته وصفاته ومعبوديته وأفعاله وآثاره وأن الله جل شأنه واجب الوجود بذاته ولذاته وفي ذاته ومنزه عن التجسم والحلول والتركيب والنقائص ومستجمع لجميع صفات الكمال من العلم والقدرة والحياة والإرادة والعدل ونحوها وإن صفاتها الحقيقية عين ذاته وهو الواحد الأحد لا شريك له في الإلهوية والمعبودية والفاعلية ؛ وما سواه من العلم صنيعه لا إله غيره ولا حول ولا قوة إلا به له الخلق والأمر ولا مؤثر في عالم الوجود غيره ؛ ثم الإيمان المطلق بالنبي محمد (صلى الله عليه وآله) وإنه خاتم النبيين وسيد الرسل ومعصوم من الخطأ والخطيئة وأن الله أرسله بالقرآن الكريم وهو الكتاب الموجود في أيدي المسلمين بلا تحريف وأن كل من إعتقد أو ادعى نبوة بعد نبوة محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) أو نزول وحي أو كتاب كافر ؛ وأن جميع الأنبياء الذين نصّ عليهم القرآن الكريم رسل من الله وعباد معصومون إتبعتهم الله لدعوة الخلق إلى الحق ؛ وكذا الإيمان بما جاء في القرآن كله من إن الله تعالى شأنه يعيد الخلائق ويحييهم بعد موتهم يوم القيامة

لله حساب والجزاء ولولاه لما صحَّ التشريع ؛ وأن المعاد هو الشخص بعينه وجسده وروحه وإنَّ الجنة والنار ونعيم البرزخ وعذابه والميزان والصراط حق والناس مجزيون بأعمالهم وكذا الإيمان بالفرائض كلّها وهي الصلاة والزكاة والخمس والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومودة آل بيت النبي (صَلَّى الله عليه وآله) التي هي أجر الرسالة .

ثمَّ قال : وهذا هو الإسلام الذي نعتز به ؛ نعم تعتقد الشيعة الإمامية أن الإمامة رئاسة في الدين والدنيا ومنصب إلهي ؛ وبما أن الإسلام دين عام للبشر كافة وتعاليمه فطرية أبدية أراد الله بقائه إلى آخر الدنيا فلا بد من إمام منصوب من الله في كل زمان لكي لا يتوجه نقض الغرض المستحيل على الحكيم ؛ فهم يعتقدون بإمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السَّلام) وأحد عشر من أولاده الأئمة (عليهم السَّلام) وهم مع ذلك يعتقدون بأن كل معتقد بالتوحيد والنبوة والمعاد والفرائض مسلم لا فارق بينه وبين الشيعي في الإسلام وتعاليمه الإجتماعية والدينيّة ولا يزيد عليه الشيعي المعتقد بالإمامة إلّا في أجر الآخرة وغرف الجنة والجنة أمرها بيد مالك يوم الدين ؛ وكذلك يجب أن يعتقد السني أيضاً بأن كل من آمن بما جاء في القرآن الكريم وأخبر به محمّد (صَلَّى الله عليه وآله) من الأصول والفروع التي ذكرناها آنفاً مسلم وإن لم يعتقد بخلافة الخلفاء التي لم تحدث إلّا بعد وفاة النبي (صَلَّى الله عليه وآله) ولم يكن يعرفها المسلمون كلهم في حياته (صَلَّى الله عليه وآله) وبعد أن تكلم في بيان ذلك تفصيلاً مؤيداً أقواله بالأدلة قال : أمّا وأنَّ الإمام (عليه السَّلام) غائب والخلافة منحلة ؛ وما يعود إلى درجات الآخرة فحكمه إلى الله مالك يوم الدين ؛ وما يعود إلى الشؤون الإجتماعية فمنصته شاغرة لامندوحة أن تقوم به الأمة وعلمائها ولا يجوز إهمالها ؛ وليس بين المسلمين خلاف في الشؤون الإجتماعية ؛ وإني أصرّح هناك أن الفوراق الإجتماعية القائمة على الصبغة الدينية مبعثها التحزب وحب الرئاسة ؛ وتلكم بعد هذا عما كان يأتيه السلاطين والحكام من الأعمال ليتسلطوا على الشعوب المحكومة بهم ؛ وقال إن كثيراً من هؤلاء كانوا يلتمسون الانتصار على الشعوب

والإستحواذ عليها من طريق الدين ومن هنا ومن تحزب البعض لرأيه وتعصب الآخر في مناهضته نشأت الفوارق الإجتماعية التي نشاهدها بين الشيعة وأهل السنة ؛ وهي فوارق مبعثها السياسة والأناية وحب الرئاسة وقال : إن هذه الفوارق يجب أن تمحى ليتم بناء الوحدة الإسلامية ويقوى وإنه من الميسور على العلماء وأهل الرأي أن ينظروا في هذا ويقرروه بإعتباره حقيقة ضرورية القيام بل لابد من قيامها وقال : إن من هذه الفوارق أن الشيعة يقولون بأن باب الإجتهاد مفتوح أمام العلماء المختصين والمجتهدين ؛ ولا يستند مجتهد الشيعة إلى هوى نفسه بل يستنبط الأحكام الشرعية من القرآن الشريف والحديث الصحيح ومن الإجماع والعقل بإعتبارهما يرجعان إلى الكتاب والسنة بينما يقول أهل السنة أن هذا الباب مقفل والأدلة عند أهل الرأي منهم هي القرآن الكريم والحديث والإجماع والقياس وإنهم يقولون أن القياس مظهر لامثب فهو كاشف عن وجود الحديث وكذلك يقولون في الإجماع أنه لا ينعقد لو لم يكن دليل إعتد عليه المجمعون فيكون مرجعها إلى الكتاب والسنة ؛ ثم جاء الأستاذ بعد ذلك بما تشترطه الشيعة في المجتهد من العلم الصحيح الثابت بالدين وعلومه وإستطرده في هذا إلى القول بأنه قبل أن يجيء مصر كان يظن أن الفارق عظيم بين الرأيين لتمسك كل فريق برأيه ولكنه وجد في مصر غير ذلك منذ إجتمع بعلمائها الأكابر فإنهم يجتهدون ويجتهدون كما يجتهد علماء الشيعة تماماً .

ثم قال : وشيء آخر بين الشيعة والسنة فيذكر بعضهم أن الأولين يغالون في محبتهم لآل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) وقد جئت إلى مصر فوجدت أهلها السنين يزيدون عنا في محبة آل البيت (عليهم السلام) وهنا سأله فضيلة الأستاذ محمود شلتوت . ماقولكم في عصمة الأئمة ؟ فقال مامؤداه : « إن للعصمة مراتب ودرجات يختص بعضها بالإنبياء (عليهم السلام) كالعصمة في الوحي والتشريع وتتصف ببعضها الأئمة المكلفون بحفظ الدين وتبليغه » وهي في الكل « ملكة تردع عن إرتكاب الخطأ والخطيئة » ولكن ملكة العدالة هي التي تردع عن إرتكاب الخطيئة .

وقال : بعد ذلك يجب أن تكون وجهة نظرنا جميعاً هي تكوين الوحدة الإسلامية ؛ وأن نزيل كل مايقوم في سبيلها من حوائل مادام لايمس ديننا الخفيف في أصوله وقواعده وأحكامه .

وقال : إنه يصرّح مرة أخرى بأن الفوارق القائمة خلقها التحزب وحب الرئاسة الذي حذرنا منه كثيراً بعض أئمتنا الهداة الذين بينوا كلما يهذب نفوسنا ويقرّبنا إلى الحق والحقيقة ؛ ويقرب المسلمين بعضهم إلى بعض ويوصلهم إلى المثل الأعلى للإنسانية ؛ وأرى من المناسب أن أتخفكم بإحدى كلماتهم وهي هذه :

روى الطبرسي في كتاب الإحتجاج^(١) بإسناده عن الإمام الثامن « الرضا » (عليه السلام) أنه قال : قال علي بن الحسين (عليه السلام) : « إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه ؛ وتماوت^(٢) في منطقته وتخاضع في حركاته فرويداً لا يغرنكم ؛ فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب المحارم منها لضعف بنيته ؛ ومهانته ؛ وجبن قلبه ؛ فنصب الدين فخاً لها فهو لا يزال يختل^(٣) الناس بظاهره فإن تمكن من حرام إقّتحمه وإذا وجدتموه يعف عن المال الحرام فرويداً لا يغرنكم فإن شهوات الخلق مختلفة ؛ فما أكثر من يبنوا عن المال الحرام وإن كثروا يحمل نفسه على شواء قبيحة فيأتي منها محرماً ؛ فإذا وجدتموه يعف عن ذلك فرويداً لا يغرنكم حتى تنظروا ماعقده عقله فما أكثر من ترك ذلك أجمع ثم لا يرجع إلى عقل متين ؛ فيكون ما يفسده بجهله أكثر مما يصلحه بعقله بجهده فإذا وجدتم عقله متيناً فرويداً لا يغرنكم حتى تنظروا أمع هواه يكون على عقله ؟ أو يكون مع عقله على هواه ؛ وكيف محبته للرئاسات الباطلة وزهده فيها ؟ فإن في الناس من خسر الدنيا والآخرة ؛ يترك الدنيا للدنيا ؛ ويرى أن لذة الرئاسة الباطلة أفضل من لذة

(١) نقلاً عن مذكرات الأستاذ الشهير السيد رشيد مرتضى .

(٢) التماوت : الناسك .

(٣) يخدع الناس ويتخفى لهم .

الأموال والنعم المباحة المحللة فيترك ذلك أجمع طلباً للرئاسة الباطلة حتى إذا قيل له إتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبس المهاد فهو يخطط خطب عشواء يقوده أول باطله إلى أبعد غايات الخسارة ؛ ويمده ربّه بعد طلبه لما لا يقدر عليه في طغيانه ^(١) فهو يحل ما حرم الله ويحرم ما أحل الله لا يبالي ما فات من دينه إذا سلمت له رئاسته التي قد شقى من أجلها . ﴿ فأولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذاباً مهيناً ﴾ .

ولكن الرجل ؛ كل الرجل ؛ نعم الرجل هو الذي جعل هواه تبعاً لأمر الله ؛ وقواه مبذولة في رضا الله ؛ يرى الذل مع الحق أقرب إلى عز الأبد من العز في الباطل ؛ ويعلم أن قليل ما يحتمله من ضرائها يؤديه إلى دوام النعيم في دار لا تبديد ولا تنفد ؛ وأن كثير ما يلحقه من سرائها إن إتبع هواه يؤديه إلى عذاب لا ينقطع له ولا زوال فذلك الرجل نعم الرجل فبه فتمسكوا ؛ وبسته فاقصدوا ؛ وإلى ربكم فارغبوا ؛ فبه فتوسلوا فإنّه لا يرد له دعوة ؛ ولا يجيب له طلبه . . . الخ .

وبعد أن تكلم الإمام في هذا طويلاً مستشهداً بالتاريخ وبين مفاصل التفرق ؛ وأثبت ضرورة الاتحاد والوحدة قال : ولكن بعض المؤلفين في المذاهب وبعض رجال الدين يحاولون دون وصول المسلمين إلى الاتحاد لقد أهدى إلى بعض أساتذتكم كتاباً ألفه وطبعه حديثاً يتضمن قضايا عن الشيعة تشبه ما كان يسجل في القرون المظلمة بتأثير الدرهم والدينار والحديد والنار ؛ وما أشبه هذا المؤلف الباحث عن مذهب التشيع بسائح أوربي صادف في شارعكم زفة عروس يتفرج الناس عليها ووقع نظره على جماعة يتطلعون عليها من ذروة مأذنة دار جمعية الشبان المسلمين فسأل بعض المتفرجين ؛ لمن هذه الدار ؟ ف قيل له هذه دار جمعية الشبان المسلمين ، فكتب السائح الأوربي في مذكرته من عادة المصريين أنهم يبنون منارة عالية مرتفعة جداً لغرض التطلع من ذروتها على زفة العروس وأناي

(١) ناظر إلى قوله تعالى : ﴿ الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴾ .

رأيتها بعيني في دار جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة .

وقد أخطأ هذا السائح إذ لم يسأل أهل الدار كما أخطأ في أنه سأل عن الدار فقط ثم كتب عن منارة الدار بزعمه الفاسد ؛ ولو كان يسأل أهل الدار ؛ أو كان يسأل في الخارج عن المنارة ؛ لأجابوه أنها مأذنة المعبد الموجود في دار الجمعية بنيت لغرض الأذان والعبادة ؛ وبعد أن إستنكر الإمام محاولات هؤلاء المؤلفين وما يحدثونه من تفريق المسلمين قال : أنه ينتهز فرصة هذه المحاضرة ليعلن إستنكاره لما يحاوله بعض العلماء اليوم من تطبيق ما جاء في القرآن المعجز الخالد على نظريات العلم الحديث وقال إن نظريات العلم متغيرة ينقض مايجيء اليوم ماقام بالأمس وشرح الإمام هذا الموضوع بما أدهش الحاضرين ثم ختم محاضراته الإرتجالية بالدعوة إلى الوحدة الإسلامية وضرورة العمل على قيامها ؛ ودعى الله سبحانه وتعالى أن يهيء للمسلمين خيراً في حاضرهم ومستقبلهم .



صورة تكرم جمعية الهداية الإسلامية لساحة الإمام الحجة الشيخ الزنجاني ؛ ويرى الإمام جالساً على
مائدة الشاي بين الأساتذة في دار الجمعية العامرة .

تكریم الزعيم الإسلامی الإمام الزنجانی

فی دار جمعیة الهدایة الإسلامیة ^(١)

حفلت جمعیة الهدایة الإسلامیة أمس بعدد کبیر من رجال العلم والأداب تلبیة لدعوة حضرة صاحب الفضیلة رئیس الجمعیة الفاضل . وإحتفاءً بالإمام الجلیل الشیخ عبدالکریم الزنجانی کبیر علماء النجف وفی الساعة السادسة وصل الضیف الکریم وكان بصحبته السید عبدالرحیم ماسونتین من أقطاب مسلمی الصین وزعمائهم ؛ ولقیف من العلماء والوجهاء فاستقبلهم الحاضرون بالإجلال ؛ وكان فی مقدمة الحاضرين السادة عبدالحمید کازرونی بک رئیس الجمعیة الخیریة الإیرانیة ومهیدی عزیز الهندی بک وکیل الجمعیة ؛ والسید محمد کوجین رئیس البعثة الصینیة ؛ وسائر رؤساء البعثات الإسلامیة فی مصر ؛ وبعد أن إستراحوا قليلاً جلس الجميع حول موائد الشاي فأكلوا هنيئاً ؛ وشربوا مریئاً ثم وقف فضیلة السید محمد الخضر رئیس الجمعیة فألقى كلمة طیبة ضمنها الترحیب بالضيف الکریم ؛ وأعقبه حضرات الأساتذة الشیخ علی محفوظ والشیخ عبدالوهاب محمد سلیم ؛ والشیخ علی أحمد وعبدالسلام أفندی سکرتر الجمعیة ؛ وطلب الحاضرون كلمة من الضیف العظیم ؛ فوقف الإمام الزنجانی ؛ وألقى خطبة جامعة بین العلم والأدب والحكمة قوبلت بالتصفیق الشدید والإعجاب التام .

(١) نقلاً عن جريدة الأهرام ٧ - ١١ - ١٩٣٦ .

وعن جريدة الجهاد ٢٢ شعبان ١٣٥٥ - ٧ نوفمبر ١٩٣٦ .

وعن جريدة المصري ٢٢ شعبان ١٣٥٥ - نوفمبر ١٩٣٦ .

وعن مذكرات الأستاذ الکبیر السید رشید مرتضی .

قال الإمام الزنجاني في كلمته :

خلق البشر لحكمة سامية هي عبادة مبدع الكائنات وحده والعبادة « عقلية وقلبية » كالإيمان بالخالق وصفاته الجلالية والجمالية وبأنبيائه ورسله وأوصيائهم (صلى الله عليه وآله) وبالمعاد والبعث والجزاء الأخروي « وبدنية » كالصلاة مثلاً « ومالية » كالزكاة و « مركبة من مالي وبدني » كالحج والجهاد ؛ وهذه العبادات لا تقام على وجهها إلا بوسائل هي صحة الفكر وسلامة البدن ؛ وذات اليد ؛ ولهذه الوسائل وسائل تسبقها كالزراعة والصناعة والتفقه في الدين وبعض العلوم النظرية كالمنطق والفلسفة أو الكونية كالطب وليس في استطاعة الفرد أو الرهط من الناس الإستقلال بهذه الوسائل فإحتاج الناس بمقتضى فطرتهم وما خلقوا من أجله إلى التعارف والتعاون ؛ ولا تعارف ولا تعاون إلا بالإجتماع ؛ فالإجتماع هو الذي تقتضيه الفطرة ؛ وبه تنتظم العلوم وتبلغ المدنية الفاضلة أشدها . فيتهيأ للناس أن يعبدوا الله على بصيرة ويتقربوا إليه بضروب من الأعمال الصالحة لا تحصى .

وهذا هو السر في أن الإسلام الذي هو دين فطري إجتماعي قرر إظهار الإجتماع على العزلة وشرع للإجتماع أحكاماً عادلة وآداباً فاضلة في جميع نواحيه من الإقتصادي والإسري والقضائي والخلقي والعمراني والثقافي والسياسي ؛ وأقام سلطان العقل ؛ وأعلن حرية النظر والفكر وهدم صنم التقليد ؛ وأنقذ الضمير البشري من الذين إنتحلوا حق التسلط عليه ؛ وقرر التكافل على تحقيق الخير العام ؛ وإستمرار الإرتقاء في درجات العلم والعمل ؛ ومبدأ المساواة الشاملة بحيث شملت المسلمين وفاضت على غيرهم من المشاركين لهم في الوطن ؛ ونظر إلى نوع البشر بصفته إنساناً « تلك الصفة التي هي حقيقة جوهر الإنسانية » وجعل في تعاليمه إهدار الفروق والاختلافات في ظلال الوحدة الإنسانية التي هي نفس صبغة الوحدة الإسلامية ؛ لأن الإسلام دين الإنسان

ودين العالم ودين البشر « لادين قوم دون قوم » وبهذا تكفل السلم العام وقوى في نفوس البشر الشعور بالعدل ؛ فشهد العالم أجمع مآل للعدالة الإسلامية من قوة وجبروت وإعترف جميع العقلاء بأنه دين عام خالد ولم يجعله الله تعالى خاتم الأديان وهو يريد به التفريق بين الأهل والعشيرة ولا بين أبناء الوطن الواحد ؛ ولا بين النوع الإنساني بأكمله بل أثبت به السعادة المزدوجة ليقف بين مطالب الروح ومطالب الجسد على مقتضى ناموس عادل وصراط مستقيم ؛ ونظر الإسلام إلى الأمم الإسلامية بإعتبارها طائفة واحدة تحدها العقائد المقدسة المشتركة ؛ التوحيد والنبوة والمعاد والقرآن الكريم ؛ والإتجاه إلى القبلة والصلاة إليها فلا ينظر إلى عنصر ولا إلى مذهب بل إلى وحدة خليع الإسلام عليها ثوبه وجعلها تحت رايته فإصطبغت بصبغته ؛ ودانت بكتابه فقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ .

ولكن المؤسف أن الأمة الإسلامية مبتلاة منذ مدة طويلة بالجدل العقيم تجادل في الأصول وتجادل في الفروع وتجادل فيما هو أقل شأناً من الأصول والفروع ، راضية بهذا الجدل ، لاهية عن سر الإسلام وعظمته وعن مقومات الأمم التي لا تستطيع أمة أن تحيا وترفع رأسها إلا بها ؛ ولم يقف أمر التخاذل بينهم عند التخاذل بين الأمم بل تحاذلوا جماعات وتحاذلوا أفراداً وانقطعت الروابط بينهم كما تقطعت بينهم وبين أهل سائر الأديان السماوية وضيعوا جمال التعاليم الإسلامية وجلالها . فلا يعني المرء إلا بنفسه ؛ لا يبالي في سبيل مجده أن يهدم غيره ولولم يقف له في طريق ؛ رغم إن الإسلام كلّفنا بجميل الخصال ومحاسن الخلال لنفعلها فيما بيننا ونقوم بها نحو العالم أجمع ؛ طارحين على إختلاف الديانات والمذاهب غطاءً كثيفاً ؛ وحجاباً غليظاً لأنّ الخطر الذي يدهم الإنسانية والشُرور التي تغمرها وتطفئ على مابقي في النفوس من هيبة وإحترام للنظم الإلهية لاتيحيء من أديان المخالفين وإتّما تحييء من الإلحاد ؛ ومن المذاهب التي تقدس المادة وتعبدوها ؛ وتستهن بتعاليم الأديان وتعدّها هزواً ولعباً .

فطريق الإصلاح في العالم الإسلامي المتموج بموجات الإضطراب بعد أن

منيت الأمة الإسلامية بالإنحلال وإستحوذت عليها الفوارق أن نجعل دعوتنا إليه بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل الذي لايجرح العواطف ؛ وتنهض للعمل الجدي المتواصل لتوحيد فرق التوحيد وجمع كلمة المسلمين على إختلاف مذاهبهم وتوحيد صفوفهم ؛ وتقريب بعضهم من بعض ؛ وتحقيق الوحدة الإسلامية التي أخذنا على عاتقنا تمهيد مقدماتها ؛ والسعي لتحقيق الوحدة العربية التي هي بمثابة الحجر الأساسي لبناء الوحدة الإسلامية الكبرى ؛ ثمّ التدرج في الإرتقاء إلى مرحلة الوحدة الدينية مع أهل سائر الأديان السماوية المدلول عليها بقوله تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ﴾ . الخ والإنتهاء إلى الإخاء الإنساني الشامل المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم ﴾ . الخ ونعلن على العالم أن الله تعالى وصف نفسه في كتابه المعجز الخالد بأنّه رب العالمين ولم يفاضل بين الناس فيما به قوام حياتهم الجسمية فهو لايرضى أن يفاضل فيما به قوام حياتهم الروحية ؛ وأنّ الإسلام تسليم بالأديان على ما نزلت من عند الله وتصديق بالأنبياء السابقين من غير تفريق بينهم وبهذا ضمن أحسن الوسائل لإستخلاص الإتحاد والوفاق ونشر راية الإسلام على جميع عناصر البشر وسائر المتدينين بالأديان الإلهية فقال تعالى : ﴿ وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ . ليفهم العالم أن الإسلام يؤكد الوحدة الدينية ويفسح الطريق للقوة الدينية تعمل على الإخاء الإنساني ويحث على كسب الفضائل الخلقية والمعاني الإجتماعية السامية ؛ ويدعوا أهل الأديان السماوية إلى العمل مع المسلمين على توجيه التشريع إلى تأييد الأصول العامة المشتركة في الأديان كالتوحيد والمعاد ؛ وبهذا وحده يمكن أن ننقذ الأمة الإسلامية والبشر أجمع من الوهدة التي رمتها بها الأغراض والمطامع والفوارق ؛ ونجعل من أمتنا هذه أمة مرهوبة الجانب موفورة الكرامة لها من المكانة في المجتمع البشري مايؤهلها للتكاتف مع سائر المتدينين والوقوف تجاه تيار الإلحاد والفوضى الأخلاقية ؛

والدفاع عن الإسلام بإعتباره صديقاً للعلم والمدنية ؛ ولا يتحقق هذا الغرض إلا بإيجاد مؤتمر إسلامي عالمي يمثل فيه جميع المسلمين على إختلاف مذاهبهم وتجدد دوراته من حين لآخر في مختلف الممالك الإسلامية ليتشاوروا ويضعوا الخطط للدفاع عن الجبهة المشتركة ؛ وإذا قدر لهذا المؤتمر العام أن يقوم بأعماله وهي توحيد شعور المسلمين وتوحيد ثقافتهم وتقريب صلاتهم الدينية وتكوين الأخوة الإسلامية الشاملة فليس له أن يغير شيئاً من جوهر المذاهب الإسلامية وعناصرها الأولية ؛ وليس المقصد توحيد المذاهب ؛ لأنَّ حكمة إختلاف الآراء سنة الله في الكون . قال الله تعالى : ﴿ ولو يشاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾ . والسرفيه أن بالإختلاف يظهر الحق والحقيقة الناصعة لأنَّ الرأيين المتخالفين كقوتي السلب والإيجاب في الكهرباء اللتين يتولد منها النور ولكن الشرط المهم فيه حفظ التوازن فإذا فقد التوازن حصل الإحتراق فكذلك حال إختلاف الآراء فإنه يؤدي إلى ظهور الحق إذا روعيت شروط المناظرة والجدل ؛ ولهذا لا تنتج السفسطة شيئاً أصلاً سوى الإبتعاد عن الحق ؛ بل المقصود أن لا يتخذ المسلمون هذه الإختلافات المذهبية معولاً هداماً لأساس الدين الإسلامي وقاطعاً للرابطة الدينية التي هي أقوى من الروابط الإجتماعية والعنصرية والجغرافية سيما في الشرق بعد أن حلت السياسة في الغرب في مكان الدين .

وأن ينصرف المسلمون إلى البحث والإسهاب في مواضيع لها أكبر مساس بحياتنا الإجتماعية وتداوي أمراضنا الخلقية ؛ وتهذب عاداتنا القومية ؛ وتعديل أعوجاجاً سرى في طبقاتنا المختلفة فإنحلت به روابط الأمة المؤتلفة فأصابنا التخاذل والتدابير ؛ وأصبح شعارنا الشكوى والتلاوم ؛ وضعف فيما بيننا أداء ذلك الواجب الذي كنا به خير أمة أخرجت للناس وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .



العالم الكبير الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني

يتحدث إلى الأمة عن طريق المصري (١)

زيارته الأولى لمصر - فخار الإسلام والشرق - تهانيه لزعماء الأمة مركز الأزهر الديني - الرابطة الإسلامية وأثرها - علماء الشيعة ونظرتهم إلى العالم الإسلامي - المذهب البهائي وإنجازه - التقدم العلمي والسياسي في العراق وإيران - سعادة وزير إيران وجريدة المصري .

كانت الساعة التاسعة صباحاً حين ذهبت لمقابلة الإمام الكبير الشيخ عبدالكريم الزنجاني ضيف مصر العظيم ؛ وقد رأيته رجلاً مهيب الطلعة تلوح عليه علامات العلم والتقوى وإمارات الإمامة والزعامة . تقدمت إليه فصافحني بحرارة ؛ ثم هنأته بسلامة الوصول ؛ فشكرني وشكر جريدة « المصري » ؛ لإهتمامها به ؛ وبعد أن تناولنا القهوة دار بيننا الحديث الآتي : وكان موجوداً معنا في ذلك الوقت حضرة صاحب العزة عبدالحميد كازروني بك رئيس الجمعية الخيرية وعزيز مهدي بك وكيل الرئيس والإستاذ عباس غالب سكرتيرها .

سألت فضيلته : هل سبق لفضيلتكم زيارة مصر قبل الآن ؟ وهل تقصدون غرضاً معيناً ؟

فأجاب هذه أول مرة أزور فيها مصر بعد أن كنت في شدة الشوق لزيارتها منذ أمد بعيد ؛ وإني لمسرور جداً أن وقعت زيارتي لهذه البلدة « التي هي في طليعة البلاد الإسلامية بل الشرقية لنشر التعاليم الدينية والأساليب المدنية » في هذه السنة التي نالت فيها الأمة المصرية إستقلالها بجهودها الجبارة وتضحيتها الفذة ؛ وإني أهنيء الأمة المصرية الكريمة برجالها الأبطال ؛ وسأنتهز فرصة وجودي هنا

(١) نقلاً عن جريدة المصري ٢١ شعبان ١٣٥٥ - ٦ نوفمبر ١٩٣٦ .

لأطلع على المناهج والنظم المتبعة في الأزهر الشريف لإقتباس ما يناسب منها في معاهد النجف الأشرف التي هي عاصمة العلوم الدينية والفلسفية الكبرى في الشرق الإسلامي ؛ والمركز الأعلى لعلماء الشيعة الإمامية الإثني عشرية ومراجع تقليد المسلمين ؛ وعلماء الشيعة رجال منصفون وبهمهم قبل كل شيء صالح الإسلام وجمع الكلمة وإستعادة حياة الأمة الإسلامية الواقفة على شفير الفناء وهوة الهلكة بسبب الخصومة السياسية التي أوجدها العثمانيون في الصبغة الدينية ؛ وهم يتبعون سيرة إمامهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السّلام) الذي قال في بعض خطبه : « لكنّي أسفت إذ أسفوا ؛ وطرت إذ طاروا » ويبدلون قصارى جهودهم في سبيل تحقيق الوحدة الإسلامية ولايسجلون تنقيداً ؛ لأراء أصحاب الفرق الإسلامية إلا بالحكمة والتي هي أحسن طرق إظهار الحقيقة .

قلت : ماذا ترون في نهضة مصر الحديثة ؛ وما هو أثر هذه النهضة في نفوس إخواننا الشيعة .

فقال فضيلته : إن لمصر عظمة من حيث مركزيتها الأدبية والدينية في نفوس الشيعة وسائر المسلمين في أنحاء المعمورة يتمنون لها مستقبلاً كبيراً .

إنّ من المعلوم إن الملل الغربية إنّما تحكم على أفكارها الجهة السياسية فقط ؛ ولهذا ربما يكره الكاثوليكي الألماني من هو على مذهبه في فرنسا .

ومنذ أمد بعيد والحاكم على أفكار المسلمين إنّما هو الدين ؛ والمسلمون رغم إختلافهم من حيث العنصر والأوطان لم يزل كل مسلم يحب لأخيه المسلم كمال الرقي وبلوغ المراتب السامية مهما فرقت بينهما الأوطان ويميز بينهما العنصر ؛ ولا تزال هذه الروح سائدة في المسلمين عموماً وفي الشيعة خصوصاً في جميع الأقطار ؛ والشيعي حتى الإيرانيين منهم يبحث عن النهضة العربية وعن الوحدة العربية لعلمه بأنها مقدمة للوحدة الإسلامية التي تجمع كلمة أربعمئة مليون مسلم ؛ وقد قام الجهابذة من أعلام الدين وأفذاذ الرجال المصلحين في النجف

الأشرف وسائر الأقطار الشيعية يبذلون السعي الحثيث لتوحيد كلمة فرق التوحيد وينشرون الدعوة للإتحاد الذي أدرك كل ذي حس وشعور أنه نظام الأمة الإسلامية وأهم العوامل لإخفاق الدعايات التي تبث ضد التعاليم الإسلامية لعلمهم بأن الوحدة الإسلامية هي القوة الأدبية المستبعدة للقوى المادية التي أمرنا الله تعالى بأعدادها حيث قال : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ الخ .

وسكت فضيلته قليلاً ، فقلت : ماهي نقطة الخلاف الأساسية بينكم وبين بقية المسلمين في البلاد الإسلامية ؟

فابتسم ثم قال : لا يوجد أمر جوهري يفرق بين المسلمين أصلاً فكلهم يعتقدون بإله واحد ؛ ونبي (صلى الله عليه وآله) واحد ؛ وكتاب واحد ومعاد جسماني ويصلون إلى قبلة واحدة ويعملون بالفروع والتعاليم الإسلامية وما يترأى من الخلاف بين الفريقين إنما هو في الناحية الإجتماعية من نواحي التعاليم الإسلامية ؛ ومن آثار الأيادي السياسية التي حاولت التدخل في المنصب الإلهي .

وهنا رأيت أن أعرف من فضيلته شيئاً عن مركز البهائيين وذلك لأن إيران وبغداد تعتبر موطنهم الأكبر ؛ فسألت فضيلته : هل يوجد في بلادكم عدد كبير يعتنق المذهب البهائي ؟ وما هو موقف الشعب والحكومة منهم ؟ .

فأجاب : الشعب الشيعي لا يعرف ما عبرتم عنه خطأً بالمذهب البهائي إلا ك رأي سياسي دبر في الغرب وروسية لكسر شوكة الدين الإسلامي ولا يوجد في بلادنا من يستحسنه سوى شرذمة من مطايا الإستعمار الأجنبي ؛ ومن الواضح أن الآراء السياسية ذات تغير وتبدل لاتلائم مختلف العصور والأحوال والبلاد ؛ وأما الدين أو المذهب فلا بد من أن يحتوي على عنصر سماوي وجوهر روحي يستطيع الإنسان أن يجمع به سعادة الآخرة على سعادة الدنيا ؛ ويتمكن من تطبيق تعاليمها في جميع الظروف والأحوال ؛ ولا يوجد في الرأي البهائي شيء من هذا ؛ وإنما هناك مناقضات ومخالفات وكلمات ينقض بعضها البعض ولا يقبلها العقل وكل من يعرف شيئاً من فلسفة الدين ؛ والسر الطبيعي لتجدد الأديان والناموس

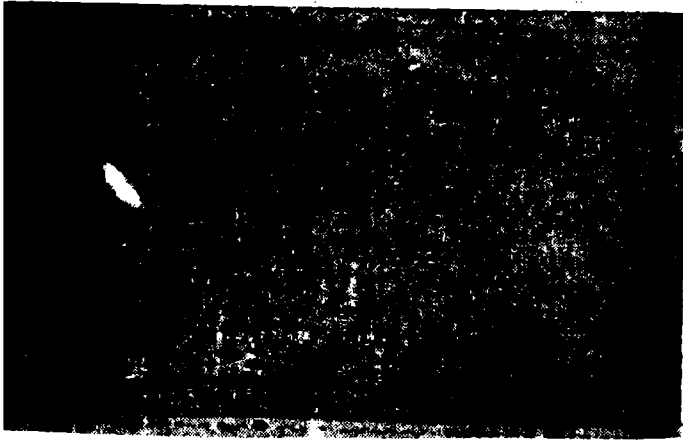
العقلي لحاتمية الدين الإسلامي لا يعتنق غير الإسلام الذي هو الصورة النهائية الكاملة والمثل الأعلى للدين ؛ فضلاً عن خرافات البهائيين .

ولما وصل فضيلته إلى هذه النقطة تقدم إليه عزيز بك وقال : إنَّ سعادة وزير إيران سيحضر لفضيلتكم بعد ربع ساعة فقال : فضيلته أهلاً وسهلاً ؛ وأردت أن أكتفي بهذا ولكن فضيلته إستوقفني وطلب مني أن أكمل ما لديّ فقلت لم يبق عندي إلاّ إنني كنت أود أن أسمع شيئاً عن مدى التقدم العلمي والسياسي في بلادكم ومقدار صلاتها بجيرانها ، فقال :

العلوم الدينية أعني الفقه وأصول الفقه والتفسير والحديث وكذلك العلوم العربية والرياضية والفلسفية والمنطق وغيرها كانت موجودة منذ نحو الألف سنة في النجف الأشرف وكانت قبلها في الحلة وبغداد كما كانت في إصفهان وبعض بلاد إيران ؛ ولم تزل في تقدم مستمر حتى الآن ومنذ القرن السابق تحسنت أصول التدريس والبحث والتأليف ومناهج التعليم وكان تقدمنا باهراً ؛ وأما التقدم السياسي فغني عن البيان وكفيكم منه ما يشاهده الكل في العراق وإيران من تقدمهما في أقصر وقت تقدماً يدهش العقول وصلاتنا بجيراننا حسنة والحمد لله .

وهنا كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة ودنى موعد سعادة الوزير فهممت بالإنصراف ولكن سعادة مهدي بك والإستاذ غالب طلباً مني الإنتظار فلبيت الطلب ؛ وبعد دقائق حضر سعادة الوزير ولما علم سعادته أنني من محرري « المصري » صافحني بقوة وقال : إنه شديد الإعجاب بجريدة المصري وبغزارة مادتها وحسن أسلوبها وهو يعتبرها رغم حداثة الجريدة الأولى التي يحبها .

﴿الأمم الزنجاني في الأزهر والمحكمة العليا الشرعية﴾ (١)



الإمام الزنجاني في الأزهر والمحكمة العليا الشرعية (١)

زار سماحة الإمام الزنجاني « كليتي الشريعة واللغة » في الأزهر أمس صباحاً وبعد أن ألقى كلمته البليغة ونصح الأساتذة والطلاب توجه إلى دار المحكمة العليا الشرعية فاستقبله في باب الدار أصحاب الفضيلة الإستاذ الشيخ فتح الله سليمان رئيسها ؛ ونائبها ؛ ورئيس المحكمة الابتدائية الشرعية بالحفاوة والتكريم وبعد أن أمضى معهم فترة غادر المحكمة إلى الجامع الأزهر الشريف حيث زار الأقسام الثانوية وودع بعاصفة قوية من الأساتذة والطلاب ثم زار فضيلة الإستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ومكث معه نحو ساعة ونصف ساعة يتحادثان في الشؤون الإسلامية الهامة ثم إنصرف مودعاً بالاحترام والتكريم وخرج الإستاذ الأكبر لمشايعته إلى خارج المعاهدة الدينية .

عالم شيعي كبير يتحدث عن مزايا الإسلام وعقائد الشيعة

ويزور مصر لفحص أنظمة الأزهر والمعاهد الدينية (٢)

كتب إلينا أحد مندوبي الجهاد يقول :

علمت منذ يومين أن إماماً جليلاً وعالمًا كبيراً من علماء النجف المشهود لهم بالذكاء والفطنة قد وصل القاهرة واستقبل في المحطة إستقبالاً باهراً وإنه ينزل في فندق « مودرن » في شارع عماد الدين ؛ وعلمت فوق هذا أن مهمته التي جاءت به إلى مصر إنما هي : « توحيد كلمة المسلمين وفحص أنظمة الأزهر والمعاهد الدينية ودرس الحياة العامة في مصر من جميع نواحيها » فإشتاقت نفسي إلى

(١) نقلاً عن جريدة الأهرام ٤ - ٥ - ١١ - ١٩٣٦ .

(٢) نقلاً عن جريدة الجهاد ١٨ شعبان ١٣٥٥ - ٣ نوفمبر ١٩٣٦ .

التعرف به والتحدث إليه وقصدت إلى فندق « مودرن » الذي يقيم فيه ووجدت عنده العالم الصيني السيد عبدالرحيم ماسونتين وعدداً من عظماء العلماء وكبراء المسلمين الشرقيين ؛ وجعل العالم الصيني يوجه الأسئلة إلى فضيلة الإمام الكبير الشيخ عبدالكريم الزنجاني فيجيب عليها إجابة ينم عن كثرة إطلاعه وعلومه وقوة ذكائه فسَهّل عليّ مهمتي ؛ ورأيت أن أقتصر على تدوين ماسمعته من الأسئلة والأجوبة :

الاستاذ الصيني : هل يتفضل الإمام الزنجاني فيحدثنا عن حالة المسلمين في بلاده ؟

قال الإمام الزنجاني :

المسلمون في بلادنا في تقدم مستمر ورقي متواصل ؛ وهم يحسون بما يحس به كل مسلم من ضرورة الارتباط والإلفة ؛ ويدركون حقائق التعاليم الإسلامية كل الإدراك سواء كانت عبادات أو إعتقادات أو حقوق أو معاملات ؛ ويعلمون أنّ العقائد الإسلامية الأصلية مثل عليا للعقيدة وصور صحيحة وآيات ثابتة لا يمكن أن يعتمدها نقص ولا تبديل .

وإنّ العبادات الإسلامية لإحتوائها على ملاكات خفية وأسرار غامضة تعبدات توقيفية لا يمكن للبشر أن يغير فيها بوجه أصلاً ؛ ولا غرو فيها كما زعم العقول الناقصة إذ بعد حكم العقل بوجوب شكر المنعم وتعظيم من يستحق التعظيم فلللعظيم أن يختار لعبده في مقام تعظيمه أفعالاً مخصوصة بكيفيات معينة ؛ كهيئات السلام والإحترام التي إختار كل ملك وكل دولة شكلاً خاصاً منها ولا ينكرها الناقصون الذين يستغربون التعبدات الدينية ؛ ولكن القسم الثالث من التعاليم الإسلامية المشتمل على الحقوق المتبادلة والإجتماعيات وإدارة الشؤون الداخلية والخارجية ؛ وما يمت بصلة إلى الإقتصاد والعمران والسياسة ؛ وعلى الجملة كلما يعود بالسعادة على بني الإنسان في دنياه فهو يتطور حسب تطور ناموس الحياة وهذا سر خاتمية الإسلام وأنه دين عام وخالد .

ويضاف إلى هذا أن للدين الإسلامي مزية مخصوصة لا يوجد في سائر الأديان السماوية وهي ناموس الخاتمية وهي أنه جمع بين الروحيات والماديات واستخلص منهما مزيجاً ربانياً يجمع بين السعادتين الدنيوية والأخروية إذ جعل الأعمال بالنيات ؛ فالتجارة والكسب والسعي لتحصيل الأموال بقصد الإنفاق على واجب النفقة أو التوسعة في معاش عائلته أو بنية صرفها في وجوه البر والخير عبادة إسلامية بالمعنى الأعم للعبادة وهو ما يؤتي به بقصد التقرب إلى الله في إزاء المعنى الأخص للعبادة وهو « ما لا يصح بدون قصد التقرب إلى الله تعالى » قد كان الدين الذي أتى به موسى كليم الله (عليه السّلام) محتوياً على جهات مادية أكثر من الجهات الروحانية بمقتضى الظروف والأحوال والحالات البشرية حينئذ وحسب ماجاء في التوراة وإليه أشار في القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر ﴾ والغرب رمز المادة ؛ وجاء الدين العيسوي (عليه السّلام) محتوياً على الجهات الروحية المحضّة أكثر من الجهات المادية فأمر بالزهد والرهبانية والتخلي عن العالم الفاني حسب إقتضاء الزمن والنفسية البشرية عندئذ كما صرّح به الإنجيل وأشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً ﴾ والشرق رمز الروح ؛ ويتم هذا الاستدلال بقوله تعالى : ﴿ وجعلنا ابن مريم وأمه آية ﴾ ولم يقل آيتين ؛ ولكن تعاليم الدين الإسلامي لاشرقية ولاغربية ؛ ولا روحية محضة ولا مادية صرفة بل جاءت جامعة بينهما وحاوية للسعادة المزدوجة سعادة الدنيا وسعادة الآخرة .

هل في النجف خلاف في المذاهب الإسلامية ؟

الاختلاف في فروع الدين يوجد في جميع المذاهب الإسلامية وفي جميع البلاد ؛ ولكن المسلمين رغم اختلافهم في المذاهب يعلمون أن الدين الإسلامي دين الفطرة والألفة والسعادة المزدوجة وسلاح لا يغلب ولكن السلاح لا يمكن أن يقاتل إلا بالجنود ؛ والجند لا يتصر إلا بالنظام والإتحاد نظام الأمة الإسلامية وبه تتحقق الألفة ويرتفع الشقاق ؛ والخلاف بين الشيعة والسنة في الفروع لا يزيد على ما يوجد بين المذاهب الأربعة السنية ؛ والفرق الإسلامية كلها تعتقد

بالأصول الدينية ؛ وإختلاف الأمة في غير أصول الدين رحمة كما جاء في الحديث والإمامة منصب إلهي .

التاريخ يحدثنا بأن الإسلام دخل بلاد الصين عن طريق بلاد فارس والمسلمون في الصين يعبرون حتى الآن عن الوضوء بكلمة « آب دست » والصينيون يدرسون هذا الدين من كتب الشيعة ؛ فهل تفضل ببيان عقائد أهل الشيعة ؟

الجواب : عقائد الشيعة الإيمان بالله تعالى وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر ؛ والقضاء والقدر وتصديق نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) رسول الله في جميع ما علم مجيئه به والإذعان القلبي لذلك من العبادات والمعاملات والأوامر والنواهي والخضوع والإنقياد ظاهراً وباطناً لذلك والنطق بالشهادتين .

وتعتقد الشيعة الإمامية : أن تعاليم الإسلام ثلاثة أنحاء ؛ وهي : العقائد والعبادات ؛ والقوانين المقررة لحفظ سلسلة النظام ، من النظم الإجتماعية وقوانين المعاملات والحقوق المتبادلة ؛ وأصول إدارة شؤون المسلمين وقد أشرنا إلى أن العقائد الأصلية : آيات ثابتة ؛ والعبادات توقيفية خضعة لا يمكن فيها تغيير ولا تبديل ؛ ولكن محيط الدين الإسلامي في ناحية الجهات الإجتماعية والشؤون الدنيوية ؛ والنظم السياسية تسع جميع عناصر البشر في كل زمان ومكان ؛ ويتمشى مع تطورات الزمان وتعلم الشيعة أن الدين الإسلامي ؛ علم وعمل ؛ ووظائف للعقل ووظائف للجسد ؛ وتعتقد الشيعة بجميع أصول هذا الدين الحنيف وفروعه وتعمل بها بكل عناية ودقة .

عقيدة الشيعة في التوحيد

إن مراتب التوحيد أربع ؛ توحيد الذات ؛ وتوحيد الصفات ؛ وتوحيد الأفعال ؛ وتوحيد الآثار ؛ وبعبارة أخرى ؛ توحيد العوام ؛ وتوحيد الخواص ؛ وتوحيد خاص الخاص وتوحيد أخص الخواص . والأولى مدلول كلمة « لا إله إلا

الله « والثانية معنى كلمة « لا هو إلا هو » والثالثة مفاد « لاحول ولا قوة إلا بالله » وإلى الرابعة تشير كلمة « لا مؤثر في الوجود إلا الله » والشبهة تشارك سائر المسلمين في الاعتقاد بالمرتبة الأولى وتساهم بعض طوائفهم في الاعتقاد بالمرتبة الثانية ولكنها تمتاز عنهم جميعاً بعقيدة توحيد خاص الخاص وهو مجموع توحيد الذات وتوحيد الصفات ؛ وتوحيد الأفعال ؛ وتمتاز أيضاً بعقيدة توحيد أخص الخواص ؛ وهو مجموع توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد الأفعال وتوحيد الآثار ؛ وأخذوها من إمامهم الأعظم سيد الموحدين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ولهذا المراتب شروح وتفصيل لا يسع المقام لذكرها .

فعقيدة الشيعة أنّ الله تعالى واجب الوجود بذاته ولذاته وفي ذاته ومنزه عن التجسّم والحلول والتركيب والتفائص ؛ ومستجمع لجميع صفات الكمال من العلم والقدرة والإرادة والعدل ونحوها ؛ وأنّ صفاته الحقيقية عن ذاته وهو الواحد الأحد لا شريك له في الإلوهية ولا في المعبودية ولا في الفاعلية ؛ وما سواه من العالم صنيعه لا إله غيره ولا معبود سواه ولا حول ولا قوة إلا به له الخلق والأمر ولا مؤثر غيره في عالم الوجود وهو المستقل بالخلق والرزق والموت والحياة والإيجاد والإعدام ؛ فمن اعتقد أنّ شيئاً من الرزق أو الخلق أو الموت أو الحياة لغير الله فهو كافر مشرك خارج عن رتبة الإسلام ولا تجوز العبادة إلا لله وحده لا شريك له .

عقيدة الشيعة في النبوة

تعتقد الشيعة الإمامية أن جميع الأنبياء الذين نصّ عليهم القرآن الكريم والرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله) رسل من الله وعباد مكرمون بعثهم الله لدعوة الخلق إليه ؛ وأن محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله) خاتم الأنبياء وسيد الرسل وأنه معصوم من الخطأ والخطيئة ؛ وأنه ما إرتكب المعصية مدة عمره وما فعل إلا ما يوافق رضا الله سبحانه حتى قبضه الله إليه وأن الكتاب الموجود في أيدي المسلمين « القرآن الكريم » هو الكتاب الذي أنزله الله إليه للإعجاز

والتحدي ولتعليم الأحكام ؛ ويميز الحلال من الحرام ؛ وأنه لانقص فيه ولا تحريف ولا زيادة ؛ وأن كل من إعتقد أو إدعى نبوة بعد نبوة محمد (صلى الله عليه وآله) أو نزول وحي أو كتاب فهو كافر .

عقيدة الشيعة في الإمامة

تعتقد الشيعة الإمامية أن الإمامة رئاسة في الدين والدنيا ؛ ومنصب إلهي يختاره الله بسابق علمه ؛ ويأمر النبي (صلى الله عليه وآله) بأن يدل الأمة عليه ويأمرهم بإتباعه ؛ والإمامة حافظ الدين وتعاليمه من التغيير والتبديل والتحريف ؛ وحيث أن الإسلام دين عام خالده كلّف به جميع عناصر البشر وتعاليمه فطرية أبدية أراد الله بقاءه إلى آخر الدنيا فلا بد أن ينصب الله إماماً لحفظه في كل عصر لكي لا يتوجه نقض الغرض المستحيل على الحكيم تعالى ؛ ولأجله أمر الله نبيه (صلى الله عليه وآله) بأن ينص على علي (عليه السلام) ففعل (صلى الله عليه وآله) ثم أحد عشر إماماً من ولده ، ظاهراً مشهوداً أو غائباً مستوراً ؛ وهذه سنة الله سبحانه في جميع الأنبياء من آدم (عليه السلام) إلى الخاتم (صلى الله عليه وآله) والشيعة مع هذه العقيدة يقدرّون ما قام به الخلفاء من بسط راية الإسلام على البسيطة ؛ وتشكيل الإمبراطورية الإسلامية ؛ وليست الإمامة عند الشيعة أصلاً من أصول الدين الإسلامي وإنما هي أصل من أصول مذهب الشيعة فليس منكرها خارجاً عن الإسلام إذا إعتقد بالتوحيد والنبوة والمعاد وضروريات الدين ؛ بل هو مسلم غير شيعي في عقيدة الإمامية له ما للمسلمين وعليه ما عليهم .

عقيدة الشيعة في المعاد

تعتقد الشيعة الإمامية كما يعتقد سائر المسلمين أن الله سبحانه يعيد الخلائق ؛ ويحييهم بعد موتهم يوم القيامة للحساب والجزاء ولولاه لما صحّ التشريع .

وإنَّ المعاد هو الشخص بعينه وبجسده وروحه بحيث لو رآه الرائي لعرفه ؛
ويؤمنون بجميع ما في القرآن الكريم والسنة القطعية من الجنة والنار ونعيم البرزخ
وعذابه والميزان والصراف والأعراف والكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا
أحصاها وإنَّ الناس مجزيون بأعمالهم إنَّ خيراً فخير ؛ وإنَّ شراً فشر ؛ ﴿ ومن
يعمل مثقال ذرة خيراً يره ﴾ * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴿ .

فروع الدين عند الشيعة

تعتقد الشيعة الإمامية أنَّ الله في كل واقعة حكماً حتى إرش الخدش وما من
عمل من أعمال المكلفين من حركة أو سكون إلاَّ والله تعالى بحسب الدين
الإسلامي فيه حكم من الأحكام الخمسة الوجوب ؛ والحرمة ؛ والندب ؛
والكراهة ؛ والإباحة ؛ وما من معاملة على مال أو عقد نكاح ونحوهما إلاَّ وللشرع
الإسلامي فيه حكم صحة أو فساد أودع الله جميع تلك الأحكام عند نبيه خاتم
الأنبياء ؛ وعرفها النبي (صلى الله عليه وآله) بالوحي ثمَّ بينها حسب حدوث
الوقائع وحصول الإبتلاء مراعيّاً حكمة التدريج ثمَّ أودع البقية عند أوصيائه
(عليهم السّلام) وإنَّه في زمن الغيبة إلى الإجتهد في الفروع الذي يقضي
كون الإسلام ديناً عاماً خالداً بلزوم فتح بابه دائماً .

وتعتقد الإمامية كسائر المسلمين بوجوب الصلاة والصوم والزكاة والخمس
والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبجميع ما قرره الدين
الإسلامي من الحقوق المتبادلة والنظم الكافية ؛ وأنَّه الدين الوحيد الذي يتمشى
مع الزمان في كل أطواره ؛ ويدور مع الدهر في جميع أدواره ؛ ويسد حاجات
البشر في نظم معاشهم ومعادهم وجلب صلاحهم ودرء فسادهم .

الزعيم الصيني في زيارة الإمام الزنجاني

يتحدث عن المسلمين في الصين (١)

أجتمع أحد مندوبي « الجهاد » بالسيد عبدالرحيم ماسونتين الزعيم الصيني وضيف مصر الآن وكان عند إجتماعه به يزور المجتهد الأكبر الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني في الفندق الذي يقيم فيه الإمام الزنجاني في مصر ؛ فأخذ الإمام الزنجاني يوجه أسئلة إلى السيد عبدالرحيم عن حالة المسلمين في الصين وعن مهمته في مصر ؛ فرد على أسئلة الإمام رداً مفصلاً نقله إلينا مندوب الجهاد فيما يلي :

إن بلاد الصين تنقسم إلى ٣٣ مقاطعة ؛ وعدد المسلمين فيها ٥٠ مليوناً وأكثرهم يقطن في الجهة الشمالية المتاخمة لبلاد التركستان ؛ ولقد كانت العلاقة بين المسلمين وبين حكومة الصين على أتم وفاق إلى أن جاء الحكم المنشوري فقلب للمسلمين ظهر المجن وتنكر لهم تنكراً كان من جرائه أن ضعفت حالتهم وخضدت شوكتهم ووهنت بحكم إضطهاد الحكومة جامعتهم - لكن لما كان الدين الإسلامي دين القطرة وإنه إذا تمكن من القلوب إستعصى إنتراعه منها بالقوة ؛ بقيت تعاليمه يتوارثها الإبن عن الأب إلى أن شبت في بلاد الصين ثورة دموية كان من زعمائها القائد العظيم « سنوشيان » فناضل عن الإسلام والمسلمين نضالاً سجله له التاريخ بمداد من الفخر فأعاد للمسلمين مكانتهم في تلك البلاد وبذا تحسنت حالتهم وبدأت تنتعش .

ومنذ ثلاثين سنة إجتمع كثير من زعماء المسلمين في تلك البلاد ففكروا في أن ينهضوا ببلادهم نهضة علمية دينية فإتجه نظرهم نحو دار الخلافة فأرسلوا العالم الكبير خاجة عبدالرحمن المفتي إلى تركيا فلما عرض مهمته على السلطان عبدالحميد

(١) نقلاً عن جريدة الجهاد ٢٠ شعبان ١٣٥٥ - ٥ نوفمبر ١٩٣٦ .

في ذلك الحين أمر بإرسال بعثة إلى بلاد الصين مكونة من إثنين من العلماء وقد إستمر الحال على ذلك إلى عهد السلطان محمد الخامس وبعد ذلك بقليل قامت فتن في غالب البلاد الشرقية صرفت الناس عن هذا المعنى السامي وجاءت الحرب العالمية فحالت بين المسلمين وبين إخوانهم في سائر أنحاء العالم الإسلامي ولما وضعت الحرب أوزارها وإستتب الأمن نوعاً في ربوع الصين هب زعماء المسلمين لرأب هذا الرجوع ووجدوا من حكومة الصين الحاضرة خير معوان لإستكمال هذه النهضة وجمع شتات ما فرقته أحداث الزمن فأوفدتني منذ أربع سنوات كبريات الجمعيات الإسلامية إلى مصر لأنها أصبحت في نظر العالم الإسلامي محط رجال زعماء الشرق وقادته فأكرمت مصر وفادني ؛ ووجدت إخواناً وخلاناً ساعدوني على القيام بما جئت من أجله خير مساعدة ؛ وقد نالت حظوة التحدث إلى جلالة الملك الراحل فؤاد الأول فتفضل رحمه الله وأمر في ذلك الحين بإرسال مجموعة من الكتب القيمة إعتزمت بحول الله أن أجعلها نواة المكتبة التي أريد إنشائها وتسميتها بإسم « المكتبة الفؤادية » تخليداً لذكرى ذلك الرجل العظيم الذي كان عاملاً من العوامل المهمة على بعث النهضة الدينية والثقافية في بلادنا من جديد .

مهمتي الثانية

أما مهمتي اليوم في مصر فهي :

أولاً : تقديم واجب العزاء بإسم الجمعيات الصينية في المرحوم الملك فؤاد ؛ وتهنئة جلالة الملك فاروق بإرتقائه عرش آبائه وأجداده وسأذهب غداً إلى سراي عابدين للتشرف بمقابلة مجلس الوصاية الموقر وتحديد موعد لمقابلة جلالة الملك فاروق .

ثانياً : لمقابلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي لأتحدث إلى فضيلته في شأن البعثات الأزهرية والإكثار منها لأن البعثة الأزهرية الأولى أفادت المتعلمين في بلادنا كثيراً ولقد تقابلت اليوم مع فضيلته فشملي بعطفه وتفضل حفظه الله فوعدني ببذل ما يستطيعه الأزهر من أنواع المساعدات .

ثالثاً : لأنّ مصر كما قلت آنفاً ملتقى الثقافات شريقها وغربها ؛ وآية ذلك أنّي تمكنت من مقابلة إمام عظيم مثلك « يقصد الإمام الزنجاني » في مقدوره أن يمد إلينا يد المساعدة خصوصاً وأنّ علاقة الصين ببلاد العرب والفرس علاقة قديمة ؛ وسأتشرف بحمل رسالتكم السامية إلى بلادي ونرحب بدعوتكم وننضوي جميعاً تحت لوائكم لواء الوحدة الإسلامية فرد عليه الإمام الزنجاني بما ملخصه :

نحن يا أيها السيد على إستعداد لمساعدتكم سواء أكان من ناحية الكتب العلمية في الثقافتين العربية والفارسية وفي أي لغة تفهم في الصين أو كان من ناحية إيفاد العلماء الذين يمكن أن تستفيد منهم بلادكم في الدين والثقافة وكم أكون سعيداً لو تفضل السيد ماسونتين بزيارة النجف الأشرف عاصمة العلوم الدينية في الشرق ؛ تلك البلدة العريقة في المدنية ؛ فقد إزدهرت بالعلوم والمعارف منذ عهد هارون الرشيد وهذا كما تعلمون قبل أن يوجد الأزهر المعمور بمراحل ؛ ففي بلادنا تدرس العلوم الدينية والدنيوية وتتنظم أقسام التخصص في العلوم ؛ ومعاهدها مستعدة لقبول بعثتكم الصينية النجفية .
فرد السيد ماسونتين قائلاً : ندعوا الله أن يوفقنا .

الإمام الزنجاني في الإحتفال الرسمي

برؤية هلال رمضان (١)

إحتفلت المحكمة العليا الشرعية في مساء أمس إحتفالها المعتاد برؤية هلال شهر رمضان المبارك ؛ وإحتشدت الجماهير بعد ظهر أمس على جانبي الطريق

(١) نقلاً عن جريدة الأهرام ١٥/١١/١٩٣٦ .

وجريدة المصري الأحد ١ رمضان ١٣٥٥ / ١٥ نوفمبر ١٩٣٦ .

وجريدة البلاغ العدد ٤٣٥٥ مساء الأحد ١ رمضان ١٣٥٥ - ١٥ نوفمبر ١٩٣٦ .

وعن مذكرات السيد رشيد مرتضى شاهد العيان .

الموصل إلى المحكمة الشرعية ؛ وبدأ موكب الطريق المعتاد تأليفه في كل عام من رجال الطرق والجنود في الساعة الرابعة مساءً وأخذ طريقه من دار محافظة العاصمة إلى دار المحكمة الشرعية وأخذت وفود المدعويين تفد إلى السراشق الفخم الذي أقامته المحكمة الشرعية في فناء دارها يتقدمهم حضرات أصحاب الفضيلة والسعادة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ؛ ومفتي الديار المصرية ؛ ورئيس المحكمة الشرعية العليا وأعضائها وشيوخ الكليات الأزهرية الثلاث ؛ وكبار رجال القضاء الشرعي ؛ ومدرسي الأزهر ؛ وطوائف العلماء والمدرسين وكبار الموظفين والشيخ فوزان معتمد الحكومة السعودية السابق ووزير إيران المفوض ومحمد حيدر باشا وعبدالرحيم فهمي باشا ويعقوب عبدالوهاب بك .

وكان يستقبل حضراتهم فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالرحمن حسن العضو بالمحكمة العليا والأستاذ محمد جوهر كبير كتاب المحكمة والأستاذ حسين الحنفاوي سكرتيرها .

وفي منتصف الساعة الخامسة وصل الموكب الرسمي يتقدمه مندوب المحافظة وكانت تصدح أمامه الموسيقىات المختلفة فقابلته الجماهير الحاشدة بالهتاف المتواصل ؛ وبعدئذ إصطفت الجنود شاكية السلاح في الفناء الخاص بالمحكمة وخرج صاحباً الفضيلة رئيس المحكمة ونائبها فصافحا كبار الضباط وعاداً بعدئذ إلى السراشق .

وقد أخذت الموسيقى تصدح بمختلف الأنغام حتى قبيل الغروب حيث قام الجميع وأدوا فريضة المغرب وجلسوا بعدئذ ينتظرون شهود الرؤية فترة وصل على أثرها موكب الإمام الأكبر الشيخ عبدالكريم الزنجاني كبير علماء النجف فنهض الأستاذ الأكبر المراغي ومن معه وخرج من السراشق لإستقبال الإمام الزنجاني ووقف حتى نزل الإمام من سيارته فصافحه ثم أخذ يده بيده ودخلا السراشق - وكان جميع الحاضرين واقفين إجلالاً - ثم أتى به حتى أجلسه على الكرسي الرئيسي - وفي الصورة يرى الإمام الزنجاني وهو يتصدر سراشق الإحتفال برؤية

هلال رمضان المعظم - ثم حضر صاحباً الفضيلة الشيخ عبدالفتاح القاضي وحامد مكارى القاضيان بمحكمة مصر الشرعية وهما المندوبان الشرعيان الرسميان وللذان ذهباً نائبين عن المحكمة إلى سفح الإهرام لتلمس رؤية الهلال وذكر أنهما لم يرياه ؛ ولم يره كذلك مندوب مصلحة المسافة الذي رافقهما رغم ما بذلوا جميعاً من جهد بسبب كثرة الغيوم وتلبد السحب وعقب ذلك حضر فضيلة الشيخ مصطفى الرحال وفضيلة الشيخ أحمد عباد القاضيان بالمحكمة وهما المندوبان الشرعيان للذان نديتهما رئاسة المحكمة لتلمس رؤية الهلال في مرصد حلوان ؛ وقد ذكر أنهما لم يريا الهلال وكذلك لم يره مندوب المرصد رغم كل المحاولات بسبب تلبد السحب أيضاً .

وعندئذ قال الاستاذ الأكبر للإمام الزنجاني : يا صاحب الفضيلة هل تحكمون بثبوت الهلال بالحساب وقول المنجم ؟ فأجاب الإمام الزنجاني بالنفي ؛ فقال الاستاذ الأكبر : أليس خطأ الحساب أقل من خطأ البصر ؟ فأجاب الإمام الزنجاني قائلاً : يا فضيلة الشيخ إنَّ المنجم يعرف بالحساب والقواعد الرياضية ولادة القمر أي خروجه من المحاق وأما ظهوره للرؤية أي خروجه من شعاع الشمس المقدر بثمانية عشر ساعة تقريباً فيختلف حسب اختلاف الأفق ودرجات الإرتفاع ويعينه المنجم بالحس والتخمين وخطأ الحس ليس بأقل من خطأ الرؤية ؛ وشرح الإمام هذا الموضوع شرحاً أدهش الحاضرين .



فضيلة الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني يتصدّر سرادق الإحتفال برؤية هلال رمضان
المعظم « بالقاهرة » وقد جلس إلى يمينه فضيلة الشيخ الأزهر ورئيس المحاكم الدينيّة
ومفتي الديار المصريّة والشيخ مأمون الشناوي .

وتلقى المجلس الشرعي بعد ذلك برقية من فضيلة قاضي محكمة الواسطي الشرعي يقول : تلمس رؤية الهلال فثبت له رؤيته وكذلك تلقى المجلس برقية أخرى من بعض حضرات القضاة الشرعيين في الاقاليم بمعنى تلك البرقية وبعد أن أطلع عليها واستمع فضيلة الإمام الرئيس إلى أقوال بعض الفلكيين وإلى شهادات بعض الشهود أعلن ثبوت رؤية الهلال وأن أول يوم من شهر رمضان المعظم هو يوم الأحد - اليوم - .

وقد أبلغ هذا النبأ إلى وزارة الحربية فأمرت بإطلاق ٢١ مدفعاً إعلاماً بحلول هذا الشهر الكريم ثم أبلغ إلى السراي الملكية وإلى وزارة الداخلية ووزارة الأوقاف وإلى مختلف الدوائر الرسمية للعلم وإعلانه .

وقد أديرت أكواب المرطبات ووزعت الحلوى بعد ذلك على حضرات المدعوين وإنصرفوا وهم يباركون بعضهم بعضاً .

حديث مفصل من الإمام الزنجاني^(١)

توحيد المذاهب الإسلامية ، الاستعداد لعقد مؤتمر من الأمم الإسلامية لبحث هذا الموضوع ، رأي سمو الأمير محمد علي ، رأي فضيلة شيخ الأزهر ، رأي سماحة الإمام الزنجاني .

بمناسبة مغادرة سماحة الإمام الزنجاني البلاد المصرية بعد أن قضى فيها مدة زار في خلالها كبار رجال الدولة والدين والعلم وقادتها وزاروه فقد رأينا أن نعرف أهم ما دار بينه وبينهم من أمور شتى فتحدث إلينا بما يأتي :

إن زيارتي لمصر كانت وليدة نهضة الأقطار العربية بصورة خاصة وفي الشرق بصورة عامة ؛ وكان من قصدي معرفة مقدار الروابط بين الأمتين العراقية والإيرانية وبين الأمة المصرية ومعرفة مناهج أصول التدريس ومواد الدراسة في

(١) نقلاً عن جريدة الجهاد ٢١ رمضان ١٣٥٥ - ٦ نوفمبر ١٩٣٦ .

الأزهر والجامعة ودار العلوم ؛ وقد رأيت « والحمد لله » فوق ماكنت أنتظره في جميع نواحي مقصدي ؛ وأعجبنى ما أحسسته من الشعور الرقيق العام والعواطف السامية نحو الأمم الإسلامية والعناصر الشرقية من مختلف الطبقات في مصر التي أخذت تستغل هذه النهضة القائمة .

الوحدة الإسلامية

وقد وفقت المذاكرة حول تحقيق وحدة إسلامية شاملة تعم جميع العناصر والأمم الإسلامية من جهات الثقافين الزمنية والدينية والروابط الاجتماعية التي تستتبع تحسين الروابط السياسية أكثر مما هي عليه الآن فحصلت على موافقة أعلام الأمة المصرية وزعمائها وقادة الأفكار فيها وأهل الحل والعقد في أمورها ؛ ووجدت أن الجميع قد إتضح لهم ضرورة الاتحاد والإنفاق على اسلوب مخصوص يضمن وضع الجبر على موضع الكسر حتى يلتئم ؛ وسررت من موافقتهم على كيان الشيعة ووضعنا معهم خطاً ناجحة في الناحيتين المذهبية والاجتماعية لاستطيع الفوارق المذهبية أن تحول دون وصولنا بها إلى مقصدنا الأهم .

مؤتمر إسلامي علمي لتوحيد المذاهب

وأهم ماحصلت عليه موافقة الأستاذ الأكبر المراغي على الدعوة إلى مؤتمر إسلامي علمي لتوحيد المذاهب الإسلامية الخمسة الحنفي ؛ والمالكي والحنبلي ؛ والشافعي ؛ والشيوعي ؛ وتحرير التعاليم الإسلامية المطابقة لهذه المذاهب لإزالة دواعي التفرق وبذلك يتحد المسلمون الذين يبلغ عددهم أربعمائة مليون مسلم - إن شاء الله تعالى - وأعتقد أنني حينما أحمل هذه الرغبات إلى علماء النجف الأشرف - بالعراق - وعلماء سائر بلاد الشيعة فإنهم سيوافقون عليه بكل السرور ؛ وقد لمست عن كثر أن فضيلة الشيخ الأكبر عالم قدير يعمل لصالح الإسلام ويهتم بإتمام هذا المشروع الحيوي الديني ليكسب بذلك شكر الأجيال القادمة وثواب الله .

٧٥ مليوناً من الشيعة ينضمون إلى إخوانهم المسلمين

وهذه الموافقة على كيان مذهب الشيعة والعمل لتوحيد كلمة المسلمين سوف تسر الشيعة المنتشرين في جنبات العالم والذين يبلغ عددهم ٧٥ مليوناً أن ينضموا إلى إخوانهم المسلمين فيعتصمون بحبل الله جميعاً .

فارق طفيف بين السنين والشيعة

وقد كررنا الكلام في أنّ أصول الدين الإسلامي عند الشيعة والسنة كافة ثلاثة وهي التوحيد النبوة والمعاد ؛ واختلافهم في الإمامة والخلافة إنما يعود إلى أمر الآخرة فحسب وأما شؤونهم الدنيوية فمنصة حكمها شاغرة وإمام الشيعة غائب عن الأبصار ونوابه علماء الدين ؛ والخلافة منحلة وأمرها راجع إلى عموم المسلمين في اتحاد كلمة علماء الدين مع طبقات المسلمين يتحقق مرام الفريقين .

وأما فروع الدين والأحكام الشرعية فهي عند الشيعة تستنبط من كتاب الله الكريم والحديث الصحيح والإجماع والعقل والأخيران مرجعها الأولان ؛ وأما عند السنين فتستنبط الأحكام من : كتاب الله والحديث الصحيح والإجماع والقياس ومرجع الأخيرين هو الأولان ؛ والفرق بين الطائفتين طفيف في الإستطاعة علاجه بالكتاب والسنة وإيجاد التوحيد في الفروع وإنّي أعتقد إن المؤتمر الإسلامي العلمي العام سينجح في مهمته إن شاء الله .

متى يعقد المؤتمر

إنتهت مفاوضاتنا في مصر وسأحمل نتائجها إلى بلادي معتقداً برغبتها في الموضوع وبعد التفاهم ووضع الخطط سيعقد المؤتمر بحول الله وقوته .

مع مجلس الوصايا

س - هل تستطيع سماحتكم أن تقضي إلينا بشيء من الحديث الذي دار بين سماحتكم وبين صاحب السمو الملكي الأمير محمد علي رئيس مجلس الوصاية .

ج - تكررت الزيارات بيني وبين صاحب السمو رئيس المجلس وصاحبي المقام الرفيع العضوين ورحبوا بدعوتي وفكرتي حتى ظهر لي أنّ مجلس الوصاية الموقر في طليعة أنصار الوحدة الإسلامية ؛ ووجدت من سعة إطلاع سمو الأمير وإحاطته بسميزات المذاهب والطوائف والأمم ما حدا بنا إلى الخوض في بيان بعض المزايا الدينية والمذهبية وكيفية إستنباط المجتهد الشيعي للأحكام الشرعية ولزوم كونه متخصصاً في عدة علوم ولم نشعر في حديثنا أن المجلس كان رسمياً فكأننا صرنا في مجلس علمي ؛ وتجلّى خلال المفاوضات شدة تمسك المجلس بالدين وتعظيمه لشعائره مع غزارة معلومات أعضائه في كل نواحي الحديث ؛ ودام حديثنا « وبالأحرى درسنا » في مجلس الوصاية نحو ساعتين .

في مسجد المنيل بالروضة

ولما رأيت من اللباقة أن أنصرف تفضل سموه فدعانا إلى قصره المعمور لظهر يوم الجمعة حتى نقيم صلاة الجمعة في جامع منيل الروضة وقد وفقنا في ذلك اليوم ورأينا من بناء الجامع ونظامه والمظاهر الدينية والملكية فيه ما لم نر مثله .

وتفضل سموه وإستصحبني بعد أداء الفريضة إلى غرفته الخاصة وأخذ في أطراف الأحاديث الشائقة والموضوعات الطريفة بغزارة العلم وفصاحة البيان باللغتين العربية والتركية ما أبقي أثراً عميقاً في قلبي .

رأي الأمير في الوحدة الإسلامية

أظهر الأمير شدة رغبته في توحيد المسلمين وأخذ في تشجيعي بهمة فائقة حتى

أن سموه عرض على كمية كبيرة من النقود لإنفاقها في نشر دعوتي ولكنني أبيت عن قبولها واعتذرت بأنني ما قبلت ولن أقبل في حياتي كل مال أو هدية من أي ملك أو أمير أو حكومة ؛ وأن قوة المبدأ تكفي لنشره بعون الله تعالى .

وبعد ذلك تفضل صاحب المقام الرفيع عبدالعزيز عزت باشا ودعانا مرتين للإفطار وفي الأولى كنت مرتبطاً بوعده سابق لزيارة بيت الأمة وضريح المغفور له سعد زغلول باشا الذي أعده من أبطال الوطنية الخالدة آثارهم ، مما إقتنع به سعادة عزيز عزت باشا بوجودنا على الإفطار فقط ولكنه دعانا مرة أخرى بقينا فيها لديه إلى الساعة التاسعة والنصف مساءً وقد حضر معنا وزير إيران وتركيا والإستاذ العلامة الكبير محمد فريد وجدي بك وجماعة من كبار الاساتذة وأنصار الوحدة الإسلامية واتخذنا بالإجماع قرارات هامة ؛ وكان إعجابي بآراء العلامة محمد فريد وجدي بك كبيراً .

دولة الرئيس

أبدى صاحب الدولة مصطفى نحاس باشا رئيس الوزراء في مجالس الزيارات المتبادلة بيني وبينه من العواطف الشريفة والمكارم العالية ما لا أستطيع أن أكيفه أو أصفه ؛ وأعجبني أن دولته أخذ يشرح لي القضية المصرية من بدء تكوينها إلى نهايتها ؛ وذكر الجهود الطيبة التي أتت بخير الثمرات ؛ وقد حللها دولته تحليلاً دقيقاً وعللها بأسبابها ومسبباتها بأسلوب يقتنع به كل من يسمعه ؛ وتنازل فطلب مني ملاحظاتي وآرائي رغم أنني إكتسبت منه معلومات هامة لم أزل أشكر دولته عليها كما أشكره على ترحيبه بالوحدة الإسلامية وتشجيعه لدعوتي إليها .

سفر سماحته اليوم

وسيغادر ساحة الإمام الزنجاني اليوم العاصمة بقطار الساعة الخامسة والنصف في طريقه إلى فلسطين فيروت فدمشق ثم إلى وطنه .

الإمام الزنجاني (١)

ينوي صاحب الفضيلة الإمام الكبير الشيخ عبد الكريم الزنجاني أن يغادر مصر في هذين اليومين إلى فلسطين لزيارة بيت المقدس وأعلامه العظيمة ويحل فيها ضيفاً كريماً لساحة المفتي السيد أمين الحسيني الذي أرسل برقية إلى الإمام الزنجاني واستدعاه إلى القدس ؛ وبعد ما يقيم هناك أياماً يبرح فلسطين إلى عمان إجابةً لسمو أميرها ومنها إلى بيروت فيقيم فيها قليلاً ؛ ويغادرها إلى دمشق فيقضي فيها أياماً قبل أن يعود إلى وطنه .

وقد لقي الإمام الزنجاني في مصر ما هو أهل لعلمه وفضله وسجاياه من الترحيب والحفاوة ؛ ومظاهر التكريم مما وقع أعظم وقع في نفسه وجهر به في جميع مجالسه ؛ وأعرب عن إغباطه بما أحرزت مصر من رقي ومقام رفيع ؛ وشيد فيها أساساً قوياً للوحدة الإسلامية ، رافقته السلامة في الحل والترحال .

(١) نقلًا عن جريدة المقطم ٤ ديسمبر ١٩٣٦ .



يرى في الوسط ساحة الإمام الأكبر الشيخ عبدالكريم الزنجاني ساحة: مغادرته القاهرة إلى فلسطين يحيط به العلماء والأمراء والوجهاء .

الإمام الزنجاني سفره اليوم عائداً إلى وطنه (١)

يغادر مصر اليوم ضيفها الكبير صاحب السماحة الإمام الأكبر الشيخ عبدالكريم الزنجاني كبير مجتهدى الشيعة ؛ وقد أقام بيننا بضعة أسابيع كان فيها موضع التقدير والتكريم لما تحلى به من علم وخلق ودين وسعود إلى بلاده ويجمع برجالاتها من العلماء والمجتهدين والساسة فيذكر ماشهه في مصر وجماعاتها وأولي الرأي فيها ؛ وسيجد إخواننا الشيعة فيما يسمعون منه أن ما تحدث به الدهماء عن إختلاف الشيعة والسنين ليس له أثر في نفوس المصريين وغيرهم من السنين ؛ فمرجع كل شيء إلى الكتاب والسنة ؛ وقد تقاربت وجوه النظر بين الشيعة والسنة بخطب الإمام الزنجاني وكان من نتائج هذا التقارب التشريعات الحديثة التي صدرت في مصر بشأن الأحوال الشخصية وقد إستنبطت من مذاهب متعددة منها مذهب الشيعة الإمامية ؛ وهذا الإستنباط هو في الواقع إجتهداد ينتجه العقل الذي جعله الشيعة أحد مصادر التشريع عندهم .

وقد خطب سماحة الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني في جمعية الشبان المسلمين فشرح مذهب الشيعة وأوضح كل مافيه ؛ فأثبت إن الخلاف ليس في جوهر الدين ؛ وقال : إن ما يبدوا الآن من خلاف نتج أكثره عن تحكم بعض الملوك والحكام في الشعوب وإستخدامهم الدين للسياسة وللغلبة على خصومهم ؛ وقد زالت هذه الظروف ولكن بقي أثرها بين أيدينا حتى اليوم فيجب أن ننظر فيه بعين العقل لتبين حقيقته .

وما دمنا نسعى مجدين للوحدة الإسلامية فمن غير المعقول أن تظل هذه الخلافات تتحكم فينا ؛ وتحدث أثرها في وجودنا السياسي والإجتماعي فتفرق كلمتنا ؛ وتضعف شأننا وتجعلنا طعمة لكل طامع .

(١) نقلاً عن جريدة البلاغ العدد ٤٣٧٥ مساء ديسمبر ١٩٣٦ .

ولشدة مايؤلم النفس ؛ أن يحدث هذا بين أهل دين واحد يقوم على العقل المطلق ؛ ويحضر إتباعه على الإئتلاف والإعتصام بحبل الله جميعاً . أجل لشد مايؤلم النفس أن يحدث هذا وأن يكون علاجه بين أيدينا حاضراً ؛ أو هيناً سهلاً ومع هذا لاترانا نعمل على دفعه إلا متباطئين .

ولقد فتح لنا ساحة الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني الباب ووضع أساس الوحدة الإسلامية ؛ فليكن لجماعاتنا الإسلامية في السنين من تفكيره وآرائه ونفوذه بين المسلمين مايسهل لنا التفاهم مع الجماعات الأخرى من المسلمين التي عرفت بإسم الشيعة .

وأخيراً نودع ساحة الإمام الزنجاني وندعوا له بسلامة العودة إلى البلاد الشقيقة ؛ وننشر بعد ذلك كلمة شكر صدرت عنه إلى الأمة المصرية لمناسبة سفره وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الأمة المصرية الكريمة :

قد كانت زيارتي لمصر إستجابة لأمنية قديمة في نفسي، وشوق مكين في فؤادي ؛ فقد شاقني منذ أمد بعيد أن أسعد بزيارة إخواننا المصريين وأشهد عن قرب نهضة مصر المباركة التي عرفتها فيما تواتر من أخبارها وما قرأت من آثارها . فلما قدمت مصر رأيت أكثر مما سمعت ؛ وخبرت أعظم مما أخبرت وزاد سروري وغبطتي بما شهدت في هذه الأمة العظيمة من مظاهر العمران والإزدهار في العلوم والفنون والآداب .

ولست بمستطيع الإبانة عما لقيت من حفاوة بي وإكرام لوفادتي وسعي إلى مودتي من كل من لقيت من المصريين ؛ أمراء ؛ ووزراء ؛ وعلماء ؛ وأدباء ؛ وكبراء ؛ وصحافيين ؛ فقد بالغوا حفظهم الله في إكرامي وإيناسي حتى شعرت

أنني في وطني وبين أهلي ؛ وتجلت لي الأخوة الإسلامية الصادقة في كل أقوالهم وأفعالهم .

وأخص بالذكر حضرة صاحب السمو الملكي رئيس مجلس الوصاية وحضرتي صاحبي المقام الرفيع عضوي المجلس الموقر ؛ وحضرة صاحب الدولة رئيس الوزراء وأصحاب المعالي زملائه الكرام ؛ وصاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر وحضرات علماء الأزهر وأساتذة الجامعة المصرية ودار العلوم ؛ ولا أقصر في شكر من لا يتسع المقام لذكرهم من أعيان هذه الأمة الكريمة .

أعود إلى بلادي ناجحاً مسروراً شاكراً ذاكراً بالخير مارأيت وما سمعت من مصر ؛ متحدثاً بتقدير أهلها لأواصر الأخوة الإسلامية مستجيباً لرغبتهم ورغبتني في التقريب بين الأمم الإسلامية ؛ داعياً لمصر بالتقدم والفلاح والسعادة في العهد المبارك عهد الإستقلال والحرية في رعاية صاحب الجلالة الملك حفظه الله .

ولنجعل هذا آخر هذا الكتاب الذي ألفتنا الظروف إلى إيجازه
وسيتلوه الكتاب الثاني الذي سيرز قريباً إلى الوجود إن شاء الله
تعالى حافلاً ببقية كلمات الإمام الزنجاني في مصر وخطبه
التأريخية في المسجد الأقصى بفلسطين وفي دمشق ؛
وبירות ؛ وعمان ؛ والهند ؛ والله تعالى ولي
التوفيق والحمد لله رب العالمين



لقد أُلجئنا الضرورة إلى الإكتفاء بنشر عدة صور من مئآت الصور المنشورة وألوف الرسوم المصورة عن حفلات الإستقبال والمهرجانات الشعبية العظيمة التي أُقيمت لإستقبال سماحة الإمام الزنجاني في مختلف البلاد الإسلامية ، العراق ، إيران ، سوريا ، لبنان ، مصر ، فلسطين ، باكستان ، الهند ؛ وغيرهما تقديراً من جميع العناصر ؛ وظوائف المسلمين لجهوده الجبارة ؛ وجهاده المستمر المتواصل في سبيل إعلاء أعلام الدين ؛ وتوحيد كلمة المسلمين ؛ وإعترافاً منهم بأنّ سماحته دعامة عرش الدين ؛ واللسان الناطق عن الشرع المبين ؛ والمرجع الأعلى للمسلمين الذي عليه المدار ؛ وفيلسوف الإسلام الذي تخضع لمقداره الأقدار .



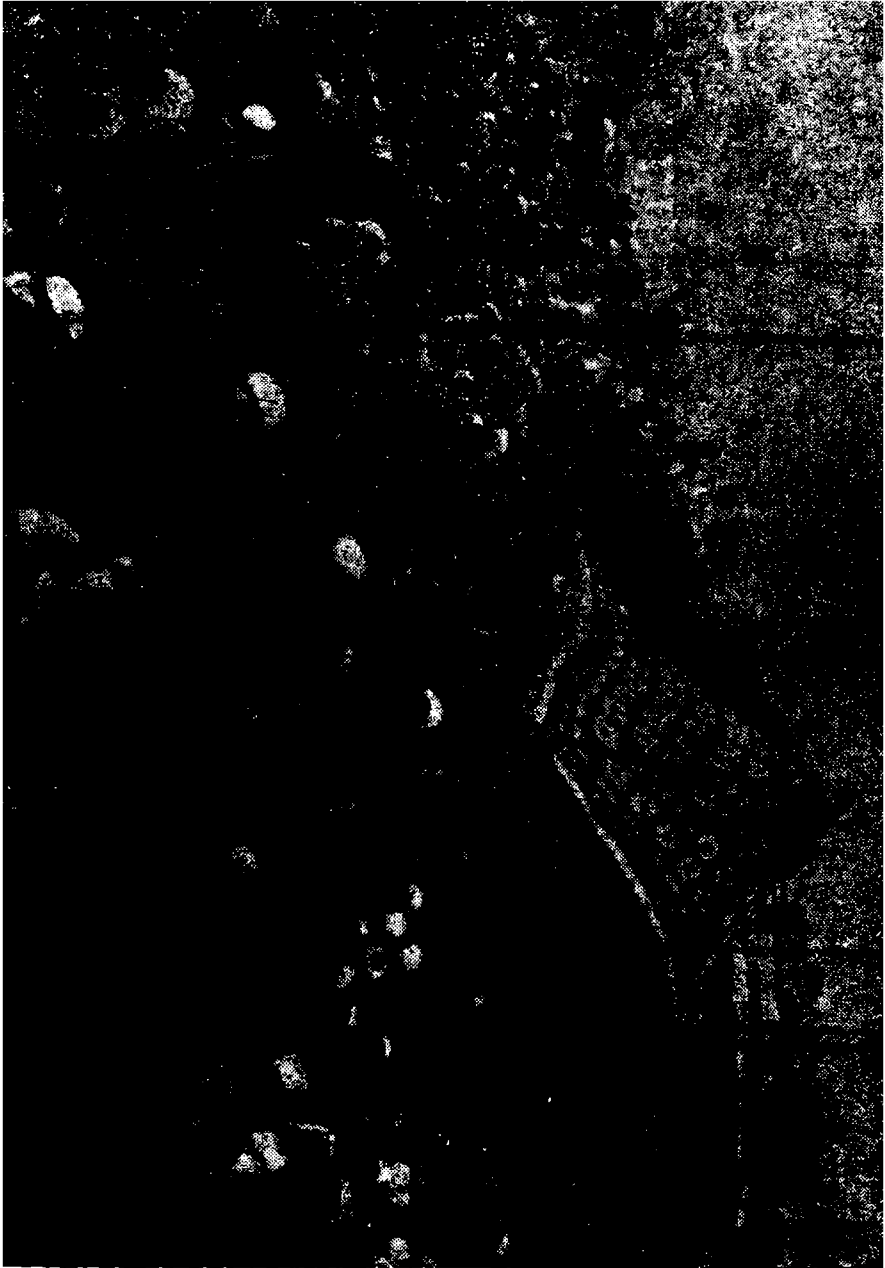
من صور مهرجانات إستقبال الإمام الزنجاني في النجف وكربلاء وغيرهما

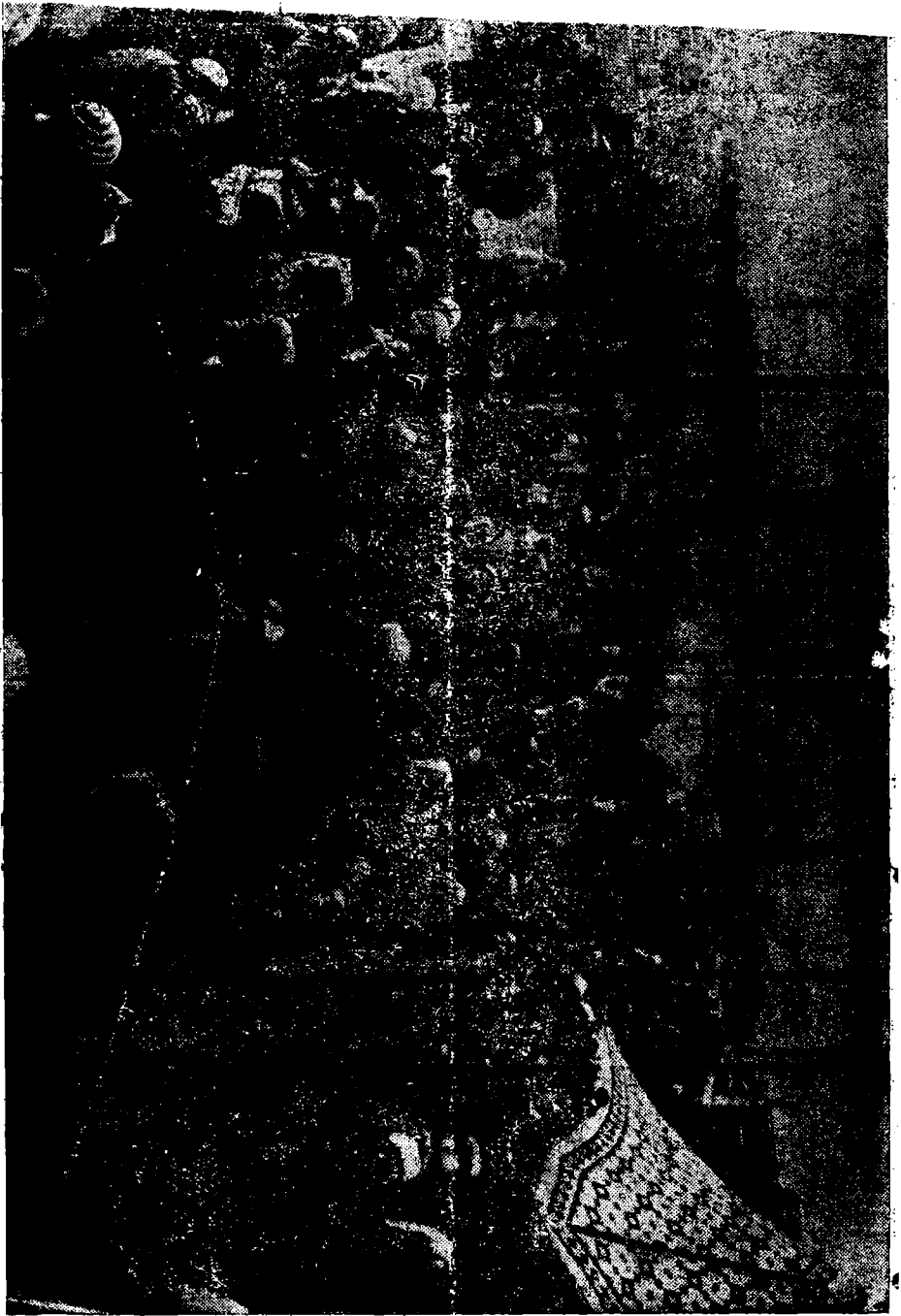






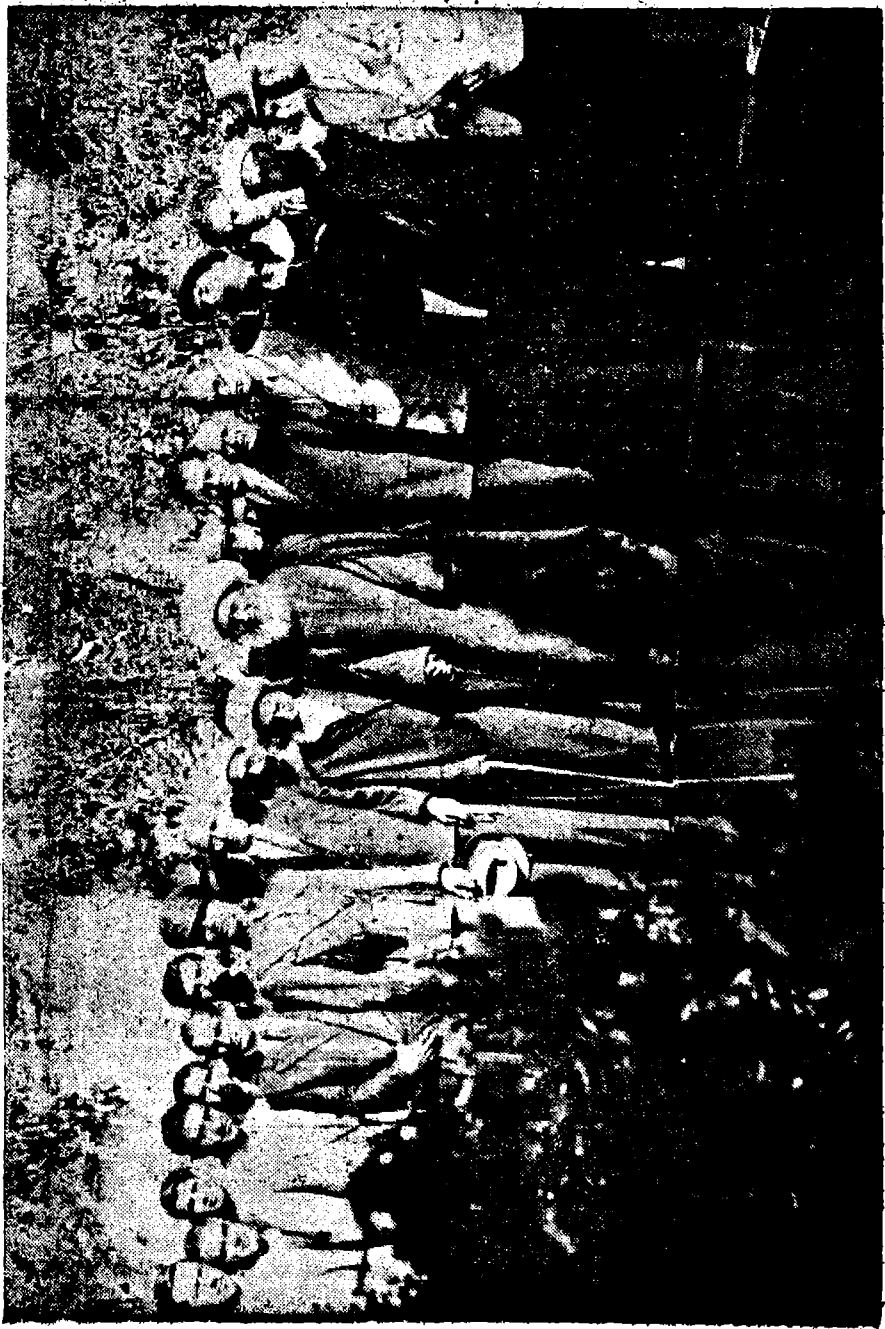












من صور مهرجانات استقبال الامام الزنجاني في النجف وكربلاء وغيرهما





فهرس الجزء الأول

من كتاب صفحة من رحلة الامام الزنجاني

٥	تقريظ مجلة العرفان
٦	مقال رئيس المحكمة الشرعية بلبنان الشيخ محمد جواد مغنيّة
١١	مقدمة الطبعة الثانية
١٣	كلمة الناشر
١٥	تصدير
١٩	نشؤ الرحلة وتطورها وارتقائها
٢١	رحلة الطوسي والحليّ والشهيدين والعاملي وكركي
٢٢	الغرض الأسمى من رحلة الأئمة المجتهدين والفلاسفة
٢٥	للخلود في التاريخ
٢٦	رحلته التاريخية
٢٨	ثورته على البدع
٢٩	خطبه وكلماته الخالدة
٣١	كلمة شيخ الجامع الأزهر والدكتور طه حسين
٣٣	دلائل النجاح
٣٤	تصوير الحقيقة في مراحل الواحدة
٣٦	لباقة أو إعجاز
٣٨	التمسك بالثقلين أساس الوحدة

شواهد النجاح في مصر

٣٩	
٤١	تصريح شيخ الأزهر بأعلمية الزنجاني
٤٣	القرآن الكريم يدعو إلى الإنفاق

٤٤	أصول الاسلام عند جميع المسلمين
٤٥	تحديد إختلاف المذاهب الاسلامية في الفروع
٤٧	هدية شيخ الأزهر إلى الامام الزنجاني
٤٩	نداء إلى أهل السنة
٥٠	كتاب مشيخة الأزهر
٥١	كتاب الجواب للامام الزنجاني
٥٣	مبادئ فكرة الوحدة الاسلامية
٥٤	إحتفال الأزهر لتكريم الامام الزنجاني
٥٥	مذهب الشيعة في التشريعات الحديثة بمصر
٥٦	خليفة الأفغاني
٥٨	إنجلاء حقيقة تاريخية
٦٠	كتاب السيد الأفغاني إلى رئيس مجتهدى الشيعة
٦٣	الامام الزنجاني ومجلس الوصاية بالقاهرة
٦٦	مأدبة رئيس مجلس الوصاية تكريماً للامام
٦٨	النظام الاقتصادي أكبر معجزة في الاسلام
٦٩	نداء اقتصادي عام للامام الزنجاني
٧٠	نص كتاب رئيس جمعية الشبان المسلمين
٧٢	كتاب نحاس باشا واحتفاله بالامام
٧٣	الامام الزنجاني ورئيس مسلمي الصين
٧٤	كلمة العلامة فريد وجدي
٧٤	سيّدات مصر يحفظن خطب الامام الزنجاني

٧٧ شواهد نجاح الامام الزنجاني في سوريا

٧٩	خطبة الامام الزنجاني في الجامع الأموي في دمشق
٨٠	رسول الوحدة الاشلامية

عيد الوحدة الاسلامية	٨١
الزنجاني يُتم خطبة الامام السّجاد (ع) في الجامع الأموي	٨٣
شباب محمّد وحفاوتهم للزنجاني	٨٣
رجال الكتلة والحكومة يستمعون إلى محاضرة الامام	٨٦
محاضرة الامام الزنجاني في الجامعة السورية	٨٨
وفد معهد الحقوق يزور الامام الزنجاني	٨٩
محاضرة الامام الزنجاني في جامع الدقاق	٩٠
كتاب رئيس الجمهورية هاشم الأتاسي للامام الزنجاني	٩٤
كتب وزير الداخلية والأرمنياني	٩٥
كتب البارودي والبيطار	٩٦
كتاب زعيم شباب الشيعة في دمشق	٩٧
الامام الزنجاني في مؤتمر العلماء الأول بدمشق	٩٩
لاتأخذه في الله لومة لائم	١٠٣
بيان مؤتمر العلماء الأول	١٠٤
تأييد المؤتمر لاقتراح الامام الزنجاني	١٠٧
نجاح باهر ومأدبة رئيس الوزراء	١٠٩

شواهد نجاح الامام الزنجاني في لبنان

عودة المجتهد الأكبر إلى بيروت	١١٢
بيروت تحتفي بالامام لإحتفاء عظيم	١١٣
محاضرة الامام الزنجاني في الجمعية الخيرية الاسلامية	١١٦
لماذا ارتج على الغلاييني ؟	١٢٠
الشيعة والمعاهدة	١٢٢
الوفاء بالعهد روح التشيع	١٢٤
المثل الأعلى للوفاء بالعهد	١٢٥

نص كتاب رئيس الجمعية الخيرية بيروت	١٢٧
كتاب رئيس جمعية الإصلاح الإسلامية في بيروت	١٢٨
صحف بيروت والامام الزنجاني	١٣٠
الامام الزنجاني يشكر سوريا ولبنان	١٣٢
حديث قداسة البابا لجلالة إمبراطور إيران	١٣٤

شواهد نجاح الامام الزنجاني في فلسطين

مفتي فلسطين يدعو الامام الزنجاني	١٣٥
خطبة الزنجاني النارية في المسجد الأقصى	١٣٦
صورة للامام الزنجاني والمفتي في القدس	١٣٧
كلمة الامام الزنجاني في تل أبيب	١٣٨
كلمة الزنجاني على ضريح جلاله الملك حسين في القدس	١٣٩
	١٤٢

شواهد نجاح الامام الزنجاني في الأردن

جلالة الملك يدعو الامام الزنجاني	١٤٣
صورة الامام والملك في النجف الأشرف	١٤٤
كتاب جلاله الملك للامام	١٤٥
الملك يعرض عمادة الكلية الإسلامية على الامام	١٤٦
	١٤٨

شواهد نجاح الامام الزنجاني في إمارة الكويت

أمير الكويت يزور الامام الزنجاني في النجف	١٥٠
صورة الامام الزنجاني وأمير الكويت في الروضة الحيدرية	١٥١
	١٥٢

١٥٣

نهضة الامام الزنجاني

- ١٥٤ أسرار النجاح وأركانها
- ١٥٨ شهادة مؤلف كتاب وحي الرافدين
- ١٦٣ دين تتبعه السياسة
- ١٦٣ إستغلال الوجدتين العربية والاسلامية
- ١٦٧ طلب الامام من الملك عبدالعزيز بإعادة بناء قبور الأئمة (ع)
- ١٦٩ السجلات الأزهرية من المحاضر لمجالس الزنجاني والمراغي

١٧١

موازنات

- ١٧٢ الزنجاني والأفغاني
- ١٧٥ آثار الزنجاني في كلكتة وكنهؤ ولاهور
- ١٧٨ كلمة الامام الزنجاني في وفاة ولده الوحيد « محمد »
- ١٧٩ تحليل الحوماني لحلم الزنجاني ومكارمه
- ١٨٣ جهود الأمامين الزنجاني واليزدي لاستقلال العراق والحجاز
- ١٨٤ الامام الزنجاني والامام محمد عبده
- ١٨٥ كلمة حاسمة في لزوم السنة النبوية للقرآن الكريم
- ١٨٧ رأي الامام الزنجاني في تفسير القرآن الكريم
- ١٨٨ اسلوب التجديد في تفسير الزنجاني
- ١٩٠ مقارنة الأديان الإلهية
- ١٩١ الامام الزنجاني وابن سينا
- ١٩٤ من مطالب دروس الفلسفة
- ١٩٥ برهان المعاد الجسائي
- ١٩٦ الزنجاني والطوسي
- ٢٠٠ رأي الزنجاني في جمهورية افلاطون والاشتراكية الشيوعية

٢٠٣	الزنجاني والعلامة الحلي
٢٠٥	ترجمة الامام الزنجاني
٢٠٦	أسرة الامام عبدالكريم الزنجاني
٢٠٨	نشأة الامام الزنجاني
٢١١	نص إجازة الامام الأكبر صاحب العروة الوثقى
٢١٢	شهادة آية الله الفيروز آبادي
٢١٤	خصال الامام الزنجاني
٢١٧	مؤلفات الامام الزنجاني

٢٢١ - الامام الزنجاني في الهند

٢٢٢	أيها أعظم الزنجاني أوغاندي ؟
٢٢٣	درس الزنجاني لديانة الهندوس وإنقاذه المنبوذين
٢٢٧	محاضرة الزنجاني في ندوة العلماء في لكنهؤ
٢٣١	الامام الزنجاني والنظرية النسبية لأنشتاين

٢٣٧ اصلاحه الديني

٢٣٨	بيان المقصود من كلمة الإصلاح الديني
٢٤١	محاضرة الامام في كلكته المترجمة إلى عدّة لغات
٢٤٤	آراء علماء التاريخ الطبيعي والكيمياء والفلك
٢٤٥	إنكار عالم الروح ليس نتيجة علم أو فلسفة
٢٤٦	إثبات وجود القصد في نظام الكون
٢٤٨	المادة عرض من عوارض القوة ومحل التوحيد من الطبيعة
٢٤٩	برهان إثبات الصانع للفيلسوف ديكرت
٢٥٠	برهان الوسط والطرف في إبطال التسلسل

تفريط فلاسفة الغرب وإفراط الفلاسفة القدماء ٢٥٢

٢٥٧ الامام الزنجاني في مصر

- ٢٥٨ قدوم عالم جليل
- ٢٥٩ صورة عن النجف في جريدة المقطم المصرية
- ٢٦١ جامع النجف الأشرف وجامعتها
- ٢٦٣ مواد الدراسة في معاهد النجف
- ٢٦٩ إستقبال الزنجاني في محطة القاهرة
- ٢٧٢ إحتفال الأزهر التاريخي تكريماً للامام الزنجاني
- ٢٧٣ صورة تاريخية لاحتفال الأزهر التاريخي
- ٢٧٥ كلمة شيخ الأزهر في تكريم الامام الزنجاني
- ٢٧٦ كلمة الامام الزنجاني في حفلة الأزهر
- ٢٨٠ تكريم مشيخة الأزهر للامام الزنجاني كبير علماء الشيعة
- ٢٨١ فلسفة وقت صلاة المغرب
- ٢٨٢ كلمة الامام الزنجاني في كليات الأزهر
- ٢٨٥ كلمة الامام في فصل الفلسفة بكلية أصول الدين
- ٢٩١ كلمة الامام الزنجاني في فصل التوحيد بكلية أصول الدين
- ٢٩٢ كلمة الامام الزنجاني في كلية الشريعة الاسلامية في الأزهر
- ٢٩٣ مصادر التشريع الاسلامي
- ٢٩٤ الإجتهد من لوازم الاسلام
- ٢٩٥ تحقيق موضوع أصول الفقه وتعريفه الأسد الأخصر
- ٣٠١ كلمة الامام الزنجاني عند قبر القائد جوهر مؤسس الجامع الأزهر
- ٣٠٢ كلمة الامام الزنجاني في شأن الشيخ محمد عبده
- ٣٠٣ صورة الامام في المقر العام لجامعة الشباب العربي

محاضرة الامام الزنجاني في مقرر رابطة الشباب العربي	٣٠٤
محاضرة الامام الزنجاني في رابطة موظفي الحكومة	٣١٣
قانون التوظيف في الاسلام	٣١٤
إيران قبل الاسلام والعلوم والفلسفة فيها	٣١٦
إيران بعد الفتح الاسلامي إلى إستقلالها السياسي	٣١٧
بغداد عاصمة العلوم	٣١٨
هولاكو وعهده لعلماء الشيعة في الحلّة	٣١٩
خزانة الكتب للطوسي في مرصده	٣٢٠
مناظرة العلّامة الحليّ مع علماء المذاهب الأربعة	٣٢١
أخطاء أحمد أمين	٣٢١
ملوك الصفوية والسلطان سليم العثماني مؤسس التفرقة	٣٢٢
نابليون الشرق نادر شاه إمبراطور إيران ومؤسس الوحدة الاسلامية	٣٢٣
وصايا عشرة من نابليون بنابرت إلى فتح علي شاه قاجار	٣٢٤
واجب إيران لمكافحة الشيوعية	٣٢٥
العراق وتأريخه الحلي الخالد	٣٢٦
جلالة الملك فيصل الأول ونهضة العراق الحديثة	٣٢٧
تكريم الامام الزنجاني في المفوضية الملكية العراقية في القاهرة	٣٢٨
تكريم الامام الزنجاني في المفوضية الإيرانية بالقاهرة	٣٣١
الامام الزنجاني في دار العلوم بالقاهرة	٣٣٥
تكريم الامام الزنجاني في دار الرابطة العربية	٣٣٥
كبير علماء الشيعة في بيت الأئمة	٣٣٦
محاضرة الامام الزنجاني الفلسفية في كلية الآداب بالقاهرة	٣٣٨
المستشرقون والفلسفة الاسلامية	٣٣٩
إبتكارات الفلاسفة المسلمين	٣٤١
تطور الفلسفة	٣٤٦

أسلوب دراسة الفلسفة	٣٥٦
المستشرقون وطلاسم رموز الفلسفة الاسلامية	٣٥٩
شواهد اتصال سند دراسة الفلسفة في معاهد النجف وإيران إلى الأقدمين ...	٣٦٠
آراء الفارابي والخرافات المنسوبة إليه في دار العلوم المصرية	٣٦٣
فلسفة الدين الاسلامي	٣٦٦
عقائد الشيعة الامامية وإقتراءات مؤلف ضحى الاسلام	٣٧٠
شكر العزام والدكتور طه حسين للإمام الزنجاني	٣٧٣
الامام الزنجاني في دار الكتاب بالقاهرة	٣٧٤
الامام الزنجاني يقرر منهاج البعثة الأزهرية إلى الهند	٣٧٥
محاضرة الامام الزنجاني في المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين	٣٧٥
مثال لطيف مفضح المفترين على الشيعة	٣٨٢
كلمة الامام الزنجاني في دار جمعية الهداية الاسلامية	٣٨٥
الامام الزنجاني يتحدث إلى الأمة المصرية عن طريق جريدة المصري	٣٩٠
الامام الزنجاني في الأزهر وفي المحكمة العليا الشرعية	٣٩٥
الامام الزنجاني يتحدث عن مزايا الاسلام وعقائد الشيعة	٣٩٥
فروع الدين عند الشيعة	٤٠١
حديث الزعيم الصيني عن المسلمين في الصين	٤٠٢
الامام الزنجاني في الإحتفال الرسمي بروية هلال رمضان بالقاهرة	٤٠٤
الامام الزنجاني يبين سبب عدم إعتبار الحساب الرياضي في ثبوت الهلال	٤٠٦
حديث مفصل من الامام الزنجاني	٤٠٨
الوحدة الاسلامية	٤٠٩
مؤتمر إسلامي علمي لتوحيد المذاهب	٤٠٩
فارق طفيف بين السنة والشيعة	٤١٠
حديث الامام الزنجاني مع مجلس الوصاية	٤١١
رأي الأمير محمد علي في الوحدة الاسلامية	٤١١

ترحيب رئيس الوزراء نحاس باشا بالوحدة الاسلامية	٤١٢
مغادرة الامام الزنجاني مصر	٤١٣
كلمة شكر الامام الزنجاني للأمة المصرية	٤١٦
من صور مهرجانات استقبال الامام الزنجاني	٤١٨
من صور مهرجانات استقبال الإمام الزنجاني في النجف الأشرف	٤٢٠ - ٤٣٠
فهرس الجزء الأول	٤٣١

مؤسسة النعمان
للطباعة والنشر والتوزيع
حسن محمد إبراهيم علي
وكتبي



بيروت - طرة مريك - شارع دحمان - ص.ب. ٢٥/٢٢٩

AL NO'MAN EST.

Publishing, Printing & Distribution

Beirut - Lebanon

P. O. Box 229/25